(تم فهرست الجزء الاول من تفسير الخازن)

هـــــــذا

الجزء الاول من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الشيخ

الامام الحجة المقدم العلامة قدوة الامة

وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي

السنة علاء الدين علي بن محمد

ابن ابراهيم البغدادي

الصوفي المعروف

بالخازن تغمده

الله برحمته

آمين

م

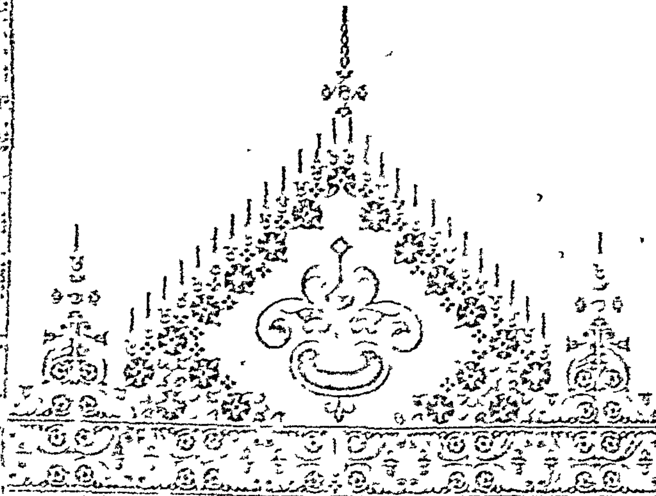
وقد حلي هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الشيخ الامام الجليل القدوة السند العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

※(قال في كشف الظنون)※

(لباب التأويل * في معاني التنزيل) في ثلاث مجلدات للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان (سنة ٧٢٥) خمس وعشرين وسبعمائة أوله الحمد لله الذي خلق الاشياء فقدرها الخ ذكر فيه ان معالم التنزيل للبغوي موصوف بالاوصاف المحمودة لكنه طويل فانتخبه وضم اليه فوائد لخصها من كتب التفاسير بحذف الاسانيد وجعل علامة للصحيحين وذكر أسامي غيرهما وعرض فيه بشرح غريب الحديث وما يتعلق به

(وقال في حرف الميم)

(مدارك التنزيل * وحقائق التأويل) للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى (سنة ٧٠١) احدى وسبعمائة وقيل عشرة وسبعمائة أوله الحمد لله المنفرد بذاته عن اشارة الاوهام الخ وهو كتاب وسط في التأويلات جامع لوجوه الاعراب والقرا آت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات موشح باقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الاشياء فقدرها تقديرا * وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا * ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا * وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا * وهداه الى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا * واطلق لسانه فاذعن بشكره وتحميده تهليلا وتكبيرا * وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا * وانزل عليه كتابا منيرا * وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا * وأمر بتفهمه تلاوة له وتدبرا * وعلم عباده علومه تفقها وتبصيرا * وضرب فيه الامثال لمن يزيل جهالة وتحيرا * وجعله برهانا واضحا وصوتا لائحا ووذرنا له ترتيبا * في الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي المصحف مسطورا * يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا * وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أحمده) على تواتر نعمائه حمدا كثيرا * واتوكل عليه مفوضا أمري اليه ومستجيرا * واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا * واشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كشف من نصره وعزره بشارة وتوقيرا * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وبعد) فان الله جل ذكره وتقدس اسمه ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين * وبشيرا للمؤمنين * ونذيرا للخلق أجمعين * اكمل به بنيان النبوة * وختم به ديوان الرسالة * وأتم به مكارم الاخلاق * ونشر فضله في الآفاق * وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة * وانقذ به من الجهالة *

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله المتقدس بذاته عن اشارة الاوهام * المتقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام * المتفرد بالالوهية قبل كل موجود * الباقي بالنعوت

وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه * وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه * عجز الخلائق عن معارضته * حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته * ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجازه تلاوته * ويسر على الالسن قراءته * أمر فيه وزجر * وبشر وأنذر * وذكر المواعظ ليتذكر * وضرب فيه الامثال ليتدبر * وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر * ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر * ثم لم يرض منا بسرد حروفه * دون حفظ حدوده * ولا باقامة كلماته * دون العمل بمحكماته * ولا بتلاوته * دون تدبر آياته في قراءته * ولا بدراسته دون تعلم حقائقه * وتفهم دقائقه * ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه * ومعرفة حلاله وحرامه * واسباب نزوله واقسامه * والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه * فانه ارسخ العلوم أصلا * واسبغها فرعا وفضلا * واكرمها نتاجا * وانورها سراجا * فلا شرف الا وهو السبيل اليه * ولا خير الا وهو الدال عليه * وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين * وبالحق ناطقين * حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات * وجمعوا سائر فنونه المتفرقات * كل على قدر فهمه * ومبلغ علمه * نظرا للخلف * واقتداء بالسلف * فشكر الله سعيهم * ورحم كافتهم * ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه * ونور ضريحه * من أجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل * عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل * محلى بالاحاديث النبويه * مطرزا بالاحكام الشرعيه * موشى بالقصص الغريبه * واخبار الماضين العجيبه * مرصعا باحسن الاشارات * مخرجا باوضح العبارات * مفرغا في قالب الجمال * بافصح مقال * فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه * وجعل الجنة منقلبه ومآبه * ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده * ودرر فرائده * وزواهر نصوصه * وجواهر فصوصه * مختصرا جامعا لمعاني التفسير * ولباب التأويل والتعبير * حاويا لخلاصة منقوله * متضمنا لنكته واصوله * مع فوائد نقلتها * وفرائد لخصتها * من كتب التفاسير المصنفه * في سائر علومه المؤلفه * ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب * مجتنبا حد التطويل والاسهاب * وحذفت منه الاسناد * لانه اقرب الى تحصيل المراد * فما وردت فيه من الاحاديث النبويه * والاخبار المصطفويه على تفسير آية أو بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسنده انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة في هذا الكتاب * واسهل على الطلاب * وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب * مع التسهيل والتقريب * وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا أو جمعه ان كان متفرقا أو شرحه ان كان غامضا أو حسن نظم وتأليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت (وسميته لباب التأويل * في معاني التنزيل) والله تعالى اسأل التوفيق لاتمام ما قصدت * واليه ارغب في تيسير ما أردت * وان يجعله خالصا لوجهه الكريم * وان يتقبله مني انه هو السميع العليم * وهو حسبي

السرمدية بعد كل محدود * الملك الذي طمست
سبحات جلاله الابصار * المتكبر الذي أزاحت
سطوات كبريائه الافكار * القديم الذي
تعالى عن مماثلة الحدثان * العظيم الذي تنزه عن
مماسة المكان * المتعالي عن مضاهاة الاجسام

ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب وقبل ان أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

(الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه) (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا أيها الناس انما انا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما اعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين وعن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحارث مقال (قوله هو الفصل) اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه شئ من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه (قوله هو حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء أي لا تميل عن الحق * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران (قوله الماهر بالقرآن) يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما أمرهم به ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع أي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني يحصل له اجر بسبب القراءة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا (ق) عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي

(تفسير النسفي)

ومشابهة الانام * القادر الذي لا يشار
اليه بالتكييف * الماهر الذي لا يسئل عن
التحصيل والتكليف * العليم الذي خلق
الانسان وعلمه البيان * الحكيم الذي نزل
القرآن شفاء الارواح والابدان * والصلاة

يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد * عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول ألم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه * عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي * عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرأها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به البس والداه يوم القيامة تاجا ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود * عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمل له على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه في ذلك وذلك لان سماع الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

(الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مباءة أي منزلا من النار * عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ اخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال اي سماء تظلني أو اي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم أولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من

(خطبة الكتاب)

والسلام على المستل من أرومة البلاغة والبراعة المحتل في بحبوحة النصاحة والفصاحة * محمد المبعوث الى خليقته الداعي الى الحق وطريقته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وشيعته * (قال)

النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن فيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي (قوله بئسما لاحدكم) أي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسيت آية كذا وكذا) معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي أنساه اياه وقيل أصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القرآن أو قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن وقوله أشد تفصيا أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها أي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي يربط به * عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة أجذم أخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أر فيها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو مخافة ان يناله العدو أراد بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله الى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه آية من القرآن فلا بأس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي * عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف) (خ) عن زيد بن ثابت قال بعث الى أبو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني أخشى ان يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير واني أرى ان تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل

(تفسير النسفي)

مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام الاعظم * استاذ أهل الأرض * محيي السنة والفرض * كشاف مشكلات اسرار التنزيل * مفتاح اسرار

ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا قال فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر براءة فالحقتها في سورتها قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (خ) عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشأم في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش، شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما (قوله بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة) أي لاوان قتلهم والمراد به الوقعة التي كانت باليمامة في زمن ابي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي في عداد ارض نجد (قوله استحر القتل) أي كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير (قوله فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع) جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة (قوله يغازي اهل الشأم) أي مع اهل الشأم في فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء الاخير سميت بارمين بن لمطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزل بها سميت باسمه واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة موانع من الصرف التعريف والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة) او مع ابي خزيمة الانصاري وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من

(خطبة الكتاب)

حقائق التأويل * ترجمان كلام الرحمن * صاحب علم المعاني والبيان * الجامع بين الاصول والفروع * المرجوع اليه في المعقول والمسموع * شيخ الاسلام والمسلمين حافظ الملة والدين *

الاصل الذي كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه
اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من
سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ بها وانما تتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم بان القرآن العظيم كان محفوظا
عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس
من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب
ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه اذ استحر
القتل بقراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء
من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى
الاختلاف واختلاط أمر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء
الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما انزله الله
عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه
ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان متفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه
بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبي بكر فدعوه الى جمعه فرأى
في ذلك رأيهم فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غير ان قدموا او أخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو
الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية
تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان
القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام
الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جبريل وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا أقام أبو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف
والزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا
لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون واعلم ان الله تعالى نزل القرآن المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر
رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة
رسالته نحوا من عشرين سنة عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه
في التلاوة والمصحف فأما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ
باسم ربك الذي خلق * ثم ن والقلم * ثم يا أيها المزمل * ثم المدثر * ثم تبت يدا أبي لهب * ثم اذا الشمس
كورت * ثم سبح اسم ربك الاعلى * ثم والليل اذا يغشى * ثم والفجر * ثم والضحى * ثم ألم نشرح * ثم والعصر
ثم والعاديات * ثم انا أعطيناك الكوثر * ثم ألهاكم التكاثر * ثم أرأيت الذي * ثم قل يا أيها الكافرون * ثم
الفيل * ثم قل هو الله أحد * ثم والنجم * ثم عبس * ثم سورة القدر * ثم سورة البروج * ثم والتين * ثم لايلاف
قريش * ثم القارعة * ثم القيامة * ثم الهمزة * ثم المرسلات * ثم ق * ثم سورة البلد * ثم الطارق

(تفسير النسفي)

وارث علوم الانبياء والمرسلين * أكمل فحول المجتهدين * قدوة فروع المحققين * ذو السعادات والكرامات أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي نفع الله الاسلام بطول بقائه * والمسلمين

ثم اقتربت الساعة * ثم ص * ثم الاعراف * ثم الجن * ثم يس * ثم الفرقان * ثم فاطر * ثم مريم * ثم طه * ثم الواقعة * ثم الشعراء * ثم النمل * ثم القصص * ثم سورة بني اسرائيل * ثم يونس * ثم هود * ثم يوسف * ثم الحجر * ثم الانعام * ثم والصافات * ثم لقمان * ثم سبأ * ثم الزمر * ثم المؤمن * ثم السجدة * ثم حمعسق * ثم الزخرف * ثم الدخان * ثم الجاثية * ثم الاحقاف * ثم الداريات * ثم الغاشية * ثم الكهف * ثم النحل * ثم نوح * ثم ابراهيم * ثم الانبياء * ثم قد أفلح المؤمنون * ثم تنزيل السجدة * ثم الطور * ثم الملك * ثم الحاقة * ثم سأل سائل * ثم عم يتساءلون * ثم النازعات * ثم اذا السماء انفطرت * ثم اذا السماء انشقت * ثم الروم * ثم العنكبوت واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين * فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات وأما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاوّل ما نزل بالمدينة سورة البقرة * ثم الانفال * ثم آل عمران * ثم الاحزاب * ثم الممتحنة * ثم النساء * ثم اذا زلزلت الارض * ثم الحديد * ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم الرعد * ثم سورة الرحمن * ثم هل أتى على الانسان * ثم الطلاق * ثم لم يكن * ثم الحشر * ثم الفلق * ثم الناس * ثم اذا جاء نصر الله والفتح * ثم النور ثم الحج * ثم اذا جاءك المنافقون * ثم المجادلة * ثم الحجرات * ثم التحريم * ثم الصف * ثم الجمعة * ثم التغابن ثم الفتح * ثم التوبة * ثم المائدة * ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعه ان شاء الله تعالى

(فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك) (ق) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت بقراءتي التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه (قوله فكدت اساوره في الصلاة) أي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت (قوله فلببته بردائه) هو بتشديد الباء الاولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) فاقرؤا ما تيسر منه قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال

قوله فاحد وثلاثون هذا على عد الفاتحة منه كما يعلم من الخلاف الآتي في ذلك والا فالمذكور ثلاثون لا غير

(خطبة الكتاب) • قد سألني من تتعين اجابته كتابا بمن لقائه * جامعا لوجوه الاعراب والقراآت * متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات * حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة وسطا في التأويلات

أبو عبيد هي سبع لغات من لغات العرب تميم وسعد وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فهو خطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية أمثال بآية احكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فهو فاسد أيضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبي أرسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية ان اقرأه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقرأه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي وأخرت الثالثة ليوم ترغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا) العرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما زال عنه ذلك الخاطر (قوله تعالى ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل في معناه الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان كما تكون بالتعظيم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حد مطلع) معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

(تفسير النسفي) ليس خاليا عن اباطيل أهل البدع والضلالة * وليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل * تركت أقوام فيه دينا وأخرى استغفارا لعون البشر * عن درك هذا الوطر * وأخذ السبيل الحذر * عن

قوله فدخل آخر هكذا في جميع النسخ التي أيدينا ولعل الرواية فدخل هذا كما يعلم من سياق العبارة

(أوصلنا)

(فصــــل في معنى التفسير والتأويل) فأما التفسير فأصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء إلى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم (القول في الاستعاذة ولفظها) المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله ألتجئ إليه وأمتنع به مما أخشاه من عاد يعوذ والشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط إذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والإنس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسألة الأولى) اتفق الجمهور على أن الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والأمر للوجوب وأن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الأعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب) عن قوله تعالى فاستعذ بأن معناه عند جماهير العلماء إذا أردت القراءة فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسألة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء في الصلاة أو خارجها وحكي عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وإحدى الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول الله أكبر كبيرا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولأبي داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لأن من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الأدلة

(المسألة الثالثة) المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال أحمد الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله إنه

(خطبة الكتاب)

ركوب من الخطر* حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيره* وأتممته في مدة يسيره (وسميته بمدارك التنزيل + وحقائق التأويل) وهو الميسر لكل عسير* وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير

هو السميع العليم ولحديث أبي سعيد وقال الثوري والاوزاعي الاولى أن يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة أن قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل وأنه هو الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد أيضا بأن الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله أعلم

(تفسير سورة الفاتحة)

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول أكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (فأول ذلك) فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة (الثاني) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) أم القرآن وام الكتاب سميت بذلك لأنها اصل القرآن وأم كل شئ أصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين (الخامس) الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها

(فصل في ذكر فضلها) (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف الا أعطيته (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المعجمة أي صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة اني احيانا اكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي

(تفسير النسفي)

(فاتحة الكتاب) مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الواقية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكيا عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها أساس القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله

ماسأل فاذاقال العبدالحمدلله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذاقال الرحمن الرحيم قال اثنى على
عبدي واذاقال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وربما قال فوض الى عبدي واذاقال اياك نعبد واياك
نستعين قال هذا بيني و بين عبدي ولعبدي ماسأل واذاقال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ماسأل (قوله فهي خداج) اى ناقصة
(قوله فغمز ذراعي) اى كبس ساعدي بيده (قوله قسمت الصلاة) أراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها
بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها (قوله نصفين) حقيقة هذه القسمة التى جعلها بينه
و بين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء
وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين
عبدي ولعبدي ماسأل (قوله حمدني عبدي ومجدني) اى اثنى على لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال
والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم (قوله وربما قال فوض الى عبدي)
وجه مطابقة هذا القوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفى
الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي و جماعة وستأتي هذه
المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الباء في باسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر
محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدأ باسم الله أو باسم الله أبدأ أو أقرأ وانما طولت الباء في بسم الله
وأسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الالف
المحذوفة وأثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم
أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله
ارتفع واستعلى وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله وأظهروا
السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس
بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشئ وذلك لان
الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشئ المسمى به فثبت بهذا ان الاسم
غير المسمى وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون
الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها أمر
أن يدعى الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين
اللفظ المدعو به وأجيب عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بأن المراد ذات الشخص المعبر عنه
بيحيى لا نفس الاسم وأجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بأن معنى هذه الالفاظ
يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشئ الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى
عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين
اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق
الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا على
معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكانه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان
الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم و جمعه أوسام وأجمعوا على ان تصغيره سمي و جمعه اسماء
وأسامي (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به البارى سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا شركه فيه
أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغيره الله وقيل هو مشتق من أله يأله
الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والاهتك أى وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره

ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا قد اثبتها السلف
في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد
ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث
ابى هريرة قال سمعت النبى عليه السلام يقول
قال الله تعالى قسمت الصلاة اى الفاتحة بيني
وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل فاذاقال
العبد الحمدلله رب العالمين قال الله تعالى حمدني
عبدي واذاقال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى
على عبدي واذاقال مالك يوم الدين قال مجدني
عبدي واذاقال اياك نعبد واياك نستعين قال
هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فاذا
قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال
هذا لعبدي ولعبدي ماسأل فالابتداء بقوله
الحمدلله دليل على ان التسمية ليست من
الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها
اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما
ذكروا لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن انزلت
للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في
المبسوط وانما يرد علينا ان لو لم نجعلها آية من القرآن
وتمام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ أو اتلو لان الذي يتلو
التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل وارتحل
فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل
وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في
فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ
له وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من
الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن
باسماء آلهتهم فيقولون بسم اللات وباسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير
الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها

وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولهون اليه أي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

وفت النكم في بلاد يا ننوا بني ✽ فالفيتكم فيها كراما محمد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل أصله ولاه فأبدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما بالتخير أو بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيأ بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر وقيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا للقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور والعافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لأهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق

(فصل في حكم البسملة) وفيه مسئلتان (الاولى) في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد في احدى الروايتين عنه واسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وأبو حنيفة الى ان البسملة ليست بآية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة فأما حجة من منع كون التسمية آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في أولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور ومنها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها قال الدارقطني رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الاعراب

(تفسير النسفي)

أول سورة نزلت في قول وكان الامر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده وباسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن تعذرا واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وحذفت الالف في الخط هنا وأثبتت في قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها أي في التسمية مع انها تسقط في اللفظ كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا من حذفها وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الاله ونظيره الناس أصله الاناس حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف والاله من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول

وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم في افراده عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير آية في القرآن وفي افراد البخاري من حديث أنس انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وايضا فاجماع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه مخافة من ان يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان حكمها حكم آمين

(المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار) اذا ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي وهو احد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا عن ابن المبارك وأبي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح

(سورة الفاتحة)

الله واحد صمد ولان صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلناها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم اله يأله الها اذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله هذا خلق الله أي مخلوقه وتفخيم لامه اذا كان قبلها فتحة او ضمة وترقيق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شئ كغضبان من غضب وهو الممتلئ غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره وعام معنى لما بينا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم ذو فنون نحرير لانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده واصلها العطف واما قول الشاعر في مسيلمة

وانت غيث الورى لا زلت رحمانا

* فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير

ليس في اسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذلك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلوا ان اقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما آلوا ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق قوله عز وجل (الحمد لله) لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة عالم في البحر وأربعمائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنس تلك النعمة من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنس تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد تسمى مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * (قلت) هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا (فان قلت) قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية (قلت) ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل (فان قلت) لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه

مالكا

(تفسير النسفي)

منصرف عنه ممن زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانه ومن زعم ان الشرط وجود فعلى صرفه اذ ليس له فعلى والاول الوجه (الحمد) الوصف بالجميل على جهة التفضيل وهو رفع بالابتداء واصله النصب وقد قرئ باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت وقيل الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

أي القلب والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من اوصاف الكمال ككونه باقيا قادرا عالما أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع (رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الي من ان يربني رجل من هوازن

مالكا الايام كلها قلت لان كل الاملاك يومئذ زائلة فلاملك ولا أمر يومئذ الا الله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى فى دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب فى الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أى قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهى ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثانى ان الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت فى العبادة فأنا أستعين بك على اتمامها فلا يمنعنى من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهدنا الصراط المستقيم) اى ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة والصراط الطريق قال جرير

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول أى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله فى قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب فى الاصل هو ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أى وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذى وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

(فصل فى آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان) الاولى السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال فى المد * ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال فى القصر * أمين وزاد الله ما بيننا بعدا * ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه

ويجوز ان يكون تقول ربه يربه ربا فهو رب وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده وهو فى العبد مع التقييد انه ربى احسن مثواى قال ارجع الى ربك وقال الواسطى هو الخالق ابتداء والمربى غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض او كل موجود سوى الله تعالى سمى به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات العقلاء او ما فى حكمها من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهى الدلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قد مرو هو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن الافادة (مالك) عاصم وعلى مالك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولان امر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك اكثر ثوابا لانه اكثر حروفا وقرأ ابو حنيفة والحسن رضى الله عنهما ملك (يوم الدين) اى يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار * أى مالك الامر كله فى يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع ان اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية لانه اريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية وساغ ان يكون صفة للمعرفة وهذه الاوصاف التى اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا اى مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله الحمد لله دليل على ان

كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآثام

(ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الإمام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفى رواية للبخارى ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص والقول الأول هو الصحيح واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة قوله غفر له ماتقدم من ذنبه يعنى تغفر له الذنوب الصغائر دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

(المسئلة الثانية فى حكم الفاتحة) اختلف العلماء فى وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة فى الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه فى الصحيحين وبحديث ابى هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم فى فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلى بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة او ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى المسىء صلاته ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن أخرجاه فى الصحيحين دليل الجمهور ماتقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطنى وقال اسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان يخرج فينادى لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه ابو داود وأجيب عن حديث الاعرابى بأنه محمول على الفاتحة فانها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

(تفسير سورة البقرة)

قال ابن عباس هى أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة فى حجة الوداع وهى مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف

(فصــــل فى فضلها) (م) عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغنى ان البطلة السحرة * قوله اقرؤا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر * قوله كأنهما غمامتان او غيابتان * قال اهل اللغة الغمامة والغيابة كل شئ أظل الانسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما يأتى كغمامتين * قوله فرقان من طير صواف * الفرقان الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهى التى تصف اجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء فى الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل وفى الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقى السور ولانه لا كراهة فى ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة وكذا باقى السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به (م) عن أبى هريرة قال قال رسول

(تفسير النسفى)

من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه (اياك نعبد واياك نستعين) ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر اضيف ايا اليه لانه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهى اقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى الخطاب للالتفات وهو قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن ابى الاسود

فالتفت فى الابيات الثلاثة حيث لم يقل ليلى وبت وجاءنى والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل فى القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملأ لاستلذاذ اصغائه وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ماهم ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة

الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عزوجل (الم) قيل ان حروف الهجاء فى أوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وهى سر الله فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز ان يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه كرمى الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من أهل العلم هى معرفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز

قلت لها قفى فقالت قاف * لا تحسبى انا نسينا الايجاف

قولها قاف اى وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع فى السير قال ابن عباس ألم أنا الله اعلم وقيل هى أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولذلك لم يتهيأ تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هى اقسام فقيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله وفى آية بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجئ به محمد فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة فى أوائل السور أربعة عشر حرفا فى تسع وعشرين سورة وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهى نصف حروف المعجم وسيأتى الكلام على باقيها فى مواضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (ذلك الكتاب) أى هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذى وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذى وعدتك به وقيل ان الله وعد بنى اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الآية الم ذلك الكتاب أى هذا الكتاب الذى وعدت به على لسان موسى ان انزله على النبى الذى هو من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من أسماء القرآن (لا ريب فيه) أى لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهى اى لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه فى

(سورة الفاتحة) كما قدم الرحمن الآى أو لنظم الآى كما قدم الرحمن
اقرب الى الاجابة أو لنظم الآى كما قدم الرحمن
وان كان ابلغ لا يتقدم واطلقت الاستعانة
لتتناول كل مستعان فيه ويجوزان يراد
الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادات
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من العونة كانه
قيل كيف اعينكم فقالوا (اهدنا الصراط
المستقيم) اى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك
للقائم قم حتى اعود اليك أى اثبت على ما انت عليه
اواهدنا فى الاستقبال كما هديتنا فى الحال وهدى
تعدى بنفسه الى مفعول واحد فاما تعديه الى
مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه
الآية وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى
هدانا لهذا وقوله هدانى ربى الى صراط مستقيم
والسراط الجادة من سرط الشئ اذا ابتلعه كانه
يسرط السابلة اذا سلكوه والصراط من قلب
السين صادا لتجانس الطاء فى الاطباق لان
الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الاطباق
وقد تشم الصاد صوت الزاى لان الزاى الى
الطاء اقرب لانهما مجهورتان وهى قراءة حمزة
والسين قراءة ابن كثير فى كل القرآن وهى الاصل
فى الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهى لغة
قريش وهى الثابتة فى المصحف الامامى ويذكر
ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق
الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين انعمت عليهم)
بدل من الصراط وهو فى حكم تكرير العامل
وفائدته التأكيد والاشعار بان الصراط المستقيم
تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط
المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده وهم
المؤمنون والانبياء عليهم السلام أو قوم موسى
قبل ان يغيروا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)
بدل من الذين انعمت عليهم يعنى ان المنعم عليهم هم
الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة
للذين يعنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى

نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك (هدى للمتقين) الهدى عبارة عن الدلالة وقيل دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب) اي يصدقون بالغيب وأصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي أهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين أقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه في الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشئ واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان مأخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن ابي هريرة قال كان رسول الله

صلى

(تفسير النسفي)

نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له باضافته فكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على ما تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويدا اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد الفه وقصرها وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا * قال عليه السلام لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف

(سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست او سبع وثمانون آية)

صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يارسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته
وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا
وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل
ولكن سأحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت العراة الحفاة رؤس
الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم فى البنيان فذاك من اشراطها وخمس لا يعلمهن
الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام
الى قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا على هذا الرجل فاخذوا
ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفى افراد مسلم
من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام
وبقى أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا أى ظاهرا وقوله
أن تؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء وقيل فى الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله
وبالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة
وفى تقييده بالآخر وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة بعث
آخر قوله ما الاحسان هو هنا الاخلاص فى العمل وهو شرط فى صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ
الشهادة وأتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان
من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك وأشراط الساعة علاماتها التى تظهر
قبلها قوله اذا ولدت الامة ربها يعنى سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك
الولد ابنها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهى الصغار من أولاد الضأن
والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية واشباههم حتى يتباهون فى البناء ويسودون الناس فذلك من
اشراط الساعة والله أعلم قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو
ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة
والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة
وقيل بالوحى وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد
وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره
ما آمن أحد قط أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون
(ويقيمون الصلاة) أى يداومون عليها فى مواقيتها بحدودها واتمام أركانها وحفظها من ان يقع فيها
خلل فى فرائضها وسننها وآدابها يقال قام بالأمر واقام الأمر اذا اتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات
الخمس والصلاة فى اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أى ادع لهم واصله من صليت العود اذا لينته فكان
المصلى يلين ويخشع وفى الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية (ومما
رزقناهم) أى أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحظ والنصيب (ينفقون)
أى يخرجون ويتصدقون فى طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر
والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق فى الجهاد اذا وجب عليه والانفاق فى
المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وادخل من التى هى للتبعيض
صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهى عنهما فى الانفاق (والذين يؤمنون بما أنزل اليك
وما أنزل من قبلك) أى يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتوراة
والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله (وبالآخرة) يعنى وبالدار الآخرة سميت

(سورة البقرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى منها ركبت الكلم فالقاف تدل على اول حروف قال واللام تدل على اوسط حروف قال والالف تدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبهها والدليل على انها اسماء ان كلا منها يدل على معنى فى نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهى معربة وانما سكنت سكون زيد وغيره من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وقيل انها مبنية كالاصوات نحو غاق فى حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسماء السور وقال ابن عباس رضى الله عنهما اقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود رضى الله عنه انها اسم الله الاعظم وقيل انها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله وما سميت معجمة الا لاعجامها وابهامها وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن وكالتحريك للنظر فى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام الا انه ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الحلاقة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامى التكلم بها استبعاد الخط

آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها (هم يوقنون) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح * ادركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل * ان الحديد بالحديد يفلح * أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعر له

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود (سواء عليهم) أي متساو لديهم (أأنذرتهم) أي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى (ختم الله على قلوبهم) أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه كأنها استوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى ابصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده (ولهم عذاب عظيم) يعني في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر

* وسميت انسانا لانك ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) أي وآمنا باليوم

(تفسير النسفي)

والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن ضاهاهم في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكور في الفواتح نصف اسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس مكثور بالمذكورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة على السور لان اعادة التنبيه على المتحدى به مؤلف منها لا غير اوصل الى العرض وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره

باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حدله ولا آخر قال الله تعالى رداً على المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفي عنهم الايمان بالكلية (يخادعون الله والذين آمنوا) اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله في الاخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو وخادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة والمفاعلة تقتضي في الفعل المشترك والله تعالى منزه على المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وفارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى منزه عن ان يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشأنه وقيل اراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجري عليهم احكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن (وما يخادعون الا أنفسهم) اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (وما يشعرون) اي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم (في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان ويسمى الشك في الدين والنفاق مرضاً لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعني ان الآيات كانت تنزل تترى أي آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفراً ونفاقا (ولهم عذاب أليم) اي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم (بما كانوا يكذبون) اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين (واذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا في الارض) اي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن (قالوا انما نحن مصلحون) يعني يقولونه كذبا (ألا) كلمة تنبيه ننبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب (واذا قيل لهم) يعني المنافقين وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس) يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل الكتاب والمعنى أخلصوا في ايمانكم كما أخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا انهم هم السفهاء) يعني الجهال واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعني انهم كذلك قوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا) يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار (قالوا آمنا) كايمانكم (واذا خلوا) أي رجعوا وقيل هو من الخلوة (الى) قيل بمعنى الباء اي بـ(شياطينهم) وقيل بمعنى مع اي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب ابن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني أسد وعبد الله بن السوداء بالشأم ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم (قالوا انا معكم) أي على دينكم (انما نحن مستهزؤن) أي بمحمد وأصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه

(سورة البقرة)
ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلفت اعداد
حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والم
والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحمعسق
فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة
وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام وكان
ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة
احرف فسلك في الفواتح هذا المسلك والم آية
حيث وقعت وكذا المص آية والمر لم تعد آية وكذا
الر لم تعد آية في سورها الخمس وطسم آية في
سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية
وحم آية في سورها كلها وحمعسق آيتان
وكهيعص آية وص ون وق ثلاثتها لم تعد آية
وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيئا منها
آية وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة
السور ويوقف على جميعها وقف التمام اذا
حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق
بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء
محذوف كقوله الم الله أي هذه الم ثم ابتدأ
فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم ولهذه الفواتح
محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور
لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام وهو الرفع
على الابتداء او النصب أو الجر لصحة القسم بها
وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها
اسماء السور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه
كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة (ذلك
الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعد به على
لسان موسى وعيسى عليهما السلام او ذلك
اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه
مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره
كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء
حكمه عليه بالتذكير والتأنيث وان كان صفته
والاشارة به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة

الآية في عبدالله بن ابي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله بن أبي لاصحابه انظروا كيف أرده ؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله ياعبدالله ولاتنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا ياابا الحسن اني لا أقول هذا نفاقا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبدالله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) اي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار (ويمدهم) اي يتركهم و يمهلهم والمد والامداد واحد وأصله الزيادة وأكثر ماياتي المد في الشر والامداد في الخير (في طغيانهم) اي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهون) أي يترددون في الضلالة متحيرين (اولئك) يعني المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اي استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء (فما ربحت تجارتهم) اي ماربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون (وما كانوا مهتدين) اي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر و يصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا المنتفع بها (فلما اضاءت) يعني النار (ماحوله) يعني حول المستوقد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحد أولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوقد نارا (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ماحوله فاتقى ممايخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متحوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فأمنوا بها على انفسهم وأموالهم وأولادهم ونا كحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور أبلغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احداها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمته فكانهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم

(تفسير النسفي)

مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هذا ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الم خبر مبتدا محذوف أي هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل (لاريب) لاشك وهو مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع مايريبك الى مالا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو مايقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه لا أن احدا لا يرتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو اولى الظرف لقصد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه كما قال في قوله تعالى لا فيها غول وفيه تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم

كان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج فى دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الإنسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه (بكم) اى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ✽ وان ذكرت بسوء كلهم أذن

(فهم لا يرجعون) اى عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى (أو كصيب) اى كاصحاب صيب وهو المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب (من السماء) أى من السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها للرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض فأبطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء (فيه) أى الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو الصوت الذى يسمع من السحاب (وبرق) يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه (يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهى الصيحة التى يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (حذر الموت) أى مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) اى عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم (يكاد البرق) اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) اى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة (كلما) اى متى ٣ ما جاء (أضاء لهم) يعنى البرق (مشوا فيه) اى فى اضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) اى وقفوا متحيرين وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون أصابعهم فى آذانهم يعنى المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لأن الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعنى دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما أضاء لهم يعنى المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا رأوا شدة وبلاء تأخروا (ولو شاء

(سورة البقرة)

انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من ان ينوى خبرا والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) فيه باشباع كل هاء مكى ووافقه حفص فى فيه مهانا وهو الاصل كقولك مررت به ومن عنده وفى داره وكما لا يقال فى داره ومن عنده وحب ان لا يقال فيه وقال سيبويه ما قاله مؤدالى الجمع بين ثلاثة احرف سواكن الياء قبل الهاء والهاء اذا الهاء المتحركة فى كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفى قريب من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز المكرم أعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساب لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وقول ابن عباس رضى الله عنه اذا اراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جىء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع ان فيه تصديرا للسورة التى هى أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء واذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وادغمتها فى التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط

الله لذهب بسمعهم) اى بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وأبصارهم الباطنة (ان الله على كل شئ قدير) اى هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل (يا أيها الناس) قال ابن عباس يا أيها الناس خطاب لاهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى (الذى خلقكم) اى ابتدع خلقكم من غير مثال سبق (والذين من قبلكم) اى وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج وهما أى كل منهما من الله واجب (تتقون) اى لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (الذى جعل لكم الارض فراشا) اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض (والسماء بناء) اى سقفا مرفوعا قيل اذا تأمل الانسان المتفكر فى العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها (وانزل من السماء) يعنى السحاب (ماء) يعنى المطر (فأخرج به) اى بذلك الماء (من الثمرات) يعنى من الوان الثمرات وأصناف النبات (رزقا لكم) اى وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله اندادا) يعنى امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل (وأنتم تعلمون) يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى (وان كنتم فى ريب) اى ان كنتم فى شك لان الله علم انهم شاكون (مما نزلنا على عبدنا) اى محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) امر تعجيز (بسورة) والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أى مثل هذا القرآن وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم من أحد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فأتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وانه فارقت اساليبه اساليب الكلام وأوزانه أوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لمغدق وان اعلاه لمثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها فى دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى

دعواكم

(تفسير النسفى)

الصيانة وفى الشرع من يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك ومحل هدى الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او النصب على الحال من الهاء فى فيه والذى هو ارسخ عرقا فى البلاغة ان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدى ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال فى حجة تتبختر اتضاحا وفى شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المطلوب بالطف وجه وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع الوصف الذى هو هاد وكأنه نفسه هداية وايراده منكرا وفيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز فى ذكر المتقين كما مر (الذين) فى موضع رفع أو نصب على المدح أى هم الذين

دعوا كم انها آلهة وقيل معناه وادعوا اناسا يشهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أى فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقى وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك أن النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبى الدرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) أى فآمنوا واتقوا بالايمان النار (التى وقودها) أى حطبها (الناس والحجارة) قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الاصنام لان أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم فى نار جهنم (أعدت) اى هيئت (للكافرين) قوله عز وجل (وبشر الذين آمنوا) اى اخبر المؤمنين وهذا أمر للنبى صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور فى بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو فى السرور والخير اغلب (وعملوا الصالحات) أى الفعلات الصالحات وهى الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعنى عن الرياء (أن لهم جنات) جمع جنة وهى البستان الذى فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار وبالاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم (تجرى من تحتها) أى من تحت أشجارها ومساكنها (الانهار) أى تجرى المياه فى الانهار لان الانهار لا تجرى وقيل معناه تجرى بأمرهم وفى الحديث ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود اى فى غير شقوق والخد الشق (كلما رزقوا) أى أطعموا (منها) أى من الجنة (من ثمرة رزقا) اى طعاما (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) أى فى الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى (وأتوا به) أى بالرزق (متشابها) قال ابن عباس مختلفا فى الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا فى الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا فى الاسم لا فى الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفى رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أى يجرى على ألسنتهم كما يجرى النفس فلا يشغلهم عن شئ كما ان النفس لا يشغل عن شئ قوله طعامهم جشاء يعنى ان فضول طعامهم يخرج فى الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (ولهم فيها) أى فى الجنات (أزواج) أى من الحور العين (مطهرة) يعنى من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوى الاخلاق قيل فى الجنة جماع ما شئت ولا ولد (وهم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذى لا انقطاع له (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وفى رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما

(سورة البقرة)

يؤمنون او أعنى الذين يؤمنون او هو مبتدا وخبره أولئك على هدى او جر على انه صفة للمتقين وهى صفة واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من الايمان الذى هو اساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العيار على العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الا ترى ان النبى عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكرهما ما هو كالعنوان لما جمع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين او صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات (يؤمنون) يصدقون وهو افعال من الامن وقولهم آمنه أى صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى اقروا اعترف (بالغيب) بما غاب عنهم مما انبأهم به النبى عليه السلام من امر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشئ غيبا هذا ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء أى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح ان يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الايمان (ويقيمون الصلاة) أى يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها او أريد باقامة الصلاة تعديل اركانها من اقام العود

من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
(ق) عن أبي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة
واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا
عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من
فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها
ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس اسناده
بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن
فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم
فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له
أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)
سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود
ما أراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان
الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى ان الله
لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض
النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به
يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الانسان من
خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء في حق الله
تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته
فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا أي لا يترك ضرب المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة
فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق
وهو من عجيب خلق الله فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد
الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت
وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لان الغرض
بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم
مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة
واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة (فأما الذين آمنوا) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
(فيعلمون انه) يعني ضرب المثل (الحق) يعني الصدق (من ربهم) الثابت الذي لا يجوز انكاره لان
ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا
مثلا) اي بهذا المثل (يضل به كثيرا) اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا (ويهدي
به كثيرا) يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق (وما يضل به الا الفاسقين) يعني الكافرين
وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى
(الذين ينقضون) اي يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب (عهد الله) اي

(تفسير النسفي)

اقامته والدوام عليها والمحافظة من قامت
السوق اذا نفقت لانه اذا حوفظ عليها كانت
كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات واذا
اضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب
فيه والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى
وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك
الصلوين اي الاليتين لان المصلي يفعل ذلك في
ركوعه وسجوده وقيل للداعي مصل تشبيها له
في تخشعه بالراكع والساجد (ومما رزقناهم)
اعطيناهم وما بمعنى الذي (ينفقون) يتصدقون
ادخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير
المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم
والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي اختها
أو هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه
مطلقا وانفق الشيء وأنفده اخوان كنفق الشيء
ونفد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على
معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان
الاعمال ليست من الايمان حيث عطف
الصلاة والزكاة على الايمان والعطف يقتضي
المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنو اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين
آمنوا بكل وحي انزل من عند الله وايقنوا
بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من
انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات ثم ان
عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في
جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا
فكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما انزل اليك أو المراد به وصف الاولين ووسط
العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو
الشجاع والجواد وقوله
الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم

امر الله واصل العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال (من بعد ميثاقه) اى من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال أحدها انه الذى أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى الثانى المراد به الذى أخذه على احبار اليهود فى التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل فى كتابه من الآيات الدالة على توحيده (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعنى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الارحام التى أمر الله بوصلها (ويفسدون فى الارض) يعنى بالمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) اى المغبونون وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركى العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعنى بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الداله على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتا) يعنى نطفا فى اصلاب آبائكم (فأحياكم) يعنى فى الارحام والدنيا (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعنى بعد الموت للبعث (ثم اليه ترجعون) اى تردون فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) يعنى من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا لتنتفعوا به فى مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر فى عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها (ثم استوى الى السماء) اى قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفى رواية عنه صعد قال الازهرى معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السماء فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا يقتضى ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم به عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم (فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سماوات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتى ذكر خلق الارض عند قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى (وهو بكل شئ عليم) يعنى يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى (واذ قال ربك) اى واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول اوجه (للملائكة) جمع ملك وأصله مألك وهى الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب وقال فى نفسه ما اعطانى الله هذا الملك الا لانى أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده (انى جاعل فى الارض خليفة) اى انى خالق خليفة يعنى بدلا منكم ورافعكم الىّ فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم لانه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمى خليفة لانه خليفة الله فى أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) اى

(سورة البقرة) وهذه والمعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعنى القرآن والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق انزاله وقت ايمانهم اهـ لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل (وما أنزل من قبلك) يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين (وبالآخرة) هى تأنيث الآخر الذى هو ضد الاول وهى صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهى من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام (هم يوقنون) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أولئك على هدى) الجملة فى موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ويجوز ان يجرى الموصول الاول على المتقين وان يرفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون اهـ على ان ينالوا الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) اى أوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اى هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أى على لحم عظيم (وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية

بالمعاصي (ويسفك الدماء) يعني بغير حق كما فعل الجن فان قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا
هذا القول قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم أو قاسوا الشاهد على الغائب وقيل
انهم لما رأوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك
الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال
لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملائكة معصومون فكيف
وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها
قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على سبيل
التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم
ولهذا أجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد آخر
يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمدك) أي نقول سبحان
الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون (م) عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي
الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل أصل التسبيح
تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك
أو متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك (ونقدس لك) أصل التقديس
التطهير أي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام
صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك (قال اني أعلم ما لا تعلمون) قيل انه جواب لقول
الملائكة أتجعل فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من
يعبدني ويطيعني وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم
يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم

(فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام) قيل ان الملائكة اجسام لطيفة
هوائية خلقت من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السماوات عن أبي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها
موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن
غريب* واما صفة خلق آدم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى الى الارض
اني خالق منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني ادخلته
النار قالت الارض اتخلق مني خلقا تكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم
القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض
منها قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك الي ان لا تأخذ مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت
بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله لميكائيل انطلق فائتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت
له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فائتني بقبضة من الارض
فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي أرسلك ان لا تأخذ مني شيئا فقال وانا أعوذ بعزته ان
اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها
وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها
فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك
ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا
لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة

(تفسير النسفي)

كانه الذي انعقت له والاتباع الفائز بالبغية دال على معنى لشق وسود الظفر والتركيب والعين تخوفاني وفلذ واتبع وكيد احراته في ابداء والعين كره أولئك وقل وحاء بالعطف هنا اختلاف خبره أولئك هم الغافلون كأنعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون لاحتراز الخبرين المقتضين للعطف هما واتحاد الجملة والتنبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك تبيها على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحين فيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي اخبرت بتوبته وتوسيط الفصل في طلب ما طلبوا ليبصرك مراتبهم ويرغبك ما رغبوا الاهم ربنا الناس وينشطك لتقديم ما قدموا ليحشرك في زمرة من صدرت بذكرهم التقوى واحشرنا في زمرة أوليائه اصحابهم لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم في أول سورة البقرة وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى فقال (ان الذين كفروا) والتركيب دال على الستر والكفر ستر الحق بالجحود وكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما أتى في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا مسوقة لذكر الكتاب لا لاخبار المؤمنين

يجيئون من صفة صورته لانهم لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو أجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس فى نفسه لئن فضل على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح أمرها ان تدخل فى جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل فى جسده تسعة أبواب سبعة فى رأسه وهى الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين فى اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله فى دماغه وفكره وصرامته فى قلبه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (م) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه اجوف عرف انه لا يتمالك * عن أبى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذى وأبو داود وقوله عز وجل (وعلم آدم الاسماء كلها) سمى آدم لانه خلق من أديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه أسماء الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها (ثم عرضهم) يعنى تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور (على الملائكة فقال) يعنى تعجيزا لهم (أنبئونى) أى اخبرونى (باسماء هؤلاء) يعنى تلك الاشخاص (ان كنتم صادقين) أى انى لم أخلق خلقا الا كنتم أفضل منهم واعلم (قالوا) يعنى الملائكة (سبحانك) تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) أى انك أجل من ان نحيط بشئ من علمك الا ما علمتنا (انك انت العليم) أى بخلقك وهو من أسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات (الحكيم) أى فى أمرك وله معنيان احدهما انه القاضى العدل والثانى المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد (قال) يعنى الله تعالى (يا آدم أنبئهم باسمائهم) وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شئ باسمه وذكر وجه الحكمة التى خلق لها (فلما انبأهم باسمائهم قال)

(سورة البقرة) بكذا
وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار
فبين الجملتين تفاوت فى المراد وهما على حد
لا مجال للعطف فيه وان كان مبتدأ على تقدير
فهو كالجارى عليه والمراد بالذين كفروا
أناس باعيانهم علم الله انهم لا يؤمنون كابى
جهل وابى لهب واضرابهما (سواء عليهم
أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بهمزتين كوفى وسواء
بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
ومنه قوله تعالوا الى كلمة سواء أى مستوية
وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم أم لم تنذرهم
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا
مستو عليهم انذارك وعدمه أو يكون
سواء خبرا مقدما وأنذرتهم أم لم تنذرهم فى
موضع الابتداء أى سواء عليهم انذارك وعدمه
والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل
مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور
فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم
مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى
الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على
حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء فى قولك
اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى ان هذا جرى
على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك
على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف
من عقاب الله بالزجر عن المعاصى (لا يؤمنون)
جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لان والجملة
قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر والحكمة فى
الانذار مع العلم بالاصرار اقامة الحجة وليكون
الارسال عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم)
قال الزجاج الختم التغطية لان فى الاستيثاق من
الشئ بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع
عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم
فلا يعقلون الخير يعنى ان الله طبع عليها فجعلها
بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها

يعني الله تعالى (ألم أقل لكم) يعني يا ملائكتي (اني أعلم غيب السموات والارض) يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم أحوال آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني أعلم ما لا تعلمون (وأعلم ما تبدون) يعني قول الملائكة أتجعل فيها (وما كنتم تكتمون) يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامره والقول الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمي به لانه أبلس من رحمة الله أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم (أبى) أي امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى وانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي اتخذاها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه فألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك آدم ولم يجد ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه رآها جالسة كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انها لو كانت الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) أي واسعا كثيرا (حيث شئتما) أي شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) يعني للاكل قيل انما وقع هذا النهي عن جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه (فتكونا من الظالمين) يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل

ما ليس فيه باس الايمان وباصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فيقال بنى الامير المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء كما لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسئلة خلق الافعال (وعلى سمعهم) وحد السمع كما وحد البطن في قوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا لامن اللبس ولان السمع مصدر في اصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح الاصل وقيل المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم (وعلى ابصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبتدأ والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم وتكرير الجار في قوله غشاوة باضمار جعل

يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم أو بظلم انفسهم قلت لا يجوز أن يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله عز وجل (فأزلهما الشيطان) أي استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه (عنها) اى الجنة (فأخرجهما مما كانا فيه) يعني من النعيم وذلك ان ابليس أراد ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما وهو أول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فابى أن يقبل منه فقاسمهما بالله انى لكما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال ابراهيم بن ادهم أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء قال فاني أعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل (وقلنا اهبطوا) أي انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود واهبطت حواء بجدة وابليس بالايلة من أعمال البصرة والحية باصبهان (بعضكم لبعض عدو) يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الحيات كلها الا الجان الابيض الذي كأنه قضيب فضة (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليه ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر (ولكم في الارض مستقر) أي موضع قرار (ومتاع) اى بلغة ومستمتع (الى حين) أي الى وقت انقضاء آجالكم قوله عز وجل (فتلقى آدم) أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو التعلم (من ربه كلمات) أي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هي لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك أنت ارحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته على قبل

وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ الامام أبو منصور بن على رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم ان لا بد له من صانع جعل كان على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية والآية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم أصلح لهم (ولهم عذاب عظيم) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشيء اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثة والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العذاب نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ثم ثلث ثم ثنى بالكافرين قلوبا وافواها ولم تؤمن بالمنافقين الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة في نعت المؤمنين وآيتان في ذكر الكافرين وثلاثة عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما

ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لي وقيل ان الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر منها حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أي فتجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة منه الا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسيأتي بسط هذا عند قوله توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) أي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ في قبول توبة عباده (الرحيم) أي بخلقه وصف سبحانه نفسه مع كونه توابا بانه رحيم (قلنا اهبطوا منها جميعا) يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتأكيد (فاما يأتينكم مني هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كانه قال وان أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد أنعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم اما يأتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) يعني فيما يستقبلهم (ولا هم يحزنون) أي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا بآياتنا) أي بالقرآن (أولئك أصحاب النار) أي يوم القيامة (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل (يا بني اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المنفعة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان أصول النعم كلها منه وأما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة ونعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد أنعم على آبائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (وأوفوا بعهدي) أي امتثلوا أمري (أوف بعهدكم)

أي

(تفسير النسفي)

بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا وحذفها مع لام التعريف لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصل فانك تقول وزن قه افعل وليس معك الا العين وهو من اسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفته كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما اختصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر لتأخره عن الاوقات المنقضية أو الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم ادعوا في هذا المقال انهم احاطوا بجانبي الايمان اوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدا وهي العلم بالصانع وصفاته واسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر احوال الآخرة وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فاما (وما هم بمؤمنين) وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل لا الفاعل لان الآخر وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على ابلغ وجه وآكده وهو اخراج ذواتهم من ان تكون طائفة من المؤمنين ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها واطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد

أي بالقبول والثواب وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا وقيل أراد بالعهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لأكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله أوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل أراد بهذا العهد ما أثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا أميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياي فارهبون) أي خافون في نقضكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعني بالقرآن (مصدقا لما معكم) يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود نزلت في كعب ابن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود أول من كفر به فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك. (ولا تشتروا) أي ولا تستبدلوا (بآياتي) أي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا يأخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زرعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر (واياي فاتقون) أي خافون في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما تخاف قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل أي بصفة الدجال وذلك أنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) يعني أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على أن العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه (وأقيموا الصلاة) يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها (وآتوا الزكاة) أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم (واركعوا

(سورة البقرة)

ويحتمل ان يراد به المذكور عليه ويترك الدلالة المذكور أولا وفي ضمنه نفي أصل الايمان وفي الآية تنفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم وتؤيد قول أهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ما مؤكدة للنفي لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام ومن موحد اللفظ اذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه (يخادعون الله) اى رسول الله فحذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهرون غير ما في أنفسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا العبرانيين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ يخدعون الله وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون الله ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالا من الضمير في بمؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال

مع الراكعين) أي صلوا مع المصلين يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لأنه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لأن صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لأن الأول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على إقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع أعمال الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب إن رسولاً سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث إنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك (وتنسون أنفسكم) أي وتعدلون عما فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمداً صلى الله عليه وسلم (وأنتم تتلون الكتاب) يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضاً الحث على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة والإثم (أفلا تعقلون) يعني أنه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن أبي طالب

وإن العقل عقلان * فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع * إذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ الناس مجتهداً أن تنفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه قوله فتندلق أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون لأن من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من

(تفسير النسفي)

خداعهم لا ينفع والوجه الأول (والذين آمنوا) أي يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر (وما يخدعون إلا أنفسهم) أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون أبو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الأولين أن خدع وخادع هما بمعنى واحد والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لأن النفس بهما وللدم نفس لأن قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها إليه والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم (وما يشعرون) أن حاصل خداعهم يرجع إليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد في الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسماً لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب (فزادهم الله مرضاً) أي ضعفاً عن الانتصار وعجزاً عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الإيمان (ولهم عذاب أليم) فعيل بمعنى مفعل أي مؤلم (بما كانوا يكذبون) كوفي أي بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر غيرهم من التفعيل بمعنى المصدر والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون

صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لينكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما أمرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة أي اذا أهمه امر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي له أخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) يعني الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) أي ثقيلة (الا على الخاشعين) يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه وأما الخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه (الذين يظنون) أي يستيقنون وقيل يعلمون (أنهم ملاقو ربهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة (وأنهم اليه راجعون) يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) انما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأني فضلتكم على العالمين) يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (واتقوا يوما) أي واخشوا عذاب يوم (لا تجزي) أي لا تقضي (نفس عن نفس شيئا) يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وامه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) أي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء (ولا هم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل (واذ نجيناكم) أي واذكروا اذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة أسلافهم (من آل فرعون) أي من اتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان علك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا كان اسمه الوليد بن مصعب ابن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) أي يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أي اشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال أصنافا صنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى تقرحت أيديهم وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي

(سورة البقرة)

غيرهم أي بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا في الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالؤنهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم (قالوا انما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة لانها تكفها عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون حذف المفعول للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في الا وان من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله

ضرب بيته غلت يداه الى عنقه شهرا وانّ النساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء وذلك ان فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤساء القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة قوله عز وجل (واذ فرقنا بكم البحر) أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه

(ذكر سياق القصة)

وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم أو ليتبعوهم لأجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكري لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف الا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب ومائة ألف ألف حراب ومائة ألف ألف بالأعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى أين ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر أمامنا ان دخلنا غرقنا فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فلم

(تفسير النسفي)

لا يشعرون (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) نصحوهم من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم طريق السداد من اتباع ذوي الأحلام فكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادي جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة وانما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكأنه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما كافة كما في ربما أو مصدرية كما في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم واخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الانسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف في كما في موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف أي ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام في أنؤمن للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) انهم هم السفهاء وانما فصل هنا بلا يعلمون وفيما تقدم بلا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة أما الفساد في الارض فأمر مبني على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة

فأوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشبالك يرى بعضهم بعضا و يسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (فأنجيناكم) يعنى من فرعون (وأغرقنا آل فرعون) وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين ابقوا منى ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس انثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى اثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئا واقتحمت الخيول خلفه فى البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس و يقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم فى البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج فامر الله البحران يأخذهم فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين وكان بين طرفى البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرئى من بنى اسرائيل فذلك قوله (وأنتم تنظرون) يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل (واذ واعدنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بمجىء الميقات (موسى) اسم عبرى معرب فوسى بالعبرية الماء والشجر سمى موسى لانه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمى موسى (أربعين ليلة) أى انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة أقدم من الضوء

(ذكر القصة فى ذلك)

قال العلماء لما أنجى الله بنى اسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى ذاهب الى ميقات ربى لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيى ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامرى وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرا وقيل كرمان وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر فى الحال فقال فى نفسه ان لهذا شأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقى فى روعه انه اذا ألقى فى شئ حيى فلما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا وأسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقى أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقى ذلك الحلى فى أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامرى ان الحلى الذى استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل ان هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلى أخذها السامرى وصاغها عجلا فى ثلاثة ايام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشى فقال لهم السامرى هذا

(سورة البقرة)

خبران (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الآية الاولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم (واذا خلوا الى شياطينهم) خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء أى اذا خلوا من المؤمنين الى شياطينهم ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه انها زائدة واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير أو من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل (قالوا انا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء انهم أوحديون فى الايمان اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار وأما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم رائجا عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد وقوله (انما نحن مستهزؤن) تأكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم

الحكم واله موسى فنسي أي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري فعكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل) يعني الها (من بعده) أي من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم (من بعد ذلك) أي من بعد عبادتكم العجل (لعلكم تشكرون) أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم وأصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الهي أنعمت على النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وانما شكري اياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل (وإذ آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية (لعلكم تهتدون) يعني بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل) يعني الها تعبدونه فكأنهم قالوا فما نصنع قال (فتوبوا الى بارئكم) أي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لابد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين والحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلت القوم الخناجر والسيوف وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل (فتاب عليكم) أي فعلتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) أي الرجاع

بالمغفرة

اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستئناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون (ويمدهم) أي يمهلهم عن الزجاج (في طغيانهم) في غلوهم في كفرهم (يعمهون) حال أي يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الاصلح (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها في قوم آمنوا ثم كفروا أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كان الهدى قائما فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى

بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه قوله عز وجل (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي لن
نصدقك (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وذلك ان الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني
اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال
لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى
اطلب لنا أن نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله
فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه
وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره
وينهاه وأسمعهم الله تعالى اني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة
فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم
الصاعقة) قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وأنتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع
كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من
السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسهم فخروا
صعقين (وأنتم تنظرون) أي ينظر بعضكم الى بعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي
ويتضرع ويقول الهي ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل واياي
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما
وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أي أحييناكم (من بعد
موتكم) أي لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم
القيامة (لعلكم تشكرون) قوله عز وجل (وظللنا عليكم الغمام) يعني في التيه يقيكم حر الشمس
وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا
يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر (وأنزلنا عليكم المن والسلوى)
أي في التيه والأكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال
وهب هو الخبز الرقاق وأصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شيء أنبته الله من
غير سعي أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه
ان يخلط مع الأدوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها بحتا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع
مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن ينزل على أشجارهم في كل ليلة من
وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع
لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان
الرجل يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء
(كلوا) أي وقلنا لهم كلوا (من طيبات) أي حلالات (ما رزقناكم) أي ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا
فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز
اللحم لم ينتن ولم يتغير (وما ظلمونا) أي وما بخسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني بأخذهم
أكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب
في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله عز وجل (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية لاجتماع
الناس فيها قال ابن عباس هي أريحاء قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم

(سورة البقرة)
ذلك شراء فصار دليلا على ان من أخذ شيئا
من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه
وان لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب
عن الصواب في الدين (فما ربحت تجارتهم) الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد
الربح الى التجارة من الاسناد المجازي ومعناه
فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما
وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح
والتجارة ترشيحا له كقوله
ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر (وما كانوا مهتدين)
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون
العاملون بما يربح فيه ويخسر والمعنى ان مطلوب
التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع
الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال
خاسر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح
وقيل الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم
الى آخر الآية في محل الرفع خبر أولئك (مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم
عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما
للبيان ولضرب الامثال في ابراز خبيات
المعاني ورفع الاستار عن الحقائق تأثير ظاهر
ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور
الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم
هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل

العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أي موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية أريحا قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال ان القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) معناه خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة (نغفر لكم خطاياكم) أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعني ثوابا (فبدل) أي فغير (الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) أي قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم حطا سمقاثا أي حنطة حمراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعيرة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعني عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا (بما كانوا يفسقون) أي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل (واذ استسقى موسى لقومه) أي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال مبينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فأعطاها موسى (الحجر) قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان الحجر أربعة وجوه في كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فأتاه جبريل وقال ان الله يأمرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاة فلما سألوا السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتتفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا أراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعني على عدد أسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست أي عرقت وانفجرت أي سالت (قد علم كل أناس مشربهم) أي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) أي وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تعثوا في الارض مفسدين) العيث أشد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم لانه انفجر الماء من بين أصابعه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم أعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة

الوان

(تفسير النسفي)

مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين او اريد الفوج الذي استوقد نارا على أن ذوات المنافقين لم يشبه بذوات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى استوقد اوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضاءت ما حوله) الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئا ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان ابلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور

الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لنا ربك) أي فاسأل لنا ربك (يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها) قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم (وعدسها وبصلها) انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة أو لانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة (قال) يعني موسى (أتستبدلون الذي هو أدنى) أي الذي هو أخس وأردأ وهو الذي طلبوه (بالذي هو خير) يعني بالذي هو أشرف وأفضل وهو ما هم فيه (اهبطوا مصرا) يعني ان أبيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول (فان لكم ما سألتم) يعني من نبات الارض (وضربت عليهم الذلة) أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد (والمسكنة) أي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر أسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا أغنياء مياسير كأنهم فقراء فلا ترى أحدا من أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود (وباؤا) أي رجعوا ولا يقال باء الا بشر (بغضب من الله) وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه (ذلك) أي الغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله) أي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن (ويقتلون النبيين) النبي معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع (بغير الحق) اي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما أمر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في أول النهار وقامت الى سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء (ذلك بما عصوا) أي ذلك القتل والكفر بما عصوا أمري (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل (ان الذين امنوا والذين هادوا) يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك أي ملنا اليك وقيل هادوا أي تابوا عن عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام (والنصارى) سموا بذلك لقول الحواريين نحن أنصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها (والصابئين) أصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من أهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة أخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى ولما ذكر هذه الطوائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في أول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان أحدهما انه أراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرى الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم

(سورة البقرة)
ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا تراآى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد أصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خابط في ظلمات الكفر أبدا ولكن المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمدي وللآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع الله بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم (صم بكم عمى) اى هم صم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذلك في الاسماء وفي الآية تشبيه بليغ في الاصح

الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في أول الآية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن منهم الايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أي في ايمانه (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم يا معشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وأمرهم ان يعملوا بأحكامها فأبوا ان يقبلوها للآصار فيها وهي الاثقال والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا أرسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) أي قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم) أي ما أعطيناكم (بقوة) أي بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما رأوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب (ثم توليتم) أي اعرضتم (من بعد ذلك) أي من بعد ما قبلتم التوراة (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) أي بالامهال (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) أي جاوزوا الحد (في السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم واصل السبت القطع

(ذكر الاشارة الى القصة)

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها أنهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا نحوا من سبعين ألفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهكوا الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فغبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميع قردة لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل

صار

(تفسير النسفي)

كور وهم لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه أو عن الضلالة بعد ان اشتروها والتنوع الرجوع الى الشئ وعنه أو ارادوا انهم متحيرون بقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه باطفاء النار وههنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوي لدلالة يجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا وهذا تشبيه أشياء باشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك

صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أمر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسئات (فجعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) البقرة واحدة البقر وهي الانثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة

(ذكر الاشارة الى القصة في ذلك)

قال علماء السير والاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (قالوا أتتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أمتنع بالله (ان أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى أي بقرة كانت فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له أمه يوما يا بني ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بامه اركبني فانه أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل ان ينقلع من أصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له أمه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو أعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا أمي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر امك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي ورجع الفتى الى امه فأخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم انها أمرتني ان لا انقصها عن ستة على رضاها فقال الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى امه فأخبرها بذلك

(سورة البقرة)

وتشبيه فتشبيهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدنه فيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني أبلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر ولذا أخروهم يتدرجون في مثل هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف احد التمثيلين على الآخر باو لانها في اصلها التساوي في الشك عند البعض ثم شيئين فصاعدا في الشك كقولك جالس استعيرت لمجرد التساوي تريد انهما سيان في الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما الاستصواب ان يجالسا وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور شيئان في وجوب العصيان فكذا هاهنا معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا وكذلك والصيب المطر

فقالت له أمه ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا فنفعل فقال له الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافأة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي ماسنها (قال) يعني موسى (انه يقول) يعني الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم تلد (عوان) أي نصف (بين ذلك) أي بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) أي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول أصح لانه يقال أصفر فاقع وأسود حالك (تسر الناظرين) أي يعجبهم حسنها وصفاء لونها (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أي سائمة أو عاملة (ان البقر تشابه علينا) أي التبس واشتبه أمرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون) أي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول) أي ليست مذللة بالعمل (تثير الارض) اي تقلبها للزراعة (ولا تسقي الحرث) اي ليست بسانية والسانية هي التي تستقي الماء من البئر لسقي الارض (مسلمة) أي بريئة من العيوب (لا شية فيها) أي لا لون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) أي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي وما قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن عباس أي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله مخرج ما كنتم تكتمون) أي مظهر ما كتمتم من أمر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعني القتيل (ببعضها) أي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه بأي جزء منها أجزأ وحصل المقصود وانه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة (كذلك) أي كما أحيى الله عاميل صاحب البقرة (يحيي الله الموتى) يعني يوم القيامة (ويريكم آياته لعلكم تعقلون) أي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يتقدم ذكر القتيل أولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح أولا ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى عليه السلام انما أحياه بضرب من السحر والحيلة فاذا أحيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك فان

(تفسير النسفي)

ويقال للسحاب الذي يصوب أي ينزل ويقع من المطر صيب أيضا وتنكير صيب لانه نوع من التمثيل الاول شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وعن الحسن أنها موج مكفوف والسماء هذه المظلة وفائدة ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فأفاد انه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه وفيه دليل على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه وقيل انه يأخذه من البحر (فيه ظلمات) ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش وسيبويه والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك اجرامه أو ملك يسوق السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب وقد جعل الصيب مكانا للظلمات فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان أسحم مطبقا ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به المطر لانهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الاصل بان ترك جمعهما وذكرت هذه الاشياء لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم في آذانهم) الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله

قلت هلا امروا بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الضخمة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها من ثمنها

(فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت) وذلك أنه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعى به واللوث أن يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم أو وجد قتيل في محلة أو قرية وكلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي والثاني انه يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتيل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا والا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداءة بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن أبي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو أحدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بايمان المدعين ليقوى جانبهم باللوث لان اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم

قوله عز وجل (ثم قست قلوبكم) أي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة (فهي) يعني القلوب في الغلظ والشدة (كالحجارة) أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه (أو) قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أي و (أشد قسوة) فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار (وان منها لما يهبط من خشية الله) أي ينزل من أعلى الجبل الى أسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عن ما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب أهل السنة ان الله تعالى أودع

أو هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هي التي تجعل في الآذان اتساعا كقوله فاقطعوا أيديهما والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصبع الخاص الذي تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو نصفها ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق أي مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها (يكاد البرق يخطف ابصارهم) الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما نكرة موصوفة معناه الوقت والعائد محذوف أي كل وقت اضاء لهم فيه

فى الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليهما غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث وانى لأعرفه الآن عن على قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب خ عن جابر بن عبد الله قال كان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فى قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع حنينا مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفى رواية صاحت النخلة صياح الصبى فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى لا يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة قوله عز وجل (أفتطمعون) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعى الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون (أن يؤمنوا لكم) أى يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب فى خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم فى أفتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله (ثم يحرفونه) أى يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى عليه السلام استدل بقول ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم تبديلهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة (من بعد ما عقلوه) أى علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه (وهم يعلمون) أى فساد مخالفته ويعلمون أيضا انهم كاذبون قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية فى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقى اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا ورؤساء اليهود لاموا منافقى اليهود على ذلك و (قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قص الله عليكم فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم انه نبى حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أن اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاورهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه نبى حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم (عند ربكم) أى فى الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهود بنى قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم

(تفسير النسفى)

والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أى فى ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين كشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين وأضاء متعد أى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكر مع اضاء كلما ومع أظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشى فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قام الماء اذا جمد (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كنحو قوله ولو شئت ان أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع وقوله تعالى لو أردنا ان نتخذ لهوا ولو أراد الله ان يتخذ ولدا (ان الله على كل شئ قدير) أى ان الله قادر على كل شئ ولما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال (يا أيها

يا اخوان القردة والخنازير قالوا من أخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (أفلا تعقلون) أي ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه (أولا يعلمون) يعني اليهود (ان الله يعلم ما يسرون) أي ما يخفون (وما يعلنون) أي ما يبدون وما يظهرون قوله عز وجل (ومنهم) أي من اليهود (أميون) أي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أمي وهو المنسوب الى أمه كأنه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا أماني) جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

أي تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم (وان هم الا يظنون) أي ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) تأكيد للكتابة لانه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر فكانوا اذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذا من عند الله) يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة وجدوه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به (ليشتروا به) أي بما كتبوا (ثمنا قليلا) أي المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) قوله عز وجل (وقالوا) أي اليهود (لن تمسنا) أي لن تصيبنا (النار الا أياما معدودة) أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في أمر فاقسم ليعذبنهم أربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم (قل) أي يا محمد لليهود (أتخذتم عند الله عهدا) أي موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة (فلن يخلف الله عهده) أي وعده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى) اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بل تمسكم النار أبدا (من كسب سيئة) السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاطت به خطيئته) أي أحدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت أجاب بعضهم بأن الايمان وان كان

(يا أيها الناس) قال علقمة ما في القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء البعيد وأي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودي به القريب المقاطن فذاك للتوكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا وقول الداعي يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا أي والتابع له صفته نحو يا زيد الظريف الا ان أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد ولم ينفك عن الصفة وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الاضافة وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة لان ما نادى الله به عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام يجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهي توحيد (الذي خلقكم) صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الآلهة أربابا والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء على تقدير واستواء وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم لان

يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله آمن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من افعال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله آمنوا يفيد الماضى وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى فى التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون الا الله) أى أمر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده أعظم النعم لانه هو الذى خلقه وأوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية أيضا فيجب شكرهما ثانيا (وذى القربى) أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة أمور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه (والمساكين) جمع مسكين وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تأخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فأصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموها قاله ابن عباس الوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به أخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليتم) أى أعرضتم عن العهد (الا قليلا منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أى كاعراض آبائكم قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تقريع لهم (لا تسفكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أى بهذا العهد انه حق (وأنتم تشهدون) يعنى انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى يا هؤلاء اليهود (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) أى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) أى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع أسير (تفدوهم) أى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الآية ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد أو أمة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس

(تفسير النسفى)

الشئ ما صح ان يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الاصنام (لعلكم تتقون) أى اعبدوا على رجاء ان تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب ولعل للترجى والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجرى مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب هو بمعنى كى اى لكى تتقوا (الذى جعل لكم الارض) أى صير ومحل الذى نصب على المدح أو رفع باضمار هو (فراشا) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة اوكرية اذ الافتراش ممكن على التقديرين (والسماء بناء) سقفا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمى به المبنى (وانزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء ثم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد وهو قادر على انشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما وعبرا للانظار بعيون الاستبصار (من الثمرات) للتبعيض او للبيان (رزقا) مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول به لاخرج ان كانت للبيان وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها فى الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم (فلا تجعلوا لله اندادا) هو متعلق بالامر اى

والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا أمرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان (وهو محرم عليكم اخراجهم) وان يأتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع أعدائهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) معناه ان وجدتموهم فى يد غيركم فديتموهم وأنتم تقتلونهم بأيديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة أفعالهم لا على الفداء لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فما جزاء من يفعل ذلك منكم) يعني يا معشر اليهود (الا خزى فى الحياة الدنيا) أى عذاب وهوان فكان خزى بنى قريظة القتل والسبى وخزى بنى النضير الاجلاء والنفى من منازلهم الى اريحاء وأذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد عظيم (أولئك الذين اشتروا) أى استبدلوا (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) أى فلا يهونون عليهم (ولا هم ينصرون) أى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل (ولقد آتينا) أى أعطينا (موسى الكتاب) يعنى التوراة جملة واحدة (وقفينا) أى واتبعنا من التقفية وهو ان يقفوا اثر الآخر (من بعده بالرسل) يعنى رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم فى اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارمياء وحزقيل والياس ويونس وذكرياء ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أى الدلالات الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال (وأيدناه) أى وقويناه (بروح القدس) قيل أراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وأمة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمى جبريل روحا للطافته لانه روحانى خلق من النور وقيل سمى روحا لمكانه من الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل أولى لانه تعالى قال وأيدناه أى قويناه بجبريل وذلك انه أمر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من أخبار الانبياء فعلت فائتنا بما أتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعنى يا معشر اليهود (رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) أى تعظمتم عن الايمان به (ففريقا كذبتم) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم (وفريقا تقتلون) يعنى مثل زكرياء ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيألهم قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة (وقالوا) يعنى اليهود (قلوبنا غلف) جمع اغلف وهو الذى عليه غشاوة فلا يعى ولا يفقه قال ابن

(سورة البقرة)
فلا تجعلوا لله اندادا الا ان اصل اعبدوا ربكم وان لا يجعل له ند العبادة واساسها التوحيد وان لا شريك ويجوز ان يكون الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام يتضمن الجزاء أى الذى حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد مسده ونفى ما ينافيه (وانتم تعلمون) انها لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق أو مفعول تعلمون متروك أى وانتم من اهل العلم وجعل الاصنام لله اندادا غاية الجهل والجملة حال من الضمير فى فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك لخلقهم احياء قادرين وخلق الارض التى هى مثواهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار رزقا لبنى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيئا من المخلوقات لا يقدر على ايجاد شئ منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقرر اعجاز القرآن فقال (وان كنتم فى ريب مما نزلنا) ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذى (على عبدنا) محمد عليه السلام والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء وقيل نزلنا دون انزلنا لان المراد به النزيل على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه

عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا أوعية العلم فلا نحتاج الى علمك وقيل أوعية من الوحى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال الله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) أى طردهم وأبعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم أنكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) أى لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان أكثر منهم قوله عز وجل (ولما جاءهم كتاب من عند الله) يعنى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى التوراة وهذا التصديق فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة فى التوراة (وكانوا) يعنى اليهود (من قبل) أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (يستفتحون) أى يستنصرون به (على الذين كفروا) يعنى مشركى العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) أى الذى عرفوه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بنى اسرائيل (كفروا به) أى جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا (فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به أنفسهم) أى بئس شئ اشتروا به أنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم (ان يكفروا بما أنزل الله) يعنى القرآن (بغيا) أى حسدا (أن ينزل الله من فضله) يعنى الكتاب والنبوة (على من يشاء من عباده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فباؤا) أى فرجعوا (بغضب على غضب) أى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثانى بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (وللكافرين) يعنى الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم (عذاب مهين) أى يهانون فيه (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) يعنى بالقرآن وقيل بكل ما أنزل الله (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعنى التوراة وما أنزل على أنبيائهم (ويكفرون بما وراءه) أى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعنى الانجيل والقرآن (وهو الحق) يعنى القرآن (مصدقا لما معهم) يعنى التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) انما أضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية فى الارض فمن كرهها وأنكرها برئ منها ومن رضيها كان من أهلها (ان كنتم مؤمنين) أى بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل (ولقد جاءكم موسى بالبينات) أى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة (ثم اتخذتم العجل من بعده) أى من بعد موسى لما ذهب الى الميقات (وأنتم ظالمون) انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى استجيبوا وأطيعوا أى فيما أمرتم به (قالوا سمعنا) يعنى قولك (وعصينا) يعنى أمرك وقيل انهم لم يقولوا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم (وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم) أى تداخل حبه فى قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ فى الثوب وقيل ان موسى أمر ان يبرد العجل ويذرى فى النهر وأمرهم ان يشربوا منه فمن بقى فى قلبه شئ من حب العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه (قل بئس ما يأمركم به ايمانكم) أى بان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل (ان كنتم مؤمنين) أى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما أنزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك فى قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعنى الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أى فاطلبوه

(تفسير النسفى)

اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبة ضربة فلو انزله الله لانزله جملة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على تدريج (فأتوا بسورة) أى فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التى هى الرتبة لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهى أيضا فى نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار أو لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وان كانت منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هى البقية من الشئ واما الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فهى كثيرة ولذا انزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان انشط له وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه أخذ من كتاب الله طائفة

واسألوه لان من علم ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمنى (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه ومابقى على وجه الارض يهودى الامات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) أى لعلمهم أنهم فى دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعنى من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنايات الانسان تكون من يده (والله عليم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود (أحرص الناس على حياة) أى حياة متطاولة والحرص أشد الطلب (ومن الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله احرص الناس فلم أفردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا أناس (يود أحدهم) وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود أى يتمنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أى تعمير ألف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال أى عش ألف سنة أو ألف نيروز أو ألف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو بمزحزحه) أى بمباعده (من العذاب) أى النار (ان يعمر) أى لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير بما يعملون) أى لا تخفى عليه خافية من أحوالهم قوله عز وجل (قل من كان عدوا لجبريل) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبى صلى الله عليه وسلم أى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا وأشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أى حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوى غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فأنزل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له أرض بأعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما فى أصحاب محمد أحب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما أدخل عليكم لازداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فأخبرونى عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر أشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتنى بعد ذلك فى دينى اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله (فانه نزله) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (باذن الله) أى بأمره (مصدقا) أى

(سورة البقرة)

مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه ويجل فى نفسه ومنه حديث أنس رضى الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة افضل (من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا أى بسورة كائنة من مثله يعنى فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم أو لعبدنا أى فأتوا ممن هو على حاله من كونه اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظيره هنالك ورد الضمير الى المنزل اولى لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله وقضيه الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة (من دون الله) أى غير الله وهو متعلق بشهداءكم أى ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق او من يشهد لكم بانه مثل القرآن (ان كنتم صادقين) ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف يدل عليه ماقبله أى ان كنتم صادقين فى دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) لما ارشدهم الى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام قال لهم فاذا لم تعارضوه

موافقا (لما بين يديه) أي لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) لما بين في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذى نزله على محمد بين في هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فاما عداوتهم لله فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذى لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه وأهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أي يحاربون أولياء الله وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحى الذى هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام (وما يكفر بها) أى وما يجحد بهذه الآيات (الا الفاسقون) اى الخارجون عن طاعتنا وما أمروا به (أوكلما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهد فأنزل الله هذه الآية أوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا هو قولهم انه قد أظل زمان نبى مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا والله عهودا كثيرة ثم نقضوها (نبذه) أى طرح العهد ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بل أكثرهم لا يؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم) يعنى مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) قيل أراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها (كأنهم لا يعلمون) يعنى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا أمره وكان أولئك النفر قليلا لقوله عز وجل (واتبعوا ما تتلو الشياطين) يعنى اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أى على عهده وزمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف هذا ما علم آصف ابن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فأما صلحاء بنى اسرائيل وعلماؤهم فأنكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعلمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلو

(تفسير النسفي)

فاتقوا وخافوا ...امنوا وخافوا ان عجزكم ووجب تصديقه فان كذب وعاند وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجىء بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا اذ لولم يعدل من لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولا ولن اختان فى نفى المستقبل الا ان فى لن تأكيدا وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفى المستقبل واعلم انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشئ لاشتهر فكيف والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه وشرطى اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد الرسول وادامح عندهم وابوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهى من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار يعنى الحطب واما الصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذى

الشياطين على ملك سليمان (وما كفر سليمان) يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم أخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أحبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فأنزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين الله تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا) يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس السحر) يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمى السحر سحرا لخفاء سببه فلا يفعل الا في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا أي ما صرفك عنه فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه هذا أصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب أهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروى عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل و يؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت و يدل على ذلك ان للكلام تأثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وثناه بالشرك وأمرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين أحدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربة بالسيف أخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة و يعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا ٣ لما روى عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ قوله عز وجل (وما أنزل على الملكين) أي و يعلمون الذي أنزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم أي ما ألهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين

٣ قوله لما روى عن مالك الخ الفعل لا يطابق الغرض الا ان تتكلف فيه ١٢ مصححه

(سورة البقره)
والتي تجب ان تكون معلوما للمخاطب فيحتمل
ان يكونوا سمعوا من اهل الكتاب أو من رسول
الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا
وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار منكرة
ثم ومعرفة ههنا لان تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت
هذه الآية بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا
ومعنى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها نار
ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس
والحجارة وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا
وابطأ خمودا وانتن رائحة والصق بالبدن
اوالاصنام المعبودة فهي اشد تحسرا وانما قرن
الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا
حيث عبدوها وجعلوها لله اندادا ونحوه قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم أي حطبها فقرنهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم (أعدت للكافرين) هيئت
لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة خلافا لما
يقوله جهم سنة الله في كتابه ان يذكر الترغيب
مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف
وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار
واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين
واعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول
عليه السلام أو كل احد وهذا احسن لانه
يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق
بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو
معطوف على فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا
عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني
اليهم أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة
على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك زيد
يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو
والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر
به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني

المرء وزوجه فيتميز المؤمن بترك التعليم منهما ويجرى الكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكين في تعليمهما اياه مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن الله تعالى لهما تعليم ذلك وغير ضارهما السحر لمن يتعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما أمرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني (ببابل) قيل هي بابل العراق بأرض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل نهاوند والاول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان سريانيان ✽ وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره ✽ قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما الى الارض وأمرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل افتتنا في أول يوم وذلك انه اختصم اليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تقتلاه فقال أحدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما اعبده ان أنتما صليتما معي عنده فعلت وقال أحدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن أبي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا اسم الله الاكبر قالت فما أنتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال أحدهما للآخر علمها فقال اني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه

السلام

(تفسير النسفي)

عتق أرقائي فبشروه فرادى عتق أولهم ... بقدوم فلان فبشره ثلاثة تفرقوا عتق أولهم ... لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال اخبرني مكان بشرني عتقوا جميعا لانهم اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس والآية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوزان يدخل المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة بالايمان ولا نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل تثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة (أن لهم جنات) أي بأن لهم جنات وموضع ان وما عملت فيه النصب عند سيبويه خلافا للخليل وهو كثير في التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (تجري من تحتها الانهار) الجنة في

السلام واخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس فقالا من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا اوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل مما استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

(فصل في القول بعصمة الملائكة) اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شئ ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما نقله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون وأهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بنو آدم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخير من أشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث ان المرأة لما فجرت فكيف يعقل انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في قوله فلا أقسم بالخنس الجواري الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد) يعني أحدا (حتى يقولا) يعني وما يعلمان أحدا حتى ينصحاه أولا ويقولا (انما نحن فتنة) اي ابتلاء ومحنة (فلا تكفر) أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الايمان والمعرفة وينزل شئ أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعني من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر له تأثير في نفسه بدليل قوله (وماهم) يعني السحرة (بضارين به) اي بالسحر

(سورة البقرة)

موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وانهار الجنة تجري في غير اخدود وأنزه البساتين ما كانت اشجارها مظلة والانهار في خلالها مطردة والجري الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار لانه يحتمل ان يراد مجاريها وانما عرف الانهار لانه عوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا أم اجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي) أي كلما رزقوا من الجنات اي من اي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة ونظيره ان تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وانما المراد نوع من أنواع الثمار (رزقنا) أي رزقناه (من قبل) أي من قبل هذا فحذف العائد

(من أحد) اي احدا (الا باذن الله) اي بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) اي اختار السحر (ماله في الآخرة من خلاق) يعني ماله نصيب في الجنة (ولبئس ما شروا به أنفسهم) اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف اثبت الله لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب فكانهم حين لم يعملوا بعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو انهم) يعني اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعني اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لمثوبة من عند الله) اي لكان ثواب الله اياهم (خير) لهم يعني هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعني ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) سبب نزول هذه الآية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة اذا أرادوا أن يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فأعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظرنا) اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وفهمنا (واسمعوا) اي ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني أدقها وان سألوه يسألوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعني اليهود (عذاب أليم) أي مؤلم (ما يود) اي ما يحب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود (ولا المشركين) يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدوا غير الله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبا لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعني ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها) الآية وسبب نزولها أن المشركين قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فأنزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك

فلما قطع عن الاضافة بني والمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله (وأتوا به متشابها) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين وانما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم يكن أجناسا أخر لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان أو الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه والمعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون (ولهم فيها أزواج) مبتدأ وخبر وفيها ظرف للاستقرار (مطهرة) من مساوي الاخلاق لا طمحات ولا مرحات أو مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول

انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شئ بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

(فصل فى حكم النسخ) هو فى اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا ولكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جاء فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه أحدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثانى المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا *مسئلة* قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد انه تعالى هو الآتى والمأتى به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث أجاب الشافعى بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى اصول الفقه ثم النسخ فى القرآن على وجوه أحدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبى امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثانى ما رفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخارى نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل آية الوصية للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير فى القرآن وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسأها قرئ

(سورة البقرة)
والغائط وسائر الاقذار والادناس ولم تجمع
الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم
يقل طاهرة لان مطهرة ابلغ لانها تكون
للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذلك
الا الله عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود
البقاء الدائم الذى لا ينقطع وفيه بطلان قول
الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة واهلها لانه
تعالى وصف بانه الاول والآخر وتحقيق وصف
الاولية بسبقه على الخلق اجمع فيجب تحقيق
وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات وذا
انما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به
ضرورة ولانه تعالى باق واوصافه باقية فلو
كانت الجنة باقية مع اهلها لوقع التشابه بين
الخالق والمخلوق وذا محال قلنا الاول فى حقه
هو الذى لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذى
لا انتهاء له وفى حقنا الاول هو الفرد السابق
والآخر هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان
صفة الكمال ونفى النقيصة والزوال وذا فى
تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما
قالوه وانى يقع التشابه فى البقاء وهو تعالى باق
لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو
جائز الوجود لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت
فى كتابه وضرب به مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما
يشبه هذا كلام الله فنزل (ان الله لا يستحيى ان
يضرب مثلا ما بعوضة) أى لا يترك ضرب المثل
بالبعوضة ترك من يستحيى أن يتمثل بها
لحقارتها واصل الحياء تغير وانكسار يعترى
الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز
على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك
لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز ان تقع
هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا أما يستحيى
رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على

بضم النون وكسر السين ومعناها نمترها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه
نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره
مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر
حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب
وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننسأها
أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نأت بخير منها) أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم
وأكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أى فى
المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان أسهل فى العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل
ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان أكمل فى
الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان
صوم شهر كامل فى كل سنة أثقل على الابدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابها أكمل وأكثر
أما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى
التوجه الى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير) أى على النسخ والتبديل والمعنى
ألم تعلم يا محمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامى وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها
عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين وأنفع لك ولهم عاجلا وآجلا (ألم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض) يعنى أنه تعالى هو المتصرف فى السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم
فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه
وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
فأخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشاء
وعليهم السمع والطاعة (وما لكم) يعنى يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) أى
مما سوى الله (من ولى) أى قريب وصديق وقيل من وال وهو المقيم بالامور (ولا نصير) أى
ناصر يمنعكم من العذاب وقيل فى معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم بأمركم ولا نصير
يؤيدكم ويقويكم على اعدائكم قوله عز وجل (أم تريدون ان تسألوا رسولكم) نزلت فى اليهود وذلك أنهم
قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا كما سأل قوم موسى موسى فقالوا أرنا الله جهرة فأنزل
الله تعالى هذه الآية والمعنى أتريدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه
وسلم (كما سئل موسى من قبل) وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرة ففى الآية منعهم ونهيهم
عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم (ومن يتبدل) أى يستبدل (الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) أى اخطأ قصد
الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين اعلمهم ان اليهود أهل غش وحسد
وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به فى الظاهر
واخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل قوله عز وجل (ود كثير من اهل الكتاب)
نزلت هذه الآية فى نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم
على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن أهدى سبيلا منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم
قالوا شديد قال انى عاهدت ان لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبأ
وقال حذيفة اما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة
وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما

(تفسير النسفى)

وفيه كلامهم بديع وهو وفق من
السؤال وهو وفق من كلامهم بديع وبالجار يقال استحييته
لغتان التعدى بنفسه وبالجار يقال استحييته
واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل
صنعه من ضرب الابن وضرب الخاتم وما هذه
ابهامية وهى التى اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته
ابهاما وزادته عموما كقولك اعطنى كتابا ما تريد
أى كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله
تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قال لا يستحى
ان يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا
أو مفعول ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة
عليه أو انتصبا مفعولين على ان ضرب بمعنى
جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض
الشئ لانه قطعة منه والبعوض فى اصله صفة
على فعول كالقطوع وغلبت (فما فوقها)
فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى
ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة أو فما زاد
عليها فى الحجم كأنه اراد بذلك رد ما استنكروه من
ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر
من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما
دون البعوضة وهو النهاية فى الصغر لان جناح
البعوضة أقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا
(فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) الضمير
للمثل أو لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ
انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب (من
ربهم) فى موضع النصب على الحال والعامل
معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (وأما
الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا
مثلا) ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما بعده
صفة له وليس كذلك وفى قولهم ماذا أراد الله
بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضى الله عنها
فى عبد الله بن عمرو ويا عجبا لابن عمرو هذا

فانزل الله تعالى ودّ أي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود (لو يردّونكم) أي يا معشر المؤمنين (من بعد ايمانكم كفارا) ٣ أي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر (حسدا) أي يحسدونكم حسدا وأصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعى في ازالتها والحسد مذموم لما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فاذا أنعم الله على عبد نعمة فتمنى آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله (من عند أنفسهم) أي من تلقاء انفسهم لم يأمرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) أي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الأمر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأتي الله بأمره) أي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو أمر الله له بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شيء قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك عن سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير) أي من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد (ان الله بما تعملون بصير) أي لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصي قوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعني يهوديا وقيل هو جمع هائد (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله (تلك أمانيهم) أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق (قل) يعني يا محمد (هاتوا برهانكم) أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم (بلى) أي ليس الامر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص في دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض في السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن أي في عمله لله (فله أجره عند ربه) أي ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أي في الآخرة (ولا هم يحزنون) أي على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى

٣ قوله أي ترجعون لا يخفى عدم ملاءمته للنظم الشريف اهـ مصححه

(سورة البقرة)

مفعول له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت أما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمتين فعلى الاول رفع بالابتداء وخبره ذا مع صلته أي أراد والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل بأراد والتقدير أي شيء أراد الله والارادة مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند اهل السنة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعل وهو غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر به (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة واهل الهدى

والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ (وهم يتلون الكتاب) يعني وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه انهم ليسوا على شئ (مثل قولهم) يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شئ (فالله يحكم) أي يقضي (بينهم يوم القيامة) يعني بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمر الدين قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن أظلم أي ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلى له فيها (وسعى في خرابها) وقيل ان بختنصر المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من أجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكرياء (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية (لهم في الدنيا خزي) يعني الصغار والذل والقتل والسبي (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني النار وقيل ان الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلاته فيه فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي بالموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز أن يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين فان قلت أي القولين أرجح قلت رجح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فان الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصارى يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الازمنة محال قوله عز وجل (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة

(تفسير النسفي)

كثير في انفسهم وانما يوصفون بالقلة بالقياس
الى أهل الضلال ولان القليل من المهتدين كثير
في الحقيقة وان قلوا في الصورة
ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
والاضلال خلق فعل الضلال في العبد
والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة
عند أهل السنة وسياق الآية لبيان ان
ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من ان
تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل
ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل
انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى وادناء
المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما
كان المتمثل به كذلك وان كان حقيرا كان المتمثل
به كذلك الا ترى ان الحق لما كان واضحا جليا
تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان
بضد صفته تمثل له بالظلمة ولما كان حال
الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال
احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت
مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب
وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم
يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من
تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله
سائق للمثل على قضية مضربه ولبيان ان المؤمنين
الذين عادتهم الانصاف والنظر في الامور بناظر
العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان
الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا
وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار
وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين
والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس
يضربون الامثال بالبهائم والطيور وخشاش
الارض فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب
واسمع من قراد واضعف من فراشة وآكل من
السوس واضعف من البعوضة واعز من مخ

فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهنالك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله أي يريدون بالتوجه اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل واسع المغفرة (عليم) أي بأعمالكم ونياتكم حيثما تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء ❊ مسئلة تتعلق بحكم الآية ❊ وهي ان المسافر اذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي أدى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستعمال قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان أتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ما في السموات والأرض) يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال (كل له قانتون) يعني ان أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة ومقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس هو راجع الى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية اجاب عن لفظة كل بانها

العوض ولكن ديدن المحجوج والمبهوت ان
يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار اللائح
(وما يضل به الا الفاسقين) ه مفعول يضل
وليس بمنصوب على الاستثناء لان يضل لم
يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد
وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب
الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة
المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيعرف ذلك
مايبطله ان شاء الله (الذين ينقضون عهد الله)
النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق
والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود
المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا وعهد
الله ماركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه امر
وصاهم به ووثقه عليهم أو اخذ الميثاق عليهم
بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو اخذ الله
العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم
على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله
الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي أخذه
على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته
وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم الآية
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا
الدين وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى
واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاقه) والضمير
للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي احكام الشيء من قوله
اصله من الوثاقة وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته
كالميعاد بمعنى الوعد والله تعالى أي من بعد
توثقته عليهم ومن لابتداء الغاية (ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل) هو قطعهم الارحام
وموالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الانبياء من

لاتقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله وأوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لاتقتضى ذلك قوله عز وجل (بديع السموات والارض) أى خالقها ومبدعها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشياء أى يحدثها مما لم يكن (واذا قضى أمرا) أى قدره وأراد خلقه وقيل اذا احكم أمرا وحتمه وأتقنه واصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ وتمامه والفراغ منه (فانما يقول له كن فيكون) أى اذا احكم أمرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لايخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشياء التى لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام فى قوله له لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته له كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله عز وجل (وقال الذين لايعلمون) قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب (لولا) أى هلا (يكلمنا الله) أى عيانا بانك رسوله (أو تأتينا آية) أى دلالة وعلامة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) اى كفار الامم الخالية (مثل قولهم) وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسئلته وأخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال (قد بينا الآيات) اى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوقنون) يعنى ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين قوله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) اى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق (بشيرا) اى مبشرا لاوليائى واهل طاعتى بالثواب العظيم (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لاعدائى واهل معصيتى بالعذاب الاليم (ولا تسأل) قرئ بفتح التاء على النهى قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت هذه الآية والمعنى انا أرسلناك لتبليغ ما ارسلت به ولا تسأل عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفى والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسؤلا عمن كفر (عن اصحاب الجحيم) اى عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار قوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أيسوا منه ان يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لايتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيئان فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقتهم (قل) أى يا محمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى يصح ان يسمى هدى (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم) يعنى اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) أى البيان بأن دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله

الوصلة والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول على سبيل الاستعلاء وما نكرة مخصوص موصوفة أو بمعنى الذى وان يوصل فى موضع جر بدل من الماء أى بوصله أو فى موضع رفع أى هو ان يوصل (ويفسدون فى الارض) بقطع السبيل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب (كيف تكفرون بالله) معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح والواو فى (وكنتم أمواتا) نطفا فى اصلاب آبائكم للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا (فأحياكم) فى الارحام (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث (ثم اليه ترجعون) تصيرون الى الجزاء أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف الاول بالفاء والبواقى بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بلا تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت ان أريد به النشور وان أريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر مع القصة التى ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولانها تشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (هو الذى خلق لكم ما فى الارض) أى لاجلكم ولانتفاعكم

من ولي) يعني يلي أمرك ويقوم بك (ولا نصير) اى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت أهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى اياكم اخاطب ولكم أؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبينات مالكم من الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ابن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرى الراهب وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره وتفكروا في معانيه وحقائقه واسراره (أولئك) يعنى الذين يتلونه حق تلاوته (يؤمنون به) أي يصدقون به فان قلنا ان الآية في أهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أي يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم (فأولئك هم الخاسرون) أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) اى ايادي لديكم وصنعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) اى واذكروا تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا (ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة) أي لا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم ان آباءنا يشفعون لنا (ولا هم ينصرون) أى ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) ابراهيم اسم اعجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن شاروع بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فانهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما أوجبه الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء

(سورة البقرة)
به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر واما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة في الاصل (جميعا) نصب على الحال من ما (ثم استوى الى السماء) الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود اى قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شئ ومنه قوله تعالى ثم استوى الى السماء أى اقبل وعمد الى خلق السماوات بعد ما خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في (فسواهن) مبهم يفسره (سبع سماوات) كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وثم هنا لبيان فضل خلق السماوات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منها السماوات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق (وهو بكل شئ عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم وهو واخوانه مدني غير ورش وأبو

الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما من شرائع الاسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها الا ابراهيم فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل أحد قبل ابراهيم فأما بعده فقد أتى الانبياء بجميع ما أمروا به من الدين خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة أيضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هي الفطرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشياء المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا سنة واتفقت العلماء على انها من الملة وأما معانيها فقد قيل اما قص الشارب واعفاء اللحية فخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم أو يوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والقلح والوسخ وأما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الابط فللتنظف عما يجتمع من الوسخ في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب الى انه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقارا يا ابراهيم قال يارب زدني وقارا أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمات أوحاها اليه وأمره ان يعمل بهن فأتمهن أي اداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكاليف لا تعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى

عمرو وعلى جعلوا الواو كأنها من نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون في عضد عضد بالسكون ولما خلق الله تعالى الارض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام ان يذكر قصتهم فقال (واذ قال ربك للملائكة) اذ نصب باضمار اذكر والملائكة جمع ملاك كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتأنيث الجمع (انى جاعل) اى مصير من جعل الذى له مفعولان وهما (في الارض خليفة) وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف أو خلفاء لانه اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغنى بذكر ابى القبيلة في قولك مضر وهاشم أو اريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك أو خليفة منى لان آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وانما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم أو ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل ان يقدموا عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من ان يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (ويسفك الدماء) أى يصب والواو في (ونحن نسبح) للحال كما تقول أتحسن الى فلان وأنا أحق منه بالاحسان (بحمدك) في موضع الحال أى نسبح حامدين

(قال انى جاعلك للناس اماما) أى يقتدى بك فى الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام هو الذى يؤتم به (قال ومن ذريتى) أى قال ابراهيم واجعل من ذريتى وأولادى أئمة يقتدى بهم (قال) الله (لا ينال) أى لا يصيب (عهدى) أى نبوتى وقيل الامامة (الظالمين) يعنى من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله عز وجل (واذ جعلنا البيت) يعنى البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهذه صفة جميع الحرم (مثابة للناس) أى مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وأمنا) أى موضعا اذا أمن يأمنون فيه من أذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب فى الحرم وانما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه أى لا يقطع شوك الحرم وأراد به مالا يؤذى منه أما ما يؤذى منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أى لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أى ينشدها والنشد رفع الصوت بالتعريف واللقطة فى جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا فان جاء صاحبها أخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة فى اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلى مقصور الرطب من النبات الذى يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش واختلاؤه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمى وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذى يصلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذى قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلى ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدى وقيل انما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على

لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى وقد دخلوا بالكفر أى دخلوا كافرين (ونقدس لك) ونطهر انفسنا لك وقيل التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح فى الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وابعد (قال انى أعلم ما لا تعلمون) أى أعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء والعلماء وما بمعنى الذى وهو مفعول اعلم والعائد محذوف أى ما لا تعلمونه انى حجازى وأبو عمرو (وعلم آدم) هو اسم أعجمى وأقرب أمره ان يكون على فاعل كآزر واشتقاقهم آدم من أديم الارض او من الادمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس (الاسماء كلها) أى أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ولا يجوز ان يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله تعالى انبئونى بأسماء هؤلاء وأنبئهم بأسمائهم ولم يقل انبئونى بهؤلاء وانبئهم بهم ومعنى تعليمه اسماء المسميات انه تعالى أراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة (ثم عرضهم على الملائكة) أى عرض المسميات وانما ذكر لان فى المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (فقال انبئونى) أخبرونى (بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيه رد عليهم وبيان ان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها

المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يا من قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فألفى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس فأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ٣ حتى اذا كانوا بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته انا في جهد وشدة فقال هل أوصاك بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسماعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته انا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقي أثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان

ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزيه لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الاسماء وكيف يعلم الشريعة فوق التخلي للعبادة وكيف سبحان الله تسبيحا وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا وليس فيه علم الاسماء (لا علم لنا الا ما علمتنا) والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا الا الذي علمتنا (انك أنت العليم) غير المعلم (الحكيم) فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبران أو أنت وصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) سمى كل شيء باسمه (فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) أي أعلم ما غاب فيهما عنكم (وأعلم ما تبدون) تظهرون (وما كنتم تكتمون) تسرون (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أي اخضعوا له واقروا بالفضل له عن أبي بن كعب وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى (فسجدوا الا ابليس) الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول

الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أي أمرناهما وألزمناهما وأوجبنا عليهما قيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به (أن طهرا بيتي) يعني الكعبة أضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا أي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور (للطائفين) يعني الذائرين حوله (والعاكفين) يعني المقيمين به والمجاورين له (والركع السجود) جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعني الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعني أهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء أفضل والصلاة لاهل مكة بمكة أفضل قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) اشارة الى مكة وقيل الى الحرم (بلدا آمنا) أي ذا أمن يأمن فيه أهله وانما دعا ابراهيم له بالأمن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن الى أهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوته على قولين أحدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني انها انما حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فأجاب الله تعالى دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله أعلم (وارزق أهله من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة والامامة في ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين صار ذلك تأديبا له في المسئلة فلا جرم خص هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فأمتعه) أي سأرزق الكافر أيضا (قليلا) أي في الدنيا الى منتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم أضطره الى عذاب النار) أي ألجئه وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي

الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولانه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين بابائه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند أهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج أو كان من الكافرين في علم الله أي وكان في علم الله انه يكفر بعد ايمانه لا انه كان كافرا أبدا في علم الله وهي مسئلة الموافاة (وقلنا يا آدم اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكنى اذ أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكونا (أنت) تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف (وزوجك) عليه (الجنة) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها واهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها حذف المضاف (رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما وبابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة شئتما (ولا تقربا هذه الشجرة) أي الحنطة ولذا قيل كيف لا يعصي الانسان وقوته من شجرة العصيان أو الكرمة لانها أصل كل فتنة أو التينة (فتكونا) جزم عطف

لاعلاك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه (وبئس المصير) أى وبئس المكان الذى يصير اليه الكافر
وهو العذاب قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) وكانت قصة بناء البيت
على ما ذكره العلماء وأصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق الارض بألفى عام فكانت
زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكى الى
الله تعالى فأنزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقى
وباب غربى فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم انى أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى
وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الله عليه الحجر الاسود وكان أبيض فاسود من مس الحيض
فى الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت
وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام
قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان فرفعه
الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله
جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن
ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق ببناء بيت يذكر فيه
ويعبد فسأل الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها
رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هى الشديدة السريعة الهبوب وقيل هى المتلوية فى هبوبها وأمر
ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق
الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشى
فى ظلها الى أن وقفت على موضع البيت ونودى منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل
ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة
فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت جمع قاعدة وهى اس البيت وقيل جدره من
البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام
والجودى جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال
لاسماعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتنى بأحسن منه فمضى اسماعيل
ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود
فأخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمد ابراهيم واسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما
فى بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا (ربنا تقبل منا) وفى الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل
منا أى ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) أى لدعائنا (العليم) يعنى
بنياتنا قوله عز وجل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فان قلت
الاسلام اما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا
الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله
واجعلنا مسلمين لك يعنى فى المستقبل وذلك لا ينافى حصوله فى الحال الوجه الثانى يحتمل ان يكون المراد
منه طلب الزيادة فى الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافى حصوله فى الحال
(ومن ذريتنا) أى من أولادنا (أمة) أى جماعة (مسلمة) أى خاضعة منقادة (لك) وانما أدخل
من التى هى للتبعيض لان الله تعالى أعلمهما بقوله لا ينال عهدى الظالمين ان فى ذريتهما الظالم فلهذا
خص بعض الذرية بالدعاء فان قلت لم خص ذريتهما بالدعاء قلت لانهم أحق بالشفقة والنصيحة قال
الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من

(من الظالمين)
على تقربا أو نصب جواب للنهى
من الذين ظلموا انفسهم أو من الضارين انفسهم
(فأزلهما الشيطان عنها) أى عن الشجرة أى
فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه
فأصدر الشيطان زلتهما عنها أو فأزالهما عن
الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما فأزالهما حمزة
وزلة آدم بالخطأ فى التأويل اما بحمل النهى
على التنزيه دون التحريم أو بحمل اللام على
تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس
والاول الوجه وهذا دليل على انه يجوز اطلاق
اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ
بخارى فانه اسم لفعل يقع على خلاف الامر
من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى فى الطين
وقال مشايخ سمرقند لا يطلق اسم الزلة على
افعالهم كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا
الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه
(فأخرجهما مما كانا فيه) من النعيم والكرامة
أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة فى عنها وقد
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها لانه
منع عن دخولها على جهة التكرمة
كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة
الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وروى انه أراد
الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى
دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى (وقلنا
اهبطوا) الهبوط النزول الى الارض والخطاب
لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح
لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما
كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس
كلهم ويدل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها
جميعا (بعضكم لبعض عدو) المراد به ما عليه
الناس من التباغى والتعادى وتضليل
بعضهم لبعض والجملة فى موضع الحال من الواو
فى اهبطوا أى اهبطوا متعادين (ولكم

العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسددون لسدادهم ورائهم وقيل أراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم (وأرنا) أى علمنا وبصرنا (مناسكنا) أى شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعنى مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أى تجاوز عنا (انك أنت التواب) اى المتجاوز عن عباده (الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء ووجهه ان التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بأن العبد وان اجتهد فى طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير فى بعض الاوقات اما على سبيل السهو أو ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما أعلم ابراهيم ان فى ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل ربه التوبة لاولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدى من بعدهما بهما فى ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) يعنى وابعث فى الامة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوى باسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم بأول امرى انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله لمنجدل فى طينته معناه انه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله فى سورة الصف ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (يتلو عليهم) أى يقرأ عليهم (آياتك) يعنى ما توحيه اليه وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذى كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه (ويعلمهم الكتاب) يعنى معانى الكتاب وحقائقه لان المقصود الاعظم تعليم ما فى القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا أمر التلاوة وهى حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره (والحكمة) أى ويعلمهم الحكمة وهى الاصابة فى القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هى التى تردع عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة فى القول والعمل ووضع كل شئ موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلف المفسرون فى المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هى السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيئا آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هى العلم باحكام الله تعالى التى لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هى الفصل بين الحق والباطل وقيل هى معرفة الاحكام والقضاء وقيل هى فهم القرآن والمعنى ويعلمهم

فى الارض مستقر) موضع استقرار او استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) الى يوم القيامة او الى الموت قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل من الذنوب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى من روحك ألم تسبق رحمتك غضبك ألم تسكنى جنتك وهو تعالى يقول بلى بلى قال فلم أخرجتنى من الجنة قال بشؤم معصيتك قال فلو تبت اراجعى أنت اليها قال نعم (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى بذكر توبة آدم لان حواء كانت تبعا له وقد طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن والسنة لذلك (انه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عباده (قلنا اهبطوا منها جميعا) حال أى مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتأكيد أو لان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض أو لما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم منى هدى) أى رسول ابعثه اليكم أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فى مقابلة قوله (فمن تبع هداى) اى بالقبول والايمان به (فلا خوف عليهم)

ما في القرآن من الاحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة (ويزكيهم) أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية (الحكيم) أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالأشياء وايجادها على غاية الاحكام قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر ان يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا أراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بأن الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يا رب وكيف أعرف نفسي وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفيناه) أي اخترناه (في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني الفائزين وقيل مع الانبياء في الجنة (اذ قال له ربه أسلم) أي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشأوا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه أسلم (قال أسلمت لرب العالمين) أي قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا بالله فأمره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال أسلمت أي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار قوله عز وجل (ووصى بها ابراهيم بنيه) يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين ومدان ويقشان وزمران وشيق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل أمرهم قلت لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده أشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقته على غيرهم وقيل لانهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) أي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به

(تفسير النسفي)

المستقبل (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا جواب الشرط الاول والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك فلا خوف بالفتح في كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) أي اهلها ومستحقوها والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين (هم فيها خالدون يا بني اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله أو عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) ذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها واراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل (وأوفوا) ادوا وافيا تاما يقال وفيت له بالعهد فانا واف به واوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار أوفيت وعليه نزل التنزيل (بعهدي) بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي أومن الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا وعن قتادة هما اثنى أقتم ولا كمرن وقال اهل الاشارة أوفوا في دار محنتي على بساط خدمتي بحفظ حرمتي أوف في دار نعمتي على بساط كرامتي بسرور رؤيتي (واياي فارهبون) ولا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد واياي منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل

ابراهيم وسمي يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذا بعقبه قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد وآشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يابني ان الله اصطفى لكم الدين) أي اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون لانه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت على الانسان وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه أخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ام كنتم يامعشر اليهود شهداء على يعقوب اذ حضره الموت أي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده وأولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى (اذ قال) يعني يعقوب (لبنيه) يعني لاولاده الاثني عشر (ما تعبدون) أي أي شئ تعبدون (من بعدي) قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر أجلي ما تعبدون من بعدي (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق) انما قدم اسماعيل لانه كان أكبر من اسحاق وادخله في جملة الآباء وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم أبا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا على أبي (الها واحدا ونحن له مسلمون) اي مخلصون العبودية (تلك) اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وولدهم (امة قد خلت) اي مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لها ما كسبت) يعني من العمل (ولكم) يعني يامعشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) أي من العمل (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني كل فريق يسئل عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الانبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا أفضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فأنزل الله عز وجل (قل) يعني يامحمد (بل ملة ابراهيم) يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله (حنيفا) أصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

والعرب تسمي كل من حج أو اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك (مسلما) يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم

عليه وانما لم ينتصب بقوله فارهبون لانه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد في زيدا فاضربه باضرب الذي هو ظاهر (وآمنوا بما انزلت) يعني القرآن (مصدقا) حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقا (لما معكم) من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوة وامر محمد عليه السلام (ولا تكونوا أول كافر به) أي أول من كفر به او أول حزب او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير في به يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بآياتي) بتغييرها وتحريفها (ثمنا قليلا) قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها وقيل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله (واياي فاتقون) فخافوني فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين وكذلك كل ياء محذوفة في الخط يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم التي تكتبونه (وتكتموا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق

علم المؤمنين طرائق الايمان فقال تعالى (قولوا آمنا بالله) يعني قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى تهتدوا آمنا بالله أى صدقنا بالله (وما أنزل الينا) يعني القرآن (وما أنزل الى ابراهيم) يعني وآمنا بما أنزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف (واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب من بنى اسماعيل وكان فى الاسباط انبياء (وما أوتى موسى) يعني التوراة (وعيسى) يعني الانجيل (وما أوتى النبيون من ربهم) والمعنى آمنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التى أوتى جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من أنبيائه كانوا على هدى وحق (لا نفرق بين أحد منهم) أى لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وأقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت ببعض الانبياء بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية (خ) عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية قوله عز وجل (فان آمنوا) يعني اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) أى بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شئ أى ليس مثله شئ وقيل فان أتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما أنزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما هم فى شقاق) أى فى خلاف ومنازعة وقيل فى عداوة ومحاربة وقيل فى ضلال وأصله من الشق كأنه صار فى شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيكهم الله) أى يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشئ أنجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله عز وجل (صبغة الله) قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود وأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى (ومن أحسن من الله صبغة) اى دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وأمروكم باتباعهم (أتحاجوننا فى الله) أى أتخاصموننا وتجادلوننا فى دين الله الذى أمرنا أن نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا أقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فأمر الله المؤمنين أن يقولوا لهم أتحاجوننا فى الله (وهو ربنا وربكم) أى ونحن وانتم فى الله سواء فانه ربنا وربكم (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعنى ان لكل أحد جزاء عمله (ونحن له مخلصون) أى مخلصو الطاعة والعبادة له وفيه توبيخ لليهود

(تفسير النسفى)

أن يقولوا لا نجد فى التوراة صفة محمد أو حكم كذا (وانتم تعلمون) فى حال علمكم انكم لابسون وكاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام وجاز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بالصلاة مع المصلين يعنى فى الجماعة أى صلوها مع المصلين لا منفردين (أتأمرون الناس) الهمزة فى للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أى سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها (وتنسون أنفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وانتم تتلون الكتاب) تبكيت أى تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أفلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدى جبار السموات والارض أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة

والنصارى والمعنى وأنتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عز وجل (أم تقولون) يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ (ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (أأنتم اعلم) يعني بدينهم (أم الله) أي الله أعلم بذلك وقد اخبر أن ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعني أخفى (شهادة عنده من الله) وهي علمهم بأن ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا أحق بعثته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يعاقبكم عليه في الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعني ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبتم) أي جزاء ما كسبتم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعني ان كل انسان انما يسئل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم أي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) أي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك في باب الدين أعظم لان العادل عن الامر الواضح في أمر دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو بلدكم ولعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا (ما ولاهم) يعني أي شيء صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد (لله المشرق والمغرب) يعني ان له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم) الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء المشبه به وفيه وجوه أحدها انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم أمة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم (أمة وسطا) يعني عدولا خيارا وخير الامور اوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

(سورة البقرة)

عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وقيل الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه (وانها) الضمير للصلاة أو للاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الا على الخاشعين) لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتقنون لقراءة عبد الله يعلمون أي يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع الاخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف (وأنهم اليه راجعون) لا تملك أمرهم في الآخرة احد سواه (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) التكرير للتأكيد (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت عالما من الناس والمراد الكثرة (واتقوا يوما) أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف (لا تجزي نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيئا) أي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به أو مصدر أي قليلا من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة يوما والعائد منها الى الموصوف

وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا أعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فأنزل الله هذه الآية وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين أمة هي آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد عليه الصلاة والسلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا عدولا قوله عز وجل (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) أي وما جعلنا صرف القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول) فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما وجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لتعلم رسلي وحزبي وأوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن أمره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا أنتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا كائنه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول أي يطيعه في أمر القبلة وتحويلها (ممن ينقلب على عقبيه) أي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه (وان كانت) أي وقد كانت (لكبيرة) يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وأنث الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل لتأنيث التولية (الا على الذين هدى الله) يعني الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما أمر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول

(ولا يقبل منها) محذوف تقديره لا تجزى فيه (شفاعة) ولا تقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لان المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها (ولا يؤخذ منها عدل) أي فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وذكر لمعنى العباد أو الاناسي (واذ نجيناكم من آل فرعون) أصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه ألفا وخص استعماله بأولي الخطر كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس (يسومونكم) حال من آل فرعون أي يولونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة او مطالبة وسوء مصدر سيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحه ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه (يذبحون ابناءكم) بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف (ويستحيون نساءكم) يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله (وفي ذلكم بلاء) محنة ان أشير به الى صنع فرعون ونعمة ان اشير به الى الانجاء (من

القبلة الى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكان من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس (ان الله بالناس لرؤف رحيم) يعني لا يضيع أجورهم والرأفة أخص من الرحمة وأدق وقيل الرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر وأما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة أولا يعني انه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها أعم واشمل قوله عز وجل (قد نرى تقلب وجهك في السماء) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أحب ان يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى أمره بذلك ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من أجل ان اليهود قالوا انما محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة أبي ابراهيم فقال جبريل صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك فسل أنت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة فأنزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك وتصرف نظرك في السماء أي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة وأول ما نسخ من أحكام الشرع أمر القبلة (فلنولينك) أي فلنحولنك ولنصرفنك (قبلة) أي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة (ترضاها) أي تحبها وتميل اليها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي نحوه وتلقاءه وأراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة أبدا فهي قبلتكم (ق) عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد قباء وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قباء في صلاة الصبح (ق) عن ابن عمر قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى (وحيثما كنتم) أي

(سورة البقرة)

ربكم) صفة للبلاء (عظيم) صفة ثانية (واذ فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا أي فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط (بكم البحر) كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم أو فرقناه بسببكم أو فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روى ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام اين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فأوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه وانما قال (واذ واعدنا موسى) لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصري لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تعالى موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال (اربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة (ثم اتخذتم العجل) أي الها فحذف المفعول الثاني لاتخاذتم وبابه بالاظهار مكي وحفص (من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (وانتم ظالمون) بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين (ثم عفونا عنكم) محونا ذنوبكم عنكم (من بعد ذلك) من بعد اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة

من براوبحر مشرق أو مغرب (فولوا وجوهكم شطره) أى نحو البيت وتلقاءه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتاء فى أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف فى أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا القبلة وهذا فى حق أهل المشرق لان المشرق الشتوى جنوبى متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستواء والذى بينهما فهو سمت مكة والغرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شئ ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلى الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره فأنزل الله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربهم) يعنى أمر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) يعنى وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه فى الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء قوله عز وجل (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (بكل آية) أى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك بانهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول فأنزل الله هذه الآية (ما تبعوا قبلتك) يعنى الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) يعنى ان اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وأنت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التى أمرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة (ولئن اتبعت أهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أى فى أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعنى انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة ويكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذى يجدونه عندهم (كما يعرفون أبناءهم) أى لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روى ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا ادرى ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التى صرفتك اليها هى قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون فى ذلك (وان فريقا منهم) أى من علماء أهل الكتاب (ليكتمون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكتمونه (الحق) اى الذى يكتمونه هو الحق (من ربك فلا تكونن من الممترين) اى من الشاكين فى ان الذين تقدم

(تفسير النسفى)

أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا (واذ قال موسى لقومه) للذين عبدوا العجل يا قوم (انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) معبودا (فتوبوا الى بارئكم) هو الذى خلق الخلق بريئا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى برأهم ابرياء من التفاوت الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة والبلادة (فاقتلوا أنفسكم) قيل هو على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفا (ذلكم) التوبة والقتل (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار على المعصية (فتاب عليكم انه هو التواب) المفضال بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) يعفو الحوبة وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانتصابها على المصدر كما ينتصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال من نرى أى ذوى جهرة (فأخذتكم الصاعقة) أى الموت قيل هى نار جاءت من السماء فاحرقتهم روى ان السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق الى الجبل قالوا له نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة فقال موسى سألته ذلك فأباه على فقالوا انك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلق

ذكرهم علوا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله عز وجل (ولكل وجهة) أي ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص (هو موليها) أي مستقبلها والمعنى ان لكل أهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل متوليها أي مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها أي مصروف اليها (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب (أينما تكونوا) يعني أنتم وأهل الكتاب (يأت بكم الله جميعا) يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله على كل شئ قدير) أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة قوله عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) اي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه (وانه) يعني التوجه اليه (للحق من ربك) أي الحق الذي لا شك فيه شائط عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فان قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة أبيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فلم يكن لهم حجة الا انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) أي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) أي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة (واخشوني) اي احذروا عقابي ان أنتم عدلتم عما ألزمتكم به وفرضته عليكم (ولاتم نعمتي عليكم) أي ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى

المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا انما عوقبوا بكفرهم لان قولهم انك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولانهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد (وأنتم تنظرون) اليها حين نزلت (ثم بعثناكم) احييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت (وظللنا عليكم الغمام) جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن) الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (والسلوى) كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وقلنا لهم (كلوا من طيبات) لذيذات أو حلالات (ما رزقناكم وما ظلمونا) يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم معمول يظلمون وهو خبر كان (واذ قلنا) لهم بعد ما خرجوا من التيه (ادخلوا هذه القرية) أي بيت المقدس أو أريحاء والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع أهلها (فكلوا منها) أمر اباحة ... من طعام القرية وثمارها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام ودخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس

(ولعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم) كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوته بأن اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب (رسولا منكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلو عليكم آياتنا) يعني القرآن وذلك من أعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (ويزكيكم) أي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (ويعلمكم الكتاب) يعني أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار (والحكمة) يعني السنة والفقه في الدين (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعني يعلمكم من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذكروني) قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله تعالى وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال التي أمروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل (أذكركم) أي بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وقال أهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان أذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب أذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة قوله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله وأنا معه اذا ذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد قوله وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه الملاء اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنه بأن الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلابد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان أتاني يمشي في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة صبا وسبغتها (ق)

(تفسير النسفي)

(سجدا) حال وهو جمع ساجد أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا له (وقولوا حطة) فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسئلتنا حطة أو أمرك حطة والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات وقيل أمرنا حطة أي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها وعن علي رضي الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا اله الا الله (نغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهي الذنب يغفر مدني تغفر شامي (وسنزيد المحسنين) أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم وبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى آخر بالباء فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود يعني وضعوا مكان حطة قولا غيرها أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجز (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم روى انه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفا (واذ استسقى موسى لقومه) موضع اذ نصب كأنه قيل واذكروا اذ استسقى أي استدعى ان يسقى قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لي) يعني بالطاعة (ولا تكفرون) أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها تجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب (ان الله مع الصابرين) أي بالعون والنصر (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو ابن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن قيس بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأنزل الله هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى (بل أحياء) وانما أحياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم أحياء تصل أرواحهم الى الجنان كما ورد ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الآخرة ونحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى (ولكن لا تشعرون) أي لا ترونهم أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون ذلك باخباري اياكم به فان قلت أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم نعيم من الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد القول من قال ان من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله تعالى بقوله بل أحياء بأنهم في نعيم دائم قوله عز وجل (ولنبلونكم) أي ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها (بشيء) انما قال بشيء ولم يقل بأشياء لئلا يوهم ان أشياء

(سورة البقرة)
عصاك الحجر واللام للعهد وقيل له اضرب بعصاك الحجر والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طوري حمله معه وكان مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل وسعة العسكر اثنا عشر ميلا وكانوا ستمائة ألف أو للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة او فان ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ (منه اثنتا عشرة عينا) على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التي يشربون منها وقيل لهم (كلوا) من المن والسلوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) أي الكل مما رزقكم الله (ولا تعثوا في الارض) لا تفسدوا فيها والعيث أشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة أي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف أو ارادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف وكانوا من اهل الزراعات فارادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك (فادع لنا ربك) سله وقل له أخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا ويوجد (مما تنبت الارض من بقلها) هو ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث

تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب (والجوع) يعني القحط وتعذر حصول القوت (ونقص من الاموال) يعني بالهلاك او الخسران (والانفس) أي ونقص من الانفس بالموت او القتل (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته اقبضتم ولد عبدي فالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده فالوا نعم قال فماذا قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته والدخول فيه ومنها ان الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما أظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك تميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء أشد اخلاصا لله منه في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعني عند نزول البلاء والمحن وبشرى لمحمد الصابرين على امتحاني بما امتحنتهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين اذا أصابتهم مصيبة) أي نائبة وابتلاء (قالوا انا لله) اي عبيد أو ملك (وانا اليه راجعون) يعني في الآخرة (م) عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قيل ما أعطى أحد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال ابن عباس أي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل اعاد ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

(فصل) في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطاياه النصب التعب والاعياء والوصب المرض (ق) عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من

مرض

(تفسير النسفي)

(وقثائها) يعني وشبهها مما يأكل الناس (وفومها) هو الحنطة او الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها (وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو ادنى) اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار (بالذي هو خير) ارفع واجل (اهبطوا مصرا) من الامصار اي انحدروا اليه من التيه وبلاد ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ أو مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لارادة البلد أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف (فان لكم) فيها (ما سألتم) أي فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في التيه (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء أهل مسكنة وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية عليهم الذلة جرة وعلى الحقيقة عليهم الجزية عليهم الذلة ... (وباؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له أي صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائي ... وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وضم الهاء والميم أبو عمرو وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب (بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين) بالهمزة نافع وكذا بابه أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعياء وزكرياء ويحيى صلوات الله عليهم والنبي من النبأ لانه يخبر عن الله تعالى فعيل

مرض فما سواه الا حط الله به عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تحصد الارزة شجر معروف بالشام و يعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارزة وقيل الارزة النابتة في الارض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله أي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الأمثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك أدخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه وأصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكلما كان معلما للقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الحج فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما (فمن حج البيت) أي قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك (أو اعتمر) اي زار البيت والعمرة الزيارة وفي الحج والعمرة المشروع عن قصد وزيارة (فلا جناح عليه) أي فلا اثم عليه وأصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم (ان يطوف بهما) أي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر انه من شعائر الله (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله

(فصل) اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء ان من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه

بمعنى مفعل أو بمعنى مفعل أو من نبا أي ارتفع والنبوة المكان المرتفع (بغير الحق) عندهم أيضا فانهم لم يقتلوا ولم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم في التوراة وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون أي يقتلونهم مبطلين (ذلك) تكرار للاشارة (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الانبياء أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح (والصابئين) الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقيل هم يقرؤن الزبور (من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا (وعمل صالحا فلهم أجرهم) ثوابهم (عند ربهم) في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومحل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بقبول ما في التوراة (ورفعنا

يصدق عليه انه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب اوليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدهما فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب أو غير واجب حجة الشافعى ومن وافقه فى أن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ماروى الشافعى بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتنى بنت أبى تجراة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبى حسين ننظر الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعى حتى لا قول انى لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه الدارقطنى (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على أحد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية (م) عن جابر فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب ومن القياس أن السعى اشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات ثم انه تعالى أكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين انه تطوع وليس بواجب وأجيب عن الاول بأن قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى (ومن تطوع خيرا) فضعيف لان هذا لا يقتضى أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا آخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف بعد الواجب والقول الاول أولى للعموم (فان الله شاكر) أى مجاز على الطاعة (عليم) أى بنيته وحقيقة الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أريد به انه المجازى على الطاعة بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت فى علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت فى التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيئا من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من أمر الدين فقد عظمت مصيبته (ق) عن أبى هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيئا أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه خلاف والاصح انه

(تفسير النسفى)

فوقكم الطور) أى الجبل حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حتى قبلوا وقيل لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب أى التوراة (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين (ثم توليتم) ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به (من بعد ذلك) من بعد القبول (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم للتوبة (لكنتم من الخاسرين) الهالكين فى العذاب (ولقد علمتم) عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم فى السبت) هو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى نهاهم ان يصيدوا فى السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لامنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم (فقلنا لهم كونوا) بتكويننا اياكم (قردة خاسئين) خبر كان أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أى تمنعه (لما بين يديها) لما قبلها (وما

اذا اظهره للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والافلا (من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب) يعنى فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعنى الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلعنهم الله) أى يبعدهم عن رحمته وأصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد (ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصى بنى آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين تابوا) أى ندموا على ما فعلوا فرجعوا عن الكفر الى الاسلام (وأصلحوا) يعنى الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعنى ما كتموا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أى أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم (وأنا التواب) أى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الى (الرحيم) يعنى بهم بعد اقبالهم على قوله عزوجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين قلت فيه أوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما اضمرت لعظم شأنها (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة

* (فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم) * قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله فى هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا ومؤكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه فى الصحيح قوله عزوجل (والهكم اله واحد) سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الوحدة الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد فى الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد يعنى لا شريك له فى الوهيته ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد فى افعاله لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبهه شئ من خلقه (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) يعنى انه المولى لجميع النعم وأصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم أخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول

(سورة البقرة)

خلفها) وما بعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها (واذ قال موسى لقومه) أى واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتى فى قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم كانه قال اذكروا ذاك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا فى الظروف التى مضت أى اذكروا نعمتى واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتى واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التى تأتى الى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه (ان الله يأمركم أن) أى بان (تذبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر فى التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فأمرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزؤا) اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء هزؤا بسكون الزاى والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وبضمتين والهمزة غيرهما (قال أعوذ بالله) العياذ واللياذ من واد واحد (ان اكون من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم أى أنتم جاهلون حيث نسبتمونى الى الاستهزاء (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بماهيتها لان ما وان كانت سؤالا عن الجنس وكيف عن الوصف ولكن قد تقع ما موقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت

الحكم اله واحد فليأتنا بآية ان كان صادقا فأنزل الله تعالى (ان فى خلق السموات والارض) وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر فى آياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان أفعاله ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على أمر واحد ولامتنع فى افعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها قوله ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثانى قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار) أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والآية فى الليل والنهار ان انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى (والفلك التى تجرى فى البحر) أى السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى (بما ينفع الناس) يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات لطلب الارباح والآية فى ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وأيضا ان الله تعالى خص كل قطر من أقطار العالم بشئ معين وأحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار فى الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعنى المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمى سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل أراد السماء بعينها خلق الله الماء فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فأحيى به) أى بالماء (الارض بعد موتها) أى بعد يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهى كالميتة والآية فى انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله (وبث) أى فرق (فيها) أى فى الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية فى ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف فى الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان النوع السابع قوله تعالى (وتصريف الرياح) يعنى فى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهى الريح التى تأتى من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها فى أحوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم أو ضده وقيل البشارة فى ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هى الريح العقيم التى أهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية فى الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهى مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وأنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والارض) أى الغيم

(تفسير النسفى)
فقيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشأن وما هى خبر ومبتدأ (قال انه يقول انها
بقرة لا فارض) مسنة وسميت فارضا لانها
فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها
وارتفع فارض لانه صفة لبقرة وقوله
(ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان)
نصف (بين ذلك) بين الفارض والبكر
ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضى شيئين
فصاعدا لانه أراد بين هذا المذكور وقد
يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال
أبو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله
فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه فى الجلد توليع البهق
ان أردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد
والبلق فقل كأنهما فقال أردت كان ذلك
(فافعلوا ما تؤمرون) أى تؤمرونه بمعنى
تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الامير (قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها) موضع ما رفع لان معناه
الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا أى
شئ لونها (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع
لونها) الفقوع أشد ما يكون من الصفرة
وانصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع وهو
توكيد لصفراء وليس خبرا عن اللون الا انه
ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين
قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها وفى ذكر
اللون فائدة التوكيد لان اللون اسم للهيئة
وهى الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده (تسر
الناظرين) بحسنها والسرور لذة فى القلب
عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله تعالى
عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى
تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هى) تكرير السؤال عن حالها وصفتها

المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والآية فى ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله (لآيات) أى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته قيل انما جمع آيات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا (لقوم يعقلون) أى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل (ومن الناس) يعنى المشركين (من يتخذ من دون الله اندادا) يعنى اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها لبعض وليست اندادا لله تعالى وتعالى الله أن يكون له ندا وله مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله (يحبونهم) أى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا أى جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة (كحب الله) أى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى أنهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثانى أثبت للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى اثبت وأدوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول واختاروا الثانى وقيل ان الكفار يعدلون عن أصنامهم فى الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى فى السراء ولا فى الضراء ولا فى الشدة ولا فى الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون أصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين آمنوا أشد حبا لله لان الله أحبهم أولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم وسيأتى بسط الكلام فى معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعنى اشركوا فى شدة العذاب لرأيت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم فى النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم (اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون فى الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وان الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذ تبرأ) أى تنزه وتباعد (الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب) أى القادة من مشركى الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول (وتقطعت بهم الاسباب) يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التى كانت بينهم يعملونها فى الدنيا وقيل العهود والحلف التى كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السبب فى اللغة الحبل الذى يصعد به النخل وسمى كل ما يتوصل به الى شئ من ذريعة أو قرابة أو مودة سببا تشبيها بالحبل الذى يصعد به (وقال الذين اتبعوا) يعنى الاتباع (لو أن لنا كرة) أى رجعة الى الدنيا (فنتبرأ منهم) أى من المتبوعين (كما تبرؤا منا) اليوم (كذلك يريهم الله) أى كما أراهم العذاب يريهم الله (اعمالهم حسرات عليهم) لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر عنه الجهل الذى حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التى عملوها وارتكبوها فى الدنيا فيتحسرون

(سورة البقرة)
واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن
النبى عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة
فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله
عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه
علينا) ان البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا (وانا ان شاء الله
لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفى
علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعتراض بين
اسم ان وخبرها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت
لهم آخر الابد أى لو لم يقولوا ان شاء الله (قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض) لا ذلول
صفة البقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل
للكراب واثارة الارض (ولا تسقى الحرث)
ولا هى من النواضح التى يسنى عليها لسقى
الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة
لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض
أى تقلبها للزراعة وتسقى الحرث على ان
الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة
وساقية (مسلمة) عن العيوب وآثار العمل
(لا شية فيها) لا لمعة فى نقبتها من لون آخر
سوى الصفرة فهى صفراء كلها حتى قرنها
وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا آخر (قالوا الآن جئت
بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة وما بقى
اشكال فى أمرها جئت وبابه بغير همز أبو عمرو
(فذبحوها) وحصلوا البقرة الجامعة لهذه
الاوصاف كلها فذبحوها (وما كادوا يفعلون)
لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة فى ظهور القاتل روى
انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها
الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى
يكبر وكان برا بوالديه فشبت البقرة وكانت
من أحسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت

لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) قوله عز وجل (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي أحله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه وأصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب إلا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لأن النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم إلى ما يدعوكم إليه الشيطان قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بإبائه السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى (إنما يأمركم بالسوء) يعني بالإثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه (والفحشاء) يعني بها المعاصي وما قبح من قول أو فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) يعني من تحريم الحرث والأنعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم إن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الإنسان وإنما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإنما أقدر على ذلك لإيصال هذه الخواطر إلى باطن الإنسان قوله عز وجل (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود إلى غير مذكور وقال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا أحبارا منا وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية وقيل إن الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود إلى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا وهم مشركو العرب قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الأصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا أيها الناس كلوا مما في الأرض والمعنى وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني في تحليل ما حرموا على أنفسهم (قالوا بل نتبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيئا) يعني لا يعلمون شيئا من أمر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك أنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أي إلى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق إلا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا الصوت فصار الداعي إلى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل أن الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه عني من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الأصنام وعبادتها إلا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله أن المحذوف هنا هو

المدعو

(تفسير النسفي)

البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافا للمعتزلة (وإذ قتلتم نفسا) بتقدير واذكروا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفع أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطارح في زعمه دفع وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الإدغام ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنا وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم و(فقلنا) والضمير في (اضربوه) يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان أو إلى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة (كذلك يحيي الله الموتى) عليه روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن النبي عليه السلام وإما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) دلائله

المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال لمن يسمع ولا يعقل كانه أصم ابكم أي عن النطق بالحق عمي أي عن طريق الهدى (فهم لا يعقلون) قيل المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك قوله اشعث أغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك (واشكروا لله) يعني على نعمه (ان كنتم اياه تعبدون) أي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتعرفون انه المنعم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها قوله عز وجل (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) لما أمرنا الله تعالى في الآية التي تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح وأما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم وأما الخنزير فانه أراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل (وما أهل به لغير الله) يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت وأصل الاهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية (فمن اضطر) يعني الى اكل الميتة واحوج اليها (غير باغ) أصل البغي الفساد (ولا عاد) أصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد (فلا اثم عليه) أي فاكل فلا اثم عليه أي فلا حرج في اكلها (ان الله غفور) أي لما اكله في حال الضرورة (رحيم) يعني حيث رخص لعباده في ذلك

*(فصل في حكم الآية وفيه مسائل) الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح وأما الجراد فلما روي عن ابن أبي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله وروي عن أبي بكر الصديق وابي أيوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وأبو حنيفة لا بأس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا وروي مالك أن ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا ذكي ذكاة مثله بان يقطع رأسه ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل * المسئلة الثانية في حكم الدم * اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر احلت لنا ميتتان

(سورة البقرة)

على انه قادر على كل شئ (لعلكم تعقلون) فتعملون على قضية عقولكم وهي ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب لعدم الاختصاص والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد في الامور والمسارعة الى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك وقيل انما أمر وابذبح البقرة دون غيرها من البهائم لانها افضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فاراد الله تعالى ان يهون معبودهم عندهم وكان ينبغي ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص قصص بني اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتته بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى أن من اراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بانواع المجاهدات ومعنى (ثم قست قلوبكم) استبعاد القسوة (من بعد) ما ذكر مما يوجب

ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن عمر بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم * المسئلة الثالثة في الخنزير * أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لأن معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لأن علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لأن العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره * المسئلة الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله * من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمي عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروي عن علي بن أبي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون * المسئلة الخامسة في حكم المضطر * المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ اليه المكره عليه والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام اما باكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلو ان كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما انه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك * المسئلة السادسة في قوله غير باغ ولا عاد * قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي معتد يعني العاصي بسفره بأن يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لأن اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها قوله عز وجل (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب) نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فأنزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب أي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين

(تفسير النسفى)
لين القلوب ورقتها وصفة القلوب بالقسوة مثل
لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ من بعد (ذلك)
اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من
الآيات المعدودة (فهى كالحجارة) فهى
في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها
وأشد معطوف على الكاف تقديره او مثل اشد
قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
او هي في انفسها اشد قسوة يعني ان من عرف
حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو
الحديد مثلا ومن عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه
ابين وادل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل
عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو
اكرم (وان من الحجارة) بيان لزيادة قسوة
قلوبهم (لما يتفجر منه الانهار) وما اسم ان
على الحجارة في موضع النصب وهو بمعنى الذي
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة
واللام للتوكيد (وان منها لما يشقق) اصله يتشقق وبه قرأ
الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت (فيخرج
منه الماء) يعني ان من الحجارة ما فيه خروق
واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق
انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء
أيضا وقلوبهم لا تندى (وان منها لما يهبط)
يتردى من اعلى الجبل (من خشية الله)
قيل هو مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع
على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل
ما أمرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى
انه يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خلق
الحياة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية
مخصوصة عند اهل السنة وعلى هذا قوله
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعني
وقلوبهم لا تخشى (وما الله بغافل عما تعملون)
وبالياء مكي وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب

يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب (ويشترون به) أي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما أنزل الله من الكتاب (ثمنا قليلا) أي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا يأخذونها من سفلتهم (أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) يعني ما يؤديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك الى النار فكأنهم أكلوها (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) أي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب (ولهم عذاب أليم) أي وجيع يصل ألمه الى قلوبهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما قدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب (فما أصبرهم على النار) أي ما الذي صبرهم وأي شيء جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما أقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه فعجب من حالهم بقوله فما أصبرهم على النار (ذلك بأن الله نزل الكتاب) يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب (بالحق) فكفروا به وأنكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله أنزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة (وان الذين اختلفوا في الكتاب) يعني اختلفوا في معانيه وتأويله فحرفوها وبدلوها وقيل آمنوا ببعض وكفروا ببعض (لفي شقاق) أي خلاف ومنازعة (بعيد) يعني عن الحق قوله عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الآية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا أتى بالشهادتين وصلى الى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم أي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا غير ذلك (ولكن البر) يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى (من آمن بالله) أي ولكن البر من آمن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقرب من الله (واليوم الآخر) وانما ذكر الايمان باليوم الآخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد الموت (والملائكة) أي ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا (والكتاب) قيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والنبيين) يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها (وآتى المال على حبه) يعني من أعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا وآتى المال على حب المال (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة اعظم أجرا قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا وكناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى أي وآتى المال على حب الله وطلب مرضاته (ذوي القربى) يعني أهل قرابة المعطي وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثنتان صدقة وصلة أخرجه النسائي (ق) ان

(سورة البقرة)

(أن يؤمنوا لكم) ان يؤمنوا لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) كقوله تعالى فآمن له لوط يعني اليهود ويستجيبوا لكم لاجل دعوتكم (وقد كان فريق منهم) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) أي التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم (من بعد ما عقلوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك (واذا لقوا) أي المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أي المخلصين من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أي المنافقون (آمنا) بأنكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الى الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم) أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام (بما فتح الله عليكم) بما بين الله لكم في التوراة من صفة محمد عليه السلام (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضمار المضاف أي عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه (أفلا تعقلون) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه (أولا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم) ومن اليهود (أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أماني) الا ما هم عليه من أمانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا

ميمونة رضى الله عنها اعتقت وليدة ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه
قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت وليدتى قال أو قد فعلت قالت نعم قال اما انك لو أعطيتها اخوالك
كان أعظم لاجرك الوليدة الجارية (واليتامى) اليتيم هو الذى لا أب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير
والبالغ أى وآتى الفقراء من اليتامى (والمساكين) جمع مسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس
لانه لا شئ له (وابن السبيل) يعنى المسافر المنقطع عن أهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل
هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم
جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعنى الطالبين المستطعمين عن على بن أبى طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك فى الموطا عن ام نجيد قالت قلت يا رسول الله ان
المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيئا أعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده أخرجه
أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما أراد به رده بشئ تعطونه
اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة ما يعطى (وفى الرقاب) يعنى المكاتبين
وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفداء الاسارى (وأقام الصلاة) يعنى المفروضة فى أوقاتها (وآتى
الزكاة) يعنى الواجبة (والموفون بعهدهم) يعنى ما أخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل
بطاعته وقيل أراد بالعهد ما جعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه
وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد وأداء الامانات (اذا عاهدوا) يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا
أوفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا فى أقوالهم واذا ائتمنوا أدوا (والصابرين فى البأساء) أى
فى الشدة والفقر والفاقة (والضراء) يعنى المرض والزمانة (وحين البأس) يعنى القتال والحرب فى سبيل
الله وسمى الحرب بأسا لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع
منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس أى اشتد الحرب ونتقى به أى نجعله
وقاية لنا من العدو (أولئك الذين صدقوا) اى أهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم
(وأولئك هم المتقون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى) نزلت
فى حيين من أحياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وحروب وجراحات كثيرة
ولم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على
الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا
الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك فرفعوا أمرهم الى النبى صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام
التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى
يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا
يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف اضعاف دية
الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص
فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أى فرض عليكم القصاص فى القتلى فان قلت كيف
يكون القصاص فرضا والولى مخير فيه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت ان القصاص فرض على
القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة فى
القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل فيفعل به مثل ذلك فلو قتل رجل
رجلا بعصا أو خنقه أو شدخ رأسه بحجر فانه يقتل القاتل بمثل الذى قتل به وهو قول مالك والشافعى

(تفسير النسفى)

تمسهم النار الا اياما معدودة أو الا اكاذيب
مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على
التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت
منذ اسلمت أو الا ما يقرؤن من قوله
تمنى كتاب الله اول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر
أى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن
أشياء أخذوها من احبارهم والاستثناء منقطع
(وان هم) وما هم (الا يظنون) لا يدرون
ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء
الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام
الذين قلدوهم (فويل) فى الحديث ويل واد
فى جهنم (للذين يكتبون الكتاب) المحرف
(بايديهم) من تلقاء أنفسهم من غير ان يكون
منزلا وذكر الايدى للتاكيد وهو من مجاز
التاكيد (ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا) عوضا يسيرا (فويل لهم مما كتبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون) من الرشا (وقالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودة) أربعين يوما
عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد رضى الله
عنه كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل
اتخذتم عند الله عهدا) أى عهد اليكم انه
لا يعذبكم الا هذا المقدار (فلن يخلف الله عهده)
متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله
عهدا فلن يخلف الله عهده (أم تقولون على
الله ما لا تعلمون) أم اما ان تكون معادلة أى
أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه
ما لا تعلمون او منقطعة أى بل اتقولون على الله
ما لا تعلمون (بلى) اثبات لما بعد النفى وهو
لن تمسنا النار أى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم
فيها خالدون (من كسب سيئة) شركا عن ابن
عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله عنهم

واحمد

واحدى الروايتين عن أحمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة والرواية الثانية عن أحمد (الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولده ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية أبي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم به قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ أي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شئ) أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد رضي بالدية أو العفو عنها أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له أخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا فاسقط القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم قد بطل (فاتباع بالمعروف) أي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ أكثر من حقه ولا يعنفه (وأداء اليه باحسان) أي على القاتل أداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة أمر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية واذا عفا ولي الدم عن شئ يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه من القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من أخيه شئ وأراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر وقوله تعالى (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو وأخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى أخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص وأخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص أو العفو وأخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو أو قبول الدية (فله عذاب أليم) وهو

(سورة البقرة)

(وأحاطت به خطيئته) وسدت عليه مسالك النجاة بان مات على شركه فاما اذا مات مؤمنا فاعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة خطاياه مدى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد (لا تعبدون الا الله) اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه وتنصره قراءة أبي لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكي وحمزة وعلي لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا يعبدوا فلما حذفت ان رفع (وبالوالدين احسانا) أي وأحسنوا ويلائمه عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه (وذي القربى) القرابة (واليتامى) جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ (والمساكين) جمع مسكين وهو الذي اسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلي (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم) عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين اسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتولية عن المواثيق (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما

ان يقتل قصاصا اولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الآخرة قوله عز وجل (ولكم في القصاص حياة) أي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما أفضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة (يا أولي الألباب) أي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره (لعلكم تتقون) يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل (كتب) أي فرض وأوجب (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أي قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء (ان ترك خيرا) يعني مالا قيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روي ان رجلا قال لعائشة اني أريد ان اوصي فقالت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك (الوصية) أي الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (للوالدين والاقربين) كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان أهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث ومما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه النسائي وللترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول مامرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي أخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) أي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي

(تفسير النسفي)

قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه (وانتم تشهدون) عليها كما تقول فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق (ثم انتم هؤلاء) استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم انتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون انفسكم) صلة هؤلاء وهؤلاء مع صلته خبر انتم (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) غير مراقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتخفيف كوفي أي تتعاونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم قيل هي الثانية لان الثقل بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وادغم (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى تفادوهم) تفدوهم أبو عمرو وأسرى تفدوهم مكي وشامي أسرى تفدوهم حمزة أسارى تفادوهم علي أسرى تفدوهم ... حال وهو جمع أسير وفدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير في (وهو محرم عليكم اخراجهم) للشأن او هو ضمير مبهم تفسيره (اخراجهم) (أفتؤمنون ببعض الكتاب) بفداء الاسرى (وتكفرون ببعض) بالقتال والاجلاء قال السدي أخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به الا الفداء (فما جزاء من يفعل ذلك) هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم الا خزي) فضيحة وهوان (في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) وهو الذي لا روح فيه ولا فرج أو الى اشد من عذاب الدنيا (وما الله بغافل عما تعملون) بالياء مكي ونافع وابو بكر (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اختاروها

قال

قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثيرا وقال والثلث كبير انك ان
تذر ذريتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس
التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس
غضوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن أبي طالب
لان أوصي بالخمس أحب الي من ان اوصي بالربع ولان أوصي بالربع أحب الي من ان أوصي بالثلث فمن
أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس أو بالخمس أو الربع (حقا) أي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت
فرض ووجوب (على المتقين) أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك (فمن بدله) أي غير الوصية من
الاولياء والاوصياء وذلك التغيير يكون اما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بأن يكتموا الشهادة
أو يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه
موعظة أي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت أو ما أوصى به (بعدما سمعه) أي من الوصي وتحققه (فانما
اثمه على الذين يبدلونه) أي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصي والموصى له بريئان منه
(ان الله سميع) يعني لما أوصى به الموصي (عليم) يعني بتبديل المبدل (فمن خاف) أي علم وهو خطاب
عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل (أو اثما)
أي ظلما (فاصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الآية انه اذا حضر
رجل مريضا وهو يوصي فرآه يميل في وصيته اما بتقصير أو اسراف أو وضع الوصية في غير موضعها
فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل انه أراد به اذا أخطأ الميت
في وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته
وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلا اثم عليه) أي فلا حرج عليه في الصلح (ان الله
غفور رحيم) أي لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران
في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم
أخرجه أبو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية
ان لا تمضي أو ينقص بعضها أو يوصي لغير أهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل (يا أيها
الذين آمنوا كتب) أي فرض (عليكم الصيام) والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا
اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا لانه امساك عن الكلام
والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع
الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين من قبلكم) يعني من الانبياء والامم من لدن
آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أي في الزمن الاول ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه
عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشئ الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان
واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان
يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من
السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا
فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من وجعه ان يزيد في صومهم
اسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة أيام
فأتمه خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده
وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدون يوما بعد
يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك (لعلكم تتقون) يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان

(سورة البقرة)
على الآخرة اختيار المشترى (فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون) ولا ينصرهم احد
بالدفع عنهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة
آتاه جملة (وقفينا من بعده بالرسل) يقال قفاه
اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به
اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من
الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وارمياء وعزير وحزقيل والياس
واليسع ويونس وذكريا ويحيى وغيرهم (وآتينا
عيسى بن مريم البينات) هي بمعنى الخادم
ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا لم يثبت
في الابنية البينات المعجزات الواضحات كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات (وايدناه بروح القدس) اى الطهارة
وبالسكون حيث كان مكي اى بالروح المقدسة
كما يقال حاتم الجود ووصفها بالقدس
للاختصاص والتقريب او جبريل عليه السلام
لانه يأتي بما فيه حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى
السماء حين قصد اليهود قتله او بالانجيل كما قال
في القرآن روحا من امرنا او باسم الله الاعظم الذي
كان يحيي الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى) تحب (أنفسكم استكبرتم) تعظمتم
عن قبوله (ففريقا كذبتم) كعيسى ومحمد عليهما
السلام (وفريقا تقتلون) كزكريا ويحيى
عليهما السلام ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل
ولان المراد وفريقا تقتلونه بعد لانكم تحومون
حول قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة والمعنى ولقد
آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم فكلما
جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان
به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ
والتعجب من شأنهم (وقالوا قلوبنا غلف) جمع
اغلف اى هي خلقة مغشاة باغطية لا يتوصل

الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون مافعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم (أياما معدودات) اى مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول مانسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال ان فريضة رمضان نزلت فى السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر) اى فأفطر (فـ) عليه (عدة من ايام أخر) يعنى غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه) أى يطيقون الصوم واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فذهب أكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير (ق) عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفتدى فعل حتى نزلت هذه الآية التى بعدها فنسختها وفى رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هى خاصة فى حق الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا فى المريض الذى يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم (خ) عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا (فدية طعام مسكين) الفدية الجزاء وهو القدر الذى يبذله الانسان يقى به نفسه من تقصير وقع منه فى عبادة ونحوها ويجب على من أفطر فى رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره (فمن تطوع خيرا فهو خير له) يعنى زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل أولى (ان كنتم تعلمون) يعنى أن الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم مافى الصوم من المعانى المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين فى افطار

(تفسير النسفى)

ولا تفقهه مستعار الهما جاءبه محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن (بل لعنهم الله بكفرهم) فرد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق وانما طردهم بكفرهم وزيغهم (فقليلا ما يؤمنون) فقليلا صفة مصدر محذوف أى فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف أى قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره أو أوعية للعلوم فلو كان ماجئت به حقا لقبلنا (ولما جاءهم) أى اليهود (كتاب من عند الله) أى القرآن (مصدق لما معهم) يعنى كتابهم لا يخالفه (وكانوا من قبل) يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق مانقلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم (فلما جاءهم ما عرفوا) ما موصولة أى ماعرفوه وهو فاعل جاء (كفروا به) بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة (فلعنة الله على الكافرين) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولا اوليا وجواب لما الاولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو انكروه او كفروا جواب الاولى والثانية لان مقتضاهما واحد وما فى (بئسما) نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أى بئس شيئا (اشتروا به أنفسهم) أى باعوه والمخصوص بالذم (ان يكفروا بما انزل الله) يعنى القرآن (بغيا) مفعول له أى حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا

رمضان

رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهولاء اذا أفطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب أهل الرأي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله عز وجل (شهر رمضان) يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسر اذا أظهره شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن) لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في أول ليلة من رمضان وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعني من الضلالة (وبينات من الهدى والفرقان) فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر أولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله عز وجل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فأدركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته أخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزي فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعي وهذا الاحتياط في امر العبادة لدخولها وخروجها (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر

(سورة البقرة)

(أن ينزل الله) لان ينزل او على ان ينزل (من فضله) أي حسدوه على ان ينزل الله (على من يشاء من عباده) وهو الذي هو الوحي (فباؤا بغضب على غضب) محمد عليه السلام فصاروا أحقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام أو بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك (وللكافرين عذاب مهين) مذل بأسماء وبابه غير مهموز أبو عمرو وينزل بالتخفيف مكي وبصري (واذا قيل لهم) لهؤلاء اليهود (آمنوا بما أنزل الله) يعني القرآن أو هو مطلق يتناول كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) أي التوراة (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ومصدقا حال مؤكدة (قل فلم تقتلون أنبياء الله) أي فلم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) أي من قبل محمد عليه السلام اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلاثمائة نبي في بيت المقدس (ولقد جاءكم موسى بالبينات) بالآيات التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتكم الظلم (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى (واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك

والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

(فصل) في حكم الآية وفيه مسائل الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال احدها وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلا للفظ المطلق على أقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على أكمل أحواله القول الثالث وهو قول أكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس أو زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته قال الشافعي اذا اجهده الصوم أفطر والا فهو كالصحيح * المسئلة الثانية * الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر أخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى عن أنس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم أخرجاه في الصحيحين * المسئلة الثالثة * اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أي سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد ومالك أقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة ايام * المسئلة الرابعة * اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جاز له أن يفطر حالة السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان أحب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وافطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلا من مكة * المسئلة الخامسة * اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى أن الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال أحمد الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وأفضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * المسئلة السادسة * يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من أيام أخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام أخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع أولى وفيه أيضا وجوب القضاء من غير تعيين زمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه أيضا ما روى عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع أن اقضي الا في شعبان ذلك من الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين (يريد الله بكم اليسر) أي التسهيل في هذه العبادة وهي اباحة الفطر للمسافر والمريض (ولا يريد بكم العسر) أي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين أمرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك أحب الى الله تعالى (ولتكملوا العدة) أي عدد الايام التي أفطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل أراد عدد أيام الشهر (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فأكملوا العدة ثلاثين (ولتكبروا الله) فيه قولان أحدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال

(تفسير النسفي)

(وعصينا) أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا اسمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو الحب محذوف (بكفرهم) بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه (قل بئسما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم (ان كنتم مؤمنين) تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أي الجنة (عند الله) ظرف ولكم خبر كان (خالصة) حال من الدار الآخرة أي سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فيما تقولون لان من ايقن انه من أهل الجنة اشتاق اليها تخلصا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه (ولن يتمنوه أبدا) هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما اسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم أحرص الناس) مفعولا وجد هم وأحرص (على حياة) التنكير يدل على ان المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة أبي على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو محمول على المعنى لان

أن يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وابو يوسف ومحمد وقال
أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ماهداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ماهداكم
الى آخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله ولتكبروا الله أي ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم به
عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة (على ماهداكم) أي ارشدكم الى طاعته والى مارضي به عنكم
(ولعلكم تشكرون) الله على نعمه

* (فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه) ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار الصفد الغل أي شدت
بالاغلال (ق) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا أي طلبا لوجه
الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا بثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن
يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى
الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة
عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم
صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم قوله كل عمل ابن آدم له
معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه أحد وانما خص الصوم بقوله تعالى
لي وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل
حتى تكتبه الحفظة وانما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى لقول الله تعالى انما
أتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام
لما بلغ به من الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب
وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه وقوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها العتان وهو تغير طعم
الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله
لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم ابلغ عند الله في القبول من
ريح المسك عند أحدكم قوله الصيام جنة أي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع
المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع
والصخب الضجر والجلبة والصياح (ق) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة بابا يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه
أحد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلا يدخل منه أحد وفي رواية ان في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله الا الصائمون عن أبي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني
بامر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية أي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه
لا عدل له أخرجه النسائي قوله عز وجل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) قال ابن عباس
قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وان غلظ كل
سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا
فنناجيه أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا أين ربنا فنزلت
هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو اما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن افعاله اما السؤال
عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون

معنى احرص الناس احرص من الناس نعم قد
دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم
افردوا بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل
وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا تحت الملائكة
اواريد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة
احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة
الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا
زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان
حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم على
الذين اشركوا لانهم علموا انهم صائرون الى النار
لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك وقوله
(يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) بيان لزيادة
حرصهم على طريق الاستئناف وقيل أراد
بالذين أشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم
عش ألف نيروز وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو قول الاعاجم ذي هزار سال وقيل ومن
الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود
أحدهم على حذف الموصوف والذين اشركوا
على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن
الله والضمير في (وما هو بمزحزحه من العذاب)
لاحدهم وقوله (ان يعمر) فاعل بمزحزحه أي
وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز
ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء قال في جامع العلوم وغيره لو بمعنى
ان يعمر ذاوهما نائبة عن ان وان مع الفعل
في تأويل المصدر وهو مفعول يود أي يود أحدهم
تعمير ألف سنة (والله بصير بما يعملون)
أي يعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء
يعقوب (قل من كان عدوا لجبريل) بفتح الجيم
وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم والهمز
مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا
همز غيرهم ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة

السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى علي شيء وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من سأله (ق) عن أبي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم وقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي اذا دعان) أي اسمع دعاء عبدي الداعي اذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن العبد يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا وهو يعلم ان له ربا باخلاص وتضرع أجاب الله دعوته فان قلت انا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداعي وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم قلت ذكر العلماء فيه أجوبة احدها ان هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الآخرة وثالثها ان معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعي اذا وافق القضاء أو اجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو اجيبه اذا لم يسأل اثما أو محالا ورابعها ان معناها عام أي اسمع وهو معنى الاجابة المذكورة في الآية واما اعطاء الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله وخامسها ان للدعاء آدابا وشرائطا وهي أسباب الاجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم وقوله تعالى (فليستجيبوا لي) يعني اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم والاجابة في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطاء (وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) أي لكي يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

(فصل في فضل الدعاء وآدابه) ق عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وبأنه حق على ما يليق به ونكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق بها على هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين أخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله أكثر أخرجه الترمذي قوله الله أكثر معناه الله أكثر اجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا

(تفسير النسفي)

ومعناه عبد الله لان جبر هو العبد بالسريانية وايل اسم الله روي ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاج النبي عليه السلام وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى أي ذنب تقتلونه (فانه نزله) فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) أي حفظه اياك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الأمين على قلبك وكان حق الكلام ان يقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به وانما استقام ان يقع فانه نزله جزاء للشرط لان تقديره ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبريل فليمت غيظا فانه نزل الوحي على قلبك (باذن الله) بأمره (مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) رد على اليهود حين قالوا ان جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل فانه ينزل بالهدى والبشرى أيضا (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) بصري وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر اذ التغاير

ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وله عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وله عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم مالم يعجل بقوله قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر أي يستنكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله ليعزم المسئلة أي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سبب نزول هذه الآية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلي العشاء الاخيرة أو يرقد قبلها فاذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيئة اني رجعت الى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث الى نسائكم كلام يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) أي سكن لكم (وأنتم لباس لهن) أي سكن لهن قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون أحد الزوجين الى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم (وعفا عنكم) أي محا ذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الآية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر (فالآن باشروهن) أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب الله لكم) أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

(سورة البقرة)
في الوصف بنزل منزلة التغاير في الذات (فان الله عدو للكافرين) أي لهم جاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر كعداوة الانبياء ومن عاداهم عاداه الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المتمردون من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى اهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في (أوكلما) للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما (عاهدوا عهدا نبذه) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بل أكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول (وراء ظهورهم) مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه (كأنهم لا يعلمون) انه كتاب الله (واتبعوا ما تتلو الشياطين) أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأها (على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن

الخيط الابيض من الخيط الاسود) نزلت فى صرمة بن قيس بن صرمة الانصارى و يقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل فى أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع الى أهله بتمر وقال لأهله قدمى الطعام فأرادت المرأة ان تطعمه شيئا سخنا فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد أعيى من التعب فايقظته فكره ان يعصى الله و رسوله وأبى ان يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أتى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا أبا قيس مالك أمسيت طليحا فذكر له حاله واغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقوله طليحا أى مهزولا مجهودا (خ) عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا فى ليالى الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطين لان كل واحد منهما يبدو فى الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

السدف اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء (ق) عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط احدهم فى رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده (من الفجر) فعلموا انه انما يعنى الليل والنهار (ق) عن عدى بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت انظر فى الليل فلا يتبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا اعمى لا ينادى حتى يقال له اصبحت أصبحت واعلم ان الفجر الذى يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر فى الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت ان القدر الذى يبدو من البياض هو اول الصبح يكون رقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا اشبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو فى الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا فى الافق مستطيرا (م) عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعنى معترضا وفى رواية الترمذى لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير فى الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثانى وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان أحدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثانى لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية فى ان الصوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى (ثم أتموا الصيام

سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الجن والانس والريح (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به (ولكن الشياطين) هم الذين كفروا) باستعمال السحر وتدوينه ولكن الشياطين بالرفع شامى وحمزة وعلى بالتخفيف (يعلمون الناس السحر) فى موضع الحال أى كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به اغواءهم واضلالهم (وما أنزل على الملكين) الجمهور على ان ما بمعنى الذى وهو نصب عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ما تتلو أى واتبعوا ما أنزل على الملكين (ببابل هاروت وماروت) علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ان كان فيه رد ما لزم فى شرط الايمان ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ أبو منصور الماتريدى رحمه الله القول بأن السحر على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته فان كان فى ذلك رد ما لزم فى شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر الذى هو كفر يقتل عليه الذكور لا الاناث وما ليس بكفر وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوى فيه المذكر والمؤنث وتقبل توبته اذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فان سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل أنزل أى قذف فى قلوبهما مع النهى عن العمل قيل انهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بنى آدم فكانا يحكمان فى الارض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا ورآهما انسان

الى الليل) أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أجاب أصحاب الشافعي عنه بأن هذا انما ورد فى بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ماروى عن عائشة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شئ قلنا لا قال فانى اذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلت يارسول الله اهدى لنا حيس قال أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) الاعتكاف هو الاقبال على الشئ والملازمة له على سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى أهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه الآية ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه

(فصل فى حكم الاعتكاف) الاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى ومالك وأحمد يجوز فى سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون فى المساجد الا ان المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان *فروع* الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعى ماروى عن ابن عمر قال يارسول الله انى نذرت فى الجاهلية ان اعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فأوف بنذرك أخرجاه فى الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم فى الليل *الفرع الثانى* لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى وأقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى وأحب أن يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف فان أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبى حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس *الفرع الثالث* الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسد به واما مادون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان أنزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول أبى حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها يناولها رأسه زاد فى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان أخرجاه فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى (تلك حدود الله) يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشئ الوصف المحيط

(سورة البقرة)

فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان منكوسين فى جب ببابل وسميت بابل لتبلبل الالسن بها (وما يعلمان من احد) وما يعلم الملكان احدا (حتى يقولا) حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له (انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر الذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون والضمير لما دل عليه من احد أى فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين بان يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند اهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه (وما هم بضارين به) بالسحر (من احد الا باذن الله) بعلمه ومشيئته (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) فى الآخرة وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التى تجر الى الغواية (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به انفسهم) باعوها وانما نفى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى لان معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم لا يعلمون (ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى

بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تقربوها) أي فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت في الآية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام و بعضها فيه اباحة و بعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الاشكال الثاني هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية أخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وفي آية أخرى ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (يبين الله آياته) أي معالم دينه وأحكام شريعته (للناس) مثل هذا البيان الشافي الوافي (لعلهم يتقون) أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله عز وجل (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له وأصل الباطل الشيء الذاهب

(فصل) اما حكم الآية فأكل المال بالباطل على وجوه الاول ان يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني ان يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن أخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكام) أي وتلقوا أمور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال أخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا أن أقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما (ق) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما أنا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون أبلغ من بعض وفي رواية ألحن بحجته من بعض فأحسب انه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها قوله سمع جلبة خصم يعني اصوات خصم قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أي أقوم بها منه وأقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لتأكلوا فريقا) أي طائفة وقطعة (من أموال الناس بالاثم) يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأنتم تعلمون) يعني انكم على الباطل قوله عز

لاثيبوا من عند الله ما هو خير واورث الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيه من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو بمعنى التمني كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره (واسمعوا) واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكون سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا (وللكافرين) ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (عذاب أليم) مؤلم (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (من خير من ربكم) من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة (والله يختص برحمته من يشاء) يعني انهم يرون انفسهم احق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء (والله ذو الفضل العظيم) فيه اشعار بان ايتاء

وجل (يسألونك) أي يا محمد (عن الاهلة) نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسألونك عن الاهلة وكان هذا سؤالا منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تغيير حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هي مواقيت للناس) جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل دينهم وآجالهم وعدد النساء وأوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (والحج) أي وللحج وانما أفرد الحج بالذكر وان كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فأبطل الله ذلك من فعلهم وأخبر أن الحج مقصور على الاشهر التي عينها الفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب تفعل بالنسيء (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) (ق) عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل أبواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وفي رواية كانوا اذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد منه وان كان من أهل الوبر دخل وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا الا ان كانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت أحمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيئا وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي فقال الانصاري وأنا احمسي يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها (ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) يعني في حال الاحرام وغيره (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبي موسى الاشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة أمر بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية

النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل (ما ننسخ من آية أو ننسها) تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه أعني اليهود ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصا أو دلالة وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب وننسأها مكي وأبو عمرو اي نؤخرها من نسأت أي أخرت (نأت بخير منها) أي نأت بآية خير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب (أو مثلها) في ذلك (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) أي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ (وما لكم من دون الله من ولي) يلي أمركم (ولا نصير) ناصر يمنعكم من العذاب بل (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) روي أن قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا أرض مكة فنهوا

السيف ناسخة لهذه الآية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى اليكم السلام (م) عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا أي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الآية لا تعتدوا أي لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) قوله عز وجل (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) أي حيث وجدتموهم وأدركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله تعالى أمر بالجهاد في الآية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني ان شركهم بالله أشد وأعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم وانما جعل أعظم من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) اختلف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد وجماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) أي فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأمر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعني لما سلف (رحيم) يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (وقاتلوهم) أي وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان أهل الكتاب معهم كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر باصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ (فان انتهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلا عدوان) أي فلا سبيل (الا على الظالمين) قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزاء الظالمين

أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا الها (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) ان يردوكم (من بعد ايمانكم كفارا) حال من كم أي يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا الى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم (حسدا) مفعول له أي لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير (من عند أنفسهم) يتعلق بودّ أي ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أي من بعد علمهم بأنكم على الحق أو بحسدا أي حسدا متبالغا منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بأمره) بالقتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير في (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه

ظلما على سبيل المشاكلة وسمى الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها قوله عز وجل (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت فى عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت (والحرمات) جمع حرمة وانما جمعت لانه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتم حتى قضيتموها على زعمهم فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص (فمن اعتدى عليكم) أى بالقتال (فاعتدوا عليه) أى فقاتلوه (بمثل ما اعتدى عليكم) سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) قوله عز وجل (وأنفقوا فى سبيل الله) يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فأمر به والانفاق هو صرف المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذى والنسائى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم الى التهلكة والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن الانفس وقيل الباء على أصلها وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم أو مشقص ولا يقول أحدكم لا أجد شيئا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا يلقى نفسه فى التهلكة وهو انه يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الآية فى ترك الجهاد (م) عن أبى عمران واسمه اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال أيها الناس انكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وانما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقال حديث غريب صحيح مات ابو أيوب فى آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن فى أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه (تلك أمانيهم) أشير بها الى الامانى المذكورة وهى أمنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم ان يردوهم كفارا وأمنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم والامنية أفعولة من التمنى مثل الاضحوكة (قل هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء فى معنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله أجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) أى على شئ يصح ويعتد به والواو فى (وهم يتلون الكتاب) للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم انهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذى سمعت به (قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) أى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شئ وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى بين اليهود

من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى الآية أنفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا أنفسهم هالكين بالانفاق (خ) عن حذيفة قال انفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة (وأحسنوا) أى بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل احسنوا فى الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا وانهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه واحسنوا فى أداء فرائض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) أى يثيبهم على احسانهم قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من أهلك لهما لا للتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

(فصل) واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا (م) عن أبى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى أصحهما انها واجبة وهو قول على وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثانى انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وأبو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روى فى حديث الضبى بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على وانى أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائى بأطول من هذا وجه الدليل انه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد باهداء فى وجوبهما عليه لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها كقرينتها فى كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة أخرجه النسائى والترمذى وزاد وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام وكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هى قال لا وأن تعتمر واخير لكم أخرجه الترمذى وأجيب عنه بأن هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من أدنى الحل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج فى تلك السنة وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويأتى بأعمالها فاذا فرغ من أعمالها احرم بالحج من مكة فى تلك السنة وانما سمى تمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا فى أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة فى أشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا فى الافضل فذهب مالك والشافعى الى ان الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد بالحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكل فريق منهم من النصارى بما يقسم العقاب اللائق به (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام واظلم خبره والمعنى أى أحد اظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان أى من ان يذكر وان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط فى الظلم والسبب فيه طرح النصارى فى بيت المقدس الاذى ومنعهم الناس ان يصلوا فيه او منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام لان الحكم ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول فيه الاخنس ابن شريق (وسعى فى خرابها) بانقطاع الذكر والمراد من العموم كما اريد العموم بمساجد الله (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) حال من الضمير فى يدخلوها أى على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وروى انه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الا متنكرا خيفة ان يقتل وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا انهك ضربا ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم

أهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته ان يعتمر فى غير اشهر الحج أخرجه مالك فى الموطا وذهب الثورى وأبو حنيفة الى ان القران أفضل يدل عليه ماروى عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا وفى رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا أخرجاه فى الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع أفضل يدل عليه ماروى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهما معاوية أخرجه الترمذى (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذى الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شئ حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليتحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجع الى أهله وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شئ ثم خب ثلاثة أطواف من السبع ومشى أربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أشواط ثم لم يحلل من شئ حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شئ حرم منه وفعل مثل مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدى من الناس اختلفت الروايات فى حجة النبى صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا أو متمتعا أو قارنا وهى ثلاثة أقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم فى حجته صلى الله عليه وسلم انه كان أولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة فى صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى فى كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا فى ذلك فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه أمر به واذن فيه ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه أمر ببنائها وكما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى الافراد واحتج فى ترجيحه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية فى حجة الوداع على غيرهم فأما جابر فهو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانما سمعه يلبى بالحج وأما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير فى أصح القولين وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعى والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى (فان أحصرتم) أصل الحصر فى اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة فى الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر

(سورة البقرة)

ان تؤذوا رسول الله (لهم فى الدنيا خزى) قتل
وسبى للحربى وذلة بضرب الجزية للذمى (ولهم
فى الآخرة عذاب عظيم) أى النار (ولله المشرق
والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب كلها له
وهو مالكها ومتوليها (فأينما) شرط (تولوا)
مجزوم به أى ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى
تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
فولوا وجوهكم شطره والجواب (فثم وجه الله)
أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا
منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او فى بيت
المقدس وقد جعلت لكم الارض مسجدا
فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا
التولية فيها فان التولية ممكنة فى كل مكان
(ان الله واسع عليم) أى هو واسع الرحمة يريد
التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن
ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافر
على الراحلة أينما توجهت وقيل عميت القبلة
على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما أصبحوا
تبينوا خطأهم فعذروا وهو حجة على الشافعى
رحمه الله فيما اذا استدبر وقيل فأينما تولوا للدعاء
والذكر (وقالوا اتخذ الله ولدا) يريد الذين قالوا
المسيح ابن الله وعزير ابن الله قالوا شامى فاثبات
الواو باعتبار انه قصة معطوفة على ما قبلها
وحذفه باعتبار انه استئناف قصة أخرى
(سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما فى
السموات والارض) أى هو خالقه ومالكه
ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافى الملك
(كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شئ منهم على
تكوينه وتقديره والتنوين فى كل عوض عن
المضاف اليه أى كل ما فى السموات والارض
أو كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون
عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا

واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر فهو محصر فان حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى أنهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك ههنا ومن احصرك وقال أحمد بن يحيى أصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس أقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وأما قوله فان أحصرتم فمحمول على الأمرين وبحسب اختلاف أهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة أخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لأبي هريرة وابن عباس فقالا صدق أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى أنه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لأن كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضا سياق الآية وهو قوله فاذا أمنتم والأمن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي وأحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدي) ومعنى الآية فان احصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لأنه أقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة الى أنه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله) أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله يعني حيث يحل ذبحه وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخاري قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا أن تضطروا الى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (ففدية) فيه اضمار تقديره فحلق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال أتؤذيك

(تفسير النسفي)

لهم وجاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا (بديع السموات والارض) أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق اليه يقال له ابدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لانه يأتي في دين الاسلام ما لم يسبقه اليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم (واذا قضى أمرا) أي حكم أو قدر (فانما يقول له كن فيكون) هو من كان التامة أي احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباء واكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فأنى يتصور التوالد ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ كن لانه امر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق بين ان يقال واذا قضى امرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان امرا فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أي لقوم

هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام او أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة لا أدرى باى ذلك بدأ وفى رواية قال فى نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به اذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك وذكر نحوه وفى أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفى أخرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى ان الوجع بلغ منك ما أرى او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت فى خاصة وهى لكم عامة ومعنى قوله تعالى ففدية (من صيام) أى صوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يعنى اطعام ثلاثة أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أو نسك) واحدتها نسيكة أى ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح أو صام او تصدق وكل هدى أو اطعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث احصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء قوله تعالى (فاذا أمنتم) يعنى من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا أمنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) قال ابن الزبير معناه فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام المقبل وقيل معناه فاذا أمنتم وقد أحللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى السنة القابلة فى أشهر الحج ثم احللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من أفق من الآفاق فى اشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالا حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزأه عند الشافعى كدم الجبرانات ولا يجزئه ذبحه عند أبى حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها ان يقدم العمرة على الحج الثانى ان يحرم بالعمرة فى اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى فقد شئ منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعى فلا يجوز أن يأكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم فى ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولى الشافعى وقيل بل يصوم بعد أيام التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعى (وسبعة اذا رجعتم) يعنى وصوموا سبعة أيام اذا رجعتم الى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعى فلو صام قبل الرجوع الى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ فى الرجوع فعلى هذا يجزئه أن يصوم السبعة ايام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع الى أهله وبه قال ابو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل أن يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم الله ان العشرة بكمالها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم

يصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا ارسلناك بالحق بشيرا) للمؤمنين بالثواب (ونذيرا) للكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيرا وبشيرا وبالحق أى وغير مسؤل أو مستأنف قراءة نافع ولا تسأل على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن احوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل ابواى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم فى الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم (قل ان هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) أى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه ما هو هدى انما هو هوى الا ترى الى قوله (ولئن اتبعت اهواءهم) أى اقوالهم التى هى اهواء وبدع (بعد الذى جاءك من العلم) اى من العلم بان دين الله هو الاسلام اومن الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنوا اهل الكتاب وهو التوراة والانجيل أو اصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن (يتلونه) حال مقدرة منهم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائه ونصب على المصدر (حق تلاوته) أى يقرؤنه حق قراءته فى الترتيل واداء الحروف والتدبر والتفكر أو يعملون به

الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا محتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي أكملوها ولا تنقصوها (ذلك) أي هذا الحكم الذي تقدم (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) قيل حاضر والمسجد الحرام هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضر والمسجد الحرام أهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من أهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضر والمسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى أقرب مذكور وهو لزوم الهدي أو بدله على المتمتع وهو الآفاقي فأما المكي اذا تمتع أو قرن فلا هدي عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم أمرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى أمصاركم والشاة تجزي فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال أبو مسعود الدمشقي هذا حديث غريب ولم أجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من أجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما أخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله) أي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل (الحج أشهر معلومات) يعني أشهر الحج أشهر معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من أشهر الحج وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة ابن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهي احدى الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهي الرواية الأخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الأهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الآية وهي قوله

تعالى

(تفسير النسفي)

ويؤمنون بما في مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبرا آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي أنعمتها عليكم (وأني فضلتكم على العالمين) وتفضيلي اياكم على عالمي زمانكم (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون والجمل الاربع وصف ليوما أي واتقوا يوما لا تجزي فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم وختم قصة بني اسرائيل بما بدأ به (واذ) أي واذكر اذ (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغائب جميعا فلذا تجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فأتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة

تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدّم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها . فان قلت انما قال أشهر الحج بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند أبي حنيفة وعشرة أيام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوّال وذو القعدة وذو الحجة بكماله (فمن فرض فيهن الحج) يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرّد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب أن تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال أبو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرّد النية حتى تنضم اليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شئ الى النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في أشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي وأحمد واسحاق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وأبو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدّم الجواب عنه وقوله تعالى (فلا رفث) قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقلت أترفث وانت محرم فقال ان الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان أمر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وأمر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج أسمج وافظع

المشهورة خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ثلاثون سهما من الشرائع عشر في براءة التائبون الآية وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هي مناسك الحج (قال اني جاعلك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به أي يأتمون بك في دينهم (قال ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي اماما يقتدى به ذرية الرجل أولاده ذكورهم واناثهم وفيه سواء فعيلة من الذرء أي الخلق فابدلت الهمزة ياء (قال لا ينال عهدي الظالمين) بسكون الياء حمزة وحفص أي لا تصيب الامامة أهل الظلم من ولدك أي اهل الكفر اخبر ان من ولده الامامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من اولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر وقالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس باهل للامامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل ان يكون ولده نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمنا) وموضع امن فان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجئ الى الحرم (واتخذوا

منه في غيره (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع أفعال العباد من الخير والشر لفائدة وهي أنه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره وشهره واذا علم منه الشر ستره وأخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين وأكرم الأكرمين (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا أفلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما أفضى بهم الحال الى النهب والغصب فأنزل الله وتزودوا أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الأعشى

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

(واتقون) أي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله (يا أولي الألباب) يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الأمور وقوله عز وجل (ليس عليكم جناح) أي حرج (ان تبتغوا فضلا من ربكم) يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا قال الأزرقي هي بأسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة أيام من آخر ذي القعدة وثمانية أيام من أول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن أبي امامة التيمي قال كنت رجلا أكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت له يا أبا عبد الرحمن اني رجل أكري في هذا الوجه وان أناسا يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذي وقال بعض العلماء ان التجارة ان أوقعت نقصا في أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التي الأولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لأن الحج بدون التجارة أفضل وأكمل وقوله تعالى (فاذا أفضتم) أي دفعتم والافاضة دفع بكثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لأن كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي

(تفسير النسفي)

(وقلنا اتخذوا منه) من مقام ابراهيم مصلى) وعنه عليه السلام انه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل) أمرناهما (ان طهرا بيتي) بفتح الياء مدني وحفص أي بان طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها (للطائفين) للدائرين حوله (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع اليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة (والركع السجود) والمصلين جمع راكع وساجد (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا) أي اجعل هذا البلد وهذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقولك ليل نائم أو آمنا من فيه فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له (وارزق أهله من الثمرات) لأنه لم يكن لهم ثمرة ثم أبدل (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) من أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص المؤمن به قال الله تعالى جوابا له (قال ومن كفر) أي وأرزق من كفر (فأمتعه قليلا) تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا الى حين أجله فأمتعه شامي (ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) المرجع الذي يصير اليه النار فالمخصوص بالذم محذوف

اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان ابراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية ولبى من
أبى أمره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع
حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه
وكبر وطار فلما رأى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى أتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه
فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع
عرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم
رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه اجمع أي تفكر هل هذه الرؤيا من
الله تعالى أم من الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من
الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة من
العرف وهو الطيب وسميت منى لما يمنى فيها من الدماء أي يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون
الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج ولا يتم
الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة
ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت
ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر
يوم عرفة الى طلوعه من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع من
عرفات وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة (ق) عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة
يا رسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة
فصلى المغرب ثم أناخ كل انسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى
(فاذكروا الله عند المشعر الحرام) سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج وأصل الحرام
المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه مالم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى
وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله
بذلك لان الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة
والاول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول
الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء
قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله
فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو
الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (ق) عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان رديف
النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل
النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع
الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل
القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث
ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كانوا في الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان
تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله تعالى أحكام
الجاهلية فأخر الافاضة من عرفة الى ما بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى ما قبل طلوعها
وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل أيها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير

(سورة البقرة)
محذوف (واذ يرفع) حكاية حال ماضية
(ابراهيم القواعد) هي جمع قاعدة وهي
الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة
ومعناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها
لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
(من البيت) بيت الله وهو الكعبة (واسماعيل)
هو عطف على ابراهيم وكان ابراهيم يبني
واسماعيل يناوله الحجارة (ربنا) أي يقولان
ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال
وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها
قائلين ربنا (تقبل منا) تقربنا اليك ببناء هذا
البيت (انك انت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا
ونياتنا وفي ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
تفخيم لشأن المبين (ربنا واجعلنا مسلمين لك)
مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله او
مستسلمين يقال اسلم له واستسلم اذا خضع
واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك
(ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (أمة
مسلمة لك) ومن للتبعيض او للتبيين وقيل
أراد بالامة أمة محمد عليه السلام وانما خصا
بالدعاء ذريتهما لانهم أولى بالشفقة كقوله
تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وأرنا مناسكنا)
منقول من رأى بمعنى ابصر أو عرف ولذا لم
يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج
أو عرفناها وواحد المناسك منسك بفتح السين
وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك
وارنا مكي قاسه على فخذ في فخذ وأبو عمرو يشم
الكسرة (وتب علينا) ما فرط منا من التقصير
أو استتبنا بالذرية (انك أنت التواب الرحيم)
(ربنا وابعث فيهم) في الامة المسلمة (رسولا منهم)
من انفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام
قال عليه السلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى

أى ندفع للنحر يقال أغار اذا أسرع ودفع فى عدوه (خ) عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى (واذكروه كما هداكم) أى اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء فى من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن غير مذكور وقيل ترجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذى أنزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس وفى المخاطبين بهذا قولان أحدهما انه خطاب لقريش قال أهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأمرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع وأخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتى عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم فى دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثانى انه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله ان يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسى بالياء وقال هو آدم عهد اليه فنسى ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى والنحر وأراد بالناس ابراهيم واسمعيل وأتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها فى قوله فاذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذى عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فاذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت أجيب عن هذا الاشكال بأن فيه تقديما وتأخيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم فى قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو أى وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل أسامة بن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو أشد من المشى والفجوة الفرجة وهو المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها (خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير السريع الشديد وقوله تعالى (واستغفروا الله) أى من مخالفتكم فى الموقف وجميع

(تفسير النسفى)

ويقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس (انك انت العزيز) الغالب الذى لا يغلب (الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استفهام بمعنى الجحد وانكار ان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الامن) الضمير فى يرغب فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من (سفه نفسه) أى جهل نفسه أى لم يفكر فى نفسه ووضع سفه موضع جهل وعدى كما عدى أو معناه سفه فى نفسه فحذف فى كما حذف من فى قوله واختار موسى قومه أى من قومه وعلى فى قوله ولا تعزموا عقدة النكاح أى على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة (ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين) بيان لخطأ رأى من رغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة فى طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه وانتصب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله (له ربه اسلم) ادعن أو أطع أو أخلص دينك لله (قال أسلمت لرب العالمين) أى أخلصت أو انقدت (ووصى) وأوصى مدنى وشامى (بها) بالملة أو بالكلمة وهى أسلمت لرب العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو معطوف على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا (يابنى)

ذنوبكم (ان الله غفور رحيم) يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لأنه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل (فاذا قضيتم مناسككم) أي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى (فاذكروا الله) يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحدهم كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام أمرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فأمرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكرا) أي بل أشد ذكرا وقيل أو بمعنى الواو أي وأشد ذكرا أي وأكثر ذكرا للآباء لانه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي أشد من غضبك لوالديك اذا شتما (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) يعني ان المشركين كانوا يسألون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم ان أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان أعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لان من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث (وما له في الآخرة من خلاق) أي وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب

(ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) يعني المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصروا في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين فلذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن

(سورة البقرة)

على اضمار القول (ان الله اصطفى لكم الدين) أي اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي أو متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية كأنه قيل أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذ قال) بدل من اذ الاولى والعامل فيهما شهداء او ظرف لحضر (لبنيه ما تعبدون) ما استفهام في محل النصب بتعبدون أي أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء وهو سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب (من بعدي) من بعد موتي (قالوا نعبد الهك واله آبائك) اعيد ذكر الاله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار (ابراهيم واسماعيل واسحاق) عطف بيان لآبائك وجعل اسماعيل من جملة آبائه وهو عمه لان العم أب قال عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص أي نريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد او جملة معطوفة على نعبد أو جملة

وأهلا وما الا فقد أوتى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ أو تسأله اياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود (أولئك) اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وماله فى الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا أى لكل فريق من هؤلاء (لهم نصيب) أى حظ (مما كسبوا) يعنى من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كسب ودعا (والله سريع الحساب) ذكروا فى معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية فى قلوبهم بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر ووصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق فى أقل من لمحة البصر وروى انه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة أو ناقة وقيل فى معنى كونه تعالى سريع الحساب أى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون فى الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه شئ من ذلك لانه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل فى معنى الآية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كائن وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة قوله عز وجل (واذكروا الله) يعنى بالتوحيد والتعظيم والتكبير فى أدبار الصلوات وعند رمى الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (فى أيام معدودات) يعنى أيام التشريق وهى أيام منى ورمى الجمار سميت معدودات لقلتهن وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادى عشر من ذى الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعى وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول على بن أبى طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبى حنيفة (م) عن نبيشة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر فى هذه الايام التكبير (خ) عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه وفى مجلسه وفى ممشاه فى تلك الايام جميعا وفى رواية انه كان يكبر فى قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الاسواق حتى ترتج منى أخرجه البخارى بغير اسناد وأجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمى الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمى بها فى جميع ايام التشريق واجمعوا أيضا على ان التكبير فى عيد الاضحى وفى هذه الايام فى أدبار الصلوات سنة واختلفوا فى وقت التكبير فقيل يبتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول فى خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعى فى أصح أقواله قال الشافعى لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج

(تفسير النسفى)

اعتراضية مؤكدة (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون (أمة قد خلت) مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا فكما ان أولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم (ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيئاتهم (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى وجزم (تهتدوا) لانه جواب الامر (قل بل ملة ابراهيم) بل نتبع ملة ابراهيم (حنيفا) حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق (وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فأنتم على الباطل (آمنا بالله وما أنزل الينا) أى القرآن (وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر ويعدى أنزل بالى وعلى فلذا ورد هنا بالى وفى آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم) اى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد فى معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه (ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب ان يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره

قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدأ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدأ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال احمد بن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وان كان محرما كبر عقب سبعة عشر صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه يكبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق وقوله تعالى (فمن تعجل في يومين) أي من تعجل النفر الاول وهو في الثاني من أيام التشريق (فلا اثم عليه) أي فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالي أيام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله (ومن تأخر فلا اثم عليه) يعني ومن تأخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا اثم عليه في تأخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة ذلك اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها والرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تأخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة تامة وقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة أحدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس سيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه تعالى قال فتعجلوا او تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله (واتقوا الله) اى في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات (واعلموا انكم اليه تحشرون) اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن أختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال اني ساخنس بكم

فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم والباء يعود الى زيادة الباء عبير عزيز قال الله عز وجل والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها وقيل المثل زيادة الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها يؤيده قراءة ابن مسعود أي فان آمنوا بما آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل رضى الله عنه بما آمنتم به وقيل الباء للاستعانة قراءة ابي بالذي آمنتم به أي فان دخلوا في الايمان كقولك كتبت بالقلم أي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فانما هم في شقاق) أي فما هم الا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم وقد انجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعضهم ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم ووعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صبغة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار اغرس

فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحياة الدنيا يعنى أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا (ويشهد الله على مافى قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد فى الخصومة (واذا تولى) أى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق (سعى فى الارض) أى سار ومشى فى الارض (ليفسد فيها) يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين (ويهلك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى أى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة وأجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك لانه قد يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشئ وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) أى خف الله فى سرك وعلانيتك (أخذته العزة بالاثم) أى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بأن يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه وأصل العزة المنعة والتكبر (فحسبه جهنم) أى كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من أسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم أعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها (ولبئس المهاد) أى الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد أحد (خ) عن أبى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثرهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا أنزل فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى اذا اجتمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى

(تفسير النسفى)

كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام (ومن أحسن من الله صبغة) تمييز أى لا صبغة احسن من صبغته يريد الدين أو التطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل فى مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذى ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام (قل أتحاجوننا فى الله) اى اتجادلوننا فى شأن الله واصطفائه النبى من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا فى انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعنى ان العمل هو اساس الامر وكما ان لكم اعمالا فلنا كذلك (ونحن له مخلصون) اى نحن له موحدون نخلصه بالايمان وانتم به مشركون والمخلص احرى بالكرامة واولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالتاء شامى وكوفى غير ابى بكر وام على هذا معادلة للهمزة فى اتحاجوننا يعنى اى الامرين تأتون المحاجة فى حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء او منقطعة اى بل اتقولون غيرهم بالياء وعلى هذا لا تكون الهمزة الا منقطعة (ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم امر نبيه عليه السلام ان يقول مستفهما رادا عليهم بقوله (قل أأنتم اعلم أم الله) يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن اظلم

وفي يده الموسى فقال أتخشين مني أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترون أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلما ✽ على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ✽ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا وأخبرهم الفدفد الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عالجوه أي مارسوه وأرادوه أنهم يخدعونه ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الإنسان والممزع المفرق والظلة الشيء الذي يظل من فوق الإنسان والدبر جماعة النحل والزنابير وقال أهل التفسير إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا أصلب خبيبا حيا فقال اللهم إنك تعلم أنه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك إلا عتوا فطعنه فأنفذه فذلك قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب محمدا عندنا الآن مكانك يضرب عنقه وإنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى أتيا التنعيم ليلا فإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نشاوى رهم نيام فأنزلاه عن خشبته فإذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فأخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض وقال الزبير ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان ضاريان يدفعان عن أشبالهما إن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم فانصرفوا إلى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله حين شريا أنفسهما بإنزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وإنما نسب إلى الروم لأن منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وإنما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن

(سورة البقرة) (ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له في أنها صفة لها (وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) كررت للتأكيد ولأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الأحلام وأصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء أو المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم (ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة لأن المصلي يقابلها (قل لله المشرق والمغرب) أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له (يهدي من يشاء) من أهلها (إلى صراط مستقيم) طريق مستو أي يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه إليها والأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة وطورا إلى البيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده (وكذلك جعلناكم)

المسيب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لا تصلوا الي او أرمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيما نزلت هذه الآية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل وأخذته العزة بالاثم قال وأنا اشري نفسي لله فقاتله وكان علي كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الآية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن أي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضاة الله أي طلب رضا الله (والله رؤف بالعباد) أي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته انه يقبل توبة عبده ومن رأفته ان نفس العباد وأموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وامرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا فترى أن نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم اتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ما وسعه الا اتباعي قوله اتتهوكون اي تتحيرون انتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية أي لا تحتاج الى شيء وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بأجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة ابن اليمان في هذه الآية للاسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع أثره (انه لكم عدو مبين) يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد فان الله

(تفسير النسفي)

ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا اجر بالكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القريب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب (أمة وسطا) خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الامم او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنى وعيسى بأنه ولد الزنى (لتكونوا شهداء) غير مصرف لمكان ألف التأنيث (على الناس) صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا

هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك وأما الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة فان قلت كيف يصح وصف الشيطان بانه مبين مع انا لانراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ماهي فكانه بين وان لم يشاهد (فان زللتم) أى ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد ما جاءتكم البينات) أى الدلالات الواضحات (فاعلموا ان الله عزيز) أى في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شئ (حكيم) يعنى انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في الدين قوله عز وجل (هل ينظرون) أى ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الا ان يأتيهم الله في ظلل) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمى غماما لانه يغم و يستر وقيل هو شئ غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض (والملائكة) أى وتأتيهم الملائكة وروى الطبرى في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام أهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث بن سعد وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته * ولا ذاته شئ عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأثرها * واخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا * وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثانى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه اجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من اصحاب النظر على انه تعالى منزه عن المجئ والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجئ والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلابد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجئ الآيات مجيئا لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسر في آية أخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحسنات والعقاب فحذف ما يأتى به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتى به كان أسهل عليهم في باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون في بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان

اجتمعوا على شئ وشهدوا به لزم قبوله وأخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) أى وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فالتى كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هى ثانى مفعولى جعل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ثم حول الى الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أى وما جعلنا القبلة التى تجب ان تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرجع فيرتد عن الاسلام عند تحويل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أى لنعلم كائنا أو موجودا ما قد علمناه انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل ما أراد وجوده انه يوجد في الوقت الذى شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل بانه موجود كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا فاذا صار موجودا يدخل تحت علمه الازلى فيصير معلوما له موجودا كائنا والتغير على المعلوم لا على العلم أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لان العلم به يقع التميز أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فلنلقه في النار لنعلم أيذوب (وان كانت) أى التحويلة أو الجعلة أو القبلة وان

يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها (وقضي الأمر) أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الأمور) أي الى الله تصير أمور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ما أضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل (سل بني اسرائيل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم (كم آتيناهم من آية بينة) أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لأنها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهده اليهم فلم يفوا به (فان الله شديد العقاب) يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك انه لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم ان لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لأن قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة (ويسخرون من الذين آمنوا) يعني ان الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم (والذين اتقوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أي فوق الكفار (يوم القيامة) لأن الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيته وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار

(تفسير النسفي)

(لكبيرة) اي لثقيلة شاقة هي المخففة واللام في خبر كان فارقة (الا على الذين هدى الله) اي هداهم الله فحذف العائد اي الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاة ايمانا لان وجوبها على أهل الايمان وقبولها من أهل الايمان وأداؤها في الجماعة دليل الايمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال (ان الله بالناس لرؤف) مهموز مشبع حجازي وشامي وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لموافقة لابراهيم ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس (قبلة ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (فول وجهك) اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة (شطر المسجد الحرام) أي نحوه وشطر نصب على الظرف (وحيثما كنتم) من الارض

وقت على باب السار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس يعطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطى والله عنى عالم بما يعطى ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشاء و يبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا محاسب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطى الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطى أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب قوله عز وجل (كان الناس امة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعث الله النبيين) وجملتهم مائة الف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم في القرآن باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعني بالثواب لمن أطاع وآمن (ومنذرين) يعني مخوفين بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان أولى بالتقديم (وأنزل معهم الكتاب) أي الكتب أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد الكتاب (بالحق) أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشرة صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب أو النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فيما اختلفوا فيه) أي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعدما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) اي في الحق (الا الذين أوتوه) اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا

(سورة البقرة)

وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين (من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) بالياء مكي وأبو عمرو ونافع وعاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) اراد ذوي العناد منهم (بكل آية) برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق (ما تبعوا قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة وان كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) اى من بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام (انك اذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في الظاهر للنبي عليه السلام والمراد أمته ولزم الوقف على الظالمين اذ

الكتاب بعدما منهم وحسدا (من بعد ما جاءتهم البينات) اى الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) اى انهم لم يبق لهم عذر فى العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) اى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب والمعنى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود و بعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائى يعنى يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف (باذنه) يعنى بعلمه وأمره وارادته (والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) قوله عز وجل (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة) نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة فى أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم بأيدى المشركين وآثروا رضى الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر قوم النفاق فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى أظننتم أيها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أى شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أى أصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضراء) يعنى المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أى وحركوا بأنواع البلايا والرزايا وأصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى فى الشدة فلما بلغ بهم الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر قيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم فى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان يأتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء

(تفسير النسفي)

(الذين آتيناهم الكتاب) صفة للظالمين وهو مبتدأ او الخبر (يعرفونه) أى محمدا عليه السلام او القرآن او تحويل القبلة والاول اظهر لقوله (كما يعرفون أبناءهم) قال عبد الله بن سلام انا أعلم به منى بابنى فقال له عمر ولم قال لانى لست أشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه (وان فريقا منهم) أى الذين لم يسلموا (ليكتمون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) ان الله تعالى بينه فى كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربك) واللام للجنس أى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه اهل الكتاب فهو الباطل او للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر مبتدا محذوف أى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال (فلا تكونن من الممترين) الشاكين فى انه من ربك (ولكل) من اهل الاديان المختلفة (وجهة) وقبلة وقرئ بها والضمير فى (هو) لكل وفى (موليها) للوجهة أى هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او هو لله تعالى أى الله موليها اياه وهو مولاها شامى أى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى ولكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا الخيرات) فاستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره (أينما تكونوا) انتم واعداؤكم (يأت بكم الله جميعا) يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهى الجهة المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها الى جهة

الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله عز وجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يارسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل أو كثر (فللوالدين) وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود (والاقربين) وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لايقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم (واليتامى) وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لايقدرون على الاكتساب ولا لهم أحد ينفق عليهم (والمساكين) وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظروا الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الاية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الاية فمن أحب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الاية فيقدم الاول فالاول بقى فى الاية سؤال وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفق فأجيبوا ببيان المصرف وأجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لاتعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لاتعد صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء فى حكم الاية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الاية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب ويكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ماروى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلماء قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه قعد قال الله تعالى وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الاية على ثلاثة أقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى (وهو كره لكم) أى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لانهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل

حاضرى المسجد الحرام (ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت) واحدة وكانكم تصلون ومن أى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المأمور به (للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون) وبالياء أبو عمرو (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أى قد عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج فى القبلة بما قد بين فى قوله ولكل وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة فى خلاف ما فى التوراة من تحويل القبلة واطلاق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أى لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ماترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التى هى قبلة ابراهيم واسماعيل ابى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم ثم استأنف منبها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى (ولأتم نعمتى عليكم) أى عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى الكعبة (ولعلكم تهتدون) ولكى تهتدوا الى قبلة ابراهيم الكاف فى (كما

انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشئ شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل (وعسى ان تحبوا شيئا) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم (والله يعلم) يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال أمر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال قوله عز وجل (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تأتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى أصحابه معه وكانوا ثمانية رهط ولم يتخلف عنه أحد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفي العير عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا رأوه محلوقا أمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محصن ثم أشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا قوم عمار فلا بأس علينا وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين وأسر الحكم وعثمان بن كيسان وكانا أول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فأعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وأبى ان يأخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا صنعتم ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس

أرسلنا فيكم) اما ان يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده أي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولا منكم) من العرب (يتلو عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن (ويزكيكم ويعلمكم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة والفقه (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) ما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي (فاذكروني) بالطاعة (اذكركم) بالمغفرة او بالثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص والخلاص او بالمناجاة والنجاة (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائي (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر) فيه تنال كل فضيلة (والصلاة) فانها تنهى عن كل رذيلة (ان الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله) نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا (اموات) أي هم اموات (بل احياء) أي هم احياء (ولكن لا تشعرون) لا تعلمون ذلك لان حياة الشهيد لا تعلم حسا عن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون على ما انتم عليه من الطاعة أم لا (بشئ) بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم ان رحمته معهم في كل حال واعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا انفوسهم

في الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعقبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية واما تفسير الآية فقوله تعالى يسألونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا وسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما انهم المسلمون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطؤا أم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني ان السائلين هم المشركون وانما سألوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد (قتال فيه كبير) أي عظيم مستكبر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها (وصد عن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الاسلام من يريده (وكفر به) أي بالله (والمسجد الحرام) أي وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم الله أهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين (أكبر عند الله) أي أعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام (والفتنة) أي الشرك الذي أنتم عليه (أكبر من القتل) يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعهم اياهم من البيت (ولا يزالون) يعني مشركي مكة (يقاتلونكم) يعني يا معشر المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعني الى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق على وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) اي بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند أبي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم (وأولئك أصحاب النار) يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك ان أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض

(سورة البقرة)

عليها (من الخوف) خوف الله والعدو (والجوع) أي القحط أو صوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) بموت المواشي أو الزكاة وهو عطف على شئ أو على الخوف أي وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب (والثمرات) ثمرات الحرث أو موت الاولاد لان الولد ثمرة الفؤاد (وبشر الصابرين) على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وطفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شئ يؤذي المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما بعده بيان للصابرين (اذا أصابتهم مصيبة) مكروه واسم فاعل من اصابته شدة أي لحقته ولا وقف على مصيبة لان (قالوا) جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين (انا لله) اقرار له بالملك (وانا اليه راجعون) اقرار على نفوسنا بالهلاك (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا واذعنوا للامر قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة أي الصلاة والرحمة والاهتداء (ان الصفا والمروة) هما علمان للجبلين

المسلمين ان لم يكونوا أصابوا فى سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أى فارقوا اماكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا مساكنة المشركين فى امصارهم ومجاورتهم فى ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعنى المشركين فى سبيل الله أى فى طاعة الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أى يطمعون فى نيل رحمة الله أخبرانهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع فى اصل الثواب واغا دخل الظن فى كميته ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أى الذنوب عباده (رحيم) بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه مالم يعلموا به قوله عز وجل (يسألونك عن الخمر والميسر) الآية نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله هذه الآية واصل الخمر فى اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل أى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول فى تحريم الخمران الله عز وجل أنزل فى الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها فى أول الاسلام وهى لهم حلال ثم نزلت بالمدينة فى جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى آخر السورة فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر فى اوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعنى وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد ابن أبى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقى رجلا من الانصار وبيده ناضح له والانصارى يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة * فلم ير حى مثلنا فى المعاشر
فاحياؤنا من خير احياء من مضى * وامواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الانصارى مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الآية التى فى المائدة الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شئ اشد من الخمر (ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وانى لقائم اسقى ابا طلحة وأبا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا أنس فا

(من شعائر الله) من اعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت) قصد الكعبة (او اعتمر) زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان (فلا جناح عليه) فلا اثم عليه (ان يطوف بهما) أى يتطوف فادغم التاء فى الطاء واصل الطوف المشى حول الشئ والمراد هنا السعى بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا فى الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه ليس بركن كما قال مالك والشافعى رحمهما الله تعالى وكذا قوله (ومن تطوع خيرا) أى ومن تطوع بالطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلى ان يتطوع فادغم التاء فى الطاء (فان الله شاكر) مجاز على القليل كثيرا (عليم) بالاشياء صغيرا أو كبيرا (ان الذين يكتمون) من احبار اليهود (ما أنزلنا) فى التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام (والهدى) الهداية الى الاسلام بوصفه عليه السلام (من بعد ما بيناه) او ضحناه (للناس فى الكتاب) فى التوراة لم يدع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (الا الذين تابوا) عن الكتمان وترك الايمان (واصلحوا) ما أفسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم (وبينوا)

سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرحل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوح المشدوخ والمكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

(فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها) اجتمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر ان رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شئ من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وان مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج أحدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه قصة عن أنس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها أخرجه الترمذي

(فصل في احكام تتعلق بالخمر) وفيه مسائل* الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام لما روي عن أبي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على ان الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وأبواب من ابواب الربا أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا أخرجه ابو داود وزاد في رواية والذرة واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا (خ) عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث

(سورة البقرة)

(فأولئك أتوب عليهم) اقبل توبتهم (وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيامة قال الله تعالى كلما دخلت أمة لعنت اختها (خالدين) حال من هم في عليهم (فيها) في اللعنة أو في النار الا انها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة (والهكم اله واحد) فرد في الوهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها (لا اله الا هو) تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى في الآية على ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد على الاول ورفع (الرحمن الرحيم) أي المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شئ سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه على انه خبر مبتدا او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما عجب المشركون من اله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) في اللون والطول والقصر وتعاقبهما في الذهاب والمجئ (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس ومن في (وما انزل الله من السماء) لابتداء الغاية وفي (من ماء) لبيان الجنس لان ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على انزل (فأحيا به) بالماء

قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باده وهو اسم للخمر بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها أو في غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه ابو داود والمفتر كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وأبو داود عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع تسعة عشر رطلا بالبغدادي وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بانه معارض بما روي عن السائب ابن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسأل عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روى عنه في الباذق وقوله والسكر من كل شراب قد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب وأما حديث أبي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده حيث قال عن أبي بردة وانما يرويه سماك عن القاسم عن أبي بريدة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث أبي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان أحدا تابعه عليه من أصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي * المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر * الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشئ المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها * المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها * اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام أخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير أي فليقطعها قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء عن أبي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذي وقال وقد روي عن أنس ان أبا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو أصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

(تفسير النسفي)

(الارض بعد موتها) بيبسها ثم عطف على فاحيا (وبث) وفرق (فيها) في الارض (من كل دابة) هي كل ما يدب (وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي أي وتقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب (والسحاب المسخر) المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء (بين السماء والارض) في الهواء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الاشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (ومن الناس) أي ومع هذا البرهان النير من الناس (من يتخذ من دون الله اندادا) امثالا من الاصنام (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له أي يحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم كحب المؤمنين الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) من المشركين لآلهتهم لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له (ولو يرى) ترى نافع وشامي على خطاب الرسول او كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما (الذين ظلموا) اشارة الى متخذي الانداد (اذ يرون) يرون شامي (العذاب ان القوة لله جميعا) حال (وان الله شديد العذاب) شديد عذابه أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه

(فصل) وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية وأصل الميسر ان أهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوءم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها أنصباء فللفذ سهما وللتوءم سهمين وللرقيب ثلاثة أسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح
انما سهمي وغد * ومنيح وسفيح

ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين الاصحاب لبخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شئ فيه قمار فهو من الميسر روي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شئ فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر أم لا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في دم خنزير أخرجه مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله أخرجه ابو داود وعن علي بن أبي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب أبي حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن أو بغير رهن ومذهب الشافعي أنه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وبروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيهما) يعني في الخمر والميسر (اثم كبير) أي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك آثام كبيرة منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه آثام كثيرة (ومنافع للناس) يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها وأما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة (واثمهما أكبر من نفعهما) يعني اثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يترتب عليها آثام كبيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع (كذلك يبين الله لكم

(سورة البقرة)
للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا اذ وضعها البدل على الماضي وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي (اذ تبرأ) مدغمة الذال في التاء حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل من اذ يرون العذاب (الذين اتبعوا) أي المتبوعون وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع (ورأوا العذاب) الواو فيه للحال أي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (بهم الاسباب) الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب (وقال الذين اتبعوا) أي الاتباع (لو أن لنا كرة) رجعة الى الدنيا فنتبرأ نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ (منهم كما تبرؤا منا) الآن (كذلك) مثل ذلك الاراء العظيم (يريهم الله أعمالهم) أي عبادتهم الاوثان (حسرات عليهم) ندامات وهي مفعول ثالث ليريهم ومعناه ان اعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم (وما هم بخارجين من النار) بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على انفسهم البحائر ونحوها (يا أيها الناس كلوا) أمر اباحة (مما في الارض) من للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول (حلالا) مفعول كلوا او حال مما في الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه التي يدعوكم اليها بسكون الطاء أبو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر والخطوة في الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن بسنته

الآيات) أي يبين لكم الأمور التي سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل (ويسألونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويسألونك عن اليتامى (قل اصلاح لهم خير) أي اصلاح أموال اليتامى من غير أخذ أجرة ولا عوض خير لكم أي أعظم أجرا وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تخالطوهم) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة أي شاركوهم في أموالهم واخلطوها بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم أو تكافئوهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضا (والله يعلم المفسد من المصلح) يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم وأصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عزيز حكيم) أي غالب يقدر أن يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم قوله عز وجل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) نزلت في أبي مرثد بن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابي تتبرم واستعانت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي ان أتزوجها فأنزل الله هذه الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادة والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل انها تدل على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهم من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم أن الله تعالى واحد فهو

(تفسير النسفي)

(انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به وابان متعد ولازم ولا يبادئ هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرا فانه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم اعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد (وان تقولوا) في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبان تقولوا (على الله ما لا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل نتبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله (أولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم (لا يعقلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال (ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) البهائم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر كما تفهم

مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى (ولامة مؤمنة خير) يعني أنفع وأصلح وأفضل (من مشركة) يعني حرة (ولو أعجبتكم) يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أنكح أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة أي لاتزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اي اصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بالمشرك (ولعبد مؤمن خير من مشرك) يعني حرا (ولو أعجبكم) بحسنه وماله وجماله (أولئك يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى بين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (باذنه) أي بتيسير الله وارادته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه واحكامه (لعلهم يتذكرون) أي فيتعظون قوله عز وجل (ويسألونك عن المحيض) (م) عن أنس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه (قل هو أذى) أي هو شئ قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شئ (فاعتزلوا النساء في المحيض) أي فاجتنبوا مجامعتهن (ولا تقربوهن) يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض (حتى يطهرن) يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أي اغتسلن من حيضهن (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال ابن عباس طؤهن في الفرج ولا تعدوا الى غيره فانه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن في غير المأتي وقيل فأتوهن من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات

(فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل) الاولى أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو

العقلاء والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدأ مضمر أي هم صم (بكم) خبر ثان (عمي) عن الحق خبر ثالث (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال بقوله (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته أو من حلالاته (واشكروا لله) الذي رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه معطي النعم ثم بين المحرم فقال (انما حرم عليكم الميتة) وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفي ما عداه أي ما حرم عليكم الا الميتة (والدم) يعني السائل لقوله في موضع آخر أو دما مسفوحا وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (ولحم الخنزير) يعني الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل (وما أهل به لغير الله) أي ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله واصل الاهلال رفع الصوت أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى (فمن اضطر) أي الجئ بكسر النون بصري وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعني النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء (غير باغ) للذة وشهوة (ولا عاد) متعد مقدار الحاجة حال أي فأكل غير باغ وقول من قال غير باغ على الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس بالحضر يبيح بلا سفر ولان بغيه لا يخرجه عن الايمان فلا يستحق الحرمان والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع لان الاباحة للاضطرار فتقدر بقدر ما تندفع الضرورة (فلا اثم عليه) في الاكل (ان الله غفور) للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ

عالما بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني انه تجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما أحمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم * المسئلة الثانية أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بازار في فور حيضها ثم يباشرها وأيكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وانا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شئ أوله وابتداؤه وقولها يملك اربه يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت اني حائض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مضفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعني ناداها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض * المسئلة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لان حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روى عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية انت قلت لست بحرورية ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين * المسئلة الرابعة لا يرتفع شئ مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانه اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب أبو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله عز وجل (نساؤكم حرث لكم) الآية (ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود تقول من أتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فأوحى الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شأن

(تفسير النسفي)

(رحيم) حيث يتناول الميتة عند الاضطرار وتغيير هم نعت النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) في صفة محمد عليه السلام (ويشترون به ثمنا قليلا) أي عوضا أو ذا ثمن (أولئك ما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم تقول أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال يأكلن كل ليلة اكافا أي ثمن اكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم او ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم (ولهم عذاب أليم) ولهم لغرف النفي مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبران والجمل الثلاث معطوفة على خبران فقد صار لان أربعة اخبار من الجمل (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) بكتمان نعت محمد عليه السلام (فما اصبرهم على النار) فأي شئ أصبرهم على عمل يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) أي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) أي في الكتاب (في الكتاب) هو للجنس أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل اهل الكتاب (لفي شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى (ليس البر أن تولوا) أي ليس البر توليتكم (وجوهكم قبل المشرق والمغرب) والخطاب لاهل الكتاب لان قبلة

أهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك اشق ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا و يتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستقبلات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى أمرهما أى ارتفع وعظم وتفاخم وأصله من سرى البرق اذا لج في اللمعان عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم في صمام واحد ويروى سمام بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج (فأتوا حرثكم انى شئتم) يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه لقى سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا باتيان النساء في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وأنكره أصحابه واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في أدبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره وقوله تعالى (وقدموا لانفسكم) يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان أحدكم اذا أراد ان يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد أبر الله قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (واتقوا الله) أى احذروا ان تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه (واعلموا انكم ملاقوه) اى صائرون اليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم (وبشر المؤمنين) يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شئ فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشئ وقيل العرضة الشدة

(سورة البقرة)

وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة النصارى مشرق فرد عليهم بان البر ليس فيما انتم عليه فانه منسوخ (ولكن البر) بر (من آمن بالله) أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والاول اجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضى وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه أن تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء (واليوم الآخر) أي يوم البعث (والملائكة والكتاب) اى جنس كتب الله او القرآن (والنبيين وآتى المال على حبه) أى على حب الله او حب المال او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه (ذوى القربى) اى القرابة وقدمهم لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك صدقة وصلة والمراد الفقراء من ذوى القربى (واليتامى) والمساكين (والمساكين) المسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو وان كان مفرد اللفظ وجعل ابنا للسبيل لملازمته له أو الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفي الرقاب) وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او في فك الاسارى (وأقام الصلاة) المكتوبة (وآتى الزكاة) المفروضة قيل هو تأكيد للاول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم اذا عاهدوا) الله

والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشئ فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر
والتقوى يدعى أحدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فيعتل بيمينه فى ترك البر
والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا
ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى
غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثر والحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين
فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه (والله سميع) أى لحلفكم (عليم) يعنى بنياتكم
قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به
وهو الذى يورد لا عن روية وفكر واللغو فى اليمين هو الذى لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على
سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى ويعضده ما روى عن عائشة قالت نزل قوله تعالى
لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم فى قول الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخارى موقوفا ورفعه ابو داود
قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل فى يمينه كلا والله وبلى والله ورواه
عنها أيضا موقوفا وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف
ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك فى الموطأ أحسن ما سمعت فى ذلك ان
اللغو حلف الانسان على الشئ يتيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذى يحلف على
الشئ وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضى به أحدا او يعتذر لمخلوق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من ان تكون
فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشئ المباح له فعله ثم يفعله أو ان يفعله ثم لا يفعله مثل
ان يحلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف
الذى بين الشافعى وأبى حنيفة فى لغو اليمين ان الشافعى لا يوجب الكفارة فى قول الرجل لا والله وبلى
والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب
الشافعى هو قول عائشة والشعبى وعكرمة ومذهب أبى حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل فى معنى اللغو انه اليمين فى الغضب وقيل هو
ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أى لا يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أى
لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) يعنى لكن يؤاخذكم بما
عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

*(فصل فى بيان حكم الآية وفيه مسائل) *المسئلة الاولى *لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فأما
اليمين بالله فهو كقول الرجل والذى نفسى بيده والذى أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله
والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف
بشئ من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة *المسئلة الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى
وأبى ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت أخرجاه فى
الصحيحين *المسئلة الثالثة اذا حلف على أمر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على أمر ماض
ولم يكن أو على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد
فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهى من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم وتجب
فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة انه لا كفارة عليه فان كان عالما
فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين (والله غفور) يعنى لعباده فيما لغوا من أيمانهم التى أخبر
انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء آخذهم والزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الآجل (حليم) يعنى

او الناس (والصابرين) نصب على المدح
والاختصاص اظهارا الفضل الصبر فى الشدائد
ومواطن القتال على سائر الاعمال (فى البأساء)
الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة
(وحين البأس) وقت القتال (أولئك الذين
صدقوا) أى اهل هذه الصفة هم الذين صدقوا
فى الدين (وأولئك هم المتقون) روى أنه كان
بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن
الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جاء الله بالاسلام فنزل (يا أيها الذين آمنوا
كتب) أى فرض (عليكم القصاص) وهو
عبارة عن المساواة واصله من قص اثره واقتصه
اذا اتبعه ومنه القاص لانه يتبع الآثار
والاخبار (فى القتلى) جمع قتيل والمعنى
فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين
القتلى (الحر بالحر) مبتدأ وخبر أى الحر مأخوذ
او مقتول بالحر (والعبد بالعبد والانثى بالانثى) ولهذا
وقال الشافعى رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد
النص وعندنا يجرى القصاص بين الحر والعبد
والذكر والانثى كما بين الذكر
بقوله تعالى أن النفس بالنفس
وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ
دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر فى الانفس
بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا اقتلوا به وبان
تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل
يبقى الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد
ورد كما بينا (فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع
بالمعروف وأداء اليه باحسان) قالوا العفو ضد
العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه
واعرضت عن ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى
الجانى والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفو عن السيئات
واذا اجتمعا عدى الى الاول باللام فتقول عفوت

فى ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لايحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك فى معاصيه كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لايذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقى الناسك الذى يدعوه ويسأله وقال أبوسليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناءة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأنى الذى لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسائهم) يؤلون أى يحلفون والالية اليمين قال كثير

قليل الالايا حافظ ليمينه * وان سبقت منه الالية برت

والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما اذا قال والله لا أجامعك أو لا اباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امرأته شيئا فأبت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا أيما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وانزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امرأته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها أبدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى يعلم به ما عند الرجل فى المرأة اربعة اشهر وانزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أى انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاءوا) أى رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) للزوج اذا تاب من اضراره بامرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين (فروع) تتعلق بحكم الآية * الفرع الاول اذا حلف انه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هى أكثر من اربعة أشهر فهو مول فاذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفىء وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطء ان قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يف ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولى وذهب اليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى وأحمد واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثورى وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية * الفرع الثانى لو حلف ان لا يطأها أقل من اربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطئها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين * الفرع الثالث لو حلف ان لا يطأها أربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفىء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة * الفرع الرابع مدة الايلاء أربعة أشهر فى حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند أبى حنيفة تتنصف مدة الايلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما فى الطلاق * الفرع الخامس اذا وطئ خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاءوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط العقوبة عنه لا فى الكفارة وقوله تعالى (وان عزموا الطلاق) أى حققوه بالايقاع (فان الله سميع) يعنى لاقوالهم (عليم) يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيها العزم قوله عز وجل (والمطلقات) أى المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هى التى أوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى أصله فقيل

عفوت لكم عن صدقة له عن ذنبه ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفى له أى من ترك له القتل بالدية وقال الازهرى العفو فى اللغة الفضل ومنه يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمال اذا أفضلت له وأعطيته وعفوت له عن مالى عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفى له من جهة أخيه شئ من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما فى سير بزيد بعض السير والاخ ولى المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له وترك المفعول الآخر استغناء عنه وقيل عفا جى وترك المعفول الآخر استغناء عنه وقيل على أن وفى أقيم له مقام عنه والضمير فى له وأخيه ان وفى اليه للاخ أو للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة وليؤد اليه المطلوب أى القاتل بدل الدم أداء باحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شئ من العفو ليعلم انه اذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ومن فسر عفى بترك جعل شئ مفعولا به وكذا من فسره بأعطى يعنى ان الولى اذا أعطى له شئ من مال أخيه يعنى القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدا مضمر أى فالواجب اتباع (ذلك) الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية (تخفيف من ربكم ورحمة) فانه كان فى التوراة القتل لا غير وفى الانجيل العفو وغير بدل لا غير وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا والآية تدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولا استحقاق التخفيف والرحمة (فمن اعتدى بعد ذلك)

أصله الجمع من قرأ اى جمع لان فى وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أى لوقته الذى كان فيه لان الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما ان الاقراء هى الحيض روى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وأبى موسى وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء الاطهار وأنا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد ابن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة أيام أقرائك يعنى أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة الا أيام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امرأته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى أمر الله ان يطلق لها فأخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

فى كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفى الحى رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع اقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى أقصر وعند غيره أطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضى الله عنها اذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعى والنساء بهذا اعلم لان هذا مما يبتلى به النساء وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب أبى حنيفة لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق فى حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع فى حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص فى قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر فى صورة الامر وأصل الكلام وليتربص المطلقات فاخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بأنه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء يرحمك الله أخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

(فصل فى أحكام العدة) وفيه مسائل * المسئلة الاولى * عدة الحامل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء فى ذلك الحرة والامة * المسئلة الثانية * عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء فى ذلك الحائض والامة والآيسة * المسئلة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها * وهى ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهى ثلاثة اقراء الضرب الثانى الآيسات من الحيض اما الكبر او تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر واما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها * المسئلة الرابعة * عدة الاماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفى الاقراء قرءان لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الامة بحيضتين وقوله تعالى

(ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) قال ابن عباس يعنى الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وايجاب أداء الامانة فى الاخبار عما فى الرحم من الحيض أو الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك ادّ حقى ان كنت مؤمنا يعنى أن أداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذى تظلم ان

كنت

(تفسير النسفى)

التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية (فله عذاب أليم) نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفا للحياة وفى تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لان المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأى حياة أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين (يا أولى الالباب) يا ذوى العقول (لعلكم تتقون) القتل حذرا من القصاص (كتب) فرض (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى اذا دنا منه فظهرت امارته (ان ترك خيرا) مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له أراد ان يوصى وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال (الوصية للوالدين والاقربين) وفاعل كتب وكانت الوصية للوارث فى بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه فى شرح المنار وقيل هى غير منسوخة لانها نزلت فى حق من ليس بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديثى عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه وقرابته والاسلام قطع الارث وشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبا وعلى هذا الايراد بكتب فرض (بالمعروف) بالعدل وهو ان لا يوصى للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا (على المتقين) على

كنت مؤمنا فلا تطلق والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني انه لاجل الحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت في زوجها تقول اني حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن بأداء الامانة (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك) يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك أي في حال العدة فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان أرادوا اصلاحا) يعني ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (ولهن) يعني وللنساء على الازواج (مثل الذي عليهن) يعني للازواج (بالمعروف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر في ماله وعليه فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية اني أحب ان أتزين لامرأتي كما أحب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (م) عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانات الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم أخذتموهن بأمانات الله ويروى بأمانة وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا يأذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفراش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا شديدا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وأنفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بأمور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها (والله عزيز) أي غالب لا يمتنع عليه شيء (حكيم) أي في جميع افعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل (الطلاق مرتان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها حتى اذا اشارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الي ولا تحلين أبدا فأنزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مائة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا اطلقك

(سورة البقرة) (فمن بدله) من بين الذين يتقون الشرك ان كان موافقا للشرع من الايصاء عن وجهه (بعد ما سمعه) اي الايصاء من الاوصياء والشهود (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف (ان الله سميع) لقول الموصي (عليم) بجور المبدل (فمن خاف) علم وهذا شائع في كلامهم يقولون اخاف ان لا ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم (من موص) موص كوفي غير حفص (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية (أو اثما) تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم ثم من يبدل بالباطل اى من حضر وقيل هذا في حال حياة الموصي ونهاه عن ذلك وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي بما قال اولا (ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان (كما كتب) أي كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف (على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم فهو عبادة قديمة والتشبيه باعتبار ان كل احد له صوم ايام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد من كان قبلكم (لعلكم تتقون) المعاصي بالصيام لان الصيام اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين اذ الصوم شعارهم وانتصاب (اياما) بالصيام أى كتب عليكم ان تصوموا اياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم اى قلائل

فتبيني مني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قالت عائشة فاستأنف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الآية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا ان أبا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة (فامساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أو تسريح باحسان) يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها أدى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها (فروع) تتعلق بأحكام الطلاق * الفرع الاول * صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط * الفرع الثاني * الحر اذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها * الفرع الثالث * العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن) يعني أعطيتموهن (شيئا) يعني من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس ابن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسب الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني أكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت ان أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وأرته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال مالك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض أحب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله ولكني خشيت ان يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو قال ثابت أعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها أتردين عليه حديقته وتملكين أمرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا مال ولكني أكره الكفر في الاسلام قال عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة

(تفسير النسفي)

واصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير (فمن كان منكم مريضا) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة أي ذا فطر فعليه صيام عدد أيام فطره والعدة بمعنى المعدود أي أمر ان يصوم أياما معدودة مكانها (من أيام أخر) سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف واللام لان الاصل في فعلى صفة ان تستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية وفدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا (فمن تطوع خيرا) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حمزة وعلي (وان تصوموا) أيها المطيقون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وان تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه اشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط محذوف الجواب (شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر أو انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام أو هو بدل من الصيام أو

قولهما ما عتب عليه يعني ما أجد عليه والعتب الموجدة والحديقة البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما ان لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة ان تعصى الله في أمر زوجها ويخاف الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيئا مما اعطاها الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك أمرا ولا اطأ لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم الياء ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والوالي (فان خفتم) يعني فان خشيتم وأشفقتم وقيل معناه وان ظننتم (أن لا يقيما حدود الله) يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) أي لا جناح على المرأة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا اعطته المرأة طائعة راضية

(فصل) في حكم الخلع وفيه مسائل * الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الآية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة شيئا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سالت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شيء فاذا بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير به مالكة امر نفسها اولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية انه محمول على الاستثناء المنقطع * المسئلة الثانية * الخلع جائز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز أن يأخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذ دون ما اعطاها حتى يكون الفضل فيه وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا يتقيد بمقدار معين كما ان للمرأة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته * المسئلة الثالثة * اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد واسحاق وأبو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر مهرا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله أو تسريح باحسان وفائدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى (تلك حدود الله) يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام

خبر مبتدا محذوف اى هو شهر والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فان قلت ما وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع ان التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا قلت هو من باب الحذف لامن الالباس القران حيث كان غير مهموز مكي وانتصب (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) على الحال أي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل ذكر أولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) فعدة مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه عدة أي صوم عدة (يريد الله بكم اليسر) حيث اباح الفطر بالسفر والمرض (ولا يريد بكم العسر) ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا (ولتكملوا العدة) عدة ما أفطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة (ولتكبروا

الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وهو قوله (فلا تعتدوها) أي فلا تجاوزوها (ومن يتعد حدود الله) أي يجاوزها (فأولئك هم الظالمون) قوله عز وجل (فإن طلقها) يعني الطلقة الثالثة (فلا تحل له من بعد) أي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجا غيره) يعني حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها فبت طلاقي أي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انثه حملا له على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء مشددة وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لئن رجعت اليه لارجمنك قوله تعالى (فإن طلقها) يعني الزوج الثاني بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعني على المرأة والزوج الاول (أن يتراجعا) يعني بنكاح جديد (ان ظنا) أي علما وأيقنا وقيل ان رجوا لان أحدا لا يعلم ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقيما حدود الله) يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرعان الاول مذهب جمهور العلماء ان المطلقة الثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرائط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد لما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) يعني يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها (فبلغن أجلهن) أي قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر

(تفسير النسفي)

الله على ما هداكم ولعلكم (تشكرون) شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله أي لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه نزل (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا (أجيب دعوة الداع اذا دعان) الداعي دعاني في الحالين سهل ويعقوب ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك عبدي وهذا امر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخيرة له في غيره (فليستجيبوا لي) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني أجيبهم اذا دعوني لحوائجهم (وليؤمنوا بي) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغي كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه

وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة لنا الى المجاز (فامسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف) وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء (اوسرحوهن بمعروف) اى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا) أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضاروهن لتفتدي المرأة منه بمالها (لتعتدوا) أي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي ضر بنفسه بمخالفة أمر الله وتعريضها عذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا وفيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فكل من خالف أمرا من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني بالايمان الذي أنعم به الله عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي أنعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) أي واذكروا نعمته فيما أنزله عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن (يعظكم به) أي بالكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) يعني ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني عضل أخته جميلة وكانت تحت أبي القداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي أخت تخطب الي وأمنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فأنكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي أتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا أنكحتها لك أبدا ففي نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها أراد ان يرتجعها فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان

فأتى النبي عليه السلام واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك فنزل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) أي الجماع (الى نسائكم) عدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) وقيل لباس أي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وعفا عنكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن باشروهن) جامعوهن في ليالي الصوم وهو امر اباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل أو وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض) هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود (من الخيط الاسود) وهو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين ابيض واسود لامتدادهما (من الفجر) بيان ان الخيط الابيض من الفجر

يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة (ذلك) أى ذلك الذى ذكر من النهى (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى ان المؤمن هو الذى ينتفع بالوعظ دون غيره (ذلكم أزكى لكم وأطهر) يعنى انه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله (والله يعلم) يعنى ما فى ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لا تعلمون) يعنى ذلك قوله عز وجل (والوالدات) يعنى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن فى حكم الله الذى أوجبه وهذا الامر ليس أمر ايجاب وانما هو أمر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له أخرى هذا نص صريح فى ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل أحد مواساة المضطر فان رغبت الام فى ارضاع ولدها فهى أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين فى مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس فى رواية عكرمة اذا وضعت الوالدة لستة أشهر أرضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر أرضعته ثلاثا وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة أشهر أرضعته احدا وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال فى رواية الوالبى عنه هو حد لكل مولود فى أى وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق من الابوين فايهما أراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أى هذا منتهى الرضاع لمن أراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود له) يعنى الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم

وانما امهات الناس اوعية * مستودعات وللآباء أبناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه (رزقهن) أى طعامهن (وكسوتهن) أى لباسهن (بالمعروف) أى على قدر الميسرة (لا تكلف نفس الا وسعها) يعنى طاقتها والمعنى ان أبا الولد لا يكلف فى الانفاق عليه وعلى أمه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة (لا تضار والدة بولدها) يعنى لا ينزع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد اذا قبل الصبى لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولود له بولده) يعنى لا تلقى المرأة الولد الى أبيه وقد ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطى أم الولد أكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل منهما صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيتضرر

(تفسير النسفى)

بالامن غيره واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للآخر أو من للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما ان قولك رأيت أسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدى بن حاتم قال عمدت الى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت اليهما فلم يتبين لى الابيض من الاسود فأخبرت النبى عليه السلام بذلك فقال انك لعريض القفا أى سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض النهار وسواد الليل وفى قوله (ثم أتموا الصيام الى الليل) أى الكف عن هذه الاشياء دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفى الوصال وعلى وجوب الكفارة فى الاكل والشرب وعلى ان الجنابة لا تنافى الصوم (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها بين ان الجماع يحل فى ليالى رمضان لكن لغير المعتكف والجملة فى موضع الحال وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا فى المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد (تلك) الاحكام التى ذكرت (حدود الله) احكامه المحدودة (فلا تقربوها) بالمخالفة والتغيير (كذلك يبين الله آياته) شرائعه (للناس لعلهم يتقون) المحارم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكام) ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل فى حكم النهى يعنى ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتأكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من أموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو بالايمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بان

بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعني وعلى وارث أبي الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته واختلف في أي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فإن أرادا) يعني الوالدين (فصالا) يعني فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) أي على اتفاق من الوالدين في ذلك (وتشاور) أي يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة (فلا جناح عليهما) أي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم مراضع غير أمهاتهم اذا أبت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك أو اردن التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعني الى المراضع (ما آتيتم) يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما ارضعن (بالمعروف) أي بالاحسان والاجمال أمروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن (واتقوا الله) يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله عز وجل (والذين يتوفون) يعني يموتون (منكم) وأصل التوفي أخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان يعني قبض وأخذ (ويذرون) أي ويتركون (أزواجا) والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يتربصن) أي ينتظرن (بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا أبهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا أظهروا الايام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل ان هذه الايام ايام حزن ولبس احداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح أخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة أربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

(فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل) المسئلة الاولى * عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على هذا ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلما اغتسلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل

(سورة البقرة)

اقضي له ظالم وقال عليه السلام للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال ادلى دلوه أي ألقاه في البئر للاستقاء (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل (يسألونك عن الاهلة) جمع هلال سمي به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته (قل هي مواقيت للناس والحج) أي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج وان كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في رفع البر هنا لان الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة وهذه لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الا على خبر ليس (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج

عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال مالي أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حتى أمسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدالي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى باسا أن تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير أنه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها ان تعتد أربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن *(المسئلة الثانية)* يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ماهذا يا أم سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باي شيء امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك اخرجه ابوداود والنسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه أي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا أوقدها قوله تغلفين به رأسك أي تلطخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا لطخته بشيء فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها ابوسفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة أشهر وعشرا (م) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها أربعة اشهر وعشرا (ق) عن أم عطية قالت كنا نهى أن نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضتها في نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذي صبغ غزله قبل النسج قوله نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه أبوداود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع ان صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمضان اخرجه مالك في الموطا *(المسئلة الثالثة)* اختلفوا في أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة *(المسئلة الرابعة)* أجمع العلماء على ان

(تفسير النسفي)
من كسر الى ضم وكانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في خصلة واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويحتمل ان يكون ذلك فهذا وجه اتصاله بما قبله على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت الحج لانه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا او المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع افعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تفلحون) لتفوزوا بالنعيم السرمد (وقاتلوا في سبيل الله) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقيل هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة (ولا تعتدوا) في ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما او بالمثلة

هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة فى التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف) يعنى من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذى كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب ابى حنيفة على جواز النكاح بغير ولى بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب اصحاب الشافعى ان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولى لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن فى انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما تعملون خبير) يعنى أنه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير فى صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشئ وحقيقته من غير شك والخبير فى صفة المخلوقين انما يستعمل فى نوع من العلم وهو الذى يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) أى لوحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود أتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشئ بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهر وباطن (من خطبة النساء) يعنى المعتدات فى عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة فى العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك لصالحة وان غرضى التزويج وانى فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لى امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول انى أريد ان أنكحك أو اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن ابن عباس فى قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول انى أريد التزويج وان النساء لمن حاجتى ولوددت ان تيسر لى امرأة صالحة أخرجه البخارى وروى ان سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن على الباقر فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقدمى فى الاسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبنى فى العدة وأنت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهى فى عدة زوجها أبى سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فى يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (أو أكننتم) يعنى أضمرتم (فى أنفسكم) يعنى من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدى ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا حرج عليكم فى التعريض للمرأة فى عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل فى نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستذكرونهن) يعنى بقلوبكم لان شهوة النفس والتمنى لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشئ الشاق أسقط عنه الحرج (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا فى معنى هذا السر المنهى عنه فقيل هو الزنى كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنى ويقول لها دعينى فاذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتينى نفسك فانى ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان يخطبها فى العدة وقال الشافعى السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الا زعمت بسباسة القوم اننى * كبرت وان لا يحسن السر أمثالى

بسباسة اسم امرأة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى حيى كريم فكنى به عن

(سورة البقرة)

(ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم) وجدتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (واخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أى شركهم بالله اعظم من القتل الذى يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل المحنة والبلاء الذى ينزل بالانسان فيعذب به اشد عليه من القتل وقيل لحكيم ما أشد من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من الوطن من الفتن التى يتمنى عندها الموت (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) أى ولا تبدؤا بقتالهم فى الحرم حتى يبدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله (فان قاتلوكم فاقتلوهم) فى الحرم فعندنا يقتلون فى الاشهر الحرم لا فى الحرم الا ان يبدؤا بالقتال معنا حينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل فى الامكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداءة منهم كذا فى شرح التأويلات (كذلك جزاء الكافرين) مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلى (فان انتهوا) عن الشرك والقتال (فان الله غفور) لما سلف من طغيانهم (رحيم) بقبول توبتهم وايمانهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) شرك وكان تامة وحتى بمعنى كى او الى ان (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب أى لا يعبد دونه شئ (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين أو فلا تظلموا الا الظالمين

لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية أو لا تواعدوهن بالشئ الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية إن الله تعالى اذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة (الا أن تقولوا قولا معروفا) يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المرأة انه راغب في نكاحها (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي خافوه (واعلموا ان الله غفور حليم) لا يعجل بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله عز وجل (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الانصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء في الحديث ان أبغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق أروح من الامساك وقيل معناه لا حرج عليكم في تطليقهن قبل المسيس حائضا كانت المرأة أو طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول (ومتعوهن) أي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد (على الموسع) أي الغني الذي يكون في سعة من غناه (قدره) أي قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) أي الفقير الذي هو في ضيق من فقره (قدره) أي قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف (حقا) اي ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على المحسنين) يعني الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد ان يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

(فصل في بيان حكم الآية وفيه فروع) الاول اذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب عليه لها نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه *الفرع الثاني* المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو احدى الروايتين عن أحمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر *الفرع الثالث في قدر المتعة* قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة أو شئ من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت *متاع قليل من حبيب مفارق* وقال أبو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال أحمد في احدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر مخالف حال المعسر في ذلك* الفرع الرابع *ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بأن يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لهن فريضة) أي سميتم لهن مهرا

غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام) مبتدأ خبره (بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم أو زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم (واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر (وأنفقوا في سبيل الله) تصدقوا في رضاء الله وهو عام في الجهاد وغيره (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) اي انفسكم والباء زائدة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما أو عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد (واحسنوا) الظن بالله في الاخلاف (ان الله يحب المحسنين) الى المحتاجين (وأتموا الحج والعمرة لله) وادوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما

(فنصف ما فرضتم) أى فلهن نصف المهر المسمى مذهب الشافعى ان الخلوة من غير مسيس لاتوجب الانصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة فى المس باليد أو جعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسى ولا شرعى فالحسى نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعى قال شريح لم أسمع الله ذكر فى كتابه بابا ولاسترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر *فرع* لومات أحد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله تعالى (الا أن يعفون) يعنى النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المرأة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) فيه قولان أحدهما انه الولى وهو قول ابن عباس فى رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبى والنخعى والزهرى والسدى وبه قال الشافعى فى القديم ومالك والقول الثانى انه الزوج وهو قول على وابن عباس فى الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظى وهو قول أبى حنيفة والشافعى فى الجديد وأحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية الا ان تعفو المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرا صغيرة أو غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولى بشروط وهى ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولى أبا او جدا لان غيرهما لايزوج الصغيرة وعلى القول الثانى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبرى والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة ان تعفو ولا تطالب بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفى لها المهر كاملا وروى أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ولان المهر حق المرأة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هى الاصل والتأنيث فرع عنها والمعنى وعفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولا تنسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضكم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق (بصير) اى لايخفى عليه شئ من ذلك قوله عز وجل (حافظوا) اى داوموا وواظبوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام أركانها وفعلها فى أوقاتها المختصة بها (والصلاة الوسطى) تأنيث الاوسط ووسط كل شئ خيره وأعدله وقيل الوسطى يعنى الفضلى من قولهم للافضل أوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا

(فصل فى ذكر اختلاف العلماء فى الصلاة الوسطى) قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعى ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان على بن أبى طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك فى

(سورة البقرة)

لزمه اتمامهما وبه نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعى رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لانه امر باتمامها وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع او اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل واحد منهما سفرا او ان تنفق فيهما حلالا او ان لا تتجر معهما (فان أحصرتم) يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز وحصر اذا حبسه عدو وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عن المضى وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من عدو او مرض او غيرهما الظاهر النص وقد جاء فى الحديث من كسر او عرض فقد حل أى جاز له ان يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعى رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان الاحصار يتحقق فى العمرة ايضا لانه ذكر عقبهما (فما استيسر من الهدى) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فارفع بالابتداء أى فعليكم ما استيسر او نصب أى فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) الخطاب للمحصرين اى لاتحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه وهو الحرم وهو حجة لنا فى ان دم الاحصار لايذبح الا فى الحرم على الشافعى رحمه الله اذ عنده يجوز فى غير الحرم (فمن كان منكم مريضا) فمن كان منكم به مرض يحوجه الى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل او الجراحة (ففدية) فعليه اذا حلق فدية (من صيام) ثلاثة ايام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة

الموطا وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها * المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وأبي سعيد الخدري ورواية عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر * المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ٣ ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح (م) عن أبي يونس مولى عائشة قال أمرتني عائشة ان أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولانها تأتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر أي قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أي نقص وسلب أهله وماله فبقي فردا بلا أهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر

(تفسير النسفي)

الاحصار أي فاذا لم تحصروا
(فاذا أمنتم) استمتع
وكنتم في حال أمن وسعة (فمن تمتع) استمتع
(بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج
انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل انتفاعه بالتقرب
بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج (فما استيسر
من الهدى) هو هدي المتعة وهو نسك يؤكل
منه ويذبح يوم النحر (فمن لم يجد) الهدى
(فصيام ثلاثة ايام في الحج) فعليه صيام ثلاثة
ايام في وقت الحج وهو اشهره ما بين الاحرامين
احرام العمرة واحرام الحج (وسبعة اذا رجعتم) اذا
نفرتم وفرغتم من افعال الحج (تلك عشرة كاملة)
في وقوعها بدلا عن الهدي أو في الثواب أو
المراد رفع الايهام فلا يتوهم في الواو انها بمعنى
الاباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين
الا ترى انه لو جالسهما أو واحدا منهما كان ممتثلا
(ذلك) اشارة الى التمتع اذ لا تمتع ولا قران
لحاضري المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي
رحمه الله الى الحكم الذي هو وجوب الهدي
او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا (لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام) هم اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة (واتقوا الله) فيما امركم به
ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا أن الله شديد
العقاب) لمن لم يتقه (الحج) أي وقت الحج
كقولك البرد شهران (أشهر معلومات)
معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وهي
شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة
توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيئا من افعال الحج
لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رحمه
الله وعندنا وان انعقد لكنه مكروه وجمعت أي
الاشهر لبعض الثالث او لان اسم الجمع يشترك فيه
ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
(فمن فرض) الزم على نفسه بالاحرام (فيهن

فى السفر وهى وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء جبريل كان بها واذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هى الوسطى * المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شئ وانما ذكرها بعض المتأخرين وجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا يقصران وهما المغرب والصبح ولانها أثقل صلاة على المنافقين * المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هى احدى الصلوات الخمس لا بعينها الا ان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف عليها الصلاة الوسطى وليس فى الآية ذكر بيانها واذا كان كذلك أمكن ان يقال فى كل واحدة من الصلوات الخمس انها هى الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم على المحافظة على أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر فى شهر رمضان وأخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم فى جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن حافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال أرأيت لو علمتها بعينها أكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر وأصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى أعلم وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أى طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فى أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله فى صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن هو قانت ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم فى الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجاه فى الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام فى الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والمد فى الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن ان يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشئ أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا الا ناسيا قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) أى رجالة (أو ركبانا) يعنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو أو غيره فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على دوابكم مستقبلى القبلة وغير مستقبليها وهذا فى حال المقاتلة والمسابقة فى وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان أحدهما ان يكون فى حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم فى غير حال القتال وهو المذكور فى سورة النساء فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى فى موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعى انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومؤن بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلى الماشى بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبى صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به فى ذلك واحتج الشافعى لمذهبه بهذه الآية وأجيب عن تأخير النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بأنه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف

(فلا رفث) هو الجماع او ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش (ولا فسوق) هو المعاصى أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنابز بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق (ولا جدال فى الحج) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرأ ابو عمرو ومكى الاولين بالرفع فحملاهما على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف فى الحج ثم حث على الخير عقيب النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله تعالى (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) اعلم بانه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فنزل فيهم (وتزودوا) أى تزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم (فان خير الزاد التقوى) أى الاتقاء عن الابرام والتثقيل عليهم أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها (واتقون) وخافوا عقابى وهو مثل دعان (يا أولى الالباب) باذوى العقول يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ونزل فى قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداج وليسوا بالحاج (ليس عليكم جناح ان تبتغوا) فى ان تبتغوا فى مواسم الحج (فضلا من ربكم) عطاء وتفضيلا

الحاصل لافى القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو أو قصده سبع هائج أو غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة أمن فله ان يصلى صلاة شدة الخوف بالايماء فى حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة أخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصرى وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه قالوا يصلى فى حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعى ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن فى عدد الركعات فان كان الخوف فى الحضر وجب عليه ان يصلى أربع ركعات وان كان فى السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة فى حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتى بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة فى صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى صلاة الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى (فاذا أمنتم) يعنى من خوفكم (فاذكروا الله) أى فصلوا لله الصلوات الخمس تامة بأركانها وسننها (كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شئ فله الحمد على ذلك قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعنى يا معشر الرجال (ويذرون أزواجا) يعنى زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم وصية (متاعا الى الحول) أى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) أى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الآية فى رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه أبواه وامرأته وله أولاد فمات فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم أبويه وأولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وأمرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم فى ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبة فى مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت فى بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصى بذلك فدلت هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثانى ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ بآية الميراث فجعل لها الربع أو الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة فى التلاوة متأخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء وقوله تعالى (فان خرجن فلا جناح عليكم) يعنى يا معشر أولياء الميت (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) يعنى التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان أحدهما انه لا جناح عليكم فى قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثانى لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لان مقامها فى بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم فى بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك بأربعة أشهر وعشرا (والله عزيز) أى غالب قوى فى انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعنى فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام قوله عز وجل (وللمطلقات متاع بالمعروف) انما أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان فى تلك

(تفسير النسفى)

وهو النفع والربح بالتجارة والكراء (فاذا أفضتم) دفعتم بكثرة من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول (من عرفات) هى علم للموقف سمى بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتأنيث بل هى مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء (عند المشعر الحرام) هو قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وسميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها أى دنا منها أو لانه يجمع فيها بين الصلاتين أو لان الناس يزدلفون الى الله تعالى اى يتقربون بالوقوف فيها (واذكروه كما هداكم) ما مصدرية أو كافة أى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان مخففة من الثقيلة واللام فارقة (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) ثم لتكن افاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة قالوا هذا أمر لقريش بالافاضة من عرفات الى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهى الافاضة من جمع الى منى والمراد

الآية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم أرد لم أفعل فأنزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم أزواجكم أيها المؤمنون وكما عرفتكم أحكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك ابين لكم سائر أحكامي في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه صلاح حكم وصلاح دينكم انتهى قوله عز وجل (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا احزم منا رأيا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشأم فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي تأتيها بها وباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر أي ألم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل هؤلاء كما تقول الم تر الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه قوله تعالى (وهم ألوف) قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لان الله تعالى قال وهم ألوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع آلف والاول أصح قالوا فأتى عليهم مدة فبليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بأمر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان أمه كانت عجوز فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد ان اريك آية قال نعم يارب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل ان يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت ثم رجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة

(سورة البقرة) ويكون الخطاب بالناس على هذا الجنس للمؤمنين (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال الحج (ان الله غفور رحيم) بكم (فاذا قضيتم مناسككم) فاذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) أي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم والمعنى فاكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم (أو أشد ذكرا) أي أكثره وفي موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا (فمن الناس من يقول) فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول (ربنا آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى (وماله في الآخرة من خلاق) نصيب لان همه مقصور على الدنيا الكمرة والآخرة والمعنى اكثروا ذكر الله ودعاءه لان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا الاغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين وكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم (ومنهم) ومن الذين يشهدون الحج (من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) نعمة وعافية أو علما وعبادة (وفي الآخرة حسنة) عفوا ومغفرة أو المال والجنة أو ثناء الخلق ورضاء الحق أو الايمان والامان او الاخلاص والخلاص او السنة والجنة او القناعة والشفاعة او المرأة الصالحة والحور العين والعيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقنا عذاب النار) احفظنا من عذاب النار او عذاب النار أي المرأة السوء (أولئك) اي جهتهم اوعذاب ...

الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دنسا مثل الكفن حتى ماتوا الآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها التوجد اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم ما بعثوا فان قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون قوله الا الموتة الاولى عاما مخصوصا بمعجزات الانبياء أي الا الموتة الاولى التي ليست من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بامر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى (حذر الموت) أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (ان الله لذو فضل على الناس) يعني ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين اماتهم باحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) يعني ان اكثر من انعم الله عليه لا يشكره اما الكافر فانه لم يشكره اصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) قيل هو خطاب للذين أحيوا احياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك وفيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعني لما يقوله المتعلل عن القتال (عليم) بما يضمره قوله عز وجل (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح أو سيئ قال امية بن الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ✻ أو سيئا ومدينا كالذي دانا

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه الى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته ربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته فيدخل

(تفسير النسفي)

(لهم نصيب مما كسبوا) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا وهي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز ان يكون اولئك للفريقين اوان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة (واذكروا الله في ايام معدودات) هي ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار (فمن تعجل) فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق بقوله ومن تأخر (في يومين) من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلاثة (فلا اثم عليه) ولا يأثم بهذا التعجيل (ومن تأخر) حتى رمى في اليوم الثالث (فلا اثم عليه لمن اتقى) الصيد او الرفث والفسوق او هو مخير في التعجل والتأخر وان كان التأخر افضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما (واتقوا الله) في جميع الامور (واعلموا انكم اليه تحشرون) حين يبعثكم من

فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب حسنا يعنى محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة (فيضاعفه له) يعنى ثواب ما انفق (اضعافا كثيرة) قيل هو يضاعفه الى سبعمائة ضعف وقال السدى هذا التضعيف لا يعلمه الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود (والله يقبض ويبسط) قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر أنه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والانفاق في البر كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التى يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة (واليه ترجعون) يعنى فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل) الملأ اشراف القوم ووجوههم وأصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط (من بعد موسى) أى من بعد موت موسى أو من بعد زمنه (اذ قالوا) يعنى أولئك الملأ (لنبى لهم) اختلفوا فى ذلك النبى فقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وانما سمى شمعون لان أمه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائى وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل بن بال وقيل هو ابن هلقانى قيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبى بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب فى الجهاد وذلك حاصل * ذكر الإشارة الى القصة * كان سبب مسئلة أولئك الملأ لذلك النبى أنه لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده فى بنى اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده فى بنى اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بنى اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمرونهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقى بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبى يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسماعيل تقول سمع الله دعائى فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التوراة فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رأيتك تدعونى فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتنى فقال نم فان دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب

(سورة البقرة)

حلو المنطق اذا القيور كان الاخنس بن شريق لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله أنى صادق فيما قال فيه (ومن الناس من يعجبك قوله) يروقك ويعظم فى قلبك ومنه الشئ العجيب الذى يعظم فى النفس (فى الحياة الدنيا) فى يتعلق بالقول أى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة او يعجبك أى يعجبك حلو كلامه فى الدنيا الا فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة واللكنة (ويشهد الله على ما فى قلبه) أى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى فى لان افعل يضاف الى ما هو بعضه تقول زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره الد فى الخصومة أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير وهو اشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف فانه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم (ويهلك الحرث والنسل) أى الزرع والحيوان أو اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) واذا قيل له) للاخنس (اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة بالاثم) حملته النخوة وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه او الباء للسبب أى اخذته العزة من اجل الاثم الذى فى قلبه وهو الكفر (فحسبه

الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة باحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم (ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (ان لا تقاتلوا) يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل أن هنا زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل في سبيل الله (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم وانما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) في الكلام حذف وتقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الا قليلا منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى (والله عليم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو ليدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني اسرائيل الذي أمرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت أو ما علمت ان سبطي من ادنى اسباط بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه خلص عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فاتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شأن طالوت تملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب

(تفسير النسفي)

جهنم) أي كافيه (ولبئس المهاد) أي الفراش ونزل في صهيب حين أراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل (ومن الناس من يشري) يبيع (نفسه ابتغاء) لابتغاء (مرضاة الله والله رؤف بالعباد) حيث اثابهم على ذلك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) بفتح السين حجازي وعلي وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله واطيعوه أو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم (كافة) حال من الضمير في ادخلوا أي جميعا أو من السلم لانها تؤنث كانهم أمروا ان يدخلوا في الطاعات كلها أو في شعب الاسلام وشرائعه كلها وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وساوسه (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (فان زللتم) ملتم عن الدخول في السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) أي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يمنعه شيء من عذابكم (حكيم) لا يعذب الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن فانكره وقال ليس هذا من كلام الله اذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه اغراء عليه (هل ينظرون) ما ينتظرون (الا ان يأتيهم الله) أي امر الله وبأسه كقوله أو يأتي امر ربك فجاءها بأسنا أو المأتي به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز (في ظلل) جمع ظلة وهي ما اظلك (من الغمام) السحاب وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا

ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال (قال) يعني اشمويل النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أي فضيلة وسعة (في العلم) وذلك انه كان من اعلم بني اسرائيل وقيل انه أوحى اليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب (والجسم) يعني بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتي ملكه من يشاء) يعني ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعني ان الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شئ ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى (عليم) يعني انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) وذلك انهم سألوا اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار الى شيث ثم توارثه أولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم كان عنده الى أن مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله (فيه سكينة من ربكم) واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب هي ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا ساروا ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شئ فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء ابن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا وسكنوا اليه وهذا القول أولى بالصحة وعلى هذا كل شئ كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شئ يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) يعني موسى وهارون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فالمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هارون فقيل رضاض من الالواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا هرون وشئ من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه وعصا هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا

(سورة البقرة)

أنزل منه العذاب كان الامر افظع واهول (والملائكة) اي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم اوالمراد حضورهم يوم القيامة (وقضي الامر) اي وتم امر اهلاكهم وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) أي انه ملك العباد بعض الامور فترجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامي وحمزة وعلي (سل) اصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول اولكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة (بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم اومن آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية أو خبرية (ومن يبدل نعمة الله) هي آياته وهي أجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها أن الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أي وحرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها وصحت عنده لانه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها والله تعالى خالق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا (ويسخرون من الذين آمنوا) كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا) عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء (فوقهم يوم القيامة) لانهم في جنة

اذا اختلفوا في شئ تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عز وجل عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث ابناؤه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان منوط القربان الذي ينوطونه به كلابين فلما أخرجا كانا للكاهن الذي كان ينوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فأوحى الله الى اشمويل ان انطلق الى عيلي وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيئا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فأمر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيأوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل في التابوت قال أخذه العدو وكان عيلي قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسألوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره أصحاب الاخبار ان الذين أخذوا التابوت من بني اسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح الصنم ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شئ فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأرا فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مخرأة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها في ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين أربعة أملاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه (ان في ذلك لآية لكم) يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان في مجئ التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك لطالوت تأهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا الطاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود) اى خرج وأصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره أو مريض لمرضه أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان

عالية وهم في نار هاوية (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقتير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله حكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون احق بها منكم (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام من آدم الى نوح عليهما السلام أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا (فبعث الله النبيين) ويدل على حذفه قوله تعالى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا أو كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الاوجه (مبشرين) بالثواب للمؤمنين (ومنذرين) بالعقاب للكافرين وهما حالان (وانزل معهم الكتاب) أي مع كل واحد منهم كتابه (بالحق) متلبسا بالحق (ليحكم) الله او الكتاب او النبي المنزل عليه (بين الناس فيما اختلفوا فيه) في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه) في الحق (الا الذين أوتوه) أي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب (من بعد ما جاءتهم البينات) على صدقه (بغيا بينهم) مفعول له أي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه (من الحق) بيان لما اختلفوا فيه (باذنه) بعلمه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (أم حسبتم) أم منقطعة لا متصلة لان شرطها ان يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك أعندك زيد أم عمرو أي أيهما عندك وجوابه زيد ان كان عند زيد

المياه لا تفيدنا فادع الله ان يجرى لنا نهرا (قال) طالوت (ان الله مبتليكم بنهر) أى مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو أعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين (فمن شرب منه فليس منى) أى فليس من أهل دينى وطاعتى (ومن لم يطعمه) أى لم يذقه يعنى الماء (فانه منى) يعنى من أهل طاعتى (الا من اغترف غرفة بيده) قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم التى تحصل فى الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشربوا منه) يعنى من النهر (الا قليلا منهم) قيل هم أربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روى عن البراء بن عازب قال كان أصحاب محمد يتحدثون ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة أخرجه البخارى قيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كما أمره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزه هو) يعنى جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعنى أولئك القليل (قالوا) يعنى الذين شربوا من النهر وخالفوا أمر الله وكانوا أهل شك ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصى فلما رأوا العدو قال المنافقون (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فأجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون أهل الايمان وهم الثلاثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين ثم حين رأوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فأجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده (قال الذين يظنون) أى يستيقنون ويعلمون (انهم ملاقوا الله) أى ملاقوا ثواب الله ورضوانه فى الدار الآخرة (كم من فئة قليلة) الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى بقضاء الله وارادته (والله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة قوله عز وجل (ولما برزوا) يعنى طالوت وجنوده المؤمنين (لجالوت وجنوده) يعنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا) يعنى المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا أفرغ) أى اصبب (علينا صبرا وثبت أقدامنا) أى قو قلوبنا بالتثبت أقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزموهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ عليهم الصبر وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعنى بقضاء الله وارادته وأصل الهزم فى اللغة الكسر أى كسروهم وردوهم (وقتل داود جالوت) وكانت قصة قتله على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وكان يرمى بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيئا الا صرعته فقال له أبوه ابشر يا بنى فان الله تعالى قد جعل رزقك فى قذافتك ثم أتاه مرة أخرى فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبته وأخذت باذنيه فلم يهجنى فقال له أبوه ابشر يا بنى فان هذا خير يريده الله لك ثم أتاه يوما آخر فقال له يا أبتاه انى لامشى بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى فقال يا بنى ابشر فان هذا خير أعطاكه الله تعالى قالوا فأرسل جالوت الجبار الى طالوت ملك

أو عمرو ان كان عنده عمرو واما أم المنقطعة فتقع بعد الاستفهام و بعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة والتقدير بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر وما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيع الرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التى هى ابلغ أم حسبتم (ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم) أى ولم يأتكم وفى لما معنى التوقع يعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضوا أى حالهم التى هى مثل فى الشدة (من قبلكم) من النبيين والمؤمنين (مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم (البأساء) أى البؤس (والضراء) المرض والجوع (وزلزلوا) وحركوا بانواع البلايا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه من المؤمنين (متى نصر الله) أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم (الا ان نصر الله قريب) اجابة لهم الى طلبهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها نزل (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقد تضمن قوله ما أنفقتم من

بني اسرائيل ان ابرز الى أو ابرز اليك أو أبرز الى من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك فدعا الله فأتي بقرن فيه دهن القدس وبتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملأه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه أحد منهم فأوحى الله الى نبيهم ان في ولد يشا من يقتل جالوت فدعا طالوت يشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السواري فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال ليشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال يشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق أمعر مصفرا فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه فنش وفاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال أنا أرعى الغنم فيجيء الاسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة من الغنم فأقوم فأفتح لحييه عنها وأخرجها من قفاه فأخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر آخر فقال يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله ووضع الثلاثة في مخلاة فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فأعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شأنك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي لم يغن هذا السلاح عني شيئا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني أقاتل كما أريد قال نعم فأخذ داود مخلاته وتقلدها وأخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام فقال أتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وأنت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام أو يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم وأخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحاق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وأدار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى أصاب انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فأخذه داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال له اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا أكلفك الا ما تطيق أنت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في

(تفسير النسفي)

خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار (وهو كره لكم) من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها * فانما هي اقبال وادبار * كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فأنتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة (وعسى ان تحبوا شيئا) وهو القعود عن الغزو (وهو شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر (والله يعلم) ما هو خير لكم (وأنتم لا تعلمون) ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف (يسألونك عن الشهر الحرام) أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قل قتال فيه كبير) أي اثم كبير وقتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانها وصفت بفيه وأكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) أي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ (وكفر به)

ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه وأكثروا ذكره فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك
ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فأخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت
ابي قال وهل أجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى
تنظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فأتته به فوضعه
في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك
قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر
شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني
حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه أبوابه ثم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى
الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه
وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو
خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه فلما
كان من الليلة القابلة أتاه ثانيا فأعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق وضوئه وكوزه
الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى
ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي
في البرية فقال اليوم اقتله وركض في أثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فأوحى
الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان
دخل هنا لخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن
العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا
من العباد والعلماء حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها وقال لعلنا
نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس
وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ذلك
منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما رضيت ان قتلتنا حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فتوجع الخباز
الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلم لي توبة او تعلم في الارض عالما أسأله
عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله قال لا فتوثق منه باليمين فأخبره ان
تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها أسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قربا من الباب قال له
الخباز أيها الملك انها اذا رأتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه ألست تعلمين
حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل له من
توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما أفاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي
فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر
فخرج ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم أقامت القيامة قالت المرأة لا ولكن هذا
طالوت قد جاء يسألك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم أدع من الشر شيئا
الا فعلته وجئت أطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من
توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم
تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه
على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرأيتم لو دفعت الى
النار هل كنتم تفدونني منها قالوا بلى نفديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما آمركم به قالوا
اعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت

أي بالله عطف عليه (والمسجد الحرام) عطف
على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وزعم الفراء انه معطوف على الهاء
في به أي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند
البصريين العطف على الضمير المجرور الا باعادة
الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول مررت به
وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء هنا لقيل
وكفر به وبالمسجد الحرام (واخراج أهله) أي
أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه أيضا
(منه) من المسجد الحرام وخبر الاسماء الثلاثة
(أكبر عند الله) أي مما فعلته السرية من
القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء
على الظن (والفتنة) الاخراج او الشرك (أكبر
من القتل) في الشهر الحرام او تعذيب الكفار
المسلمين اشد قبحا من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر
الحرام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن
دينكم) أي الى الكفر وهو اخبار عن دوام
عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى
يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو
فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم
كي يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا)
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان
ظفرت بي فلا تبق علي وأنت واثق بانه لا يظفر
بك (ومن يرتدد منكم عن دينه) ومن يرجع عن
دينه الى دينهم (فيمت وهو كافر) أي يمت على
الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة)
لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات
الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب
(وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وبها
احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط
العمل حتى يموت عليها وقلنا قد علق الحبط
بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد

أرفعها بالذي سألت فجهزه هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو ومن بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة فأتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وآتاه الله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه مما يشاء) أي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الرياح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه أو انكره حقا أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه بالوديعة انكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال صاحبه ما أعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازتي فأخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة بعضا وهم أهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنوده المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار (لفسدت الارض) يعني فهلك من فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي (نتلوها عليك بالحق) أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم أفضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (منهم) أي من الرسل (من كلم الله) أي كلمه

(تفسير النسفي)

تحط عمله والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا في سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لان (أولئك يرجون رحمة الله) خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل (يسألونك عن الخمر والميسر) فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزل ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من وعده يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب أو من اليسار كأنه سلب يساره وصفة الميسر انه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم والتوأم وله سهمان

الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما أوتي نبي من الانبياء آية أو معجزة الا وأوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذي حن عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز أهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو ان أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلائق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بأنه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس قال زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه وقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى (وأيدناه بروح القدس) أي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتأييد عيسى بروح القدس آية عظيمة أيضا فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ولو شاء الله) أي ولو أراد الله وأصل المشيئة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه (ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على ايمانه بالله ورسله بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي ولو أراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه فأعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) قيل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه) أي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من أموالكم

(سورة البقرة)

والرقيب وله ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحا قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل (قل فيهما اثم كبير) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كبير حمزة وعلي (ومنافع للناس) بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) لان أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) أي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصدق بالفضل في اول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب زرع امسك قوت سنة وتصدق بالفضل واذا كان صانعا امسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة العفو أبو عمرو ومن نصبه جعل ماذا اسما واحدا في موضع النصب ينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته اي ما الذي ينفقون جزاء الجواب العفو أي هو العفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال

من قبل ان يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدى به من العذاب (ولا خلة) أي ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (الله لا اله الا هو الحي القيوم)

(فصل في فضل هذه الآية الكريمة) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي قوله ان لكل شئ سناما سنام كل شئ أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل في قومه والشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن اي أفضله (م) عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر اتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم أخرجه ابو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه أصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الاشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وأفضل على بعض الآيات أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم أجر القارئ او جزيل ثوابه وقول ان هذه الآية أو هذه السورة أعظم او أفضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي الالهية عن كل ما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقوله لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شئ هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شئ وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشئ (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير (م) عن أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل

(تفسير النسفي)

(كذلك) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) أي في امر الدنيا (والآخرة) وفي يتعلق بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم او تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يتعلق بيبين أي يبين لكم الآيات في امر الدارين وفي ما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير) أي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط أخاه (والله يعلم المفسد) لاموالهم (من المصلح) لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله لاعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم (ان الله عزيز) غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم (حكيم) لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سأل مرثد النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) أي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وانكح غيره زوجه (ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم) ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها (ولا تنكحوا المشركين) ولا تزوجوهم مسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين (حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن

الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه شرح مايتعلق بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لاينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض يقبض ويضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني ان الحفظة من الملائكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضائه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشئ المانع من الرؤية وسمى ذلك الشئ المانع نورا أونارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لوزال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أونارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لاتأخذه سنة ولانوم ان موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وينتبه وهما في يديه في كل يد واحدة حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن أبي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم قوله تعالى (له مافي السموات ومافي الارض) يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له مافي السموات ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ماسواه اليه من الخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) أي بأمره وهذا استفهام انكاري والمعنى لا يشفع عنده أحد الا بأمره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فأخبر انه لاشفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) يعني مابين أيديهم من الدنيا وماخلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ماقدموه بين أيديهم من خير أوشر وماخلفهم مماهم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لايخفى عليه شئ من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشئ من علمه) يقال أحاط بالشئ اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان أحدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الا بماشاء) يعني أن يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون

(سورة البقرة)

خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علة ذلك فقال (أولئك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) أي الى الكفر الذي هو عمل اهل النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا (والله يدعو الى الجنة والمغفرة) أي وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة ومايوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم (باذنه) بعلمه اوبامره (ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس فسأل أبو الدحداح رسول الله عن ذلك وقال يارسول الله كيف نصنع بالنساء اذا حضن فنزل (ويسألونك عن المحيض) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) اى المحيض شئ يستقذر ويؤذي من يقربه (فاعتزلوا النساء في المحيض) فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شئ فامر الله بالاقتصاد بين الامرين ثم عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الاعتزال الا عن الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ماسوى ذلك (ولا تقربوهن) مجامعين او ولا تقربوا مجامعتهن (حتى يطهرن) بالتشديد كوفي غير حفص اى يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أي ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف وفي اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت الصلاة عملا بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من

ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلاً على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول (وسع كرسيه السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة اقوال أحدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة املاك لكل ملك أربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز (ولا يؤده) أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه (حفظهما) أي حفظ السموات والارض (وهو العلي) أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شئ فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين (العظيم) يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شئ أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله عز وجل (لا اكراه في الدين) سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته من اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا واخواننا فنزلت الآية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت أمة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو

العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحداهما
الاعرف وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى
تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى (فاذا تطهرن
فاتوهن) فجامعوهن فجمع بينهما (من حيث
امركم الله) من المأتى الذي امركم الله به وحلله
لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) من
ارتكاب ما نهوا عنه أو العوادين الى الله تعالى
وان زلوا فزلوا والمحبة اعرفته بعظم عفو الله
حيث لا يأس (ويحب المتطهرين) بالماء أو
المتنزهين من ادبار النساء أو من الجماع في الحيض
أو من الفواحش كان اليهود يقولون اذا أتى
الرجل اهله باركة أتى الولد احول فنزل (نساؤكم
حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن
بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ووقع
قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله
فأتوهن من حيث أمركم الله أي ان المأتى الذي
امركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث
تنبيها على أن المطلوب الاصلي في الاتيان هو طلب
النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى
الذي نيط به هذا المطلوب (فأتوا حرثكم
أنى شئتم) جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم
باركة او مستلقية أو مضطجعة بعد ان يكون
المأتى واحدا وهو موضع الحرث وهو تمثيل أي
فاتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان
تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة
دون جهة وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من
حيث امركم الله فاتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات
اللطيفة والتعريضات المستحسنة فعلى كل مسلم
ان يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات
والمكاتبات (وقدموا لانفسكم) ما يجب تقديمه
من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه
أو هو طلب الولد او التسمية على الوطء (واتقوا

قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون الا ان يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا اكراه في الدين أي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه (قد تبين الرشد من الغي) يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته (فمن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شئ كان يعبده وفيه اشارة الى انه لابد للكافر ان يتوب أولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشئ الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه (والله سميع) يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين (عليم) بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل (الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة (يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار سمى منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراجا من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه أخرجتني عن مالك اذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أي لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبختنصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار سأله من ربك فيقول انت فيميره فخرج ابراهيم عليه السلام اليه يمتار

(سورة البقرة)

(واعلموا أنكم ملاقوه) فلا تجترؤا على المناهي (وبشر المؤمنين) صائرون اليه فاستعدوا للقائه (وبشر المؤمنين) بالثواب يا محمد وانما جاء يسألونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم الاول كأنه وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد عن تلك الحوادث سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث من السؤالات الاخر في وقت واحد فجئ بحرف الجمع لذلك (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيتعرض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين او احسان الى احد أو عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وقوله (ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف بيان لايمانكم أي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس واللام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا (والله سميع) لايمانكم (عليم) بنياتكم (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف على شئ يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم باللغو اليمين الذي يحلفه

لاهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب أهله اذا دخل عليهم فلما أتى أهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما رآه أحد فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بي واترك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه وأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في رأسه أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب أربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل (اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال نمرود (انا احيي وأميت) قال أكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فأحي من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصور فهم نمرود وضعف رأيه فانه عارض الفعل بمثله ونسي اختلاف الفعلين (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف أنه لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود قوله عز وجل (أو كالذي مر على قرية) هذه معطوفة على الآية التي قبلها والمعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج ابراهيم وهل رأيت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو امي لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابر آباد وقيل سلماباد وقيل هي دير هرقل وقيل قرية العنب هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هي دير سابر آباد موضع كان بفارس وسلماباد محلة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أيضا من نواحي همدان ودير هرقل بكسر أوله

(تفسير النسفي)

وهو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو لا والله وبلى والله (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ولكن بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لان كسب القلب العزم والقصد والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانا هنا وقلنا المؤاخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم (للذين يؤلون) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه (من نسائهم) يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة ومن في (تربص اربعة أشهر) لا يؤلون من نسائهم أي استقر للمؤلين من نسائهم تربص اربعة أشهر لان آلى يعدى بعلى يقال آلى فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهمه من هذه الآية ولك ان تقول عدي بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين (فان فاءوا) في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاءوا فيهن أي رجعوا الى الوطء عن الاصرار بتركه (فان الله غفور رحيم) حيث شرع الكفارة (وان عزموا الطلاق) بترك الفيء الى مضي المدة (فان الله سميع) لايلائه (عليم) بنيته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب ولنا قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب

وراسا كنة وقاف مكسورة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم بحزقيل كما تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها هى التى عندها احيا الله حمار عزير (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى ذلك المار (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف اتما حمله على الشك فى قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى اوكان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التأكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيى الموتى ومعنى انى يحيى هذه الله من اين يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ماروى عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحداثهم وادعهم الى فقال ارميا يارب انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تبلغنى مخذول ان لم تنصرنى فقال الله تعالى انى الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل انى احلف بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اليه انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما رأى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى اسرائيل مالا اسربه فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر فقل الوحى وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر البابلى فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى الخبر الى ملك بنى اسرائيل فقال لارميا اين مازعمت ان الله تعالى أوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له ارميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك فى أهل رحمى وصلت ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك استفتيك فى شأن أهلى فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فقال يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث أياما ثم ان بختنصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يانبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الذى جئتك فى شأن أهلى مرتين فقال ارميا اما آن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يانبى الله ان كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ارميا على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط الله

(سورة البقرة)
الفصل كما تقول انا نريد لكم هـذا الشهر فان
احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم أقم الا
ريثما تحول (والمطلقات) أراد المدخول بهن
من ذوات الاقراء (يتربصن بانفسهن) خبر
فى معنى الامر واصل الكلام ولتتربص
المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد
للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة
الى امتثاله فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو
يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك
الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما
وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا
مما زاده فضل تأكيد لان الجملة الاسمية
تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفى
ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح
ويجبرنها على التربص (ثلاثة قروء) جمع قرء
اوقرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعى الصلاة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائى
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون
الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم
والحيض هو الذى يستبرأ به الارحام دون
الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة
ولانه لوكان طهرا كما قال الشافعى لانقضت العدة
بقرءين وبعض الثالث فانتقص العدد عن
الثلاثة لانه اذا طلقها فى آخر الطهر فذا محسوب
من العدة عنده واذا طلقها فى آخر الحيض فذا
غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص
لعدد مخصوص لا يقع على مادونه ويقال
اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وانتصاب
ثلاثة على انه مفعول به أى يتربصن مضى ثلاثة

تعالى فغضبت لله عز وجل فأتيتك لاخبرك وانا اسألك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وأحرقت سبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى به فنودى انهم لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشأم وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه فى بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم أمرهم ان يجمعوا من كان بقى فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقى من بنى اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمة وكان فى أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقى من بنى اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشأم فكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله ببنى اسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا وهى أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسبايا بنى اسرائيل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف بالقرية فلم ير أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضلة الفاكهة فى سلة وفضلة العصير فى زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا فى البعث ورجعنا الى حديث وهب ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد وألقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقى عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك وقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودى ان الله يأمرك ان تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى ان الله يأمرك ان تحيى فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور فى الفلوات فذلك قوله تعالى (فأماته الله مائة عام) اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم فى جميع بروجها (ثم بعثه) اى ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة اذا أقمتها من مكانها (قال كم لبثت) يعنى قال الله له كم قدر الزمان الذى مكثت فيه ميتا قبل ان أبعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما أحياه بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت (قال) يعنى ذلك المبعوث بعد مماته (لبثت يوما) وذلك ان الله اماته ضحى فى أول النهار وأحياه بعد مائة سنة فى آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال (أو بعض يوم قال) يعنى قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك) يعنى التين الذى كان معه قبل موته (وشرابك) يعنى العصير (لم يتسنه) يعنى

(تفسير النسفي)

قروءا وعلى الظرف أى يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء اتساعا ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فأوثر لاشتراكهما فى الجمعية عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الولد او من دم الحيض او منهما وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهى حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) لان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم (وبعولتهن) البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع (أحق بردهن) أى ازواجهن اولى برجعتهن وفيه دليل على ان الطلاق الرجعى لا يحرم الوطء حيث سماه زوجا بعد الطلاق (فى ذلك) فى مدة ذلك التربص والمعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا فى الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذى يجب لهم عليهن من الامر والنهى (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لا فى جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه أو خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (وللرجال عليهن درجة) زيادة فى الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وان اشتركا فى اللذة

لم تغيره السنون التى اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته أى لم يتغير ولم ينتن (وانظر الى حمارك) وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر (ولنجعلك آية للناس) قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط الفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعنى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب اسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعنى أحياه وقرئ بالزاى ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشار الشئ رفعه وازعاجه يقال نشزته نشزا أى رفعته فارتفع واختلفوا فى معنى الآية فقال الاكثرون انه أراد عظام الحمار قيل ان الله تعالى أحيا عزيرا أو ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم وصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فأقبل اليه يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله أماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة فى عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشزها وذلك ان الله أول ما أحيا منه عينيه فنظر فرأى سائر جسده ميتا وفى الآية تقديم وتأخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى الى محلته فأنكره الناس وأنكرهم وأنكر منازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال انى عزير ان الله تعالى اماتنى مائة سنة ثم أحيانى فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد أنك عزير وانطلقت الى بنى اسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا لى عزير ربه فرد على بصرى واطلق رجلى وزعم ان الله تعالى قد أماته مائة سنة ثم بعثه فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فرآها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فثبتت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال انى عزير وقد بعثنى الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتى القصة فى سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (فلما تبين له) يعنى فلما اتضح له عيانا ما كان ينكره من احياء القرية ورآه عيانا فى نفسه (قال اعلم) قرئ مجزوما موصولا على الامر يعنى قال الله له اعلم وقرئ أعلم على

(سورة البقرة)

والاستمتاع أو بالانفاق وملك النكاح (والله عزيز) لا يعترض عليه فى اموره (حكيم) لا يأمر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرتان) الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أى التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا فى ان الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة فى طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا يؤدى الى الخلف فى خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصارية ان زوجى قال لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أى الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث (فامساك بمعروف) برجعة والمعنى فالواجب عليكم امساك بمعروف (أو تسريح باحسان) بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة وقيل بأن لا يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث ونزل فى جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان فى الاسلام (ولا يحل لكم) أيها الازواج او الحكام لانهم الآمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون (أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) مما أعطيتموهن من المهور (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فان خفتم) أيها الولاة وجاز ان يكون أول الخطاب للازواج وآخره للحكام (ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) فلا

قطع الالف و رفع الميم على الخبر عن الذى قال انى يحيى هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له و رأى ذلك عيانا قال اعلم (أن الله على كل شئ قدير) يعنى الاماتة والاحياء قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) اختلفوا فى هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهى جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا وقيل كان رجلا ميتا بساحل بحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فلما رأى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب انى قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف الدواب فارنى كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى (قال أولم تؤمن) يعنى اولم تصدق (قال بلى) يارب قد علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبى) أى ليسكن قلبى عند المعاينة أراد ابراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا فى احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه أحب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى فى الجنة ويطلبونها ويسألونه فى دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم أن يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود وأنا احيى وأميت فقتل احد الرجلين واطلق الآخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود وأنت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة أخرى ثم سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى لقوة حجتى فاذا قيل انت عاينته فأقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد فى الدار رجلا فثار اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان تدخل دارى فقال اذن لى رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك فقال له من أنت قال انا ملك الموت جئت أبشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيى الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بانك اتخذتنى خليلا وتجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سألتك (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعى القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فأحسنها واصحها ما نقل المزنى وغيره من العلماء ان الشك مستحيل فى حق ابراهيم فان الشك فى احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت أنا احق به من ابراهيم ولقد علمتم انى لم أشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الآية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابى ليس فى قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا فى قدرة الله على احياء الموتى فابراهيم أولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعى وفيه الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم

يشك

(تفسير النسفى)

جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت (فيما افتدت به) فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بدل ما أوتيت من المهر الا ان يخافا حمزة على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف زيد تركه اقامة حدود الله (تلك حدود الله) أى ما حد من النكاح واليمين والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الضارون انفسهم (فان طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعى رحمه الله فى قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لذلك اى فان طلقها الثالثة ببدل حكم التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد التطليقة الثالثة (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه والفقه فيه انه لما اقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (فان طلقها) الزوج الثانى بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (ان يتراجعا) ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا ان يقيما حدود الله) ان كان فى ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين لهم (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى

يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذى تظنونه شكا انا أولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا وقيل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم أى واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والتقدير ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ألم تر اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال يعنى قال الله لابراهيم أولم تؤمن الالف فى أولم تؤمن ألف اثبات وايجاب كقول جرير

* ألستم خير من ركب المطايا * أى ألستم كذلك والمعنى أولست قد آمنت وصدقت أنى أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبى يعنى سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن لارى من آياتك وأعلم انك قد اجبتنى (قال فخذ اربعة من الطير) قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران فى السماء والارتفاع فى الهواء وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو فى الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففى الطاوس اشارة الى ما فى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففى هذه الطيور مشابهة لما فى الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن (اليك) ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا) لانه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم أمره ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا فى عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس أمر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وأمسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الآخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض فى السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيا) وقيل المراد بالسعى الاسراع والعدو وقيل المشى والحكمة فى سعى الطيور اليه دون الطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور أو ان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا وقيل الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعى هو الحركة الشديدة (واعلم ان الله عزيز) يعنى انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شئ (حكيم) يعنى فى جميع أموره قوله عز وجل (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قيل أراد به الانفاق فى الجهاد وقيل هو الانفاق فى جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم (كمثل حبة) أى كمثل زارع حبة (انبتت) يعنى اخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبلة (فى كل سنبلة مائة حبة) فان قيل فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز

(سورة البقرة)

آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى
ينتهى به اجل (فأمسكوهن بمعروف اوسرحوهن
بمعروف) أى فاما ان يراجعها من غير طلب
ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضى عدتها
وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا)
مفعول له أو حال أى مضارين وكان الرجل
يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها
ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة
عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن
أو لتلجئوهن الى الافتداء (ومن يفعل ذلك)
يعنى الامساك للضرار (فقد ظلم نفسه)
بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله
هزوا) أى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها
وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا
يقال لمن لم يجد فى الامر انما انت لاعب وهازئ
(واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام وبنبوة
محمد عليه السلام (وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها
بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما انزل
عليكم وهو حال (واتقوا الله) فيما امتحنكم به
(واعلموا ان الله بكل شئ عليم) من الذكر
والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد
ووعيد (واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن)
اى انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على
افتراق البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا
يكون بعد العدة وفى الاولى الرجعة وذا يكون
فى العدة (فلا تعضلوهن) فلا تمنعوهن والعضل
المنع والتضييق (ان ينكحن) من ان ينكحن
(ازواجهن) الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وفيه
اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب
للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من
الازواج سموا ازواجا باسم ما يؤول اليه او للاولياء

وان لم يوجد والمعنى فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود فى الدخن وقيل ان المقصود من الآية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذل حبة واحدة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغى له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغى لمن طلب الاجر عند الله فى الآخرة أن لا يترك الانفاق فى سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعنى أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله (والله واسع) أى غنى يعطى الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال (عليم) يعنى بنية من ينفق فى سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) قيل نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندى ثمانية آلاف فامسكت لنفسى ولعيالى أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربى عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم فى حوائجهم ومؤنتهم (ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى) أى لا يتبع نفقته التى انفقها عليهم بالمن والاذى وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراحنى الله منك وأمثال ذلك والمن فى اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فمن علينا بالسلام فانما * كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان أبى يقول اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم فى المدح بترك المن

زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تأته * وهو فى العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء

اتيت قليلا ثم اسرعت منة * فنيلك ممنون لذاك قليل

وأما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل اذا عرفت هذا فقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو أن يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت كيف وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان فى صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضال على عباده واحسان اليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعنى ثوابهم (عند ربهم) يعنى فى الآخرة (ولا خوف عليهم) يعنى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعنى على ما خلفوا من الدنيا (قول معروف) أى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظاهر الغيب (ومغفرة) أى تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده (خير من صدقة) يعنى هذا

(تفسير النسفى)

فى عضلهن ان يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا أزواجا لهن سموا أزواجا باعتبار ما كان نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين (اذا تراضوا بينهم) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط أو بمهر المثل والكفء لان عند عدم احدهما للاولياء ان يتعرضوا والخطاب فى (ذلك) للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل واحد (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالمواعظ انما تنجع فيهم (ذلكم) أى ترك العضل والضرار (أزكى لكم واطهر) أى لكم من ادناس الآثام أزكى واطهر افضل واطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وانتم لا تعلمون) ذلك (والوالدات يرضعن اولادهن) خبر فى معنى الامر المؤكد كيتربصن وهذا الامر على وجه الندب او على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى أمه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار أو اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (حولين كاملين) تامين وهو تأكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما (لمن اراد ان يتم الرضاعة) بيان لمن توجه اليه الحكم أى هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام ما دامت زوجة أو معتدة (وعلى المولود له) اللام يعود الى اللام الذى بمعنى الذى والتقدير وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية

القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها الى الفقير (يتبعها أذى) وهو أن يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقول او يؤذيه بفعل (والله غني) أي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغني الذي لا يحتاج الى أحد وليس كذلك الا الله تعالى (حليم) يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم) يعني أجور صدقاتكم (بالمن والأذى) يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والأذى لصاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلا فقال تعالى (كالذي) أي كابطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس) أي مراآة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به (فمثله) أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي (عليه تراب) اي على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعني المطر الشديد العظيم القطر (فتركه صلدا) يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته يؤذي الناس يرى الناس ان لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني الذي سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه

قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أي طلب رضا الله (وتثبيتا من أنفسهم) يعني على الانفاق في طاعة الله تعالى وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احسانا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم وقيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) اي بستان قال المبرد اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس (بربوة) هي المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والاودية كان ثمرها احسن وازكى اذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر انتفخت وربت واذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وجمات أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض (فآتت أكلها ضعفين) أي فأعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين (فان لم يصبها وابل فطل) اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى

(سورة البقرة)

كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا (رزقهن وكسوتهن بالمعروف) بلا اسراف ولا تقتير وتفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا (لا تكلف نفس الا وسعها) وجدها او قدر امكانها والتكليف الزام ما يؤثر فيه الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين (لا تضار) مكي وبصري بالرفع على الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر اسكنت الراء الاولى وادغمت في الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين (والدة بولدها) اي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك (ولا مولود له بولده) اي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه

لعمل المؤمن المخلص في انفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تربع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلاً أو كثيراً فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت (والله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى لا تخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله عز وجل (أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب) هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعني أيحب أحدكم ان تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه (تجري من تحتها الانهار) يعني ان جري الانهار فيهما من تمام حسنها وسبب لزيادة ثمرها (له فيها من كل الثمرات) لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه (وأصابه الكبر) يعني صاحب هذه الجنة كثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فهو يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما ان يكون له جنة حال ما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكأنه قيل ايود أحدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) يعني له أولاد صغار عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر (فأصابها) يعني اصاب تلك الجنة (اعصار فيه نار فاحترقت) الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعاً متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوماً لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلاً للعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق أعماله كلها (كذلك يبين الله لكم الآيات) يعني كما بين الله تعالى لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك (لعلكم تتفكرون) اي فتتعظوا وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا واقبال الآخرة قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحق بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الماء يميناً وشمالاً (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه أمن حلال ام من حرام (خ) عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل أحد طعاماً قط خيراً من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب ما اكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعاً لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا

(تفسير النسفي)

الى الاب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافاً لها عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الاب (مثل ذلك) أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الاولاد (فان ارادا) يعني الابوين (فصالا) فطاما صادرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذي ادب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب من النسبة والولاية وللام من الشفقة والعناية (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أي لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدى الى مفعولين أي ان تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف احد المفعولين يعني غير الام عند اباءتها أو عجزها (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما اردتم ايتاءه من الاجرة أتيتم مكي من أتى اليه احساناً اذا فعله ومنه قوله كان وعده مأتيا أي مفعولا والتسليم ندب لا شرط للجواز (بالمعروف) متعلق بسلمتم أي سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور (واتقوا

المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل * المسئلة الاولى * ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لا تجب الزكاة بحكم التجارة فى العروض الا ان ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ماروى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا باخراج الصدقة من الذى يعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبى عمرو بن حماس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة أحملها فقال عمر الا تؤدى زكاتك يا حماس فقلت مالى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضع فوضعها بين يديه فحسبها فأخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرون دينارا أو مائتا درهم أخرج منه ربع العشر * المسئلة الثانية * فى قوله تعالى (ومما أخرجنا لكم من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة فى كل ماخرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا الزكاة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة فى كل مايقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ماروى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهى البقول فقال ليس فيها شئ أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس فى الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى ابن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة ان يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكاة فى الزيتون وتجب فى الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدراس والتصفية * المسئلة الثالثة * يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح أو سانية ويدل على ذلك ماروى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وماسقى بالنضح نصف العشر أخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وماسقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ماشرب بعروقه ولم يتعن فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يستقى عليها سواء كانت من الابل أو البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر فى كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بماروى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر أو حب صدقة أخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بماروى عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة أخرجه فى الصحيحين وقوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث) أى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردئ من أموالكم (منه تنفقون)

(سورة البقرة)

الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه أعمالكم فهو مجازيكم عليها (والذين يتوفون منكم) تقول توفيت الشئ واستوفيته اذا اخذته وافيا تاما أى تستوفى ارواحهم (ويذرون) ويتركون (أزواجا يتربصن بأنفسهن) أى وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أى يعتددن فحذف بعدهم اومعناه يتربصن بعدهم بأنفسهن للعلم به وانما احتيج الى تقديره لانه لابد من عائد يرجع الى المبتدأ فى الجملة التى وقعت خبرا يتوفون المفضل أى يستوفون آجالهم (أربعة أشهر وعشرا) أى وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابا الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الائمة والحكام (فيما فعلن فى أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع (والله بما تعملون خبير) عالم بالبواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) الخطبة الاستنكاح والتعريض ان تقول لها انك لجميلة أو صالحة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى أريد أن أتزوجك والفرق بين الكناية والتعريض ان الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا

* وحسبك بالتسليم منى تقاضيا *

فكأنه امالة الكلام الى غرض يدل على الغرض (أو أكننتم فى أنفسكم) أو سترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين

أي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الأنصار كنا في أصحاب نخل فكان الرجل يؤتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم اذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فسقط البسر أو التمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم أهدى اليه مثل ما أعطى لم يأخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون (ولستم بآخذيه) يعني ذلك الشيء الخبيث الردي (الا أن تغمضوا فيه) الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو أن لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو لو اهدى ذلك ما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردي لان أهل السهمان شركاء له فيما عنده وان كان كله رديئا فلا بأس باعطاء الردي (واعلموا أن الله غني) يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها (حميد) أي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر) أي يخوفكم الفقر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت (ويأمركم بالفحشاء) يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي ان الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك لان البخل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (والله يعدكم مغفرة منه) يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم (وفضلا) يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك فالهام من الله تعالى (والله واسع) أي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه (عليم) يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض

والقبض

(تفسير النسفي)

ولا تصبرون (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن (ولكن لا تواعدوهن سرا) جماعا لانه مما يسر أي لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل (الا أن تقولوا قولا معروفا) وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام أي ولا تعزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب اجله) حتى تنقضي عدتها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب عليها اجله أي غايته (واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (واعلموا أن الله غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهرا ولا جامعها (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا جناح عليكم (ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن تماسوهن حمزة وما شرطية أي ان لم تمسوهن لان الفعل واقع بين اثنين وعلى حيث وقع (أو تفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسميتها المهر وذلك ان المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهرا وان لم يسم لها مهرا فليس

والقبض يرفع ويخفض (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي عليك قوله ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله عليك أي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي ولا تشحي قوله عز وجل (يؤتي الحكمة من يشاء) قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهر وان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وانما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر

* أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم *

أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام أو ما لا يجوز له فعله (ومن يؤت الحكمة) يعني ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتي خيرا كثيرا) تنكير تعظيم معناه فقد أوتي اي خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) أي وما يتعظ بما وعظه الله الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل (وما أنفقتم من نفقة) يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها (أو نذرتم من نذر) يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر أن يوجب الانسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول لله على صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله على نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين (خ) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا أطاقه فليف به أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما ما لا فيأتي به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي بخير معناه انه لا يرد شيئا من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه انه لا يأتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدئا وانما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله ان شفى الله مريضي فلله على كذا ونحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم وقوله تعالى (فان الله يعلمه) أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمها لانه رد الضمير

لما نصف مهر المثل بل تجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار (على الموسع) الذي له سعة (قدره) مقداره الذي يطيقه قدره فيهما كوفي غير ابي بكر وهما لغتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) تأكيد لمتعوهن أي تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا (على المحسنين) على المسلمين او على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمى لها مهرا في الطلاق قبل المس وقال (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر أي من قبل مسكم اياهن (وقد فرضتم) في موضع الحال (لهن فريضة) مهرا (فنصف ما فرضتم الا ان يعفون) يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل (او يعفو الذي بيده عقدة النكاح) عطف على محله وهو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابي حنيفة

على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا وقيل إن الكناية عادت على ما في قوله وما أنفقتم لأنها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما (وما للظالمين) يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من أنصار) أي من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله عز وجل (إن تبدوا الصدقات) أي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعما هي) أي فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا إبداء الصدقات (وإن تخفوها) أي تسروا الصدقة (وتؤتوها الفقراء) أي وتعطوها الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول إذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الأكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها لأن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص ولأن فيه بعدا عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة وفي صدقة السر أيضا فائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إذا أعطي في السر زال عنه الذل والانكسار وإذا أعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على أن صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه في الصحيحين ووجه جواز إظهار الصدقة أن يكون ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فإظهار إخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في إظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل إن الآية واردة في زكاة الفرض وكان إخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا لا يظنون بأحد أنه يمنع الزكاة فأما اليوم في زماننا فإظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والإخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قيل إن من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل أدخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر (والله بما تعملون خبير) يعني من إظهار الصدقات وإخفائها قوله عز وجل (ليس عليك هداهم) قيل سبب نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة إلى الدخول في الإسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على إسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذ تصدق عليهم فأعلمه الله تعالى أنه إنما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعني أن الله يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام وأراد بالهداية هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلأنفسكم) أي ما تفعلوا لتنفعوا به أنفسكم (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) ظاهره خبر

ومعناه

(تفسير النسفي)

والشافعي على الجديد رضي الله عنهم وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى أن الواجب شرعا هو النصف إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حاله عليه (وأن تعفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة بإسقاطه كله خير لها وللأزواج (ولا تنسوا الفضل) التفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض (بينكم) (إن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفضلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها (والصلاة الوسطى) بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلاة الظهر لأنها في وسط النهار أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر أو صلاة العشاء لأنها بين وترين أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل (وقوموا لله) في الصلاة (قانتين) حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم

ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فأما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيامة ومعناه يؤدى اليكم يوم القيامة ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وقوله (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي يظن من لم يختبر حالهم انهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسألة (تعرفهم بسيماهم) السيما والسيميا والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا وقيل هي الخضوع والتواضع وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر (لا يسألون الناس الحافا) يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لانه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسألة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غناء يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ البخاري (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش او كدوح وقيل يا رسول الله ما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال

والقنوت ان تذكر الله قائما أو مطيلين القيام (فان خفتم) فان كان بكم خوف من عدو أو غيره (فرجالا) حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام (أو ركبانا) وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة (فاذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله) فصلوا صلاة الامن (كما علمكم) اي ذكرا مثل ما علمكم (ما لم تكونوا تعلمون) من صلاة الامن (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم) بالنصب شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص اي فليوصوا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع اي فعليهم وصية (متاعا) نصب بالوصية لانها مصدر او تقديره متعوهن متاعا (الى الحول) صفة لمتاعا (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بأن تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعا في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الى قوله اربعة اشهر وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء (فان خرجن) بعد الحول (فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (والله عزيز حكيم) فيما حكم (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا) نصب على اي نفقة العدة (على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته المصدر لعلكم تعقلون) هو في موضع الرفع لانه خبر لعل وان اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكور وهي على سبيل الندب (الم تر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية او عدلها فقد سأل الحافا عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل اوليستكثر وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) يعني ان الله تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليها ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى أهل الصفة وبعث علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فأنزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات (فلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني في الآخرة قوله عز وجل (الذين يأكلون الربا) أي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا الزيادة في المال (لا يقومون) يعني من قبورهم يوم القيامة (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) أي يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتداء وتمييز وتدبر وخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون (من المس) يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة في الطعام

(تفسير النسفي)

تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب (الى الذين خرجوا من ديارهم) من قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم (وهم الوف) في موضع النصب على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانه جمع كثرة وهي جمع الف لا الف (حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أي فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله (ثم احياهم) ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم او لما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فاماتهم كان عطفا عليه معنى (ان الله لذو فضل على الناس) حيث بصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم النشور (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله) فحرض على الجهاد بعد الاعلام لان الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام او لمن احياهم (واعلموا ان الله سميع)

من الجوع قوله عز وجل (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) أي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا حل ماله على غريمه يطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله (واحل الله البيع وحرم الربا) يعني وأحل الله لكم الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شئ مما أحل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا أو شيئا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

(فصل في حكم الربا) وفيه مسائل * المسئلة الاولى * ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها أحدها ان الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح * الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك * المسئلة الثانية * اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم الى أن حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها واحد وهو النفع فأثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي الى أنه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الاربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع

(سورة البقرة)

(عليم) بما يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (من) استفهام في موضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذي) نعت لذا أو بدل منه (يقرض الله) صلة الذي سمي ما ينفق في سبيل الله قرضا لان القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد سمي به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك على انه لا يضيع عنده وانه يجزيهم عليه لا محالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه الى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد (فيضاعفه له) بالنصب عاصم على جواب الاستفهام وبالرفع أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا على يقرض أو هو مستأنف أي فهو يضاعفه فيضعفه شامي فيضعفه مكي (اضعافا) في موضع المصدر (كثيرة) لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة (والله يقبض ويبسط) يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة ويبسط حجازي وعاصم وعلي (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (الم تر الى الملأ) الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة (من بني اسرائيل) من للتبعيض (من بعد موسى) من بعد موته ومن لابتداء الغاية (اذ قالوا) حين قالوا (لنبي لهم) هو شمعون أو يوشع أو اشمويل (ابعث لنا ملكا) انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى أمره (نقاتل) بالنون والجزم على الجواب (في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاصل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا

المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا و زيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن الامثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال انى أخاف ان يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما *المسئلة الثالثة* الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل و يشترط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه ينظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل أن باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا و يثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله أعلم *المسئلة الرابعة* في القرض وهو من أقرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغني ان رجلا أتى ابن عمر فقال انى اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطا قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز و يدل على ذلك ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فأبى ان يأخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) أي تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تأنيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد (فانتهى) أي عن أكل الربا (فله ما سلف) أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له (وأمره الى الله) يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى أكل الربا وقيل معناه وأمره الى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شئ وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم اكل الربا ثم يأكله فأمره الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعني الى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله عز وجل (يمحق الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة (ويربي الصدقات) أي يزيدها و يثمرها و يبارك فيها في الدنيا و يضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم والبخاري

(تفسير النسفي)

يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه (قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله) وأي داع لنا الى ترك القتال وأي غرض لنا فيه (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) الواو للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين يعنون اذا بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي اجيبوا الى ملتمسهم (تولوا) اعرضوا عنه (الا قليلا منهم) وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم اعجمي كجالوت وداود ومنع من الصرف للتعريف والعجمة (ملكا) حال (قالوا أنى يكون له الملك علينا) أي كيف ومن أين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له (ونحن احق بالملك منه) الواو للحال (ولم يؤت سعة من المال) أي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام والملك في سبط يهوذا وكان من سبط بنيامين وكان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروى ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) لما كان الصاد ساكنة ابدل من التاء طاء في اصطفاه أي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم

من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا (أثيم) يعني متماد في الاثم وفيه نهي عنه وان من أن أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين قوله عز وجل (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها (وآتوا الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان أنتما أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو ابن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي خافوا الله فيما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وذروا أي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم ما فضل على رؤس اموالكم (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا (فان لم تفعلوا) اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه (فأذنوا) قرئ بكسر الدال والمد على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا غيركم انه حرب الله ورسوله وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا (بحرب من الله ورسوله) قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على أكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه (وان تبتم) اي ان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو والثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا الى ان تدرك الغلات فأبوا ان يؤخروهم فأنزل الله عز وجل

المبسوط والجسامة فقال (وزاده بسطة) مفعول ثان (في العلم والجسم) قالوا كان أعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته واطول من كل انسان برأسه ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما لانه اعظم في النفوس وأهيب في القلوب (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء ايتاءه وليس ذلك بالوراثة (والله واسع) أي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت (وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت) أي صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون (فيه سكينة من ربكم) سكون وطمأنينة (وبقية) هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام (مما ترك آل موسى وآل هارون) أي مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما (تحمله الملائكة) يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة ومما ترك نعت لبقية (ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين (فلما فصل طالوت) خرج (بالجنود) عن بلده الى جهاد العدو والجنود في موضع الحال أي مختلطا بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجري الله لهم نهرا (قال ان الله

(وان كان ذو عسرة) يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه (فنظرة) أي فامهال وتأخير (الى ميسرة) أي الى زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين على قولين القول الأول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الآية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين (وان تصدقوا خير لكم) يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤس أموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسرين وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعني ان التصدق خير لكم وأفضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

(فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد أمر الدين والامر بقضائه) (م) عن أبي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه (م) عن أبي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وعن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه به عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء أخرجه أبو داود (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عز وجل عنه ومن أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا أتبع أحدكم على ملي فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فأشار بيده ان ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن أبي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم أحسنكم قضاء وفي رواية أنه أغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه (م) عن أبي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت ان قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال

(تفسير النسفي)

مبتليكم) مختبركم أي معاملكم معاملة المختبر (بنهر) وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق في الجهاد من المعذر (فمن شرب منه) كرعا (فليس مني) فليس من اتباعي واشياعي (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه (فانه مني) وبفتح الياء مدني وابو عمرو واستثنى (الا من اغترف) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة عن الاستثناء الا انه قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة حجازي وابو عمرو وبضم الغين بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه (فشربوا منه) أي فكرعوا (الا قليلا منهم) وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (فلما جاوزه) أي النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه) أي القليل (قالوا لا طاقة لنا اليوم) أي لا قوة لنا (بجالوت) هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد (وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) يوقنون بالشهادة قيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش (كم من فئة قليلة) كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء (غلبت) خبرها (فئة كثيرة باذن الله) بنصره (والله مع الصابرين) بالنصر (ولما برزوا لجالوت وجنوده) خرجوا لقتالهم (قالوا ربنا أفرغ) اصبب (علينا صبرا) على القتال (وثبت اقدامنا) بتقوية قلوبنا والقاء الرعب في صدور عدونا (وانصرنا على القوم الكافرين) (فهزموهم) أي طالوت والمؤمنون أعداءهم جالوت وجنوده (باذن الله) بقضائه (وقتل داود جالوت) كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت

سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يارسول الله ماهذا التشديد الذى نزل فقال والذى نفسى بيده لوان رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى وعليه دين مادخل الجنة حتى يقضى عنه دينه أخرجه النسائى قوله عزوجل (واتقوا) أى وخافوا (يوما ترجعون فيه الى الله) قرئ بفتح التاء أى تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم أى تردون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعنى من خير اوشر (وهم لا يظلمون) أى فى ذلك اليوم وفى هذه الآية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبعا ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول فى يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبى عن ابن عباس آخر آية نزلت آية الربا قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) قال ابن عباس لما حرم الربا أباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى أجل مسمى قد أحله الله فى كتابه وأذن فيه وقوله اذا تداينتم أى تعاملتم بالدين أوداين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص أحد المعنيين من الآخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تأكيدا (الى أجل مسمى) يعنى الى مدة معلومة الاول والآخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد أو نحوه والاجل يلزم فى الثمن فى البيع وفى السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند أكثر أهل العلم (ق) عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمر العام والعامين فقال لهم من أسلف فى تمر ففى كيل معلوم أووزن معلوم الى أجل معلوم وقوله تعالى (فاكتبوه) أى اكتبوا الدين الذى تداينتم به بيعا كان ذلك أو سلما أو قرضا واختلفوا فى هذه الكتابة فقيل هى واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى واختاره محمد بن جرير الطبرى وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا بأس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وهو قول الحسن والشعبى والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى (وليكتب بينكم كاتب) أى ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب (بالعدل) أى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخيره قيل ان فائدة الكتابة هى حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة أو تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود والنقص من أصل الدين الذى عليه فلما كانت هذه الفائدة من الكتابة أمر الله تعالى بها (ولا يأب) أى ولا يمتنع (كاتب أن يكتب) واختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبهما لان ظاهر الكلام نهى عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من أهلهما وجب عليه ذلك وقيل هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبى فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضى حاجة أخيه المسلم وليشكر تلك النعمة التى أنعم الله بها وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد (كما علمه الله) أى كما شرعه الله وأمره (فليكتب) وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص أحد الخصمين بالاحتياط له دون الآخر وان يكون كل واحد منهما آمنا من ابطال حقه وان

(سورة البقرة)

مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى الله الى نبيهم ان داود هو الذى يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر فى طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائبا (وآتاه الله الملك) فى مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) بدل من الناس دفاع مدنى مصدر دفع او دافع (ببعض لفسدت الارض) أى ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها من الحرث والنسل أو ولولا ان الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة فى مسئلة الاصلح (تلك) مبتدأ (آيات الله) يعنى القصص التى اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره على الجبابرة على يد صبى خبره (نتلوها) حال من تلك والعامل فيه معنى الاشارة أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر (عليك بالحق) باليقين الذى لا يشك فيه أهل الكتاب لانه فى كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها

يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لاتحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء (وليملل الذي عليه الحق) يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد (وليتق الله ربه) يعني المملي (ولا يبخس) أي ولا ينقص (منه) أي من الحق الذي وجب (شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه (أو ضعيفا) يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته أو جنون (أو لا يستطيع أن يمل هو) يعني لخرس أو عي أو عجمة في كلامه أو حبس أو غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب أو يجهل بماله وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلابد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى (فليملل وليه) يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس أراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه أعلم بحقه (بالعدل) أي بالصدق (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعني وأشهدوا على حقوقكم شهيدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من أهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا فهذا نص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم يأذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى أداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) أي فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل وامرأتان) أي فليشهد رجل وامرأتان واجمع الفقهاء ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامرأتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز شهادة رجل وامرأتين أو شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى (ممن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وأمانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله أولى بان ترد شهادته وجوز بعض اهل الرأي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر مصرا على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه شيئا مما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة

(تفسير النسفي)

في هذه السورة من آدم الى داود أو التي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله (منهم من كلم الله) أي كلمه الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان أي بدرجات أو الى درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم بارساله الى الكافة وبانه أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر واكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام تفخيم وبيان انه العلم الذي لا يشتبه على أحد والمتميز الذي لا يلتبس وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من أولي العزم من الرسل (وآتينا عيسى بن مريم البينات) كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك (وأيدناه بروح القدس) قويناه بجبريل أو بالانجيل (ولو شاء الله ما اقتتل) أي ما اختلف لانه سببه (الذين من بعدهم) من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات الظاهرات (ولكن اختلفوا) بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال (فمنهم من آمن ومنهم من كفر) بمشيئتي يقول الله أجريت امور رسلي على هذا أي لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد أي

خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع أخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من أوامر الله اوارتكب شيئا مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم وقوله تعالى (ان تضل احداهما) أي تنسى احدى المرأتين (فتذكر احداهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكى عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) يعني اذا دعوا الى تحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة واداءها ومعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء (ولا تسأموا) أي ولا تملوا ولا تضجروا (ان تكتبوه) الضمير راجع الى الحق أو الدين (صغيرا) كان (أو كبيرا) يعني قليلا كان الحق والدين او كثيرا (الى أجله) يعني الى محل الحق والدين (ذلكم) يعني ذلك الكتاب (اقسط عند الله) يعني اعدل عند الله لانه أمر به واتباع أمره اعدل من تركه (واقوم للشهادة) يعني ان الكتابة تذكر الشهود (وأدنى ان لا ترتابوا) يعني واحرى وأقرب ان لا تشكوا في الشهادة (الا ان تكون تجارة حاضرة) أي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد (تديرونها بينكم) أي فيما بينكم ليس فيها اجل (فليس عليكم جناح) أي لا ضرر عليكم (ان لا تكتبوها) يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة والاشهاد (واشهدوا اذا تبايعتم) يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وقوله تعالى (ولا يضار كاتب ولا شهيد) هذا نهي عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضارر الكاتب فيأبى ان يكتب أو الشاهد فيأبى ان يشهد أو يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما أملي عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله أمركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وأمران يطلب غيرهما (وان تفعلوا) يعني ما نهيتم عنه من الضرار (فانه فسوق بكم) أي معصية وخروج عن الامر (واتقوا الله) أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها (ويعلمكم الله) يعني ما يكون ارشادا لكم في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في أمر الدين (والله بكل شئ عليم) يعني ان الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شئ من ذلك قوله عز وجل (وان كنتم على سفر) أي في سفر (ولم تجدوا كاتبا) يعني ولم تجدوا آلات الكتابة (فرهن) جمع رهن وقرئ فرهان (مقبوضة) يعني

(سورة البقرة)
لا يحرى
لو شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا اذ
في ملكي الا ما يوافق مشيئتي وهذا يبطل قول
المعتزلة لانه أخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا
لم يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا فاقتتلوا
(ولكن الله يفعل ما يريد) اثبت الارادة لنفسه
كما هو مذهب أهل السنة (يا أيها الذين آمنوا
أنفقوا مما رزقناكم) في الجهاد في سبيل الله او هو
عام في كل صدقة واجبة (من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه) أي من قبل ان يأتي يوم
لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق
لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه
(ولا خلة) حتى يسامحكم اخلاؤكم به (ولا شفاعة)
أي للكافرين فأما المؤمنون فلهم شفاعة أو الا
باذنه (والكافرون هم الظالمون) أنفسهم
بتركهم التقديم ليوم حاجتهم او والكافرون بهذا
اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
مكي وبصري (الله لا اله الا هو) لا مع اسمه
وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع
خبر المبتدا وهو الله (الحي) الباقي الذي
لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه (لا تأخذه سنة) نعاس
وهو ما يتقدم النوم من الفتور (ولا نوم) عن
المفضل السنة ثقل في الرأس والنعاس في
العين والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم لان
من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما وقد
أوحى الى موسى عليه السلام قل لهؤلاء اني أمسك
السموات والارض بقدرتي فلو أخذني نوم
أو نعاس لزالتا (له ما في السموات وما في الارض)
ملكا وملكا (من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه) ليس لاحد ان يشفع عنده الا باذنه
وهو بيان لملكوته وكبريائه وان أحدا لا يتمالك
ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام
وفيه رد لزعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم

فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم وأصل الرهن الدوام يقال رهن الشئ أذا دام وثبت والرهن ماوضع عند الانسان مماينوب مناب ماأخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابى الشحم اليهودي على طعام أخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه مادام شئ من الحق باقيا قوله تعالى (فان أمن بعضكم بعضا) يعني فان كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به (فليؤد الذي اؤتمن امانته) يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أمينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمى الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه حيث أمن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله (وليتق الله ربه) أي المديون في أداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى (ولا تكتموا الشهادة) يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق ولهذا نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى (ومن يكتمها) يعني الشهادة (فانه آثم قلبه) أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما أضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك أضيف الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شئ كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك (والله بما تعملون عليم) يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها قوله عز وجل (لله مافي السموات ومافي الارض) ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم (وان تبدوا مافي انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها والمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف مالا يطاق وأجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ماوطن الانسان نفسه عليه وعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني ماخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا مافي انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة أو تخفوه أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قصة فلم يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن تولى الكافرين من المؤمنين والمعنى ان تبدوا أي تظهروا مافي انفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى أن الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل عليه ماروي عن أبي هريرة قال لما نزلت

(تفسير النسفي)

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء (ولا يحيطون بشئ من علمه) من معلوماته يقال في الدعاء اللهم اغفر لنا علمك أي معلومك (الا بما شاء) أي الا بما علم (وسع كرسيه السموات والارض) أي علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وهو كقوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما أو ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك او عرشه كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش في الحديث ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلي) في ملكه وسلطانه (العظيم) في عزه وجلاله او العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ماورد منه ماروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فانزل الله تعالى في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم أخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به أو يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا أو اعلنه من حركة جارحة أو همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من أعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه أخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية انها سألت عائشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم يعني مما عزمتم عليه او تخفوه اى ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس ما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان أيؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما آخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر أو خفي ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله أى يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس

والآيات التي حوله على نفسه وجاره وجار جاره وقال عليه السلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وقال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث اليه ملك يحرسه حتى يصبح وقال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي آية الكرسي وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد (لا اكراه في الدين) أى لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار في معنى النهي وروى انه كان لانصاري ابنان فتنصرا فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي في النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان او الاصنام (ويؤمن بالله فقد استمسك) تمسك (بالعروة) أي المعتصم والمتعلق (الوثقى) تأنيث الاوثق أى الاشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون (لا انفصام لها) لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره

يغفران يشاء الذنب العظيم و يعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا و يعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شئ لم يدخل من شئ فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله فى هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص الانبياء وماذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أى وصدق المؤمنون بذلك أيضا (كل) أى كل واحد من المؤمنين (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فهذه اربع مراتب من أصول الايمان وضرورياته فأما الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له و يؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حى عالم قادر على كل شئ وأما الايمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الايمان بكتبه فهو ان يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هى وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فهو ان يؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه على وحيه وانهم معصومون وانهم أفضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شئ آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفى الآية اضمار تقديره وقالوا يعنى المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) يعنى سمعنا قولك واطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه (غفرانك ربنا) أى نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا (واليك المصير) يعنى قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوى بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى أمتك فسل تعط قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى و يحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كانه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك ما لم تطيقوه وقال ابن عباس فى رواية

(تفسير النسفى)

السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده
والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا
لا تحله شبهة (والله سميع) لاقراره (عليم)
باعتقاده (الله ولى الذين آمنوا) أرادوا أن
يؤمنوا أى ناصرهم ومتولى امورهم (يخرجهم
من الظلمات) من ظلمات الكفر والضلالة
وجمعت لاختلافها (الى النور) الى الايمان
والهداية ووحد لاتحاد الايمان (والذين كفروا)
مبتدأ والجملة وهى (اولياؤهم الطاغوت) خبره
(يخرجونهم من النور الى الظلمات) وجمع لان
الطاغوت فى معنى الجمع يعنى والذين صمموا
على الكفر امرهم على عكس ذلك أو الله ولى
المؤمنين يخرجهم من الشبهة فى الدين ان وقعت
لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا
منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم
الشيطان يخرجونهم من نور البينات الذى
يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة (أولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون) ثم أعجب نبيه عليه
السلام وسلاه بمجادلة ابراهيم عليه السلام نمرود
الذى كان يدعى الربوبية بقوله (ألم تر الى الذى
حاج ابراهيم فى ربه) فى معارضته ربوبية ربه
والهاء فى ربه يرجع الى ابراهيم او الى الذى حاج
فهو ربهما (أن آتاه الله الملك) لان آتاه الله يعنى
ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك
وهو دليل على المعتزلة فى الاصلح أو حاج وقت
ان آتاه الله الملك (اذ قال) نصب بحاج او بدل من
أن آتاه اذا جعل بمعنى الوقت (ابراهيم ربى) حمزة
(الذى يحيى ويميت) كانه قال له من ربك قال ربى
الذى يحيى ويميت (قال) نمرود (أنا أحيى وأميت)
يريد اعفو عن القتل واقتل فانقطع اللعين بهذا
عن المخاصمة فزاد ابراهيم عليه السلام ما لا يتأتى
فيه التلبيس على الضعفة حيث (قال ابراهيم)
عليه السلام (فان الله يأتى بالشمس من المشرق

عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم مالا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق (لها ما كسبت) يعنى للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه (وعليها ما اكتسبت) يعنى من الشر عليها وزره وعقابه وقيل فى معنى الآية ان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره انتهى قوله عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا) وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أى لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسىء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكأنه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به (ان نسينا أو أخطأنا) فيه وجهان أحدهما انه من النسيان الذى هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شئ مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت النسيان فعل الناسى فى محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان فى محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر ازالته عنه ثم نسى فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفو له عن ذلك وأما الضرب الثانى فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان * الوجه الثانى * من الجواب ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغى فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان انما هو لشدة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث * ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما الخطأ فى قوله أو أخطأنا ففيه وجهان أيضا أحدهما ان يأتى العبد ما نهى عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذى ارتكبه * الوجه الثانى * ان يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بأن له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو فى يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) يعنى عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعنى اليهود لم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والآصار التى كتبت عليهم فسأل المسلمون ربهم ان يصونهم عن امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين أحدهما ما ليس فى قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذى

قوله فيه وجهان الخ ذكر الاول وجها واحدا ولعله اكتفى عن الثانى بما ذكر فى الجواب عن الايراد الذى أورده ومع ذلك فيه ما فيه اه مصحح

(سورة البقرة)

فأت بها من المغرب) وهذا ليس بانتقال من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل آخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا أهل تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال ان ربى يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو اهون (فبهت الذى كفر) تحير ودهش (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يوفقهم وقالوا انما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان يدعى الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره ومعنى قوله انا أحيى وأميت ان الذى ينسب اليه الاحياء والاماتة انا لا غيرى والآية تدل على اباحة التكلم فى علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل على ان ابراهيم حاجه أيضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده واذا دعوناهم الى ذلك لابد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد المناظرة كذا فى شرح التأويلات (أو كالذى مر) حذف لدلالة ألم تر على معناه او أرأيت مثل الذى او هو محمول عليه لان كلتيهما كلمة تعجب او هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره أرأيت كالذى حاج ابراهيم او كالذى مر وقال صاحب الكشف فيه الكاف زائدة والذى عطف على قوله الى الذى حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى أنى يحيى والاكثر انه عزير

لا يكلف الله به عبده بحال * الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله (واعف عنا) أي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا (وارحمنا) أي تغمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته م وقيل انا لا ننال العمل الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب (أنت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا وولينا ومتولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوج (ق) عن ابن مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل (م) عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل من السماء الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لنا كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده واسرار كتابه

* (تفسير سورة آل عمران) *

مدنية وهي مائتا آية وثلاثة آلاف وار بعمائة وثمانون كلمة وار بعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرون حرفا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا

اراد أن يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وانى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي (على قرية) هي بيت المقدس حين خربه بختنصر وهي التي خرج منها الالوف (وهي خاوية على عروشها) ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيي) أي كيف (هذه) أي اهل هذه (الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه) أي احياه (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد وروي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم (قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك) روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا ولبنا فوجد التين والعنب كما جناهما والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والماء أصلية أوهاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أي عاملته سنة اوواو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل الواو عطف على محذوف أي لتعتبر ولنجعلك قيل أتى الى قومه راكبا حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا

ستين راكباقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلامن أشرافهم منهم ثلاثة نفر
اليهم يؤول أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون
الاعن رأيه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم القائم عالهم وصاحب رحلهم الذى يقوم بأمر طعامهم
وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده
فى دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب
وأردية يقول من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم
فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم
فصلوا الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعوا كما لله ولدا وعبادتكما
الصليب وأكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حى
لا يموت وان عيسى يأتى عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه
قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض
ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون ان ربنا صور عيسى
فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة
ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف
يكون الها كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا
يا محمد ألست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله ردا عليهم
الم الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يامعشر النصارى فى معرفة الاله فهو الله الذى لا اله الا هو
فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان أحدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله
ولا له ولد ثم اتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم اما الحى فى صفة الله تعالى
فهو الدائم الباقى الذى لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم
فيما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم (نزل عليك الكتاب) يعنى القرآن (بالحق) أى بالصدق
والعدل (مصدقا لما بين يديه) يعنى لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض
الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شئ تقدم على
الشئ هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) أى من قبل القرآن فان
قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا فى أوقات كثيرة ونزل
هو للتكثير وأنزل التوراة والانجيل جملة واحدة (هدى للناس) يعنى ان انزال التوراة والانجيل
قبل القرآن كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القرآن فى أول البقرة بأنه هدى للمتقين ووصف
هنا التوراة والانجيل بأنهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين لانهم هم الذين
انتفعوا به واتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بأنهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى
نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هما هدى للناس وقيل ان قوله هدى
للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعنى القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب
بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل الفرقان) يعنى الفارق بين الحق والباطل
قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل انما
أعاد ذكره ليبين انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى
فى أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لانها كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال

ولم يقرأ التوراة فأخذ يقرأها عن ظهر قلبه
كونه آية التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك
وهو التوراة ظاهرا فرأى أولاد شيوخا
وقيل رجع الى منزله فرأى أولاد عظام الحمار
(وانظر الى العظام) اى عظام الحمار (كيف
شاب) احيائهم من الذى تعجب
او عظام الموتى الذى تعجب من الموتى الى بعض للتركيب
ننشزها) نحركها ونرفع بعضها الى بعض نحييها (ثم
ننشرها بالراء حجازى وبصرى نحييها كاللباس
نكسوها) اى العظام (لحما) جعل اللحم كاللباس
مجازا (فلما تبين له) فاعله مضمر تقديره فلما تبين
له أن الله على كل شئ قدير (قال أعلم أن الله
على كل شئ قدير) فحذف الاول لدلالة الثانى
عليه كقولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما
تبين له ما اشكل عليه يعنى امر احياء الموتى قال
اعلم على لفظ الامر حمزة وعلى اى قال الله له اعلم
اوهو خاطب نفسه (واذ قال ابراهيم رب ارنى
كيف تحيى الموتى) موضع كيف نصب
بتحيى (قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبى) وانما قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت
الناس ايمانا ليجيب بما أجاب به لما فيه من
الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد
النفى معناه بلى آمنت ولكن لازيد سكونا
وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة
فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف
الضرورى واللام تتعلق بمحذوف تقديره
ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (قال
فخذ أربعة من الطير) طاوسا وديكا وغرابا
وحمامة (فصرهن اليك) وبكسر الصاد حمزة
اى أملهن واضممهن اليك (ثم اجعل على كل
جبل منهن جزأ) ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على
الجبال التى بحضرتك وفى ارضك وكانت اربعة
اجبل أو سبعة جزؤا بضمتين وهمزا ابو بكر (ثم
ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك

والحرام والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أي غالب لا يغلب (ذو انتقام) يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله عز وجل (ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) أي لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذي يصوركم في الارحام) التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والارحام جمع رحم (كيف يشاء) يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا أو انثى أبيض أو اسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام صورا مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا أراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر أم انثى اشقي أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب له ذلك في بطن أمه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول أكلت في دارك كذا صنعت كذا وانه أحيي الموتى وابرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم قوله عز وجل (هو الذي انزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني مبينات مفصلات احكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها (هن ام الكتاب) يعني هن أصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لان الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية يعني ان كل واحد منهما آية (وأخر) جمع اخرى (متشابهات) يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر كله محكما وقال في أول هود الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى في الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما أراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها أراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآيات

(تفسير النسفي)

سعيا) مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن وانما أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك وروى انه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها (واعلم ان الله عزيز) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الا ما فيه الحكمة ولما برهن على قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل الله وأعلم ان من انفق في سبيله فله في نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم (كمثل حبة) او مثلهم كمثل باذر حبة (انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء (والله يضاعف لمن يشاء) اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامي ومكي

وعنه ان الآيات المحكمة هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل أوجها وروى ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي ابن أخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انك أنزل عليك الم فأنشدك الله أنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني أعلم مدة ملك أمتك هي احدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذا أكثر هي احد وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر قال هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد اختلط علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها ان القرآن أنزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال عارضوه بأي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي ان يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عباداتهم ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنى انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان أهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنو اسرائيل بالنهر والله أعلم بمراده وقوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فأنزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة في أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه منه) يعني يحيلون المحكم على

(والله واسع) واسع الفضل والجود (عليم) بنيات المنفقين (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا) هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها (ولا اذى) هو ان يتطاول عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (لهم أجرهم عند ربهم) أي ثواب انفاقهم (ولا خوف عليهم) من بخس الاجر (ولا هم يحزنون) من فوته او لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لان الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل (خير من صدقة يتبعها أذى) وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غني) لا حاجة له الى منفق يمن ويؤذي (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم أكد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي) الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا مثل ابطال الذي (ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ورئاء مفعول له (فمثله كمثل صفوان عليه تراب) مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر املس كان عليه تراب (فأصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) اجرد نقيا من التراب الذي كان

المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون مابال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعنى بهذه الآية (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولوا الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى (ابتغاء الفتنة) أى طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين (وابتغاء تأويله) أى تفسيره وأصل التأويل فى اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس فى قوله وابتغاء تأويله أى طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعنى تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه وأبى بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون فى العلم) أى الثابتون فى العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى علمهم شك (يقولون آمنا به) قال ابن عباس سماهم الله راسخين فى العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم فى العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به (كل من عند ربنا) يعنى المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم ونحن معتقدون فى المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله تعالى وفى المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فمنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو عطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه كان يقول أنا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تأويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون فى القرآن شئ لا يعرفه أحد من الامة وفى المراد بالراسخين فى العلم هنا قولان أحدهما انهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ادليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والقول الثانى ان الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين فى العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يذكر الا أولو الالباب) أى وما يتعظ بما فى القرآن الا ذووا العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا قوله عز وجل (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى ويقول الراسخون فى العلم ربنا لا تزغ قلوبنا أى لا تملها عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين فى قلوبهم زيغ (بعد اذ هديتنا) أى وفقتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) أى اعطنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة (انك أنت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاعراض والوهاب فى صفة الله تعالى انه تعالى يعطى كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله

(تفسير النسفى)
(كسبوا) لا يجدون
على شئ مما
عليه (لا يقدرون على شئ مما كسبوا) والكاف فى محل النصب
ثواب شئ مما انفقوا او اصدقاتكم مماثلين الذى
على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم بعد قوله كالذى
ينفق وانما قال لا يقدرون الجنس او الفريق
ينفق لانه أراد بالذى ينفق القوم الكافرين)
الذى ينفق (والله لا يهدى القوم الكافرين) (ومثل الذين ينفقون
ماداموا مختارين الكفر (ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم)
أى وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل
انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله فى سبيل الله علم
ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن
اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف
على المفعول له أى للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل
نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله (كمثل جنة)
بستان (بربوة) مكان مرتفع وخصها الان الشجر
فيها أزكى واحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى
(أصابها وابل فآتت أكلها) ثمرتها أكلها نافع
ومكى وابو عمرو (ضعفين) مثلى ما كانت تثمر
قبل بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل)
قطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ومثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة
والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
ضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت
اوقليلة بعد ان طلب بها رضاء الله تعالى زاكية
عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده
(والله بما تعملون بصير) يرى اعمالكم على
اكثار واقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء
واخلاص الهمزة فى (أيود أحدكم) للانكار
(ان تكون له جنة) بستان (من نخيل واعناب
تجرى من تحتها الانهار له) لصاحب البستان
(فيها) فى الجنة (من كل الثمرات) يريد
بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها ولان
النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها

عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به كما جاء وانه حق ويكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الامة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثانى انه يتأول بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شئ فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان فى قبضتى وفى كفى يريد انه تحت قدرته وفى تصرفه لا انه حال فى كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما أراده منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين أصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهى أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهى مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب فى الحركات والسكنات والله أعلم قوله عز وجل (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) أى ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لا ريب فيه أى لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) هذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم وذلك انهم طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن أزغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (لن تغنى) أى لن تنفع ولن تدفع (عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند أى عند الله شيئا (وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم فى الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (والذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا بآياتنا) لما جاءتهم بها الرسل (فأخذهم الله بذنوبهم) أى فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل فى معنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فأخذناهم فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم قوله عز وجل (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون) قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركى قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون فى الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت فى اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف فى ستين راكبا الى مكة ليستفزهم فاجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول

(سورة البقرة)

منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات (واصابه الكبر) الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد اصابه الكبر والواو فى (وله ذرية ضعفاء) أولاده صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى اصابه (فأصابها اعصار) ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود (فيه) فى الاعصار وارتفع (نار) بالظرف اذ جرى الظرف وصفا للاعصار (فاحترقت) الجنة وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة (كذلك) كهذا البيان الذى بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) فى التوحيد والدين (لعلكم تتفكرون) فتنتبهوا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة فى أموال التجارة (ومما أخرجنا لكم من الارض) من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الردئ (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة (ولستم بآخذيه) وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم (الا أن تغمضوا فيه) الا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه

الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يامعشر اليهود احذروا من الله مثل ما انزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون أى تهزمون وتحشرون يعنى فى الآخرة الى جهنم (وبئس المهاد) أى الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم فى النار قوله عز وجل (قد كان لكم آية فى فئتين التقتا) قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطفا على الذى قبله ثم فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كل ما ليس بمؤنث حقيقى يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون فى فئتين أى فرقتين وأصلها فىء الحرب لان بعضهم يفىء الى بعض اى يرجع التقتا يعنى يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله) أى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن أبى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسون رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (يرونهم مثليهم) قرئ بالتاء يعنى ترون أهل مكة ضعفى المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدبرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا فى وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قلل الله المشركين فى أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين او المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا فى استقلال احداهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين فى اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم رأيناهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفى رواية أخرى عنه قال لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الرؤية راجعة الى المشركين يعنى راى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين فى أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثر الله المسلمين فى أعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى ان المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا يعنى المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا

(تفسير النسفي)

(واعلموا ان الله غنى) عن صدقاتكم (حميد) مستحق للحمد أو محمود (الشيطان يعدكم) ويقول لكم ان عاقبة الانفاق (الفقر) والوعد يستعمل فى الخير والشر (ويأمركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) فى الانفاق (مغفرة منه) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه فى الآخرة (والله واسع) يوسع على من يشاء (عليم) بأفعالكم ونياتكم (يؤتى الحكمة من يشاء) علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل الى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل (ومن يؤت الحكمة) يعقوب أى ومن يؤته الله الحكمة (فقد أوتى خيرا كثيرا) تنكير تعظيم أى أوتى أى خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) وما يتعظ بمواعظ الله الا ذووا العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) فى سبيل الله أو فى سبيل الشيطان (أو نذرتم من نذر) فى طاعة الله أو فى معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاصى أو لا يفون بالنذور (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (ان تبدوا الصدقات فنعماهى) فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعماهى بكسر النون واسكان العين ابو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء)

وكان

فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وما ذلك إلا إظهاراً للقدرة التامة وقوله تعالى (رأي العين) أي في رأي العين (والله يؤيد) أي يقوي (بنصره من يشاء إن في ذلك) يعني الذي ذكر من النصرة وقيل رؤية الجيش مثليهم (لعبرة) أي لآية والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدية إلى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم (لأولي الأبصار) لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لأنه تعالى خالق لجميع أفعال العباد ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وإباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها وقال تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً فكل ذلك يدل على أن المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك أن الله تعالى زهد في هذه الأشياء بأن أعلم عباده زوالها ولأن الله تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولأن الله تعالى ذكر هذه الأشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أن كل ما كان حراماً كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحاً كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة لأن الله خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لأن الشهوة توقان النفس إلى الشيء المشتهى (من النساء) إنما بدأ بذكر النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان (والبنين) إنما خص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى ووجه حبه ظاهر لأنه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الإنسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك (والقناطير المقنطرة) جمع قنطار وسمي قنطاراً من الإحكام والعقد يقال قنطرته إذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين أحدهما أنه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل أن القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة منّ ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفاً وقال مجاهد سبعون ألفاً وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني أن القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروي عن أبي عبيدة أنه حكى عن العرب أن القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والأرض من مال وقال أبو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهباً أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيهاً بعبور القنطرة المقنطرة أي المجموعة وقيل المضاعفة لأن القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة (من الذهب والفضة) إنما بدأ بهما من بين سائر أصناف الأموال لأنهما قيم الأشياء وإنما كانا محبوبين لأن المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الأفراس خيلاً لاختيالها في مشيتها وقيل لأن الخيل لا يركبها أحد إلا وجد في نفسه مخيلة يعني عجباً واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال القول الأول أنها الراعية يقال أسمت الدابة وسومتها إذا أرسلتها المرعى والمقصود أنها إذا رعت ازدادت حسناً والقول الثاني أنها من السمة وهي العلامة ثم

الإخفاء (فهو خير لكم) وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل (ونكفر) بالنون وجزم الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيئاتكم) والنون على معنى نحن نكفر (والله بما تعملون) من الإبداء والإخفاء (خبير) عالم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) أو ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فتصدق عليهم لوجه الله أوخالق الهدى عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله (وما تنفقوا من خير) من مال (فلأنفسكم) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أي رضاء الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) ثوابه أضعافاً مضاعفة ولا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها (وأنتم لا تظلمون) ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيئاً أي لم تنقص الجار في (للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الصدقات للفقراء (الذين

القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المصورة الحسان وتسويمها حسنها (والانعام) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها (والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أي المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى قوله عز وجل (قل أؤنبئكم) أي أخبركم (بخير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار أراد ان يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال العلماء ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى أخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا ليحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول الا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون واي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل ان العبد اذا علم أن الله قد رضي عنه كان أتم لسروره وأعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) أي صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استر علينا وتجاوز عنا (وقنا عذاب النار) قوله عز وجل (الصابرين) يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما أصابهم (والصادقين) يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقانتين) يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات (والمستغفرين بالاسحار) يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدلٍّ من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق الى تحت

(تفسير النسفي)

أحصروا في سبيل الله) هم الذين احصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف (لا يستطيعون ضربا في الارض) للكسب لاشتغالهم به وهم أصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجوه ورثاثة الحال (لا يسألون الناس الحافا) الحاحا قيل هو نفي السؤال والالحاح جميعا كقوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * يريد نفي المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم وأن لا يفارق الا بشئ يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف وقيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) لا يضيع عنده (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) هما حالان أي مسرين ومعلنين يعني يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية أو في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (فلهم أجرهم عند ربهم ولا

وهذا

وهذا صفة الاجسام فامابزول من لاتستولى عليه صفات الاجسام فان هذه المعانى غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقيل فى قوله والمستغفرين بالاسحار وصف الله هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروى ان لقمان قال لابنه يابنى لا تكن أعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل (شهد الله انه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من أحبار الشأم قدما على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا فانا نسألك عن شئ فان أنت أخبرتنا به آمنابك وصدقناك قال اسألانى قالا فاخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلائل لما أمكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو (والملائكة) أى وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار والاعتراف بأنه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) اى وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا فى أولى العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين (قائما بالقسط) أى بالعدل نصب على الحال والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعنى انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان قائم بحق فلان اى انه مجازله فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم ومجازلهم بأعمالهم (لا اله الا هو) انما كرره للتأكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعليم أى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات (العزيز) أى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع افعاله (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين أفضل من النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الاولى والمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وشهد أن الدين عند الله الاسلام واصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة وروى البغوى بسنده الثعلبى عن غالب القطان قال أتيت

(سورة البقرة)

(الذين يأكلون الربا) هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلواة والزكواة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من قبورهم (الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان) أى المصروع لانه تخبط فى المعاملة فجوزى على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء (من المس) من الجنون وهو تعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم الا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب (بأنهم) بسبب انهم (قالوا انما البيع مثل الربا) ولم يقل انما الربا مثل البيع مع ان الكلام فى الربا لا فى البيع لانه جئ به على طريقة المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع (واحل الله البيع وحرم الربا) انكار لتسويتهم بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة من ربه) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا (فانتهى) فتبع النهى وامتنع (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من امره اليكم شئ فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى استحلال الربا عن الزجاج أو

الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وأنا اشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له انى سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا أحدثك فيها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة قوله عز وجل (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءهم العلم) يعنى بيان نعته وصفته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع ابن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التوراة من الاحكام (بغيا بينهم) أى طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت فى نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بأن الله تعالى واحد أحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى المعاداة والمخالفة (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (فان حاجوك) أى خاصموك يا محمد فى الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتباع أمر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل أسلمت وجهى لله) أى انقدت له بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أى أخلصت عملى لله وقصدت بعبادتى الله (ومن اتبعنى) يعنى ومن أسلم كما أسلمت انا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والاميين) يعنى مشركى العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أى أسلموا (فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى الى الفوز والنجاة فى الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال الله تعالى (وان تولوا) اى اعرضوا (فانما عليك البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الآية فذهب طائفة الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهب طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف (والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بآيات) يعنى يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى (ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضا فهم الذين يأمرون

(تفسير النسفى)

الى الربا مستحلا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخلية الفساق (يمحق الله الربا) يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أثيم) متماد فى الاثم بأكله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا) أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا (ان كنتم مؤمنين) كاملى الايمان فان دليل كماله امتثال المأمور به (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم يؤيده قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة وابو بكر غير ابن غالب فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله رسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (وان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار (فنظرة) فالحكم أو فالامر نظرة أى انظار (الى ميسرة) يسار ميسرة نافع

بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشره بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (أولئك الذين حبطت) اي بطلت (أعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصرين) يعني يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) انزلت في اليهود (يدعون الى كتاب الله) يعني القرآن وذلك ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضا ان رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتوراة فقالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت اعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهم البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعني القرآن او التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) أي ليقضي بينهم واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) يعني الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الاتباع (ذلك بأنهم) يعني ذلك التولي والاعراض انما حصل بسبب انهم (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) تقدم تفسيره في سورة البقرة (وغرهم) أي وأطمعهم (في دينهم ما كانوا يفترون) أي يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل (فكيف اذا جمعناهم) أي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (ليوم) أي في يوم (لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت)

(سورة البقرة)

وهما لغتان (وأن تصدقوا) بالتخفيف عاصم أي تتصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على من اعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف احدى التائين والتشديد على الادغام (خير لكم) في القيامة وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) ترجعون ابو عمرو ورجع لازم ومتعد قيل هي آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين وثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما أو احدا وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (وهم لا يظلمون) بنقصان الحسنات وزيادة السيئات (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين) أي اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا (الى أجل مسمى) مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج وانما احتيج الى ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم الى اجل مسمى ليرجع الضمير اليه في قوله (فاكتبوه) اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال وانما امر بكتابة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم المضمون الى أجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب بينكم) بين المتداينين (كاتب بالعدل) هو متعلق

أى لاشك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما اعدلهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لاحيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) اى لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وأمنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع فى ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم فى آخره وقيل ان الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير اى اقصدنا مالك الملك أى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعى الملك أحد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة أنا الله مالك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك والقدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك على كل مالك ومملوك وقادر على كل مقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة (وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته و رسالته احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من ابى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه دخلوا مكة فى عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى أبا جهل واضرابه حين قتلوا والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذى انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافى ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه (انك على كل شئ قدير) يعنى من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء قوله تعالى (تولج الليل فى النهار) الآية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة فى حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال اخراج الحى من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفى ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوى الافهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج

الليل

(تفسير النسفى)

بكاتب صفة له اى كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه دليل ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع واحد من الكتاب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بان يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء ويكون جحودا لكل حقه (ولا يبخس منه شيئا) ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئا فى الاملاء فيكون جحودا لبعض حقه (فان كان الذى عليه الحق سفيها) أى مجنونا لان السفه خفة فى العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا (أو لا يستطيع أن يمل هو) لعى به أو خرس او جهل باللغة (فليملل وليه) الذى يلى امره ويقوم به (بالعدل) بالصدق والحق (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال تقبل فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون من الشهداء) ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على ان غير المرضى شاهد (ان تضل احداهما فتذكر احداهما

الليل فى النهار يعنى تدخل الليل فى النهار وهو أن تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زائدا فى النهار حتى
يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل
(وتولج النهار فى الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات
وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتى بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتى بضوء النهار بعد ظلمة الليل
والقول الاول أصح واقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة فى النهار وبالعكس
وهو معنى الولوج (وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى) وهو أنه تعالى يخرج الانسان الحى
من النطفة وهى ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حى من البيضة وهى ميتة وبالعكس
وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة
وبالعكس وقيل انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لان المؤمن حى الفؤاد والكافر
ميته (وترزق من تشاء بغير حساب) يعنى من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتوسعه
عليه قوله عز وجل (لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان
الحجاج ابن عمرو وابن أبى الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال
رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن
دينكم فابى أولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة
وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت فى عبد الله بن أبى واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود
ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية
ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب
يارسول الله ان معى خمسمائة من اليهود وقد رأيت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله
لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعنى انصارا واعوانا من دون المؤمنين يعنى من غير المؤمنين والمعنى
لايجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم
أو محبة او معاشرة والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم وأصل من اصول الايمان (ومن يفعل ذلك)
يعنى موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله فى شئ)
أى فليس من دين الله فى شئ وقيل معناه فليس من ولاية الله فى شئ وهذا أمر معقول من ولاية المولى
معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لايجتمعان (الا أن تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا
منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون
الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن فى قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن
نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما أو غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة
المسلمين والتقية لاتكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وانكر قوم
التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز
الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير فى
أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الامان تقية
انما التقية فى الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس
واجب بقدر الامكان (ويحذركم الله نفسه) أى ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهى أو تخالفوا
المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعنى ان الله يحذركم عقابه
اذا صرتم اليه فى الآخرة قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) يعنى ما فى قلوبكم من موالاة
الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (أو تبدوه) يعنى تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا

(سورة البقرة)
الاخرى) لاجل ان تنسى احداهما الشهادة
فتذكرها الاخرى ان تضل احداهما على الشرط
فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه فتذكر مكى وبصرى من الذكر
لامن الذكر (ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا) لاداء
الشهادة او للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم
شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة
الكائن فالاول للفرض والثانى للندب (ولا
تسأموا) ولا تملوا قال الشاعر
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا ابالك يسأم
والضمير فى (ان تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا
أو كبيرا) على أى حال كان الحق من صغر أو
كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لان
ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير
وانما يقال فى الذرعى ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا (الى أجله)
الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته
(ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى
المصدر أى ذلك الكتب (أقسط) اعدل من
القسط وهو العدل (عند الله) ظرف لاقسط
(وأقوم للشهادة) واعون على اقامة الشهادة وبنى
فعلا التفضيل أى اقسط واقوم من اقسط واقام على
مذهب سيبويه (وأدنى أن لاترتابوا) واقرب
من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب
الحق فانه قد يقع الشك فى المقدار والصفات
واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك والف ادنى
منقلبة من واو لانه من الدنو (الا ان تكون
تجارة حاضرة) عاصم أى الا ان تكون التجارة
تجارة أو الا ان تكون المعاملة تجارة حاضرة
على كان التامة أى الا
ان تقع تجارة حاضرة أو هى ناقصة والاسم تجارة
حاضرة والخبر (تديرونها) وقوله (بينكم)

وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه بمحاربته
بالحرب والقتال (يعلمه الله) أي يحفظه عليكم حتى يجازيكم به (ويعلم ما في السموات وما في الارض)
يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه ما لكم وموالاتكم
الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يعني
تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء (وما عملت من سوء) أي تجد
ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء (تود) أي تتمنى (لو أن بينها وبينه) أي وبين
ما عملت من السوء (أمدا بعيدا) أي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية
وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه أمد بعيد (ويحذركم الله نفسه) انما كررها لتأكيد
الوعيد (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه
وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل
انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد
المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وغضبه قوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله) نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فلما نزلت هذه الآية عرضها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف
وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما
نعبدها حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فنزلت هذه الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا
القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فأنزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تزعمون فاتبعوني يحببكم
الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة
الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله وكنتم منقادين لاوامره مطيعين له فاتبعوني
فان اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار
طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك
قوله تعالى (ويغفر لكم ذنوبكم) يعني ان من غفر له أزال عنه العذاب (والله غفور رحيم) يعني انه
تعالى يغفر ذنوب من أحبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابي بن سلول
رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما احبت النصارى عيسى بن
مريم فأنزل الله عز وجل (قل أطيعوا الله والرسول) يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي
الله عنه كل أمر ونهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما أمر
الله به في كتابه أو نهى عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي
فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم (فان تولوا) أي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله
لا يحب الكافرين) أي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
أبى (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى
الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قوله عز وجل (ان الله اصطفى آدم ونوحا)
قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية
والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وأنتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من
الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو ابو البشر آدم عليه السلام ونوحا هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن

اخنوخ

(تفسير ابي السعود)
[illegible]
[illegible] الا تكتبوها)
[illegible] جناح [illegible] ولا بأس
[illegible] (ملابس [illegible] التداين
[illegible]
[illegible] أمر بالاشهاد على
(واشهدوا اذا تبايعتم) [illegible] الاحوط وقيل
التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا [illegible] واشهدوا اذا
[illegible] وقوع الاختلاف أو اريد به
[illegible] هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على
ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر للندب
(ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل البناء للفاعل
والمفعول [illegible] ولا يضارر
[illegible] عمر رضي الله عنهما ولا يضارر
[illegible] عن ترك الاجابة
والتحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا
عن مهم ويكلفا [illegible] أو لا يعطى الكاتب جعله
والشهيد مؤنة مجيئه من بلد (وان
تفعلوا) الضرار (فانه) فان الضرار (فسوق
بكم) خروج عن الطاعة لاحق بكم (واتقوا الله) في مخالفة أمره (ويعلمكم
الله) شرائع دينه (والله بكل شيء عليم)
(وان كنتم) أيها المتداينون (على
سفر) مسافرين (ولم تجدوا كاتبا فرهان) أي فالذي يستوثق به رهان
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وسقف ونعل ونعال
وكلاهما جمع رهن وهو في الاصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير
الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز
الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى
حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان
السفر شرط تجويز الارتهان كما زعم مالك وقوله (مقبوضة) ان
يدل على اشتراط القبض لا يصح الرهن بدون القبض
بالايجاب والقبول (فان أمن بعضكم بعضا) أي بعض الدائنين

اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابى سليمان الدمشقى ان اسم نوح
السكن وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه (وآل ابراهيم) قيل أراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه
وقيل آل ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم أصلا لشعبتين فجعل
اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل فى الاصطفاء
وجعل اسحاق أصلا لبنى اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع
له ولامته النبوة والملك الى يوم القيامة وقيل أراد بآل ابراهيم من كان على دينه (وآل عمران)
واختلفوا فى عمران هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب وهو والد موسى وهارون
فيكون آل عمران موسى وهارون أو نفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن أمون وقيل ابن ماثان وهو من
ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل
عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم (على
العالمين) أى اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة (ذرية) أى اصطفى
ذرية وأصلها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمى الآباء
الابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو من ذرأه
الله تعالى أى خلقه (بعضها من بعض) أى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناصر
والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) يعنى ان الله تعالى سميع لاقوال العباد
عليم بنياتهم وانما يصطفى لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله عز وجل (اذ قالت
امرأة عمران) هى حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران
أبى موسى لان بينهما ألفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل فى ذلك الزمن واحبارهم
وملوكهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) أى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك
والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا أى عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة
لا اشغله بشئ من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل فى الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها
ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان أحب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار
الخروج بعد ان اختار الاقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من بنى اسرائيل ومن علمائهم
الا ومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس
لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها وكانت القصة فى ذلك على ما ذكره أصحاب
السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى أم يحيى عند زكريا وكانت
حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهى أم مريم وكان قد امسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت
وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت
نفسها بذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على
بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت مريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها
ويحك ما صنعت أرأيت ان كان ما فى بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم شديد من أجل ذلك
فمات عمران قبل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل
أخذ الشئ على الرضا وأصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب
لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك انت السميع) يعنى لتضرعى ودعائى (العليم)
يعنى بنيتى وما فى ضميرى قوله عز وجل (فلما وضعتها) أى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان
فى علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو أن يكون غلاما (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها انثى)
تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل

بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة
والشهود والرهن (وليؤد الذى اؤتمن أمانته)
دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون
على ان يكون عند ظن الدائن وأمنه منه
وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه
عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو
مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه
(وليتق الله ربه) فى انكار حقه (ولا تكتموا
الشهادة) هذا خطاب للشهود (ومن يكتمها فانه
آثم قلبه) ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل
فانه يأثم قلبه او بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة
خبران وانما اسند الى القلب وحده والجملة هى الآثمة
لا القلب وحده لان كتمان الشهادة ان يضمرها
فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا
مكتسبا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى
الجارحة التى يعمل بها ابلغ كما تقول هذا مما
ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى
ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التى ان
صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد
كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه
وملك اشرف مكان منه ولان افعال القلوب
اعظم من افعال سائر الجوارح ألا ترى ان اصل
الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما
من افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة
من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم
الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما اكبر
الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان
الشهادة (والله بما تعملون) من كتمان الشهادة
واظهارها (عليم) لا يخفى عليه شئ (لله ما فى
السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان
تبدوا ما فى انفسكم) يعنى من السوء (أو تخفوه
يحاسبكم به الله) يكافئكم ويجازكم ولا تدخل
الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان

الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشيء الذي وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب اني وضعتها أنثى خافت ان تكون اخبرت الله بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالانثى) يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الآية ان المراد منها هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهبة الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهبة لله تعالى وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن في وقتها (واني سميتها مريم) يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا (واني أعيذها بك وذريتها) أي امنعها واجيرها بك وذريتها (من الشيطان الرجيم) يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة أم مريم لما فاتها ما كانت تطلب من أن يكون ولدها ذكرا فاذا هي أنثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني آدم من مولود الا نخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب ليطعن فطعن في الحجاب قوله عز وجل (فتقبلها ربها بقبول حسن) يعني ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا اذا رضيته وقال أبو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو أن يرى الشيء ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضا (وانبتها نباتا حسنا) معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام (وكفلها زكريا) قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما تلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا أحق بها لان خالتها عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها من غيرها وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى أعلى وجرت أقلامهم مع جري الماء الى أسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا بن أذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا

(تفسير النسفي)

ولكن لان ذلك مما ليس في وسعه المخلوق منه ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع ليس باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أي بالعزم على الزنى لا يعاقب عقوبة الزنى وهل يعاقب عقوبة عزم الزنى قيل لا لقوله عليه السلام ان الله عفا عن أمتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المؤاخذة في العزم ثابتة واليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلواني رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي أكثر التفاسير انه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) برفعهما شامي وعاصم اي فهو يغفر ويعذب وبجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالادغام أبو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ لان الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم (والله على كل

يرقى اليه الاسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل
عليها زكريا المحراب) يعنى الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب
ما يرقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فاذا دخل عليها المحراب (وجد عندها رزقا)
يعنى فاكهة فى غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال) يعنى
زكريا (يا مريم انى لك هذا) أى من أين لك هذه الفاكهة (قالت) يعنى مريم مجيبة لزكريا (هو من عند الله)
يعنى من الجنة وقيل ان مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم
انى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهى صغيرة فى المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو
صغير فى المهد وقال محمد بن اسحاق أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا
عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن
حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم
لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن
عم لمريم فحملها فعرفت مريم فى وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله
سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها فى المحراب
انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه
ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب وفى هذه الآية دليل على جواز كرامات
الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على
ان يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه
مع الكبر وطمع فى الولد وذلك ان أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد
فذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعنى انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسأل
ربه الولد (قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) يعنى انه قال يا رب اعطنى من عندك ولدا مباركا تقيا
صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد وانما قال طيبة
لتأنيث لفظ الذرية (انك سميع الدعاء) أى سامعه ومجيبه قوله عز وجل (فنادته الملائكة) يعنى
جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس الملائكة وقل ان يبعث الا ومعه
جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلى فى المحراب) أى فى المسجد وذلك
ان زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن
لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان يأذن فى الدخول اذا هو
برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا (ان الله يبشرك بيحيى)
أى بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمى يحيى لان الله تعالى أحيى به عقر امه وقيل لان الله تعالى أحيى
قلبه بالايمان وقيل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعنى
عيسى بن مريم وانما سمى عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة
على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمى كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد
الخلق الى الحقائق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمى كلمة بهذا الاعتبار
وقيل سمى كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى أخبر الانبياء الذين
قبله فى كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعنى الوعد
الذى وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر
وكانا ابنى خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان أم يحيى لقيت أم عيسى وهما

شى) من المغفرة والتعذيب وغيرهما (قدير)
قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه
والمؤمنون) ان عطف المؤمنون على الرسول
كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى (كل)
راجعا الى الرسول والمؤمنون أى كلهم (آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله) ووقف عليه
وان كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا
والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثانى
والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووحد
ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم
آمن وكتابه جمع وعلى يعنى القرآن أو الجنس
(لا نفرق) أى يقولون لا نفرق بل نؤمن
بالكل (بين أحد من رسله) أحد فى معنى
الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا
على اسم يدل على أكثر من واحد تقول المال
بين القوم ولا تقول المال بين زيد (وقالوا
سمعنا) اجبنا قولك (واطعنا) أمرك (غفرانك)
أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل
مضمر (ربنا واليك المصير) المرجع وفيه
اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان
الاستثناء فى الايمان وعلى بقاء الايمان
لمرتكب الكبائر (لا يكلف الله نفسا) محكى
عنهم أو مستأنف (الا وسعها) الا طاقتها
وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر
عليه المكلف كذا فى شرح التأويلات وقال
صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا
يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها الا
ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية
الطاقة والمجهود فقد كان فى طاقة الانسان
ان يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر
من الشهر ويحج أكثر من حجة (لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من
خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير

حاملتان فقالت أم يحيى لأم عيسى يا مريم أشعرت أني حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم إني لأجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شئ وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله قال وأي داء أدوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وانما تركه لله وازهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو اليق بمنصب الانبياء لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وأيضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى أحدهم نقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني انه من أولاد الانبياء الصالحين قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب) أي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الآية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي أي يا سيدي وقيل انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب (أنى يكون لي غلام) يعني من اين يكون وكيف يكون لي غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به أكان شاكا في وعد الله أو في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي جهة يكون لي الولد أيكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي أو يكون ونحن على حال من الكبر والضعف فأجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لأوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بأنه لا يجوز ان تشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوز ذلك لارتفع الوثوق بأخبارهم عن الوحي السماوي وأجيب عن هذا الاعتراض بأنه لما دلت الدلائل على صدق الانبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى (وامرأتي عاقر) أي عقيم لا تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شئ قوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي فأزيد في العبادة والشكر لك (قال آيتك) أي علامتك على الذي طلبت

(تفسير النسفي)

بالكسب والشر بالاكتساب لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف الخير (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمرا من أوامرك سهوا (أو أخطأنا) ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى (ربنا ولا تحمل علينا اصرا) في الجملة عبأ يأصر حامله أي يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كما حملته على الذين من قبلنا) كاليهود (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا (واعف عنا) امح سيئاتنا (واغفر لنا) واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالاول للكبائر والثاني للصغائر (وارحمنا) بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا والاول من المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فمن حق المولى ان ينصر عبيده في الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله اعلم

(سورة آل عمران)

(نزلت بالمدينة وهي مائتا آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم الله) حركت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة

معرفة

معرفة عليه (أن لا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) أي مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بأمور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب الآية من أجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة أيام (الا رمزا) يعني الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الأول أصح لموافقة أهل اللغة عليه (واذكر ربك كثيرا) وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة أمره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه (وسبح) اي وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشي والابكار) فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتي العشاء والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله عز وجل (واذ قالت الملائكة) يعني جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله اصطفاك) اي اختارك (وطهرك) يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أي واختارك (على نساء العالمين) اي عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها أنثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب وأسمعها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض قيل أراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النواوي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه (ق) عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام أفضل من المرق وثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه من غير ثريد وفضل عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذي قوله عز وجل (يا مريم اقنتي لربك) أي قالت الملائكة لها شفاها أطيعي ربك وقيل معناه أطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه (واسجدي واركعي مع الراكعين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود

(سورة آل عمران) الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم ولا يصح أن يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها واثباتها غير جائز وأسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون بوصل الالف وفتح الميم والله مبتدأ خبره وخبر لا مضمر والتقدير (لا اله الا هو) لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه (الحي القيوم) خبر مبتدا محذوف أي هو والحي او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت (نزل) أي هو نزل (عليك الكتاب) القرآن (بالحق) حال أي نزله حقا ثابتا (مصدقا لما بين يديه) لما قبله (وانزل التوراة والانجيل) هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة (من قبل) من قبل القرآن (هدى للناس) لقوم موسى وعيسى او لجميع الناس (وأنزل الفرقان) أي جنس الكتب لان الكل يفرق بين الحق والباطل او الزبور او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) أي في العالم فعبر عنه بالسماء والارض اي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو

وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري أمرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل أراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين أعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل وأتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة أي صلي مع المصلين في جماعة قوله عز وجل (ذلك من انباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب (نوحيه اليك) أي نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ (وما كنت) يعني يا محمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يلقون أقلامهم) يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لأجل الاقتراع (أيهم يكفل مريم) يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قدمات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خبر بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل ألقى الي فلان كلمة سرني بها وأخبرني بخبر فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمته التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى فلاجرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة أتم وأكمل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة والاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب وأصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى وأصله موشى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكان يمسح الارض أي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا أخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله

مجازيهم عليه (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) من الصور المختلفة (لا اله الا هو العزيز) في سلطانه (الحكيم) في تدبيره روى انه قدم وفد بني نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد واسقفهم وحبرهم ابو حارثة فخاصموا في ان عيسى ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا ان الله تعالى حي لا يموت وعيسى يموت وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذي أنزل عليك الكتاب) القرآن (منه آيات محكمات) أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها (وأخر) وآيات أخر (متشابهات) مشتبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شئ او المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله نحو قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الآيات والمتشابه ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل اوجها او ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله او الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق

تعالى (وجيها) أى شريفا رفيعا ذا جاه وقدر (فى الدنيا والآخرة) اما وجاهته فى الدنيا فبسبب
النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى واما وجاهته فى الآخرة فبسبب علو مرتبته عند الله
وهو قوله تعالى (ومن المقربين) يعنى عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل
الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس
فى المهد) يعنى ويكلم الناس صغيرا وهو فى المهد وذلك قبل أوان الكلام ووقته والكلام الذى تكلم به
هو ما ذكره الله عنه فى سورة مريم وهو قوله انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وتكلم ببراءة أمه مما
رماها به أهل القرية من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا
شغلنى عنه انسان سبح وهو فى بطنى وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا فى الوقت
الذى يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق
(وكهلا) يعنى ويكلم الناس فى حال الكهولة والكهل فى اللغة هو الذى اجتمعت قوته وكمل شبابه
والكهل عند العرب الذى جاوز الثلاثين وقيل هو الذى وخطه الشيب وهو السن الذى يستحكم فيه
العقل وتتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون سنة أرسله الله تعالى فمكث فى رسالته
ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحى على رأس ثلاثين سنة فمكث فى نبوته
ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الآية انه يكلم الناس وهو فى المهد ببراءة أمه وهى معجزة عظيمة ويكلم
الناس فى حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم أخبرها بأنه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه
اخبار بأنه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على
النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعنى ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من
السماء وفى هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ٣ ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم
والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى فى احتناك السن واستحكام العقل وجودة الرأى والتجربة
(ومن الصالحين) يعنى انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من
الانبياء وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة
لان الصلاح من أعظم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج
الاصلح والطريق الاكمل فى جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها فى الدنيا والآخرة
ومن المقربين وانه يكلم الناس فى المهد وكهلا أردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات
وأشرف المقامات قوله عز وجل (قالت) يعنى مريم (رب) يعنى ياسيدى تقوله لجبريل لما بشرها
بالولد قيل تقوله لله عز وجل (أنى يكون لى ولد) أى من أين يكون لى ولد (ولم يمسسنى بشر) أى
ولم يصبنى رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد
من غير أب (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله
آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون)
يعنى كما يريد (ونعلمه الكتاب) يعنى الكتابة والخط باليد (والحكمة) يعنى العلم والسنة واحكام
الشرائع (والتوراة) يعنى التى انزلت على موسى (والانجيل) يعنى الذى أنزل عليه وهذا اخبار
من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة (ورسولا الى بنى اسرائيل)
أى يجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أوّل انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم
عليه السلام فلما بعث اليهم قال (انى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بعلامة من ربكم على صدق قولى
وانما قال بآية وقد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة فلما قال ذلك
عيسى لبنى اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (انى أخلق) أى اصور واقدر (لكم من الطين كهيئة
الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشئ اذا قدرته واصلحته (فانفخ فيه) أى فى الطين

(سورة آل عمران)
والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم
القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من
الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات
عند الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ)
ميل عن الحق وهم اهل البدع (فيتبعون
ماتشابه) فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل
ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم
ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق (منه
ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن
دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب ان
يؤولوه التأويل الذى يشتهونه (وما يعلم تأويله
الا الله) أى لا يهتدى الى تأويله الحق الذى
يجب ان يحمل عليه الا الله (والراسخون فى
العلم) والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا
وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور
والوقف عندهم على قوله الا الله وفسروا المتشابه
بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر
(يقولون آمنا به) وهو ثناء منه تعالى عليهم
بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف
وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقيته
ومعرفة قصور افهام البشر عن
الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده
قراءة أبى ويقول الراسخون وعبد الله ان تأويله
الا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان
الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون
كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى
هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أى
بالمتشابه او بالكتاب (كل) من متشابهه ومحكمه
(من عند ربنا) من عند الله الحكيم الذى
لا يتناقض كلامه (وما يذكر) وما يتعظ واصله
يتذكر (الا أولوا الالباب) اصحاب العقول وهو
مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل
وقيل يقولون حال من الراسخين (ربنا لا تزغ

اليها المصور (فيكون طيرا) قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع
وقرئ فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا او ما اخلقه يكون طائرا وقيل انه
لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه
يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى
النبوة واظهر لهم المعجزات أخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه أن يخلق لهم خفاشا فأخذ طينا وصور
كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس
ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان
الكمال لله تعالى (باذن الله) معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير فاما
خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وابرئ الاكمه
والابرص) أي واشفي الاكمه والابرص وأصحهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد
أعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعشى وهو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل
والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من
جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على
وقال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق أن يمشي
اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته
(وأحيي الموتى باذن الله) قال ابن عباس قد أحيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر
وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت
اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة أيام فاتاه عيسى وأصحابه فوجدوه قد
مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر
حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له وأما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه
السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وأتى
أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ العشور من الناس وماتت بالامس فدعا
الله عيسى فأحياها بدعوته فعاشت وولد لها وأما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه
الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان
فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت
فقال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وأنبئكم) يعني
واخبركم (بما تأكلون) أي مما لم اعاينه (وما تدخرون في بيوتكم) أي وما ترفعونه فتخبئونه في
بيوتكم لتأكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكله
اليوم وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق
فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشئ
فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع ذلك الساحر
وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك
يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه أمه
فحملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل
عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى
يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى
عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهي اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات من ابراء

الاكمه

(تفسير النسفي)

قلوبنا) لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب (بعد اذ هديتنا) للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه (وهب لنا من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت (انك انت الوهاب) كثير المنة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوها وكذلك التي بعدها وهي (ربنا انك جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم اولجزاء يوم (لا ريب فيه) لا شك في وقوعه (ان الله لا يخلف الميعاد) الموعد والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله أي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب (ان الذين كفروا) برسول الله (لن تغني) تنفع اوتدفع (عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) من عذابه (شيئا) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم اومنصوب المحل بلن تغني أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالا أي قد كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أي جازيته عليه (والله شديد العقاب) شديد عقابه فالاضافة غير محضة (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر (وتحشرون الى جهنم) من الجهام وهي بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في

الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما
لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك
فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره
عليها أما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها أو بواسطة حساب الرمل ونحو
ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستعين برائد من الجن وقد يخطئ أيضا في كثير
مما يخبر به وأما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى
وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق (ان في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من خلق
الطير من الطين باذن الله وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات (لآية لكم) أي لعبرة
ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك (ومصدقا) قيل
انه عطف على قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا
(لما بين يدي من التوراة) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وكل واحد منهم يصدق
الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا
لما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على
شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى
خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى
كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى أن جاء عيسى عليه
السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء
به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم وأشياء من الطير والحيتان
زاد بعضهم فجاءهم عيسى بالتخفيف وأحلها لهم وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من أحكام
التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع
والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية من ربكم) أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي
ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني يا معشر بني اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعون) يعني
فيما أدعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما ادعوكم اليه هو قولي (ان الله ربي وربكم
فاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه
الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه
السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله
(هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد قوله عز وجل (فلما احس عيسى منهم الكفر) أي وجد وعرف
وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس
ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله * ذكر سبب القصة قال أهل الاخبار والسير لما
بعث الله عيسى الى بني اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه من بينهم فخرج هو وامه
يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار معتد فجاء
ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم ما شأن زوجك
أراه كئيبا حزينا فقالت لا تسأليني فقالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المرأة ان لنا
ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه
واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فأنا آمر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك ثم
قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا تبالي فانه قد أحسن الينا

(فئة تقاتل في سبيل الله)
وفئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) وهم المؤمنون (وأخرى) وفئة أخرى (كافرة
يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي
عدد المشركين ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة
ونيفا وعشرين أراهم الله اياهم مع قلتهم
اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم
أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي
فئتكم الكافرة أو مثلي انفسهم ولا يناقض هذا
ما قال في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم
قللوا أولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما
اجتمعوا كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان
التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من
المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان وقفوهم انهم
مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في
اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية ومثليهم
نصب على الحال لانه من رؤية العين بدليل
قوله (رأي العين) يعني رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كما
أيد اهل بدر بتكثيرهم في أعين العدو (ان في
ذلك) في تكثير القليل (لعبرة) لعظة (لأولي
الابصار) لذوي البصائر (زين للناس) المزين
هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة
مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن
الحسن الشيطان (حب الشهوات) الشهوة
توقان النفس الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها
شهوات مبالغة في كونها مشتهاة كأنه اراد
تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة
عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه
بالبهيمية (من النساء) والاماء داخلة فيها
(والبنين) جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع
على الذكور والاناث وهنا أريد به الذكور

واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابى خمرا لم تر الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذه الخمر فقال الرجل هو من أرض كذا فقال الملك ان خمرى من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هى من أرض اخرى فلما رآه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندى غلاما لا يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فى ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله تعالى حتى صار الماء خمرا بدعوته ليستجيبن له فى احياء ابنى فطلب عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى اليس اراه فقال عيسى ان أنا احييته تتركنى انا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكة الرجل قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا أجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا أبوه فقاتلوه وظهر أمر عيسى فقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به فى التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا فى اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعنى عيسى عليه السلام (من أنصارى الى الله) أى مع الله وقيل معناه الى أن ابين امر الله وأظهر دينه وقيل الى بمعنى فى أى فى ذات الله وسبيله وقيل الى فى موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لى (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل الى الله تعالى وتمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح فى الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال أفلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسألوه آية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته فى الماء فدعا الله عيسى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف فى الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشئ بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى أعمال شتى فكان آخر من سلمته اليه الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى السفر ولا ارجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد علمت كل واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومى وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك ثم قدم الحوارى والثياب كلها فى الحب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هى قال فى الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدت على الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى اخرجها كلها على الالوان التى يريد الحوارى فجعل الحوارى يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من أثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحوارى الناصر والحوارى الرجل الذى يستعان به. (ق) عن جابر بن عبد الله قال ندب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل

(تفسير النسفى)

فهم المشترون فى الطباع والمعدون للدفاع (والقناطير) جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا (المقنطرة) المنضدة أو المدفونة (من الذهب والفضة) سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق والفض التفريق (والخيل المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من اسام الدابة وسومها (والانعام) هى الازواج الثمانية (والحرث) الزرع (ذلك) المذكور (متاع الحياة الدنيا) يتمتع بها فى الدنيا (والله عنده حسن المآب) المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) من الذى تقدم (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره (تجرى من تحتها الانهار) صفة لجنات ومجروران يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) أى رضاء الله (والله بصير بالعباد) عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا أعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح او رفع او جر صفة للمتقين او للعباد (ربنا اننا آمنا) اجابة لدعوتك (فاغفر لنا ذنوبنا) بمصالك انجاز الوعد (وقنا عذاب النار) (الصابرين) على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح (والصادقين) قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء العزم (والقانتين) الداعين أو المطيعين (والمنفقين) المصلين (والمستغفرين بالاسحار) المصلين المتصدقين

نبي حواريا وحواري الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه (آمنا بالله) أي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شئ (واشهد) يعني انت يا عيسى (بانا مسلمون) قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية والنصرانية (ربنا آمنا بما انزلت) يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا آمنا بما انزلت يعني بكتابك الذي أنزلته على عيسى عليه السلام (واتبعنا الرسول) يعني عيسى (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فأثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين الذين سأل الحواريون ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على أمته قوله عز وجل (ومكروا) يعني كفار بني اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر وأصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وأمه رجع مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة وأظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة والحيلة (ومكر الله) أي جازاهم على مكرهم فسمي الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهودا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامرأة اخرى كان عيسى دعا لها فابرأها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شئ شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يبك عليك أحد بكاها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود

(سورة آل عمران) لانه وقت الاسحار وخص الاسحار او طالبين المغفرة ولانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها او للاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح (شهد الله) أي حكم أو قال (أنه) أي بانه (لا اله الا هو وأولوا والملائكة) بما عاينوا من عظيم قدرته (وأولوا العلم) أي الانبياء والعلماء (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة من اسم الله تعالى او من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح وكرر (لا اله الا هو) للتأكيد (العزيز الحكيم) رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل عن الحق (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة أن الدين على البدل من قوله أنه لا اله الا هو أي شهد الله أن الدين عند الله الاسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة ان لعبدي عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد

حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فألقى عليه شبه عيسى فأخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض اوريشلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى) اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناه انى قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشئ واستوفيته اذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا ان لا يصل اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية اني منيمك ورافعك الى * الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه اليه * الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى لا تفيد الترتيب والآية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله تعالى * الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطي معناه انى متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الى وذلك ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة * الوجه السادس ان معنى التوفي أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله انى متوفيك ورافعك الى فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا * الطريق الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديره انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى الى الارض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدرى ما امكم منكم قلت فاخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هم كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل في زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون أخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه

السلام

(تفسير النسفي)

فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله (الا من بعد ما جاءهم العلم) انه الحق الذى لا محيد عنه (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا لا شبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله (ومن يكفر بآيات الله) بحججه ودلائله (فان الله سريع الحساب) سريع المجازاة (فان حاجوك) فان جادلوك فى ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور (فقل اسلمت وجهى لله) أى اخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان اعبده وادعو الها معه يعنى ان دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى اسلمت أى اسلمت أنا ومن اتبعنى وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والاعشى والبرجمى (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) بهمزتين كوفى يعنى انه قد اتاكم من البينات ما يقتضى حصول الاسلام فهل اسلمتم أم انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر

السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى
عليهما السلام قوله عز وجل (ومطهرك من الذين كفروا) يعني مخرجك من بينهم ومنجيك منهم (وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك
وهم أهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة
وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك
اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء
لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة له وذلك ان عيسى
عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا له
بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة (ثم الي مرجعكم) يعني يقول الله
عز وجل الي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به (فاحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون) يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فاما الذين كفروا)
يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر
اليهود والنصارى (فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا) يعني بالقتل والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم
(والآخرة) اي واعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا (واما
الذين آمنوا) يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته (وعملوا الصالحات)
يعني عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم (فيوفيهم أجورهم) يعني جزاء اعمالهم لا ينقص منه شئ (والله
لا يحب الظالمين) أي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم
ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين
وغير ذلك من القصص (نتلوه عليك) اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل
عليه السلام الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فأضافه اليه (من
الآيات) يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا
من يقرأ او يكتب او نبي يوحى اليه وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي
أنزل عليك (والذكر الحكيم) اي المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه حاكم
يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله
وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش قوله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)
الآية اجمع أهل التفسير ان هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا
من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل
انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلا وانبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له
قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انسانا قط
من غير أب فأنزل الله ان مثل عيسى عند الله أي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم
في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم
في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن اقر بأن الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة
فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم اعجب وأغرب وتم الكلام عند
قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف على جهة التفسير لحال
خلق آدم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اي أنشأه خلقا بالكلمة

(سورة آل عمران)
أي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون أي انتهوا
(فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد اصابوا الرشد
حيث خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا
فانما عليك البلاغ) أي لم يضروك فانك رسول
منه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق
الهدى (والله بصير بالعباد) فيجازيهم على
اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون
بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مؤكدة
لان قتل النبي لا يكون حقا (ويقتلون الذين
يأمرون) ويقاتلون حمزة (بالقسط) بالعدل
(من الناس) أي سوى الانبياء قال عليه
السلام قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا
من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا
عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فأمروا قاتلهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر
النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم)
دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى
الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب
أليم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا الا ان لا تغير
معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها
كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع
دخول الفاء (أولئك الذين حبطت اعمالهم)
أين ضاعت (في الدنيا والآخرة) فلهم اللعنة
والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (وما لهم
من ناصرين) جمع لوقف رؤس الآي والا
فالواحد النكرة في النفي يعم (ألم تر الى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب) يريد احبار اليهود وانهم
حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض
أو للبيان (يدعون) حال من الذين (الى كتاب
الله) أي التوراة أو القرآن (ليحكم بينهم)
جعل حاكما حيث كان سبب الحكم او ليحكم النبي
روى انه عليه السلام دخل مدارسهم فدعاهم

وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الآية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بأن الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال اني أخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال في الآية فان قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولا ام قلت هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل أولى لان عيسى احيا أربعة نفر واحيا حزقيل اربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالاستقبال الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة (الحق من ربك) الذي اخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق من ربك (فلا تكن من الممترين) أي من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين يا أيها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكره فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة قوله عز وجل (فمن حاجك فيه) أي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق (من بعد ما جاءك من العلم) يعني بأن عيسى عبد الله ورسوله (فقل تعالوا) أي هلموا والمراد منه المجيء وأصله من العلو وبالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل منا ومنكم ابناءه (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قيل أراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين (ثم نبتهل) قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أي لعنة الله (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعني منا ومنكم في أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي تمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فأمنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب زاد في رواية وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعا وثلاثين فرسا غازية

فصالحهم

(تفسير النسفي)

فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين انت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلما اليها فأبيا (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) أي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي اربعون يوما أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) أي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا الا مدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت (لا ريب فيه) لا شك في كونه (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت (وهم) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس (لا يظلمون) بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم (قل اللهم) الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا ألله وبالتفخيم (مالك الملك) تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أي يا مالك الملك (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) أي تنزعه فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي انه عليه السلام حين فتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم

فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على أهل نجران ولوتلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمهم فى المباهلة ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استئصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم أجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى كتبهم قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى (وما من اله الا الله) انما دخلت من لتوكيد النفى والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفى جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لاشريك له فى الالهية (وان الله لهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها آخر (الحكيم) يعنى فى تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه (فان الله عليم بالمفسدين) أى الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود واختصموا فى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برىء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود فى عزير فأنزل الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا أى هلموا الى كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح كلمة سواء أى عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى أمر عدل نصف وهو ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا فى معصية الله (فان تولوا) يعنى فان اعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم لهؤلاء (اشهدوا بانا مسلمون) أى مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان أبا سفيان اخبره ان هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشأم فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فاتوه وهو بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية الكلبى الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل

هم أعز وامنع من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) بنزعه منه (بيدك الخير) أى الخير والشر فاكتفى بذكر احد الضدين عن الآخر ولان الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه الى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من اعدائك (انك على كل شئ قدير) ولا يقدر على شئ احد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتى القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون او بالقناعة وتذل باضدادها ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) فالايلاج ادخال الشئ فى الشئ وهو مجازها أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل (وتخرج الحى من الميت) الحيوان من النطفة أو الفرخ من البيضة أو المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحى) النطفة من الانسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا

٣ قوله وفيه زيادة قوله الخ غير ظاهر فان لفظ البريسين الذي جعله زائدا هو المذكور في هذه الرواية والذي في شرح مسلم للنووي ان الرواية المشهورة الاريسيين وفيه الاريسين بفتح الهمزة

فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم البريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث احدى روايات البخاري وقد أخرجه بأطول من هذا ٣ وفيه زيادة قوله البريسين وفي رواية الاريسين والاريس الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعثه الله فخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم النصارى اتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم (وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبران اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزلا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسمائة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستمائة واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمسة وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزال القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل اخبر في القرآن بأن ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) أي جادلتم وخاصمتم (فيما لكم به علم) يعني فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا (والله يعلم) يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بريء من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة في صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها واحبها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل (ان أولى الناس بابراهيم) يعني أخصهم به وأقربهم منه (للذين اتبعوه) يعني الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعني هذه الامة الاسلامية (والله ولي المؤمنين) يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي أبي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ

(تفسير النسفي)

بسبب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان مدني وكوفي غير أبي بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم اولصداقة قبل الاسلام أوغير ذلك وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان (من دون المؤمنين) يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان (الا ان تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أي الا ان يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة وابطال المعاداة (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد (والى الله المصير) أي مصيركم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) من ولاية الكفار أوغيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو ابلغ وعيد (ويعلم ما في السموات وما في الارض) استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شيء قدير) فيكون قادرا على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أي مسافة بعيدة أو باذكر

إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن إسحاق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثأرا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الأدم وغيره فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولأصحابك محبون وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحيك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته فنظر عمرو إلى صاحبه وقال ألا تسمع كيف ٣ يرطنون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فأمرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال إنك ملك من ملوك الأرض من أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وإنما أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار فإن كنا عبيدا قد أبقنا من أربابنا فارددنا عليهم فقال النجاشي أعبيد هم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي إن كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وإياهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم إلينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ

٣ قوله يرطنون الذي في كتب اللغة أن الرطانة الكلام بالأعجمية وهذا ليس منه فإن لم يكن اللفظة بمعنى يفخرون على الحقيقة اه مصححه

(سورة آل عمران)

ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود ونعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الأكثر وعن المبرد أن الرفع شاذ وكرر قوله (ويحذركم الله نفسه) ليكونوا على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذرا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس به وقيل هي اتباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودي ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه (ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول) قيل هي علامة المحبة (فإن تولوا) أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أي فإن تتولوا (فإن الله لا يحب الكافرين) أي لا يحبهم (إن الله اصطفى) اختار (آدم) أبا البشر (ونوحا) شيخ المرسلين (وآل إبراهيم) إسماعيل وإسحاق وأولادهما (وآل

عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله مازاد المسيح على ماتقولون هذا ثم اقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يانجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير جوار وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة أي تمنت طائفة جماعة من أهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر (وما يضلون الا أنفسهم). لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفرون بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأنتم تشهدون) يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بأيديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطؤا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل أنهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ وهذا من تلبيساتهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وأنتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وأنتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم أهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه

الآية

(تفسير النسفي)

عمران) موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (على العالمين) على عالمي زمانهم (ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) مبتدأ وخبره في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (اذ قالت) واذ منصوب به أو باضمار اذكر (امرأة عمران) هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا (رب اني نذرت لك) أوجبت (ما في بطني محررا) هو حال من ما وهي بمعنى الذي أي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أي خالص (فتقبل مني) مدني وأبو عمرو والتقبل اخذ الشئ على الرضا به (انك انت السميع العليم فلما وضعتها) الضمير لما في بطني وانما أنث على تأويل الحبلة او النفس أو النسمة (قالت رب اني وضعتها أنثى) أنثى حال من الضمير في وضعتها أي وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى وانما قالت هذا القول لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله اعلم بما وضعت) تعظيما

الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شئ لانه أول ما يواجه منه وأنشدوا في معناه

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلهم يرجعون) يعني عنه اى اىا القيناهذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى (ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أى ولا تصدقوا الالمن تبع دينكم أى وافق ملتكم التى أنتم عليها وهى اليهودية واللام فى لمن صلة كقوله ردف لكم أى ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) أى ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الالمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم أصح دينا منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال فى اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذى أنتم عليه انما صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذى هدى اليه وامر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم فى دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الالمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) وتكون ان بمعنى الجحد أى ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعنى الا ان يحاجوكم أى اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أى عند فعل ربكم وقيل او فى قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحدا مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون فى الكلام اختصار تقديره آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله الا أن أنزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وترويرهم فى دينهم بقوله لا تصدقوا يا معشر المؤمنين الالمن اتبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى (قل ان الفضل بيد الله) يعنى قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله اى انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتيه من يشاء) يعنى الفضل الذى هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود فى قولهم ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل فى اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان

(سورة آل عمران) الذى وضعت لموضوعها أى والله اعلم بالشئ الذى وضعت وما علق به من عزائم الامور ووضعت شامى وابو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله اعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لها واللام فيهما العهد (وانى سميتها مريم) معطوف على انى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان وانما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وانى أعيذها بك) اجيرها (وذريتها) اولادها (من الشيطان الرجيم) الملعون وفى الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها (فتقبلها ربها) قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) قيل القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها انثى فى ذلك او بأن تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة وقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندى اختها وقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق

والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير (والله واسع) أى ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) أى بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل (يختص برحمته) يعنى بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذى هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعنى من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما شاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت فى اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤد الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس فى هذه الآية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتى اوقية من ذهب فأداها اليه فذلك قوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود لان من مذهبهم أن يحل قتل من خالفهم فى الدين واخذ ماله بأى طريق كان (الا مادمت عليه قائما) قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل اراد انه ان اودعته شيئا ثم استرجعته منه فى الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه رده عليك وان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك (ذلك) اى سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعنى اليهود (ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج فى اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم فى كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم فى دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما فى يد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا فى أخذها منهم بأى طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال (ويقولون على الله الكذب) يعنى اليهود (وهم يعلمون) يعنى انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود قولهم فقال (بلى) أى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفى ما قبلها فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أى ولكن (من أوفى بعهده) أى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذى أنزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه عليها وقيل الهاء فى قوله بعهده راجعة الى الموفى (واتقى) يعنى الكفر والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعنى الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى رواية اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر قوله عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) قال عكرمة نزلت هذه الآية فى احبار اليهود ورؤسائهم أبى رافع وكنانة بن أبى الحقيق وكعب بن الاشرف وحيى بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التى كانوا يأخذونها من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت فى ادعاء اليهود الذين قالوا انه ليس علينا فى الاميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل

(تفسير النسفى)

الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذلك احسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر او التقدير فنبتت نباتا (وكفلها) وضمن القيام بأمرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها (زكريا) بالقصر كوفى غير ابى بكر فى كل القرآن وقرأ ابو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح (كلما دخل عليها زكريا المحراب) قيل بنى لها زكريا محرابا فى المسجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد (ان الله يرزق من يشاء) من جملة كلام مريم او من كلام رب العالمين (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل (هنالك) فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد أختها حنة فى الكرامة

نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبرا يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت انه اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبرا يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وأخرجه الترمذي وابو داود وقالا ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه (خ) عن عبد الله ابن أبي اوفى ان رجلا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به و يدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك لان المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها (ولا يكلمهم الله) يعني كلاما يسرهم به أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا (ولا يزكيهم) أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها أكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فيقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (م) عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك قوله عز وجل (وان منهم) يعني من اليهود (لفريقا) يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر (يلوون) أي يعطفون ويميلون وأصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها (ألسنتهم بالكتاب) يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي و يحتمل ان يكون المعنى يلوون ألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة

على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية) ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع (طيبة) مباركة والتأنيث للفظ الذرية (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلي (وهو قائم يصلي في المحراب) وفيه دليل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (ان الله) بكسر الالف شامي وحمزة على اضمار القول أو لان النداء قول الباقون بالفتح اي بان الله (يبشرك) يبشرك وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان (بيحيى) هو غير منصرف ان كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أي مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكوينه بكن بلا أب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عوضا عن المكون (وحصورا) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصر النفسه أي منعها من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين (قال رب أنى يكون لي

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل انهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا (لتحسبوه من الكتاب) يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعني الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعني انهم كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم من الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى (ولكن كونوا ربانيين) يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم وكباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يرب العلم ويرب الناس أي يعلمهم وينصحهم والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن أدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طريق الخير وقوله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل (ولا يأمركم) قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان أي ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله

(تفسير النسفي)

غلام) استبعاده من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك (وقد بلغني الكبر) كقولهم ادركته السن العالية أي اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتي عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لي) مدني وابو عمرو (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أي لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام الا رمزا) الاشارة بيد او رأس او عين او حاجب واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما أو هو استثناء منقطع وانما حبس لسانه عن القدرة تكليم الناس ليعلم انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) أي في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أو والتقدير واذكر اذ (قالت الملائكة) روى انهم كلموها شفاها (يا مريم ان الله اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك وربّاك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء (يا مريم اقنتي

وكفعل

وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وإنما خص الملائكة والنبيين بالذكر لأن الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم إلا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) إنما قاله على طريق التعجب والإنكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) قال الزجاج موضع إذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما أنه مأخوذ من الأنبياء والثاني أنه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه وأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل إنما أخذ الميثاق من النبيين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل إنما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل إليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى أهل الكتاب دون النبيين وإنما أطلق هذا اللفظ عليهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الأنبياء لأن العهد مع المتبوع عهد مع الأتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه وقيل إن المراد من الآية أن الأنبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به للذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به من أخذ الميثاق كما يقال أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية وإذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله (ثم جاءكم رسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (مصدق لما معكم) وذلك أن الله وصفه في كتب الأنبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فإذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الإيمان به والانقياد لقوله ولام قوله (لتؤمنن به) لام القسم تقديره والله لتؤمنن به (ولتنصرنه) قال البغوي قال الله عز وجل للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصابيح أخذ عليهم الميثاق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري الآية وقال الإمام فخر الدين الرازي يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد من الله واجب فإذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فإذا أخبرهم بعد ذلك أن الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا عند ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقررتم) يعني قال الله تعالى أأقررتم فإن فسرنا أن أخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالإيمان به والنصر له وإن فسرنا بأن أخذ الميثاق كان على الأمم كان معناه قال كل نبي لأمته أأقررتم وذلك لأنه تعالى أضاف أخذ الميثاق إلى نفسه وإن كان النبيون أخذوه على

(سورة آل عمران)

لربك) أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة (واسجدي) وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) أي ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم (ذلك) إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم (من أنباء الغيب نوحيه إليك) يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين أو هي الأقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون (وما كنت لديهم إذ يختصمون) في شأنها تنافسا في التكفل بها (إذ قالت الملائكة) أي اذكر (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة) أي بعيسى (منه) في موضع جر صفة لكلمة (اسمه) مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر (المسيح) خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمي مسيحا لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكانا (عيسى) بدل من المسيح (ابن مريم) خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وإنما قال ابن مريم إعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه (وجيها) ذا جاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة والشفاعة (ومن

الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا فى اثبات
هذا الميثاق وتأكيده على الامم وطالبوهم بالقبول وأكدوا ذلك بالاشهاد (وأخذتم على ذلكم اصرى)
أى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد (قالوا أقررنا) أى
قال النبيون أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك (قال فاشهدوا)
يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعنى أنتم على أنفسكم وقيل على أممكم واتباعكم الذين أخذتم عليهم
الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان أصل
الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله يا معشر الانبياء وأنا معكم من الشاهدين
عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فمن تولى) اى أعرض عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن
الايمان والطاعة قوله عز وجل (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان أهل الكتاب اختلفوا فادعى كل
فريق منهم انه على دين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام
فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من
دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله أفغير دين الله الهمزة للاستفهام
والمراد منه الانكار والتوبيخ يعنى أفبعد أخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين ابراهيم هو دين
الله الاسلام تبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر أى أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرئ بالياء على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (وله أسلم) أى خضع وانقاد
(من فى السموات والارض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة
واباء من النفس واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم أهل السموات طوعا واسلم بعض أهل
الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبى وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها
وقيل هذا فى يوم أخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن
سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها
عند الموت فى وقت اليأس فلم ينفعه ذلك فى القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على
الله فى مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما أمره او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع ما يقضى
عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه (واليه ترجعون) قرئ بالتاء والياء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم
الى الله يوم القيامة فيه وعيد عظيم لمن خالفه فى الدنيا قوله عز وجل (قل آمنا بالله) لما ذكر الله
عز وجل فى الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى يأتى مصدقا لما معهم بين
فى هذه الآية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد
الضمير فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا بالله لانه انما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه
لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول
وافقه أصحابه فحسن الجمع فى قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله لنا
غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل (وما أنزل علينا) يعنى وقل يا محمد
وصدقنا أيضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب وانه لم يحرف
ولم يبدل وغيره حرف وبدل (وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى
موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا فى نبوتهم
والاسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) أى وما أوتى
النبيون (من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) وذلك ان أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون
ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع

(تفسير النسفى)
المقربين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من
كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أى وثابتا
من المقربين وكذا (ويكلم الناس) أى ومكلما
الناس (فى المهد) حال من الضمير فى يكلم أى
ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعه سمى
بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أى ويكلم الناس
طفلا وكهلا أى يكلم الناس فى هاتين الحالتين
كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة
وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل
ويستنبأ فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال
أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات
(قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال
كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول
له كن فيكون) أى اذا قدر تكوين شئ
كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا
عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه (ويعلمه)
مدنى وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيها
الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ (الكتاب)
أى الكتابة وكان احسن الناس خطا فى زمانه
وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال
والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان
باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) أى
ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها
فى الدنيا والآخرة ورسولا (الى بنى اسرائيل انى)
بأنى (قد جئتكم بآية من ربكم) بدلالة تدل
على صدقى فيما ادعيه من النبوة (أنى أخلق
لكم) نصب بدل من انى قد جئتكم أو جر بدل
من آية أو رفع على هى انى اخلق لكم انى نافع
على الاستئناف (من الطين كهيئة الطير) أى
اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير (فانفخ فيه)
الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة
الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور
طائرا مدنى (باذن الله) بأمره قيل لم يخلق شيئا

الانبياء فان قلت لم عدى انزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها فى البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر (ونحن له مسلمون) أي موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا فى عبادتنا قوله عز وجل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه (وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعني الذين وقعوا فى الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله عز وجل (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم) نزلت فى اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق وحوح بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرّون به ويقولون قد اظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم أي تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه (وشهدوا ان الرسول حق) يعني وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق (وجاءهم البينات) يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها اثبتت النبوة (والله لايهدي القوم الظالمين) أي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق فى علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم فى الآخرة الى الجنة والثواب فان قلت كيف قال فى أول الآية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال فى آخرها والله لايهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص بأولئك المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم فى آخر الآية فقال والله لايهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الاسلام والكافر الاصلي وانما سمي الكافر ظالما لانه وضع العبادة فى غير موضعها (أولئك جزاؤهم) يعني الذين كفروا بعد ايمانهم (ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها) أي فى عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) اي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال (الا الذين تابوا من بعد ذلك) يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية فبعث بها اليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل الى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه (واصلحوا) أي وضموا الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لاتكفي حتى يضاف اليها العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات (فان الله غفور رحيم) أي غفور لقبائحهم فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العذاب رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم) نزلت فى اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا فى حال كفرهم وقيل نزلت فى جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني

(سورة آل عمران)

(وأبرئ الاكمه) الذي ولد أعمى غير الحماش (والابرص وأحي الموتى باذن الله) كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالاهوتية روى انه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا سحر مبين وأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وهو قوله (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وما فيهما بمعنى الذي او مصدرية (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا) فيما سبق (لما بين يدي من التوراة) أي قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك (وجئتكم بآية من ربكم) كرر للتأكيد (فاتقوا الله) فى تكذيبي وخلافي (وأطيعون) فى أمري (ان الله ربي وربكم) اقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى (فاعبدوه) دوني (هذا صراط مستقيم) يؤدي صاحبه الى النعيم المقيم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) علم من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس (قال من أنصاري) جمع ناصر كأصحاب او جمع نصير كأشراف (الى الله) يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (قال الحواريون) حواري الرجل صفوته وخاصته (نحن انصار الله) اعوان دينه (آمنا بالله واشهد) يا عيسى (بأنا مسلمون) انما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول) أي رسولك عيسى

باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في احد عشر رجلا من أصحاب الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث الى الاسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر مابدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كانه قال لليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير معنى لن تقبل توبتهم اي مما ازدادوا من الكفر على كفرهم لان الله تعالى اوعد أن يقبل التوبة من عباده وانه قابل توبة كل تائب من ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل التوبة منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى (وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤا منهاجه قوله عز وجل (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار) قال ابن عباس لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا) أي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها (ولو افتدى به) قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك لو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا لن يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول في جميع الوجوه فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شئ من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (أولئك) اشارة الى من مات على الكفر (لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شئ أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فأبيت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل (لن تنالوا البر) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه (ق) عن عبد الله بن

مسعود

(تفسير النسفي)

(فاكتبنا مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون لك بالوحدانية او مع أمة محمد عليه السلام لانهم شهداء على الناس (ومكروا) اى كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر حين ارادوا قتله وصلبه (ومكر الله) اى جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الى الله تعالى الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التأويلات (والله خير الماكرين) اقوى المجازين واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله (يا عيسى اني متوفيك) اى مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان تقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم (ورافعك الى) الى سمائي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته أو مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن اذ الواو لا يوجب الترتيب قال النبي عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك أمة انا في اولها وعيسى في آخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها او متوفي نفسك بالنوم ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب (وجاعل الذين اتبعوك) أي المسلمين لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فوق الذين كفروا) بل (الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها

مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدي الى الجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) يعني من جيد أموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما أنت محتاج اليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ٣ ولا تهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل ان الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شئ انفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ق) عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالا وكان أحب امواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح اوقال ذلك مال رائح أرى ان تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جررت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح أي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رائح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة وروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى فما كان شئ أحب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا أعود في شئ جعلته لله انكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت أن اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد قبلها وروى ان أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه يوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى (وما تنفقوا من شئ) يعني من أي شئ كان من طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه (فان الله به عليم) أي يعلمه ويجازيكم به قوله عز وجل (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) سبب نزول هذه

٣ قوله ولا تهمل في بعض النسخ ولا تمهل وقوله بعد الا وقد كان ليس آخر الحديث فانه مذكور في غير هذا المحل وقد كان لفلان كذا اه مصححه

(سورة آل عمران)

وبالسيف (ثم الى مرجعكم) في الآخرة (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) خبر بعد خبر (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف (والذكر الحكيم) القرآن يعني المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد بني نجران هل رأيت ولدا بلا أب (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام (خلقه من تراب) قدره جسدا من طين وهي جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم لا موضع لها أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم وكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير أب وأم اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا اربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (ثم قال له كن) أي انشأه بشرا (فيكون) أي فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق (فلا تكن) أيها السامع (من الممترين) الشاكين ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج

الآية ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عزوجل كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعنى ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى أولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم وأخبر ان الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذى حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفى هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما فى التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس فى التوراة علم ان الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعنى كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلا أى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا فى الذى حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اخبرنا أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل وأحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هى العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روى عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح أحدهم وفى رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما أنى لو شئت أن اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان أتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسى ما قال له الملك فأتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس فى آخرين أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فى صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقى منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله رغاء أى صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصفت له الاطباء أن يجتنب لحوم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسأل ربه أن يجز ذلك

فحرمه

(تفسير النسفى)

زيادة الثبات لانه عليه السلام معصوم من الامتراء (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجىء بالعزم والرأى كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه عليه السلام لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك فصالحهم على ألفى حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لان ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر

فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء أن يكون ذلك حراما على بني اسرائيل أما قوله من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل أنواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا آكله ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا أو صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة) يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة (فاتلوها) أي فاقرؤها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله (فأولئك هم الظالمون) أي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما بقي عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله يا محمد فيما أخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل وأولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في أن سائر الاطعمة كانت محللة على بني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل واخبر وأنتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الله الها آخر ولا عبد سواه قوله عز وجل (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وأرض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم أكذبهم الله تعالى وأخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقوله ان أول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شيء آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعا للحج وموضعا للطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل

(سورة آل عمران)

على ثقته بكذب خصمه على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق او مخالف انهم اجابوا الى ذلك (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) منا ومنكم في شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع (ان هذا) الذي قص عليك من نبأ عيسى (لهو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها او مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم (وان الله لهو العزيز) في الانتقام (الحكيم) في تدبير الاحكام (فان تولوا) اعرضوا ولم يقبلوا (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (قل يا اهل الكتاب) هم اهل الكتابين او وفد نجران او يهود المدينة (تعالوا الى كلمة سواء) أي مستوية (بيننا وبينكم) لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم

التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما اضافته الى الناس فلأنه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذى ببكة قيل هى مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفى اشتقاق بكة وجهان أحدهما انه من البك الذى هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون فى الطواف وهو قول محمد بن على الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثانى سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة أى تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله ابن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها لقول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه اذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب أى تزيلها وسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها أولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لانها اصل كل بلد ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء فى كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه اول فى الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفى رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئا من الارض بالفى عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو أول بيت بنى على الارض وروى عن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة ان يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين فى الارض أن يبنوا بيتا فى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم فى الارض قيل ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقى ذلك البناء الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقى موضع البيت اكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثانى ان المراد من الاولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذى ببكة مباركا وروى ان رجلا قام الى على بن أبى طالب فقال الا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركت الصلاة فصل زاد البخارى فان الفضل فيه وقوله (مباركا) يعنى ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهى فيه وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام (وهدى للعالمين) يعنى انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه أو حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى (فيه آيات بينات) أى فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا فى تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير مذكورة وهى ما يدل على فضل هذا البيت

(تفسير النسفى)

يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال او صراع اعترف بانى انا الغالب وسلم الى الغلبة (يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بأزمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها انتم هؤلاء) ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقاء وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته هانتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى وابو عمرو (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه (وانتم لا تعلمون) وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه برىء من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كانه اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبى) خصوصا

منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة فى الهواء بل ينحرف عنها اذا وصل اليها يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش لا تؤذى بعضها فى الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منه شئ استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا أهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التى فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التى فيه كلها من الآيات ومنها ان الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والبانى هو ابراهيم الخليل والمساعد فى بنيانه هو اسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى (مقام ابراهيم) يعنى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمى ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدى (ومن دخله كان آمنا) قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان أول بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل فى معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا والتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص أو الحد فى الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعى اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفى منه فى الحرم واجمعوا على انه لو قتل فى الحرم أو سرق أو زنى فانه يستوفى منه الحد فى الحرم عقوبة له وقيل فى معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أى ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبى صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعنى وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

(فصل) فى فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بنى آدم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذى وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى (ق) عن أبى سعيد الخدرى ان النبى عليه السلام قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى (م) عن أبى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل فى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب

خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام (والذين آمنوا) من أمته (والله ولى المؤمنين) ناصرهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا انفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لانه العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم (وما يشعرون) بذلك (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وانتم تشهدون) تعترفون بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (وتكتمون الحق) نعت محمد عليه السلام (وانتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من اهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) اى القرآن (وجه النهار) طرف أى اوله يعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين فى اول النهار (واكفروا آخره) واكفروا به فى آخره (لعلهم يرجعون) لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله) ولا تؤمنوا متعلق بقوله (ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم) وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون

الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا حديث غريب

(فصل) في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل أو حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان أحدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والآخر ان يكون مستطيعا بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع ما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الآية على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثني من ظاهر الآية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه اذا أمره ان يحج عنه أو قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله أو اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان تكون منازل المياه أهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق أهلها لجدب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد

(تفسير النسفي) ... او يحاجوكم ... لا يدعوهم اي ... عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء هداه حتى اسلم او ثبت على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم أي ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله ان يؤتى لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعني ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله او يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (والله واسع) أي واسع الرحمة (عليم) بالمصلحة (يختص برحمته) بالنبوة او بالاسلام (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في

الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرط الوجوب الحج
ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه
بان كان زمنا أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من
يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده أو اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه
لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على
من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة ما روى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يا رسول الله ان فريضة
الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك
في حجة الوداع أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) يعني ومن جحد
ما ألزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل
نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روى عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا
وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف
في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب
الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب
وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما
قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين قوله عز وجل
(قل يا أهل الكتاب) قيل الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعني
الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم
على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله
شهيد على ما تعملون) أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن) يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة
والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعني زيغا وميلا
عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء
الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على
السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء (وأنتم شهداء) قال ابن
عباس يعني وأنتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذي
لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم
الدالة على نبوته (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون
بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال
الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا
الكتاب) الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على
المسلمين بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات
بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد

(سورة آل عمران)
(الا ما دمت
عليه قائما) الامدة دوامك عليه يا صاحب
الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده
بكسر الهاء مشبعة مكي وشامي ونافع وعلى
وحفص واختلاس أبو عمرو وفي رواية غيرهم
بسكون الهاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء
الذي دل عليه لا يؤده (بأنهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل) أي تركهم اداء الحقوق بسبب
قولهم ليس علينا في الاميين سبيل أي لا يتطرق
علينا اثم وذم في شأن الاميين يعنون الذين
ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس
أموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا
وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم
يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس
لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا
ذلك في كتابهم (ويقولون على الله الكذب)
بادعائهم ان ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) انهم
كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل
عليهم في الاميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله
(من أوفى بعهده واتقى) جملة مستأنفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
يرجع الى الله تعالى أي كل من اوفى بعهد
الله واتقاه (فان الله يحب المتقين) أي يحبهم
فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام
مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من ويدخل
في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب
اتقاؤه من الكفر واعمال السوء وقيل نزلت في
عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب
ويجوز ان يرجع الضمير الى من اوفى أي كل من
اوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك
الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف
التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود واخذ

والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار ابن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر ما رأيت يوما اقبح اولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي وأصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة آيات الله وهي القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى (ومن يعتصم بالله) أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد ابن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه

(تفسير النسفي)

يستبدلون (ان الذين يشترون) الرشوة على ذلك (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب (ولا يكلمهم الله) بما يسرهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) نظر رحمة (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (ولهم عذاب أليم) مؤلم (وان منهم) من اهل الكتاب (لفريقا) هم كعب ابن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف والى الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير في (لتحسبوه) يرجع الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه (من الكتاب) أي التوراة (وما هو من الكتاب) وليس هو من التوراة (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم (وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهي السنة او فصل القضاء (والنبوة ثم يقول) عطف على يؤتيه (للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول

الآية

الآية هل هو منسوخ أم لا على قولين أحدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى والقول الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بأنها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله اتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب ان يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وواجب على العبد حضور ما انعم الله به عليه بالبال واما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) لفظ النهى واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام يعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا فى الحقيقة نهى عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فتى جاءكم صادفكم وأنتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا أتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل فى امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا) أى تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا احتلفوا فى معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه وفى افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا وانى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوى بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة وقيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا) يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعنى كما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التى أنتم عليها وفيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوى بسنده عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) قال محمد بن اسحاق وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب

(سورة آل عمران)

كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى العالم العامل (بما كنتم تعلمون الكتاب) كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف (وبما كنتم تدرسون) اى تقرؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكدروحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير (ولا يأمركم) بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخفنى وبالرفع حجازى وابو عمرو وعلى على ابتداء الكلام والهمزة فى (أيأمركم بالكفر) للانكار والضمير فى لا يأمركم وأيأمركم للبشر والله وقوله (بعد اذ أنتم مسلمون) يدل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام فى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة)

وإلهم فوقعت بينهم ماعداوة وقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان أطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان سويد بن الصامت أخي بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجده ونسبه فقدم مكة حاجا أو معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعي أفضل من هذا قرآن انزله الله عز وجل علي نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيس انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال أنا رسول الله قد بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا عليهم القرآن قال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيس حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف ابن الحرث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي اليهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه وصدقوه واسلموا معه وقالوا انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم

الاسلام

(تفسير النسفي)

لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز ان تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به (ثم جاءكم) معطوف على الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول مصدق لما معكم) الكتاب الذي معكم (لتؤمنن به) بالرسول (ولتنصرنه) أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذي او مصدرية أي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أي اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدني (قال) أي الله (أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري) أي قبلتم عهدي وسمي اصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وانا معكم من الشاهدين) وانا معكم على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبي الجائي (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه

الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد
ابن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم
فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين الذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما
فان اسعد ابن خالتى ولولا ذلك لكفيتكه وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد
الاشهل وهما يعد مشركان فأخذ اسيد بن حضير حربته ثم أقبل الى مصعب وأسعد وهما جالسان
فى الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا اسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب
ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما
فى أنفسكما حاجة قال له مصعب أوتجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره
قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن قالا والله لعرفنا
الاسلام فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون
اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر الثوب وتشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين
فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف
عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس
فى ناديهم فلما نظر سعد الى أسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم
فلما وقف أسيد على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد
نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم
عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك فقام سعد مغضبا للذى ذكره من بنى حارثة فأخذ الحربة ثم قال
والله ما أراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيدا انما أراد ان يسمع منهما
فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تغشانا
فى دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخالفك أحد منهم فقال
له مصعب أوتقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد
أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الاسلام
فى وجهه قبل ان يتكلم من اشراق وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا
تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة
الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا
نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد
الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم
على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلم ومسلمة
ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق
دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار أمية بن زيد وخطمة
ووائل وواقف وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن
الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان
مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل
الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط ايام التشريق وهى بيعة
العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من
قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه

(سورة آل عمران)
(وله اسلم من فى السموات) الى المعبود بالباطل (وله اسلم من فى السموات) الملائكة (والارض) الانس والجن (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين (واليه ترجعون) فيجازيكم على الاعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثانى وفتح الجيم أبو عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما (قل آمنا بالله وما أنزل علينا) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذا وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا او أمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وعدى انزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسول فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر وقال صاحبه الخطاب فى البقرة للامة لقوله قولوا ولم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى أمتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا (وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء (وما أوتى موسى وعيسى والنبيون) كرر فى البقرة وما أوتى موسى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء حيث قال لما آتيتكم (من ربهم) من عند ربهم (لا نفرق بين احد منهم) فى الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون)

ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم فأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد
معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا
ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة احدى نساء بنى النجار وأسماء بنت عمرو بن عدى
أم منيع احدى نساء بنى سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه
العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب ان يحضر أمر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا
أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يامعشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من الانصار
الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم و قد منعناه عن قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو فى عز
من قومه ومنعة فى بلده وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه
اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم
فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك ولربك
ماشئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال
أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذى
بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناهما
كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول
الله ان بيننا و بين الناس حبالا يعنى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان
ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم منى
وانا منكم أحارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الى منكم اثنى
عشر نقيبا تسعة من الخزرج كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين بعيسى بن مريم فاخرجوا
اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا
لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن فضلة الانصارى يامعشر الخزرج هل
تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت
أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى فى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم
وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا
فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط
يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الجباجب هل لكم
فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب
العقبة يعنى شيطان العقبة اسمع أى عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن فضلة والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى
بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا
فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج
بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حى من العرب
أبغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان
من هذا شئ وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن
المغيرة المخزومى وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كانى اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوه يا جابر
اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما

موحدون مخلصون انفسنا له لانجعل له شريكا
فى عبادتنا (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى
التوحيد واسلام الوجه لله او غير دين محمد
عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو فى
الآخرة من الخاسرين) من الذين وقعوا فى
الخسران ونزل فى رهط اسلموا ثم رجعوا عن
الاسلام ولحقوا بمكة (كيف يهدى الله قوما
كفروا بعد ايمانهم) والواو فى (وشهدوا ان
الرسول حق) للحال وقد مضمرة أى كفروا وقد
شهدوا ان الرسول أى محمدا حق أو للعطف على
ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعدان
آمنوا (وجاءهم البينات) أى الشواهد كالقرآن
وسائر المعجزات (والله لا يهدى القوم الظالمين)
أى ماداموا مختارين الكفر او لا يهديهم طريق
الجنة اذا ماتوا كفارا (أولئك) مبتدأ (جزاؤهم)
مبتدأ ثان خبره (أن عليهم لعنة الله) وهما خبر
أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك
(والملائكة والناس اجمعين خالدين) حال من
الهاء والميم فى عليهم (فيها) فى اللعنة (لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من
بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (واصلحوا)
ما افسدوا أو دخلوا فى الصلاح (فان الله غفور)
لكفرهم (رحيم) بهم ونزل فى اليهود (ان الذين
كفروا) بعيسى والانجيل (بعد ايمانهم) بموسى
والتوراة (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم
ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه
فى كل وقت او نزل فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
وازديادهم الكفران قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد
ريب المنون (لن تقبل توبتهم) أى ايمانهم عند
البأس لانهم لا يتوبون الا عند الموت قال الله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

من رجليه ورمى بهما الى وقال والله لتنتعلنهما قال أبو حارمه والله أحفظت الفتى فاردد اليه نعليه
قال فقلت لا اردهما قال والله يا أبا صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة
وقد شدوا العقد فلما قدموها أظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم
بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد
المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا ثم
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام
وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله
عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم أعداء يعني قبل الاسلام فألف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة
والسلام فأصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة
(وكنتم) يا معشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس
بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم (فأنقذكم منها) أي فخلصكم بالايمان من الوقوع في النار
(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر) اللام في قوله ولتكن لام الامر أي لتكن منكم امة دعاة الى الخير وقيل
ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر على كل أمة في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب
على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف
ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به
واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن ادخال لفظ من في قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن
بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها
وكان الذي في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا لم نؤذ من
فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخير المذكور في الآية هو
كل شئ يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن أمة أي جماعة
دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها
نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو
النهي عن المنكر فذكر الحسن أولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل
يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه قوله تعالى (وأولئك
هم المفلحون) قوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين
كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا في دين الله
وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة
واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم اهل الكتاب نهى
الله اهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف اهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين

(سورة آل عمران)

(ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض) (وأولئك هم الضالون) ... وهم كفار فلن يقبل يؤذن بأن الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب (ذهبا) تمييز (ولو افتدى به) أي فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك قيل الواو لتأكيد النفي (اولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (وما لهم من ناصرين) معينين دافعين للعذاب (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر او لن تكونوا أبرارا او لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية قال وعن الحسن الواسطي الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لان السكر احب الي فأردت أن انفق مما احب (وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) أي هو عليم بكل شئ تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أي من أي شئ كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبي عليه السلام انك تدعي انك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحوم الابل والبانها فقال

بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم شر قتيل تحت اديم السماء وخير قتيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدي وقال ان بارضي منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم وروى الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو امامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الى آخر الآية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم اسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات او أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى (من بعد ما جاءهم البينات) يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد بربقة الاسلام عقد الاسلام وأصله ان الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه اشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك ان المؤمن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها ان أهل الموقف اذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا انه من أهل السعادة واذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من أهل الشقاوة (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال أكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن أبي بن كعب انه قال اراد به الايمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم تكلموا بالايمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك انهم آمنوا بمحمد صلى

(تفسير النسفي)

فنحن نحله ذلك حلالا لابراهيم عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم (كل الطعام) اي المطعومات التي فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم (كان حلا لبني اسرائيل) أي حلالا وهو مصدر يقال حل الشيء حلا ولذا استوى في صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم (الا ما حرم اسرائيل) أي يعقوب (على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الابل والبانها وكانا أحب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها لتحريم اسرائيل ذلك على نفسه (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرؤا على اخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف

الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا من زمن أبي بكر الصديق رضي الله
عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي
رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لانالهم اختلجوا دوني فاقول اي رب أصحابي فيقال انك لاتدري ما أحدثوا
بعدك (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى
اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي لاتدري ما أحدثوا بعدك زاد في
رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم
القيامة رهط من أصحابي أوقال من امتي فيحلؤن عن الحوض فأقول يارب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما
أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب
وقتلهم وهم الحرورية (م) عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي لما ساروا الى
الخوارج فقال علي أيها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤن
القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشئ ولا صلاتكم الى صلاتهم بشئ ولا صيامكم الى صيامهم بشئ يقرؤن
القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية
وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن القرآن لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمرو قال
قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول
وأهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق
السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول
يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي
مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الاعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله
عنه يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من أهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل
ليخرج من أهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية ثم نادى هم
الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى (وأما الذين ابيضت وجوههم) يعني المؤمنين
المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يعني ففي جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه
اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لايدخل الجنة الا برحمة الله تعالى (هم فيها خالدون) قيل
انما كرر كلمة في لان في كل واحدة معنى غير الاخرى المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون (تلك
آيات الله) يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت (نتلوها عليك بالحق) أي بالمعنى الحق لان
المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني لايعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم
هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون أخبر أنهم انما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وانه لا يظلم أحدا من خلقه (ولله
ما في السموات وما في الأرض) لما ذكر الله انه لايريد ظلما للعالمين لانه لاحاجة به الى الظلم وذلك ان الظالم
انما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصا فيه بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا
عن ذلك وله صفة الكمال أخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده
واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم أحدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال
(والى الله ترجع الامور) يعني واليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي
الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم قوله عز وجل (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه الآية
ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل

(سورة آل عمران)

كتاب الله التسوية اغراضكم والزمكم تحريم الطيبات
التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه (حنيفا)
حال من ابراهيم أي مائلا عن الاديان الباطلة
(وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود
للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل (ان أول بيت
وضع للناس) والواضع هو الله عز وجل ومعنى
وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم
فكأنه قال ان أول متعبد للناس الكعبة
وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت
المقدس باربعين سنة قيل أول من بناه ابراهيم
وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول
بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه
السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع
جر صفة لبيت والخبر (للذي ببكة) أي للبيت
الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة
لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد
وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس
فيها أو لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم
يقصدها جبار الا قصمه الله (مباركا) كثير الخير
لما يحصل للحاج والمعتمرين من الثواب وتكفير
السيئات (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم
ومباركا وهدى حالان من الضمير في وضع (فيه
آيات بينات) علامات واضحات لاتلتبس على
احد (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله
آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه
وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة
دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه
السلام من تأثير قدمه في حجر صلد أو لاشتماله
على آيات لان أثر القدم في الصخرة الصماء آية
وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض
الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات
الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان

وسالم مولى أبي حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فأنزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشئ في زمان ماض ولا تدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بأنكم خير امة وقيل معناه كنتم منذ أنتم خير امة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم أي صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا من هم ففيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم (ق) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون (ق) عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابي والقرن اهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشئ وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن

(تفسير النسفي)

(ومن دخله كان آمنا) عطف بيان لآيات وان كان جملة ابتدائية أو شرطية من حيث المعنى لانه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه في طي الذكر قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على انه لم يكن من شأنه ان يذكر شيئا من الدنيا ذكر شيئا هو من الدين وقيل في سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل عليه السلام انزل حتى نغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود أو ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا

عبد الله رادغيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذي (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا وسبعمائة ألف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي أخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة اخرجت (خ) عن أبي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس أمة خير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك (وتؤمنون بالله) أي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت الايمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب (المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون قوله عز وجل (لن يضروكم الا أذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لاسلامهم فانزل الله لن يضروكم الا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الا أذى يعني باللسان من طعنهم في دينكم أو تهديدا والقاء شبه وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى والغم (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) يعني منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون أن يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانهم اذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا

(سورة آل عمران)

من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) أي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفي غير أبي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان في مصدر حج (من) في موضع جر على انه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسرها النبي عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل (ومن كفر) أي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج (فان الله غني عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الآية انواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى أي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تاركي الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي

قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (اينما ثقفوا) أي حيثما وجدوا وصودفوا (الا بحبل من الله) يعني الا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة (وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بانهم) أي بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان أهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله (من اهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الآخر قال أبو ذؤيب

دعاني اليها القلب اني امره * مطيع فلا أدري أرشد طلابها

اراد أم غير رشد فاكتفى بذكر أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى أن نقول وأمة غير قائمة وانما ابتدأ بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة أي مهدية قائمة على أمر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة أي عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة في الصلاة (يتلون آيات الله) أي يقرؤن كتاب الله عز وجل (آناء الليل) يعني ساعاته (وهم يسجدون) يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه أراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطاء في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يريد أربعين رجلا من أهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان ايمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه

(تفسير النسفي)
وقع عبارة عنه (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) الواو
للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على
صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد
على اعمالكم فيجازيكم عليها (قل يا أهل الكتاب
لم تصدون) الصد المنع (عن سبيل الله من
آمن) عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر
بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يمنعون من اراد
الدخول فيه بجهدهم ومحل (تبغونها) تطلبون
نصب على الحال (عوجا) اعوجاجا وميلا عن
القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك
(وأنتم شهداء) انها سبيل الله التي لا يصد عنها
الا ضال مضل (وما الله بغافل عما تعملون) من
الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى
المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله
بقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين) قيل مر شاس بن قيس اليهودي على نفر
من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم
يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من
اليهود ان يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان
يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر
فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي عليه السلام فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال
أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم
الله بالاسلام وألف بينكم فعرف القوم انها نزعة
من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم
بعضا باكين فنزلت الآية (وكيف تكفرون)
معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب أي من
أين يتطرق اليكم الكفر (وانتم تتلى عليكم آيات
الله) والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز

المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصى واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون فى الخيرات) أى يبادرون اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب فى أمر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى (وأولئك) اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) أى من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضى عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد واذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله عز وجل (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنى أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو أهل الكتاب أيضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير أيها المؤمنون فلن تكفروه أى فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه أو تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الايمان والتقوى قوله عز وجل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) قال ابن عباس يريد بنى قريظة والنضير وذلك أن رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل الاموال فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال عز وجل لن تغنى عنهم أموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش فان أبا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق أبو سفيان مالا كثيرا فى يومى بدر واحد على المشركين وقيل ان الآية عامة فى جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغنى أى تدفع عنهم أموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا) قيل أراد نفقة أبى سفيان وأصحابه ببدر وأحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم فى الدنيا وقيل أراد نفقة المرائى الذى لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما أن يكون لمنافع الدنيا أو لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له أثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة كمن يتصدق ويعمل أعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع أعمال البر فلا ينتفع بما انفق فى الدنيا لاجل الآخرة وكذلك المرائى الذى لا يريد بما انفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته فى الآخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى (كمثل ريح فيها صر) فيه وجهان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد والوجه الثانى ان الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية ابن عباس وبه قال ابن الانبارى من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها برد فهى مهلكة أو حر فهى مهلكة أيضا (أصابت) يعنى الريح التى فيها صر (حرث قوم) أى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) يعنى

(سورة آل عمران)

غضة طرية (وفيكم رسوله) وبين اظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم تتلى عليكم على لسان الرسول ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه أو بكتابه او هو حث لهم على الالتجاء اليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أرشد الى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو ان لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه او أبيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت (واعتصموا بحبل الله) تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم (جميعا) حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله (ولا تفرقوا) أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع او ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالاسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا اخوانا (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على ان تقعوا فى نار جهنم لما كنتم

بالكفر والمعاصي ومنع حق الله منه (فأهلكته) يعني فأهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع أصابته ريح باردة فأهلكته أو نار فأحرقته فلم ينتفع به أصحابه فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا وإبطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين فعلى هذا زال الإشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فإن جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعني بأن لم يقبل نفقاتهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعني أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك حرثهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون المنافقين ويفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية قوله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد به جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لأن الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا إذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل أن الذي يخصه الإنسان بمزيد القرب يسمى بطانة لأنه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصفياء من غير أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى (لا يألونكم خبالا) يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد والخبال لأن أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الإنسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) أي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفي صدورهم) يعني من العداوة والغيظ (أكبر) أي أعظم مما يظهرونه (قد بينا لكم الآيات) يعني الدالة على وجوب الإخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (إن كنتم تعقلون) يعني ما بين لكم فتتعظون به قوله تعالى (ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور (أولاء) اسم للمشار إليهم في قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا يحبونكم لأنهم يريدون لكم الكفر وهو شر الأشياء لأن فيه هلاك الأبد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الإيمان وأنتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لأن الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بأن تفشوا إليهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني وهم لا يؤمنون

وأنتم

(تفسير النسفي)

عليه من الكفر (فأنقذكم منها) بالإسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وأنث لإضافته إلى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فلهذا يثنى شفوان (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته) أي القرآن الذي فيه أمر ونهي ووعد ووعيد (لعلكم تهتدون) لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف) بما استحسنه الشرع والعقل (وينهون عن المنكر) عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصي والدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته فإنه يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أي وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أي هم الأخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) في الديانة وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق (وأولئك لهم

واغا ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي
الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعني
ان الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم
وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلوا) أي خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل
من الغيظ) الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة
الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة
الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب (قل
موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة
أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عليم بذات الصدور)
يعني به الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب
منتسبة اليه كني عنها بذوات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فأخبرهم
انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم
قوله عز وجل (ان تمسسكم) أي تصبكم ايها المؤمنون وأصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى شيء ماساله
على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أي اصابه (حسنة) المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل
ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم (تسؤهم)
اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسنى (وان تصبكم سيئة) أي مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو
منكم او اختلاف يقع بينكم او غدر ونكبة ومكروه يصيبكم (يفرحوا بها) أي بما اصابكم من ذلك
المكروه (وان تصبروا) يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة
(وتتقوا) أي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه (لا يضركم) أي لا ينقصكم
(كيدهم) أي عداوتهم ومكرهم (شيئا) أي لانكم في عناية الله وحفظه (ان الله بما يعملون)
قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء
على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه (محيط)
أي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله عز وجل (واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال) قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم أحد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود
وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم
الاحزاب ونقل عن الحسن أيضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى أحد فجعل يَصُفُّ أصحابه للقتال كما
يقوم القدح قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا بأحد يوم الاربعاء فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله بن أبي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فان
أقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه
يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولتها هزيمة ورأيت
اني ادخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا اقاموا

(سورة آل عمران)

عذاب عظيم) ونصب (يوم تبيض وجوه) أي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم او بعظيم أو باذكروا (وتسود وجوه) أي وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فأما الذين اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) فحذف القاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد ايمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبي وهو الظاهر أو هم المرتدون أو المنافقون أي أكفرتم باطنا بعد ايمانكم ظاهرا أو اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله) ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استأنف فقال (هم فيها خالدون) لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء (وما الله يريد ظلما للعالمين) أي لا يشاء ان يظلم هو عباده فيأخذ احدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن (ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور) فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع شامي وحمزة وعلي كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله (كنتم خير أمة) كأنه قيل وجدتم خير أمة او كنتم في علم الله أو في اللوح خير أمة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به (أخرجت) اظهرت (للناس) اللام تتعلق بأخرجت (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام

بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه
المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد
اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد قام المشركون
بأحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة وكان
قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت
للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وأصحابه الى
أحد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام
ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبي بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه أطاع
الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم
انهزموا فاذا رأيتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما
التقى الجمعان وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي بن سلول
بثلثمائة من أصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من أصحابه
فقواهم الله وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه
الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الله ان يفطمهم عن
هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما
كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين
فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس
وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد
ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك أي واذكر اذ غدوت من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه
منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المؤمنين اي
تنزل المؤمنين مقاعد للقتال أي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال (والله سميع) يعني
لاقوالكم (عليم) يعني بنياتكم وما في ضمائركم قوله عز وجل (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) أي تجبنا
وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون
ثلاثة آلاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام
نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعه ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله بن أبي لو نعلم
قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم
نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا (والله وليهما) أي ناصرهما وحافظهما ومتولي
أمرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على
الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم
وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس هنا اولى والله تعالى لا يؤاخذ
بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد ثبتوا مع

رسول

(تفسير النسفي)
والالباس وجه الكرم فيه (بالمعروف) بالايمان
وطاعة الرسول (وتنهون عن المنكر) عن
الكفر وكل محظور (وتؤمنون بالله) وتدومون
على الايمان به ولان الواو لا تقتضي الترتيب
(ولو آمن اهل الكتاب) بمحمد عليه السلام
(لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم
مما هم فيه لانهم انما آثروا دينهم عن دين
الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا
لكان خيرا لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ
الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الايمان به من
ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن
سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون
في الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا
مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين او
تهديد او نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار)
منهزمين ولا يضروكم بقتل او أسر (ثم لا ينصرون)
ثم لا يكن لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه
تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم
بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف
على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على
يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا
وانما استؤنف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا
اولم يقاتلوا وتقدير الكلام اخبركم انهم
ان يقاتلوكم ينهزموا وانهم اخبركم انهم لا ينصرون
وثم للتراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط
الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليهم الادبار
(ضربت عليهم الذلة) أي على اليهود
(اينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله) في محل
النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف
تقديره الا معتصمين او متمسكين بحبل من الله
(وحبل من الناس) والحبل العهد والذمة
والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما (ق) عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما اخرجتهم من ولاية الله تعالى وقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل التفعل من وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فأمر عباده المؤمنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا أمرهم الا اليه قوله عز وجل (ولقد نصركم الله ببدر) بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر (وأنتم أذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب وقلة المال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان أكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم (فاتقوا الله) يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعلكم تشكرون) يعنى بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته قوله عز وجل (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر او يوم أحد على قولين أحدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكرهها (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا أو مددا قال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد امدوا بألف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضا بان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولان العدة والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد أكثر القول الثانى ان هذا الوعد بانزال الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحاق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب يتنبل له كلما فنى النبل أتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحاق ارم ابا اسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف (ق) عن سعد بن ابى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا وما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة فى مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فناسب

(سورة آل عمران)
الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة
وهى التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية
(وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت
عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم ان
الله فقير ونحن أغنياء اوخوف الفقر مع قيام
اليسار (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى
ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء
بغير حق ثم قال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)
أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم
لله واعتدائهم حدوده (ليسوا سواء) ليس
أهل الكتاب مستوين (من أهل الكتاب)
كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع
قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة
(أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك
أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين اسلموا
منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آناء الليل)
ساعاته واحدها انى كمعى أوانو كقنوا أوانى
كنحى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد
صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وقيل
عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل
مع السجود (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف) بالايمان وسائر ابواب البر (وينهون
عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع
(ويسارعون فى الخيرات) يبادرون اليها خشية
الفوت وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع
صفتان لامة أى أمة قائمة تالون مؤمنون
ووصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة
آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان
ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم
ببعض الكتب والرسل ومن الايمان باليوم
الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر

ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة لتكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بأن الله تعالى لما أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فأنزل الله ألفا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب حسن ولله ان يزيد ماشاء في أي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فأمدهم الله بملائكة حتى حاصروا قريظة (ق) عن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى أين قال ههنا وأشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن انس رضي الله عنه قال كأني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال ابن ابي اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ماشاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال أوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة وفتح لنا فتحا يسيرا قال ابن جرير الطبري وأولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا دلالة في الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله أمدهم وقد يجوز ان لا يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الانفال واما يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها بأنهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم أحد وانه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظم الآية ان الله ذكر قصة أحد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر ان ينصركم في سائر المواطن ثم رجع الى قصة أحد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويتقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله أي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد الن يعني يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ان تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بألف فلما سمعوا كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجيء للمشركين المدد فلما لم يمد والم يمد الله المسلمين بغير الف ور

(تفسير النسفي)

بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في القيام به (واولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين او من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو ويخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي من عذاب الله (وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أوما يتقربون به الى الله مع كفرهم (كمثل ريح) كمثل مهلك ريح وهو الحرث اومثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح (فيها صر) برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لريح مثل (اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم (ولكن انفسهم يظلمون) بارتكاب ما استحقوا به العقوبة او يكون الضمير للمنفقين أي وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وفي الحديث الانصار شعار والناس دثار (من

ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم أر اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في ألف من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة أحد فيكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسومين) قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو أراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني انا ذلكم * شاكي سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عليهم عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلموا بالعهن يعني بالصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بسيما القتال قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمدد (الا بشرى لكم) يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به (ولتطمئن) أي ولتسكن (قلوبكم به) أي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعني لا تحملوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا أي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون وأسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو يكبتهم) أصل الكبت في اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة أو الاهلاك أو اللعن والخزي (فينقلبوا خائبين) أي بالخيبة لم ينالوا شيئا من الذي أملوه من الظفر بكم قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من الغزاة بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ

(سورة آل عمران)

دونكم) من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون في فساد دينكم يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز او على حذف في أي في خبالكم (ودوا ما عنتم) أي عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (وما تخفي صدورهم) من البغض لكم (اكبر) مما بدا (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم (ها أنتم أولاء) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وأولاء موصول صلته تحبونهم والواو في (وتؤمنون بالكتاب كله) للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم وقيل الكتاب للجنس (واذا لقوكم قالوا آمنا) اظهروا كلمة التوحيد (واذا خلوا) فارقوكم او خلا بعضهم ببعض (عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا

الى قوله فانهم ظالمون (ق) عن أبى هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من العرب حتى أنزل الله ليس لك من الأمر شئ الآية سماهم فى رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا فى سببها فقيل ان عتبة بن أبى وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شئ وقيل أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان أكثرهم يسلمون وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة ورأى ما صنعوا به من المثلة أراد أن يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الأشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر مصالح عبادى شئ الا ما أوحى اليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فاما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما وافق أمرى انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الأمر شئ كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الأمر شئ بل الأمر أمرى فى ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب عليهم وسيولد من بعضهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلأجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم فى الدنيا وهو القتل والأسر وفى الآخرة وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الأمر شئ والمعنى انما يكون لمن له ما فى السموات وما فى الأرض وليس ذلك الا الله تعالى وليس لأحد معه أمر (يغفر لمن يشاء) بفضله ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له فى حكمه ولا معارض له فى فعله (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتأخير الأجل كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الأجل ولم يكن للمديون ما يؤدى قال له صاحب الدين زدنى فى المال حتى أزيدك فى الأجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين أضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا ومضاعفته (واتقوا الله) يعنى فى أكل الربا فلا تأكلوه (لعلكم تفلحون) أى لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان أكل الربا من الكبائر ولهذا أعقبه بقوله تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) يعنى واتقوا أيها المؤمنون

(تفسير النسفى)

به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور ولا تظنوا ان شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على ما يسرون فانى أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم (ان تمسسكم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسؤهم) تحزنهم (وان تصبكم سيئة) أضداد ما ذكرنا (يفرحوا بها) باصابتها والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة (وان تصبروا) على عداوتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيئا) مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وجزمه لانه جواب الشرط وجواب الشرط قراءة غيرهم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا (ان الله بما تعملون) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) وبالياء غيره أى انه عالم بكم ما أنتم أهله فاعل بكم ما أنتم

ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم ان هذه الآية أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدى فى هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعنى فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره (والرسول) أى واطيعوا الرسول أيضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن اسحاق فى هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) يعنى وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهى الاعمال الصالحة المأمور بعملها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا تحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروى عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص فى الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) أى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وقيل اشعارا بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) أى عرض الجنة (السموات والارض) يعنى كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شئ علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة واما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أى واسعة عظيمة قال الشاعر

كان بلاد الله وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب والليل فى ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده أصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر بن الخطاب أرأيتم اذا جاء الليل فأين يكون النهار واذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا ان مثلها فى التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذى وعد به الجنة ومذهب أهل السنة انها فى السموات واذا كانت الجنة فى السموات فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها فى السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفى السماء هى ام فى الارض فقال اى أرض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هى قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب الجنة فى السماء

(سورة آل عمران)
بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه (واذ غدوت من اهلك) واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك بالمدينة والمراد غدوه خرجت عدوة من حجرة عائشة رضى الله عنها الى أحد (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق بتبوئ (والله سميع عليم) سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى فاستشاره وقال أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط الا اصاب منا وما دخلوا علينا الا اصبنا منهم فقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأنى ادخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة ولم يزل به قوم ينشطون فى الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال (اذ همت) بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى عليم (طائفتان منكم) حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان عليه السلام خرج فى الف والمشركون فى ثلاثة آلاف الى أحد ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله ابن ابى بثلث الناس وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه وعصمهم الله فمضوا مع رسول الله (ان تفشلا) أى بان تفشلا أى بان تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور (والله وليهما) محبهما او ناصرهما او متولى أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله

وعرضها كعرض السموات والارض (أعدت للمتقين) اى هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن قوله عز وجل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) يعنى فى العسر واليسر لا يتركون الانفاق فى كلتى الحالتين فى الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا فى حال فرح وسرور ولا فى حال محنة وبلاء وسواء كان الواحد منهم فى عرس أو حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فأول ماذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه أشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال فى ذلك الوقت أعظم الاحوال للحاجة اليه فى مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى احب الى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذى (ق) عن أبى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفى ثيابه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فل هلم فقال أبو بكر يارسول الله ذاك الذى لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو ان تكون منهم قوله أى فل يعنى يافلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعنى ذاك الذى لا هلاك عليه وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ) يعنى والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشئ عند امتلائه وكظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيرده فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل و يصبر عليه و يسكت عنه ومعنى الآية أنهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم فى اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ عن انس الجهنى عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء أخرجه الترمذى وأبو داود (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى عن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ماتركت لذى غيظ شفاء (والعافين عن الناس) يعنى اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل أراد بالناس المماليك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين فى الآية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذى يعم باحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك فى كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة فى هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد أعظم درجات الثواب قوله عز وجل (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضى الله عنه قال المؤمنون للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت فى نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس

(تفسير النسفى)

فليتوكل المؤمنون) أمرهم بأن لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قال جابر والله ما سرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة فقال (ولقد نصركم الله ببدر) وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر (وأنتم أذلة) لقلة العدد فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو اذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا (فاتقوا الله) فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم ذلك يوم أحد (ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منزلين شامى منزلين ابو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجىء بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر (بلى) ايجاب لما بعد لن أى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا) على القتال (وتتقوا) خلاف الرسول عليه السلام (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) هو من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على

مجمدوفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما أرادت المرأة أن تأخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فأتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فأنزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنى وقوله تعالى (او ظلموا أنفسهم) ظلم النفس هو ما دون الزنى مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان (ذكروا الله) يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم الفزع الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى (فاستغفروا لذنوبهم) يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه وانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة أخرجه ابو داود وقال حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وان لم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل ومعناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

(فصل في فضل الاستغفار) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه ما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان ابن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (ق) عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

(سورة آل عمران)

شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخي الامر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يعني ان الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم (مسومين) بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم وسهل أي معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة يعرفون بها في الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها غيرهم بفتح الواو أي معلمين قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألف فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع الى الامداد الذي دل عليه ان يمدكم (الا بشرى لكم) أي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة (العزيز) الذي لا يغالب في احكامه (الحكيم) الذي يعطي النصر لاوليائه ويبتليهم بجهاد اعدائه واللام في (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او بيمددكم ربكم (او يكبتهم) او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين

فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي قال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال اى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى ان عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال اى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ماشئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا أدري اقال في الثالثة أو الرابعة اعمل ماشئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ماعن لك منها اى ماظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو مايقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف أخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث حسن صحيح على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا ومن قتل مؤمنا متعمدا أخرجه ابو داود انتهى قوله عز وجل (أولئك) اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم الآية (جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار) معنى الآية ان المطلوب بالتوبة أمران احدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اى ذلك لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يوكس (خالدين فيها) اى في الجنات (ونعم أجر العاملين) اى ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل (قد خلت من قبلكم سنن) يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اى شرائع وقيل سنن اى أمم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لاهلاكهم (فسيروا في الارض) أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف احوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تأمل احوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له اثر في النفس كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فاني انما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى (هذا) يعني هذا القرآن وقيل هو اسم اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده (بيان للناس) يعني عامة (وهدى) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته

(تفسير النسفي)

يستغنا لهم (ليس لك من الامر شيء) اسم ليس لك من الامر حال من شيء لانها صفة شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله تعالى مالك أمرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان أسلموا (او يعذبهم) ان اصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء انما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء او بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي اى ليس لك من أمرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفى منهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) مستحقون للتعذيب (ولله ما في السموات وما في الارض) لا لك لان ما في السموات وما في الارض ملكه (يغفر لمن يشاء) للمؤمنين اى الامر له (ويعذب من يشاء) الكافرين (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) مضعفة مكي وشامي هذا نهي عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضي حقي او تربي وازيد في الاجل (واتقوا الله) في اكله (لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) كان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وفيه رد على المرجئة في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب

نوعان احدهما الكلام الهادى الى ماينبغى فى الدين وهو الهدى والثانى الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل (ولا تهنوا ولا تحزنوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا اى ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعنى على من قتل منكم لانهم فى الجنة (وانتم الاعلون) يعنى بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فأقبل خالد بن الوليد فى خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون فى العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) أى اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بأن ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق وقوله تعالى (ان يمسسكم قرح) قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها المسلمون قرح (فقد مس القوم) يعنى الكفار (قرح مثله) يعنى فى يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداولها بين الناس) المداولة نقل الشئ من واحد الى آخر يقال تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين فى يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين ع (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزمهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أى قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم فى أخراكم فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاث مرات ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى أصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان * ان لنا عزى ولا عزى لكم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا * الله مولانا

من العصاة الكافرين عندنا غير بالنار اصلا ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره قد يدخلها وان قال تعالى لعل وعسى فى نحو هذه المواضع من الله للتحقيق اهل التفسير ان لعل وعسى مسلك التقوى ما لا يخفى على العارف من دقة التوصل وعزة رضاء الله تعالى وصعوبة اصابة ربكم الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدنى وشامى قد اثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هى الصلوات الخمس او التكبيرة الاولى أو الطاعة او الاخلاص او التوبة او الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أى عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه فى العادة ادنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض ومار وى ان الجنة فى السماء السابعة او فى السماء الرابعة فمعناه انها فى جهتها الا انها فيها أو فى بعضها كما يقال فى الدار بستان وان كان يزيد عليها الا ان المراد ان بابه اليها (أعدت) فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة (للمتقين) ودلت الآيتان على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله او من يتقى المعاصى فان كان المراد الثانى فهى لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون فى السراء والضراء) مبتدأ وعطف عليه فى حال اليسر والعسر

ولا مولى لكم * قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وفى حديثه قال أبو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعنى انما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشئ قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعنى وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن أراد أن يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين) يعنى المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصى وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى ان الله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليمحص الله الذين آمنوا) أى وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص فى اللغة التنقية والازالة (ويمحق الكافرين) أى يفنيهم ويهلكهم ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم أنتم فهو محقهم واستئصالهم قوله عز وجل (أم حسبتم) أى بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا تحسبوا أيها المؤمنون (ان تدخلوا الجنة) وتنالوا كرامتى وثوابى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) قال الامام فخر الدين الرازى ظاهر الآية يدل على وقوع النفى على العلم والمراد وقوعه على نفى المعلوم والتقدير أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدى النفى فى الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز فى انتفاء جهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم فجرى النفى على العلم للايجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين أى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازى على عملهم وقال الطبرى يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم على ما أمرته به (ويعلم الصابرين) يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح وألم ومكروه وفى هذه الآية معاتبة ان انهزم يوم أحد والمعنى أم حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على ألم الجراح والضرب وثبتوا للعدو هم من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) قال ابن عباس لما أخبر الله المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فاراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الآية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فاراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت

(تفسير النسفى)

والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك وان جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فان قلت الآية تدل على ان الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال أعدت هذه المائدة للامير ثم قد يأكلها اتباعه ألا ترى انه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شئ على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان فى ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة (والكاظمين الغيظ) والممسكين الغيظ عن الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا (والعافين عن الناس) أى اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينه انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (والله يحب المحسنين) اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء عن الثورى الاحسان ان تحسن الى المسئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة متزايدة القبح ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (أو ظلموا أنفسهم) قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس

أى تطلمون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل ان تلقوه أى من قبل ان تلقوا يوم أحد (فقد رأيتموه) يعنى رأيتم ما كنتم تمنون والفاء فى رأيتموه عائدة على الموت أى رأيتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم (وأنتم تنظرون) قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس فى عينك علة اى رأيته رؤية حقيقية وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) قال أهل المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من أحد فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله ابن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال أقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فاخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فى مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا فى هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله وحمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قد قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك أبى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندى رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لى انا اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى

(سورة آل عمران)

الصغيرة او الفاحشة الزنى وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما (ذكروا الله) بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الآية (ومن يغفر الذنوب الا الله) من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل من الضمير فى يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب الا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب واشعار بأن الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم (ولم يصروا على ما فعلوا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من الضمير فى ولم يصروا أى وهم يعلمون انهم أساؤا أو وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله (أولئك) الموصوفون (جزاؤهم مغفرة من ربهم) بتوبته (وجنات) برحمته (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت فى تمار قال لامرأة تريد التمر فى بيتى تمر أجود فأدخلها بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم أو فى انصارى استخلفه ثقفى وقد آخى بينهما النبى عليه السلام فى غيبة غزوة وأتى اهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم وساح فى الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى (قد خلت) مضت (من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله تعالى فى الامم المكذبين من وقائعه (فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة

بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى أن اسكت فانحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر انك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم أنتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعث الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ألم تران الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد
أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤفا رحيما (م) عن أبي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا أحمد وانا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو آخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين (افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) يعني اتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد أو قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين أن موت محمد أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر (فلن يضر الله شيئا) يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان علي يقول أبو بكر أمين الشاكرين وامين احباء الله وكان أشكرهم واحبهم الى الله تعالى بقوله عز وجل (وما

(تفسير النسفي)
المكذبين) تعتبروا بها (هذا) أي القرآن
أو ما تقدم ذكره (بيان للناس وهدى) أي
ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهيب (للمتقين)
عن الشرك (ولا تهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد
لما أصابكم من الهزيمة (ولا تحزنوا) على
ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح
وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم
يوم أحد وتقوية لقلوبهم (وأنتم الأعلون)
وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم
منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وهم
الأعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة
لهم بالعلو والغلبة وإن جندنا لهم الغالبون أو
وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته
وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر أو لأن
قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار (إن كنتم
مؤمنين) متعلق بالنهي أي ولا تهنوا إن صح
إيمانكم يعني أن صحة الإيمان توجب قوة القلب
والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون
أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم
به من الغلبة (إن يمسسكم قرح) بضم القاف
كوفي غير حفص وبفتح القاف
حيث كان غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل
بالفتح الجراحة وبالضم ألمها (فقد مس القوم
قرح مثله) أي إن نالوا منكم يوم أحد فقد
نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم
يثبطهم عن معاودتكم الى القتال فأنتم أولى أن
لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الأيام) صفته
والخبر (نداولها) نصرفها (بين الناس) أي
نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء تارة
وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب
فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر
(وليعلم الله الذين آمنوا) أي نداولها لضروب
من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر

كان لنفس أن تموت الا باذن الله) أي بامر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك ان الله تعالى يأمر ملك
الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا باذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على
الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو واعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان أحدا
لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف
والجبن وفي الآية ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند
التفافهم عليه واسلام أصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ (كتابا مؤجلا)
يعني موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر أحد
على تغييره أو تقديمه او تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق (ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها
ما نشاء على ما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته
منها) يعني من أراد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد واعلم ان هذه الآية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل
في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها وكذلك من أراد بعمله
الدار الآخرة يجزؤه أيضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت
نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا
جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له وقوله تعالى (وسنجزي
الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شئ عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله تعالى
والدار الآخرة قوله عز وجل (وكأين من نبي) أي وكم من نبي (قتل معه) وقرئ قاتل معه فمن
قرأ قتل بضم القاف فله أوجه أحدها ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف
على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه
ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا
بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل
نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى
وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على
جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيين لا النبي
والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى
وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما
أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي أصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه
ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير
انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل
الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل
الربيون هم الاتباع (فما وهنوا) أي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا)
يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما
خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم

(سورة آل عمران)

كما علمهم قبل الوجود (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون (وليمحص الله الذين آمنوا) التمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي لا تحسبوا (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان خيرا أي ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) نصب باضمار أن والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها والايمان من غيرهم (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين

أحد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع أوليائه واصفيائه ثم قال تعالى (وما كان قولهم) يعني قول الربيين (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فيدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرافنا في أمرنا) يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكي لا تزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم (وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منها ان يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا (فآتاهم الله ثواب الدنيا) يعني النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على جلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص (والله يحب المحسنين) يعني الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمرونكم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعني يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعني مغبونين في الدنيا والآخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعني انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان ابا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشديد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله (بما اشركوا بالله) يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أي مسكنهم (وبئس مثوى

(تفسير النسفي)
أيديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله ان يجر منفعة الى عدو الله وتنفيق صناعته لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخ قيل هو الشيطان ألا ان محمدا قد قتل ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل (وما محمد الا رسول قد خلت) مضت (من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما كان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد او عن الانهزام (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)

الظالمين) أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى بئس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله عز وجل (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من أحد الى المدينة وقد أصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من أين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر وأنزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر بأحد فنصرهم فلما خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا (اذ تحسونهم) يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستأصلونهم بالقتل (باذنه) يعني بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أي قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز (من بعد ما اراكم ما تحبون) من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين (منكم من يريد الدنيا) يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه الآية (ثم صرفكم عنهم) يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة (ليبتليكم) يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم ليتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة (ولقد عفا عنكم) يعني ولقد عفا الله عنكم ايها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون (والله ذو فضل على المؤمنين) وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل (اذ تصعدون) قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب (ولا تلوون على أحد) أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب (والرسول يدعوكم في أخراكم) أي في آخركم ومن ورائكم

(سورة آل عمران)

واعماضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا (وما كان) وما جاز (لنفس ان تموت الا باذن الله) أي بعلمه او بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو واعلام بان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك (كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد) بقتاله (ثواب الدنيا) أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) من ثوابها (ومن يرد ثواب الآخرة) أي اعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة (نؤته منها وسنجزي الشاكرين) وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وكأي) أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان مكي (من نبي قاتل) قتل مكي وبصري ونافع (معه ربيون) حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه ربيون (كثير) والربيون الربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب (فما وهنوا) فما فتروا عند قتل نبيهم (لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حين ارادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الامان من ابي سفيان (والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا)

يقول الى عباد الله انا رسول الله من كر اى رجع فله الجنة (فأثابكم غما بغم) يعنى فجزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التى عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل فى الاغلب الا فى الخير وقد يجوز استعماله فى الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا ان يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحدرجة هى السياط والباء فى قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا فى معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثانى هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثانى هو ما سمعوا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره فجزاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثانى حين اشرف أبو سفيان عليهم وذلك ان أبا سفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك قوله تعالى (لكيلا) فى لفظة لا قولان أحدهما انها باقية على أصلها ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فأثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقد روى انهم لما سمعوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثانى ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكى تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذى فاتهم الغنيمة والذى أصابهم القتل والهزيمة (والله خبير بما تعملون) أى هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل (ثم انزل عليكم) يامعشر المسلمين (من بعد الغم) الذى اصابكم (امنة نعاسا) يعنى أمنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس أخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فأمنهم بعد خوفهم (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام (خ) عن أنس عن أبى طلحة قال كنت فيمن تغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه واخرجه الترمذى عنه قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد وذكره نحو رواية البخارى وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفى رواية أخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد اهمتهم انفسهم) يعنى المنافقين أراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين حتى أمنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا فى الخوف وفى القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب أمن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم أنفسهم يعنى حملتهم أنفسهم على الهم لان أسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمدا

واصحابه

(تفسير النسفى)

أى وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها (واسرافنا فى امرنا) تجاوزنا حد العبودية (وثبت اقدامنا) فى القتال (وانصرنا على القوم الكافرين) بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) أى النصرة والظفر والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين) اى هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم) الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شئ حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدى ان تستكينوا لابى سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره (وهو خير الناصرين) سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم أى كان السبب فى القاء الله الرعب فى قلوبهم اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر أى ليس بها ضب

وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) أي كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعني المنافقين (هل لنا) أي مالنا (من الامر من شئ) وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شئ وهو استفهام على سبيل الانكار أي مالنا أمر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني مالنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شئ انما هو للمشركين (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين (ان الامر كله لله) يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف احب (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا وعن ابن عباس في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شئ هو معتب بن قشير (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أي قضي عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها واظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلون فيه (وليبتلي الله ما في صدوركم) أي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء اليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين (وليمحص ما في قلوبكم) قال قتادة أي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) أي انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم (انما استزلهم الشيطان) أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه أمرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا القاء الله الا على حالة يرضاها (ولقد عفا الله عنهم) يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم أحد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعني لمن تاب وأناب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ولا يستأصلهم بالقتل

(سورة آل عمران)

فيخجر ولم يعن ان يأمنا ولا ينجيهم (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) النار مرجعهم المخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الى المدينة قال ناس من اصحابه من أين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أي حقق (اذ تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه ابطل حسه بالقتل (باذنه) بامره وعلمه (حتى اذا فشلتم) جبنتم (وتنازعتم في الامر) أي اختلفتم (وعصيتم) أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من الظفر وقهر الكفار ومتعلق اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (منكم من يريد الدنيا) أي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله (ومنكم من يريد الآخرة) فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أي كف معونته عنكم فغلبوكم (ليبتليكم) ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه (وقالوا لإخوانهم) يعني في النفاق والكفر وقيل لإخوانهم في النسب وكانوا مسلمين (إذا ضربوا في الأرض) يعني إذا سافروا في الأرض لتجارة وغيرها (أو كانوا غزا) جمع غاز أي غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا غزا فقتلوا (لو كانوا عندنا) يعني مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك) يعني قولهم وظنهم (حسرة في قلوبهم) يعني غما وتأسفا (والله يحيي ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الأمر بيد الله وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لأن مقصدهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فإن الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام ببيته عند أهله فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من أن يموت في بيته بلا فائدة واليه الإشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة) يعني في العاقبة (خير مما تجمعون) يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل الله أو الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا (ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون) يعني لإلى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف واليه الإشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته أناله ما يرجو واليه الإشارة بقوله تعالى ورحمة لأن الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الإشارة بقوله لإلى الله تحشرون قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم أحد منهم ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظا) يعني جافيا (غليظ القلب) يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال (لانفضوا من حولك) أي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم أحد عندك (فاعف عنهم) أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم أحد (واستغفر لهم) أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الأمر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا أو كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فان سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى

(تفسير النسفي)

عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه مجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كالنصرة رحمة وانتصب (إذ تصعدون) بما عفا عنكم أو باضمار اذكروا والإصعاد الذهاب في صعيد الأرض والإبعاد فيه لصرفكم أو بقوله ليبتليكم (ولا تلوون على أحد) ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى (فأثابكم) عطف على صرفكم أي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم (بغم) بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع (ولا ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خبير بما تعملون) عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم

لم يجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما أمران يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شئ لان النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسارى بدر وهو من أمر الدين قال على بن أبى طالب رضى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب فى قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح أمره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم فى مدح المشاورة

وشاور اذا شاورت كل مهذب * لبيب أخى حزم لترشد فى الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجز أو لا تستريح من الفكر
ألم تر ان الله قال لعبده * وشاورهم فى الامر حتما بلا نكر

قوله تعالى (فاذا عزمت) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) اى فاستعن بالله فى امورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى فى جميع اموره وان المشاورة لا تنافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه فى جميع امورهم قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر (فلا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد ولم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) اى من بعد خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد فى كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصى الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يارسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يانبى الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله عز وجل (وما كان لنبى ان يغل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان النبى ان يغل فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فأنزل الله هذه الآية الى آخرها اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبى ان يغل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس فى قوله وما كان لنبى ان يغل يقول ما كان لنبى ان يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبى استنوا به وقال مقاتل والكلبى نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وان لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الم أعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله ما كان لنبى ان يغل يعنى فيعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بينهم

(سورة آل عمران)

ونحن فى النوم عن ابى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من امنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل انزل عليكم نعاسا ذا أمنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز ان يكون امنة مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) يعنى النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلى اى الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) ما يهمهم الا هم انفسهم وخلاصها الا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الامر من شئ) هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الامر) أى النصر والغلبة (كله لله) ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للامر ولله خبره والجملة خبر ان كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) يقولون فى انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) أى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة وقد اهمتهم صفة لطائفة

بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحاق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة ومداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشئ في خفية يقال غل فلان يغل قرئ بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شئ لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما ان يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان أي تخونه أمته والثاني ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي ان يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بالشئ الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشئ في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ في النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ماشاء الله وقيل معناه انه يأتي باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم توفى كل نفس ما كسبت) يعني من خير أو شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو مجزى به يوم القيامة وهو في جزاء عمله (وهم لا يظلمون) يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازى كل على عمله

(فصل) في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال وقد تقدم ان أصل الغلول هو أخذ الشئ في خفية وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله اغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله اغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله اغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة (ق) عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك السير النعل الذي يكون

(تفسير النسفي)

و يظنون خبر الطائفة أو صفة اخرى او حال أي قد اهمتهم انفسهم ظانين و يقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون او استئناف (قل لو كنتم في بيوتكم) أي من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم) انهزموا (يوم التقى الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع ابي سفيان للقتال بأحد (انما استزلهم الشيطان) دعاهم الى الزلة وحملهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان اصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن ابي وقاص والباقون من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) أي في حق ابي واصحابه (وقالوا لاخوانهم)

على ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العابر هو السهم الذى لايدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهنى ان رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم توفى فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين أخرجه أبو داود والنسائى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فأحرقوا متاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر أحرقوا متاع الغال وضربوه زاد فى رواية ومنعوه سهمه أخرجه أبو داود قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) يعنى فترك الغلول فلم يغل (كمن باء) أى رجع (بسخط من الله) يعنى بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضى للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل فى معنى الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كمن باء بسخط من الله (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعنى الغال أو المتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعنى هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعنى من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير فى قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير فى قوله هم درجات عند الله راجع للاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه قوله عز وجل (لقد من الله على المؤمنين) يعنى أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لا يكون الا من الله ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس حى من احياء العرب الا وقد ولدوه وله فيهم نسب الا بنى ثعلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بنى آدم وقيل من أنفسهم يعنى انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وانعم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة

(اذا ضربوا فى
الارض) سافروا فيها للتجارة اوغيرها (أوكانوا
غزا) جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت
اوقتل (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة فى قلوبهم) اللام يتعلق بلا تكونوا
أى لاتكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول
واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم
خاصة ويصون منها قلوبكم او بقالوا أى قالوا
ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم
والحسرة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى
ويميت) رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال
أى الامر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت
المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم
على اعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى أى الذين
كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم) متم وبابه
بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص
الا فى هذه السورة كانه اراد الوفاق بينه وبين
قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم
من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف
فكما تقول خفت تقول مت (لمغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون) ما بمعنى الذى والعائد
محذوف وبالتاء حفص (ولئن متم أو قتلتم لالى
الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب
العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله فى هذا
الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف
المتصل به شان غنى عن البرهان لمغفرة جواب
القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك
لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم
ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة
لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب
التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم
ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل فى سبيل
الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى

وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذي أنزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي (ويزكيهم) أي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (أولما أصابتكم مصيبة) يعني ما أصابهم يوم أحد (قد أصبتم مثليها) يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في أول الامر يوم أحد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة (قلتم انى هذا) أي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار (قل هو من عند أنفسكم) يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا أمر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوا وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة بن السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوي وأسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم (ان الله على كل شيء قدير) يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل (وما أصابكم) يعني من القتل والجراح والهزيمة (يوم التقى الجمعان) يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد (فباذن الله) يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) اي ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذي أظهر الايمان بلسانه وأضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق صنع له طريقين أحدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق اسم اسلامي لم تك العرب تعرفه قبل الاسلام (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) المقول له عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وأصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى أحد في ألف رجل حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال ما ندري علام نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن أموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قالوا) يعني المنافقين (لو نعلم

قتالا

(تفسير النسفي)

... من البيان ان الدنيا سبيل الله ... بما تجدون ... العبد الى المراد لم يحتج الى زاد العاد ناداو وصل ... (فبما رحمة من الله لنت لهم) ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم (فاعف عنهم) ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم أو لتقتدى بك أمتك فيها وفي الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا اظهرت ما عندي وما عنده من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مأخذه وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء امرك على الارشد لا على المشورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الامور اليه وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه

قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم (هم للكفر) يعنى المنافقين الى الكفر (يومئذ أقرب منهم للايمان) أى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) يعنى يظهرون بألسنتهم الايمان وليس هو فى قلوبهم انما فى قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطأة القلب للسان على شئ واحد وهو التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) يعنى من النفاق (الذين قالوا لاخوانهم) نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وفى المراد باخوانهم قولان أحدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون اخوانهم فى النسب لا فى الدين والقول الثانى ان المراد باخوانهم المنافقون فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا فى اخوانهم أو عن اخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ما قتلوا لانهم بعد ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثانى يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله بن أبى وأصحابه لاخوانهم يعنى فى النفاق (وقعدوا) يعنى عن الجهاد (لو أطاعونا) يعنى هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا يعنى فى القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه (ما قتلوا) يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل) يعنى قل لهم يا محمد (فادرؤا) أى فادفعوا (عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى ان الحذر لا ينفع من القدر وفى الآية دليل على ان المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال أكثر المفسرين انها نزلت فى شهداء أحد ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا أحياء فى الجنة لئلا يزهدوا فى الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى آخر الآية أخرجه ابو داود (م) عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اى شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسئلوا قالوا يا رب نريد ان ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره أبو مسعود الدمشقى والحميدى فى مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سألنا عن ذلك فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسئ يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضا قوله أرواحهم فى جوف طير خضر أى يجعل الله ارواح الشهداء فى جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لاسيما مع القول بأن الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب وغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا ويجعل فى جوف طير فتسرح فى الجنة وتأوى الى تلك

(سورة آل عمران)

على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضى ذلك (وما كان لنبى ان يغل) مكى وابو عمرو وحفص وعاصم أى يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا أخذه فى خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى ما صح له ذلك يعنى ان النبوة تنافى الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى هذا لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أى يأت بالشئ الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث أو يأت بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ومن يغلل بل جئ بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزى موفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) أى جزاء كل على قدر كسبه (أفمن اتبع رضوان الله) أى رضاء الله قيل هم المهاجرون والانصار (كمن باء بسخط من الله) وهم المنافقون والكفار (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتهم ويجازيهم على حسبها (لقد من الله

القنادبل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال مالي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد ابي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا أباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن على اعطك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام وأخبره بما له فيه وما اعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء ابن الصلت ونافع بن زيد بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد أحد بأربعة اشهر فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم واني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري لكني لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري اسيرا فلما أخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو ابن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق وروى محمد

(تفسير النسفي)

على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه
السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم
المنتفعون ببعثه (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم)
من جنسهم عربيا مثلهم اومن ولد اسماعيل كما
انهم من ولده والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان
منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب
عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في
الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى
تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفي قراءة
رسول الله من أنفسهم أي من اشرافهم
(يتلو عليهم آياته) أي القرآن بعدما كانوا
أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
(ويزكيهم) ويطهرهم بالايمان من دنس الكفر
والطغيان او يأخذ منهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب
والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من قبل)
من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفي
ضلال) عمى وجهالة (مبين) ظاهر لا شبهة فيه
ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين
النافية والتقدير وان الشأن والحديث كانوا
من قبل في ضلال مبين (اولما أصابتكم مصيبة)
يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم
(قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر
سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة (قلتم أنى
هذا) من أين هذا (قل هو من عند أنفسكم)
باختياركم الخروج من المدينة اولتركم المركز
المركز لما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر
باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى
هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع
وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة
أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على
محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا
(ان الله على كل شيء قدير) يقدر على النصر
وعلى منعه (وما أصابكم) ما بمعنى الذي وهو

ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في أصل اذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان أمنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أومؤا الى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء واهليهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من أمته والمعنى لا يظنن ظان ان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله (بل أحياء) أي بل هم احياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون أحياء في الآخرة او يكون المراد انهم احياء في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم احياء في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احياء يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض كغيره وروي انه لما أراد معاوية ان يجري الماء على قبور الشهداء أمر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب الابدان فأصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه

مبتدأ (يوم التقى الجمعان) جمعكم وجمع المشركين باحد والخبر (فباذن الله) فكائن باذن الله اى بعلمه وقضائه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) للمنافقين وهو كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) أي جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون (او ادفعوا) أي قاتلوا او ادفعوا عن انفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما أنتم فيه لخطار أيكم ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء النفس في التهلكة (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره والتقييد بالافواه للتأكيد ونفي المجاز (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق (الذين قالوا) أي ابن ابي وأصحابه وهو في موضع رفع على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون او نصب باضمار اعني او على البدل من الذين نافقوا او جر على البدل من الضمير في افواههم او قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد (وقعدوا) أي قالوا وقد قعدوا عن القتال (لو اطاعونا ما قتلوا) لو اطاعنا اخواننا

وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا ... وقوله تعالى (عند ربهم) يعني في محل كرامته وفضله (يرزقون) يعني من ثمار الجنة وتحفها (فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم (ويستبشرون) أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعني من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بأنهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل أني قد أنزلت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (ألا خوف عليهم) يعني في الآخرة (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكر أنهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا ... اجر المؤمنين

(فصل) في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة أو ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفسي بيده لوددت اني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر ... ومن جرح جرحا في سبيل الله او نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن ابي سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى

(تفسير النسفي)

فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) بان الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت ومعناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل في قتلى أحد (ولا تحسبن) شامي وحمزة وعلي وعاصم وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (الذين قتلوا) قتلوا شامي (في سبيل الله أمواتا بل أحياء) بل هم أحياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها (فرحين) حال من الضمير في يرزقون (بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبي عليه السلام لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة (ويستبشرون بالذين) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا

ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي ونحوه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه ابو داود قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال أكثر المفسرين ان ابا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا أحد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان أبي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الله ابن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان أبواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في أصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما ارى ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فو الله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني انهاك عن ذلك فو الله لقد حملني ما رأيت على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش تقابله * وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا

(سورة آل عمران)

خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء (ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل) يسرون بما انعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة (وان الله) عطف على النعمة والفضل وان الله على بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجملة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفر عليهم (الذين استجابوا لله والرسول) مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح (من بعد ما أصابهم القرح) الجرح روي ان أبا سفيان واصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (للذين احسنوا منهم واتقوا) من للتبيين ومثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم (أجر عظيم) في الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (ان الناس قد جمعوا لكم) روي ان أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في اهل مكة فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت

وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابوسفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال أبوسفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان أباسفيان يوم أحد حين أراد ان ينصرف قال يامحمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابوسفيان فى أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له أبوسفيان يانعيم انى قد واعدت محمدا وأصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى ان لا أخرج اليها وأكره ان يخرج محمد ولا أخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الى من ان يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا أبايزيد أتضمن لى هذه القلائص وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا واعدنا اباسفيان ان نلتقى بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الرأى رأيتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أباسفيان وقد انصرف ابوسفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه أحدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى أجابوا الله واطاعوه فى جميع أوامره وأطاعوا الرسول أيضا (من بعد ما اصابهم القرح) يعنى من بعد ما نالهم من الم الجراح (للذين احسنوا منهم واتقوا) يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه (أجر عظيم) يعنى لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل (الذين قال لهم الناس) هذه الآية متعلقة بالآية التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره وهم الذين استجابوا لله والرسول وفى المراد بالناس وجوه أحدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضى به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثانى ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابى سفيان نهوا أصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم (ان الناس) يعنى اباسفيان وأصحابه من رؤساء المشركين (قد جمعوا لكم) يعنى الجموع الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا (فاخشوهم) أى خافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم (فزادهم ايمانا) يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة

(تفسير النسفى)

محمدا ان يلتقى بموسم بدر وقد بدا لى ان ارجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم والله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارة فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبوسفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع أريد به الواحد وكان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى أبوسفيان واصحابه (فاخشوهم) فخافوهم (فزادهم) أى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او القول او نعيم (ايمانا) بصيرة وايقانا (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله اى الذى يكفينا الله يقال احسبه الشئ اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لكونه فى معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) وهو الربح فى التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (انما ذلكم الشيطان) هو خبر ذلكم أى انما ذلكم المثبط هو الشيطان

الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة فى الايمان (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) اى كافينا الله هو الذى يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس * وحسبك من غنى شبع ورى * أى يكفيك الشبع والرى ونعم الوكيل يعنى ونعم الموكول اليه فى الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافى والمعنى يكفينا الله ونعم الكافى هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل فى ماله هو الذى كفله وقام به والوكيل فى صفة الله هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم وانه الذى يستقل بامورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال فى قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى (فانقلبوا) اى فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه (بنعمة من الله) أى بعافية لم يلقوا عدوا (وفضل) اى تجارة وربح وهو ما اصابوا فى سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة (لم يمسسهم سوء) اى لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح (واتبعوا رضوان الله) يعنى فى طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب فى قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعنى انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بأن القى ذلك فى أفواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله اولياءه يعنى الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره وأولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعنى فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم (وخافون) اى فجاهدوا فى سبيلى مع رسولى فانى وليكم وناصركم (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بوعدى انى متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع فى الكفر ويجمع الجموع لحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم (انهم لن يضروا الله شيئا) يعنى بمسارعتهم فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أولياء الله شيئا (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعنى المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم اعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيئا) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا أنفسهم بذلك (ولهم عذاب اليم) يعنى فى الآخرة قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالتاء والياء فعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت فى مشركى مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما نملى لهم) الاملاء الامهال والتأخير وأصله من الملوة وهى المدة من الزمان والمعنى ولا يظن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) يعنى انما نمهلهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا اثما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابى بكرة عن أبيه قال سئل

(سورة آل عمران)

وهو نعيم (يخوف أولياءه) أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر (فلا تخافوهم) أى اولياءه (وخافون ان كنتم مؤمنين) لان الايمان يقتضى ان يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما ابو عمرو فى الوصل (ولا يحزنك) يحزنك فى كل القرآن نافع الا فى سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا يحزنوك بخوف ان يضروك الا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيئا) أى اولياء الله يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) أى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه والآية تدل على ارادة الكفر والمعاصى لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب فى الآخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) أى استبدلوه به (لن يضروا الله شيئا) هو نصب على المصدر أى شيئا من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين اوارتد عن الاسلام والثانية فى جميع الكفار اوعلى العكس (ولهم عذاب أليم ولا يحسبن) وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى يحسبنهم بالياء مكى وابو عمرو وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدنى وشامى الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالتاء والاخريان بالياء (الذين كفروا) فيمن قرأ بالياء رفع أى ولا يحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره فى قوله (أنما نملى لهم خير لانفسهم) فى موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خير الانفسهم وما مصدرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن الانباري قال جماعة من أهل العلم انزل الله هذه الآية في قوم يعاندون الحق سبق في علمه انهم لا يؤمنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون أبدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا واثما وغيا قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا انبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا ان يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا اظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين في اصلاب الرجال المشركين وارحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم الحكم بالايمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين ما في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش للذين قالوا يا محمد اخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر او منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعني ولكن الله يصطفي

ويختار

(تفسير النسفي)

وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وحمزة قرأ بالتاء نصب اي ولا تحسبن الكافرين وان ما نملي لهم خير لانفسهم بدل من الكافرين اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين (انما نملي لهم) اي امهالهم واطالة عمرهم والاملاء لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما والآية حجة لنا على المعتزلة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي (ولهم عذاب مهين) واللام في (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) لتاكيد النفي (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلي والخطاب في انتم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسول وان اثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين

ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعني انه لما قامت
الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه
اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا
وتتقوا) يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما أشاء من غيبي واعلمته بالمنافق منكم
والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه (فلكم أجر عظيم) يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب
جزيل وهو الجنة قوله عز وجل (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعني
ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم (بل هو) يعني البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما
لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا
وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واختلف
العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح عنه
والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون ان يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء
ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد
في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال
ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع
ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بعلمه وصحح الطبري القول الاول واختاره وقوله (سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة) أي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل
بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من
فرقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية
أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان
يكتنفان فاها وقيل هما زبيبتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بانهما شدقاه وقيل انهما
مضغتان في اصل الحنك وقيل هما منحنى اللحيين أسفل من الاذنين وكله متقارب (ق) عن أبي ذر
قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب
الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك أبي وامي من هم قال هم
الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل
ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمنه
تنطحه بقرونها وتطأه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم
وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في اعناقهم أطواق من النار وقيل
يكلفون يوم القيامة ان يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه
فقد قال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق
التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوق من نار ويدل عليه ما روي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه وكتمه الجم بلجام من نار أخرجه

(سورة آل عمران) (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم أجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانعي الزكاة (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا اولا ولا تحسبن بخل الذين يبخلون وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير رسول الله ومن جعل فاعله الذين التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أي البخل (شر لهم) لان أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أي يجعل ما لهم الذي منعوه عن الزكاة طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا أقرع لها زبيبتان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه الى النار

الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم قوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بما تعملون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لأبي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلو أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوها استهزاء وأيهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله (سنكتب ما قالوا) يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله أسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسبت اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم أيضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم أصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح (ونقول) يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحريق) أي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص في الدنيا (ذلك) أي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) انما ذكر الايدي على

(تفسير النسفي)

(ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (والله بما تعملون خبير) وبالياء مكي وابو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان اله محمد يستقرض منا فنحن اذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف او سنحفظه اذ الكتاب من الحافظ ليحفظ ما فيه فسمي به مجازا وما مصدرية او بمعنى الذي (وقتلهم الانبياء بغير حق) معطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول (ونقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا عذاب الحريق) أي عذاب النار كما اذقتم المسلمين الغصص يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما أضيف الى الله تعالى لانه بامره كما في قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم (بما قدمت أيديكم) أي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والاضافة الى اليد لان أكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب ولانه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الايدي للتحقيق يعني انه فعل نفسه لا غيره بامره

سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان أكثر الاعمال يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب (وان الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل (الذين قالوا ان الله عهد الينا) قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله قد بعثك الينا رسولا وأنزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى أمر بني اسرائيل في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فأي معجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انهما يتقرب بهما الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعني يا معشر اليهود (رسل من قبلي) يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام (بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (وبالذي قلتم) يعني ما طلبوا من القربان (فلم قتلتموهم) يعني فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم (فان كذبوك) يعني هؤلاء اليهود (فقد كذب رسل من قبلك) يعني مثل نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل (جاؤا بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (والزبر) أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق (والكتاب المنير) أي الواضح المضيء وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله عز وجل (كل نفس ذائقة الموت) يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني آدم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش

(سورة آل عمران)

(وان الله ليس بظلام للعبيد) وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم (الذين قالوا) في موضع جر على البدل من الذين قالوا ونصب باضمار اعني اورفع باضمارهم (ان الله عهد الينا) أمرنا في التوراة وأوصانا (ان لا نؤمن) بان لا نؤمن (لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أي يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان سبب الايمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو اذا وسائر المعجزات سواء (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات) بالمعجزات سوى القربان (وبالذي قلتم) أي بالقربان يعني قد جاء اسلافكم الذين أنتم على ملتهم وراضون بفعلهم (فلم قتلتموهم) أي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم (ان كنتم صادقين) في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك) فان كذبك اليهود ولا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك (جاؤا بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (والزبر) الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة وبالزبر شامي (والكتاب) جنسه (المنير) المضيء قيل هما واحد في الاصل وانما ذكر لاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادي (كل نفس) مبتدأ والخبر (ذائقة الموت) وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الى فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله

والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الأرض الى ربها عز وجل مما أخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما أخذ منها فما احد يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله (وانما توفون أجوركم) يعني توفون جزاء أعمالكم (يوم القيامة) ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) يعني فمن نجا وأبعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع الغرور لانها تغر ببذل المحبوب وتخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوها والغرور ما يغر الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فاما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قوله عز وجل (لتبلون) اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر (في أموالكم) يعني بالابتلاء في الاموال بالنقصان منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق (وأنفسكم) يعني بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف الى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن اقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال قل فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر الى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني ارهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنوني أولادكم قال يسب ابن أحدنا

(تفسير النسفي) (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فان الدنيا ليست بدار الجزاء (فمن زحزح) بعد والزحزحة الابعاد (عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انها متاع الغرور لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها (لتبلون) والله لتبلون أي لتختبرن (في أموالكم) بالانفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات (وأنفسكم) بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالطعن في الدين وصد من أراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك

فيقال رهن فى وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحارث وابى
عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاؤا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امرأته انى لاسمع صوتا كأنه صوت
دم قال انما هو محمد ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لودعى الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد انى اذا جاء فسوف
أمد يدى الى رأسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب
قال نعم تحتى فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لى أن اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لى
أن اعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد فى رواية ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه
وزاد أصحاب السير والمغازى فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة وذكرت معولا فى سيفى
فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وأوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثندوته ثم
تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح فى رأسه اصابه بعض
أسيافنا فخرجنا وقد ابطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه
وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج علينا فاخبرناه
بقتل كعب بن الاشرف وجئنا برأسه اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى أهلنا واصبحنا وقد
خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه
وأنزل الله فى شأن كعب بن الاشرف اليهودى لتبلون فى اموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعنى مشركى العرب اذى كثيرا يعنى بالاذى
قول اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب
ابن الاشرف يهجو به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير (وان تصبروا وتتقوا)
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم
عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك
من عزم الامور) أى من صواب التدبير الذى لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه وأصله من
قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أى الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد
عزم عليكم فعله أى الزمتم الاخذ به قوله تعالى (واذ أخذ الله) أى واذكر يا محمد وقت أخذ الله
(ميثاق الذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين
أوتوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من
الكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس) يعنى لتبينن ما فى الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه
وذلك ان الله أوجب على علماء التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما فى هذين الكتابين من الدلائل
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يكتمونه) يعنى ولا يخفون ذلك عن الناس (فنبذوه)
يعنى الكتاب وقيل الميثاق (وراء ظهورهم) أى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به (واشتروا به
ثمنا قليلا) يعنى المآكل والرشا التى كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم (فبئس ما يشترون) ذمهم
الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف
الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم
فانه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل
ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه
الترمذى ولابى داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ
الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشئ ثم تلا هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

(سورة آل عمران)
(وان تصبروا) على أذاهم (وتتقوا) مخالفة أمر
الله (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم
الامور) من معزومات الامور أى مما يجب
العزم عليه من الامور وخوطب المؤمنون بذلك
ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من
الشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم
مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه (واذ أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب) واذكر وقت أخذ
الله ميثاق اهل الكتاب (لتبيننه للناس ولا
تكتمونه) بالتاء على حكاية مخاطبتهم
كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
لتفسدن وبالياء مكى وأبو عمرو وأبو بكر لانهم
غيب والضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان
الكتاب واجتناب كتمانه (فنبذوه وراء ظهورهم)
فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم
يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح
وترك الاعتداد وهو دليل على انه يجب على
العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان
لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على
الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع
أذية أو لبخل بالعلم وفى الحديث من كتم علما عن
اهله ألجمه الله بلجام من نار (واشتروا به ثمنا قليلا)
عرضا يسيرا (فبئس ما يشترون) والخطاب فى
(لا تحسبن) لرسول الله واحد المفعولين (الذين
يفرحون) والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
(بما أتوا) بما فعلوا وهى قراءة أبى وجاء وأتى
يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده مأتيا لقد
جئت شيئا فريا وقرأ النخعى بما آتوا أى اعطوا
(ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب) بمنجاة منه (ولهم عذاب أليم)
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل
اليهود عن شئ مما فى التوراة فكتموا الحق واخبروه

الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني فقال اما علمت انى قد تركت الحديث فقلت اما أن تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم ان يعلموا قال فحدثني أربعين حديثا قوله عز وجل (لاتحسبن الذين يفرحون) قرئ بالتاء على الخطاب أى لاتحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولايحسبن الفارحون والمعنى لايحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لا يفعل معذبا لنعذبن أجمعون قال ابن عباس مالكم ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وتلا ابن عباس لايحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه (بما أتوا) يعني يفرحون بما فعلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أى ويحبون ان يحمدهم الناس على شئ لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي بقول الناس لهم علماء وليسوا بأهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن أهل الصوم والصلاة وأحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما أتوا من تبديلهم التوراة وأحبوا أن يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رأيكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا أن يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب) أى فلا تظنهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح أو ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شئ كيف يكون فقيرا (والله على كل شئ قدير) يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) قال ابن عباس ان أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية فنزلت هذه الآية والمعنى تفكروا واعتبروا أيها الناس فيما خلقته وانشأته من السموات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما مختلفان و يعتقبان عليكم لكي

واستحمدوا اليه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم أى لاتحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهما وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير (والله على كل شئ قدير) فهو يقدر على عقابهم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات) لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر (لاولى الالباب) لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكى ان في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له امه لعل فرطت فرطة منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت الا من ذلك (الذين) في موضع جر نعت لاولى او نصب باضمار اعني او رفع باضمارهم (يذكرون الله) يصلون (قياما) قائمين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أى

تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطلبون أرزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا أولي الألباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون إليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الأخير قعد فنظر إلى السماء فقال إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب وذكره قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي ابن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فإن عجزوا فقعودا فإن عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى أنهم لا يتركون الصلاة في حال من الأحوال بل يصلون في كل حال (خ) عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب أخرجه الترمذي وقال فيه سألته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه إذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه أن يصلي على جنب ويومئ برأسه إيماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى بل يصلي مستلقيا على ظهره فإن وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الآية وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فإن لم تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال أكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الأحوال لأن الإنسان قل أن يخلو من إحدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه (م) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل أحيانه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة أخرجه أبو داود والترة النقص وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أصل الفكر إعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهو قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر إلا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله إذ الله منزه أن يوصف بصورة فلذلك أخبر عن عباده الصالحين بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ليعلموا أن لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لأن عظم آثاره وأفعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وقيل إن الفكر مقلوب عن الفرك لأن الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة (ربنا) أي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في

مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال وفي الحديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيهما مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق أو إلى السموات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا (سبحانك) تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزهناك فقنا (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه في أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزيا (وما للظالمين) اللام إشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار (من أنصار) من

خالق السموات والارض قائلين ربنا (ما خلقت هذا باطلا) يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك (سبحانك) تنزيها لك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة (فقنا عذاب النار) يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء من أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) أي أهنته وأذللته وقيل أهلكته وقيل فضحته وأبلغت في اخزائه والخزي ضرب من الاستخفاف أو انكسار يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد أخبر الله انه لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يكون مؤمنا لا يدخل النار لقوله انك من تدخل النار فقد أخزيته والمؤمن لا يخزى قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها أحدها ما روي عن أنس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلده وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله تعالى فقد أخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار يخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد أخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطاء فسألته عن هذه الآية ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته فقال وما أخزاه حين أحرقه بالنار ان دون ذا لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من أدخل النار فقد أخزي بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحي منه ويخجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الحياء من المؤمنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا اسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي أن لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزاء في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله تعالى (وما للظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم من العذاب قوله عز وجل (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) قال ابن عباس وأكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن قال اذ ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان (أن آمنوا بربكم فآمنا) اي فصدقنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) أي كبائر ذنوبنا (وكفر عنا سيئاتنا) أي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب (وتوفنا مع الابرار)

(تفسير النسفي)

اعوان وشفعاء يشفعون لهم كالمؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا) تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان والمنادي هو الرسول عليه السلام أو القرآن (ينادي للايمان) لاجل الايمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادي اذ لا منادي أعظم من مناد ينادي للايمان (ان آمنوا) بان آمنوا أو أي آمنوا (بربكم فآمنا) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا (وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار المتمسكون بالسنة جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك او على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب او النصرة على الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او المراد جعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو او المراد ثبتنا على ما يوصلنا الى عدتك ويؤيده قوله (ولا تخزنا يوم القيامة) او هو اظهار للخضوع والضراعة (انك لا تخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربهم) أي اجاب يقال استجاب له واستجاب به (أني لا أضيع) باني (عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (من ذكر أو أنثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) أي الذكر من الانثى والانثى من الذكر كلكم بنو آدم او بعضكم من بعض في النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق

يعني في جملتهم وزمرتهم والابرارهم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) يعني على السنة رسلك وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سألوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجاء الى الله تعالى والتذلل له وأظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجاء اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتؤتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسألوه أن يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سألوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزنا يوم القيامة) يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما ظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما ظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا تخزنا يوم القيامة (انك لا تخلف الميعاد) قوله تعالى (فاستجاب لهم ربهم) يعني أجاب دعاءهم وأعطاهم ما سألوه (اني) أي وقال لهم (لا اضيع عمل عامل منكم) يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل اثيبكم عليه (من ذكر او انثى) يعني لا اضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو انثى عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب أخرجه الترمذي وغيره وقوله تعالى (بعضكم من بعض) يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل من بمعنى الكاف أي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنساء في الطاعة على شكل واحد (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي) يعني المهاجرين الذين هجروا أوطانهم وأهليهم وآذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا أوطانهم وعشائرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين (وقاتلوا وقتلوا) يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار (لاكفرن عنهم سيئاتهم) يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم (ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله) يعني ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم (والله عنده حسن الثواب) وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا

(سورة آل عمران)

رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما اراد وقرأ الآيات (فالذين هاجروا) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه والهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في أول الاسلام (وأخرجوا من ديارهم) التي ولدوا فيها ونشؤا (وأوذوا في سبيلي) بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلي وفيه دليل على ان الواو لا توجب الترتيب والخبر (لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (ثوابا) في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة وتثويبا (من عند الله) لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم (والله عنده حسن الثواب) أي يختص به ولا يقدر عليه غيره وروي ان طائفة من المؤمنين قالوا ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد أو للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدإ محذوف أي تقلبهم في البلاد متاع قليل واراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين

ل

في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من احزنه أمر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فأنزل الله هذه الآية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب (متاع قليل) أي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة (ثم مأواهم) يعني مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أي وبئس الفراش هي قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) أي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه (من عند الله) يعني من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع (خير للابرار) يعني ذلك الفضل والنعمة التي أعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل (ق) عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شئ وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه اهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعني خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما فعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) اشارة الى من

(تفسير النسفي)

وكل زائل قليل في نفسه لانقضائه (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا) النزل والنزل ما يقام للنازل من الثواب أو أراد به والعامل في نزلا من جنات لتخصصها بالصفة وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة وهو حال من جنات او هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا اللام في لهم او هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل الكتاب او في اربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام وأسلموا (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما (وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما فعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مشترين (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه في كل شئ (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضي الله عنه الصبر حبس النفس عن المكروه بنفي الجزع (وصابروا) اعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا (ورابطوا) وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه

هذه صفته من أهل الكتاب (لهم أجرهم عند ربهم) يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخره الله يوفيه اليهم يوم القيامة (ان الله سريع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لانه سريع الحساب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضاء وقيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعد القتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط (ق) عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط أخرجه مسلم (واتقوا الله لعلكم تفلحون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنتها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النساء وهي مدنية)

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم (اتقوا ربكم) أي احذروا أمر ربكم ان تخالفوه فيما أمركم به ونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته اخرى * وانت خليفة ذاك الكمال

فانما قال ولدته اخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق

(سورة آل عمران)
ولعل لتعقيب المآل للاثلاث اتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا في محبتي وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في خدمتي لعلكم تفلحون تظهرون بقربتي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(سورة النساء)
(نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها الناس) يا بني آدم (اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم ابيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعه (وبث منهما) ونشر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أي وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم او على خلقكم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شئ ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على

آدم عليه السلام التي عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن الى فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها (وبث منهما) يعني نشر واظهر من آدم وحواء (رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول (واتقوا الله الذي تساءلون به) انما كرر ذلك التقوى لتأكيده وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك اسألك بالله وأحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحد وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على البعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخر له في أجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكلمته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله عز وجل (وآتوا اليتامى أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تتبدلوا) أي ولا تستبدلوا (الخبيث بالطيب) يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان أحدهم يأخذ الشاة

(تفسير النسفي)

النعمة السابعة عليهم فقهم ان يتقوه في كفرانها
قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب (واتقوا الله الذي تساءلون به) والاصل تتساءلون فادغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أي واتقوا الارحام ان تقطعوها او على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا وعالما (وآتوا اليتامى أموالهم) يعني الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو ولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالامر

السمينة ويجعل مكانها الهزيلة و يأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف و يقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل أموالهم فنهوا عن ذلك (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) يعنى مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم فى الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حوبا كبيرا) يعنى ان اكل مال اليتيم من غير حق اثم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل (وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى) يعنى وان خفتم يا أولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة عن قوله تعالى فان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله أو ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها و يريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل و يستفتونك فى النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال و رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها و يعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه فى مالها ثم يسيء صحبتها او يتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو اكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمته الذى فى حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى و يترخصون فى النساء فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا و ربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى فى أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى يقول فكما خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فكذلك خافوا فى النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ثم رخص الله تعالى فى نكاح أربع فقال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعنى ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بأن قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتمسك الشافعى فى بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم فى هذه الصورة بأن ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو بمعنى او فى هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لانه يضم عددا واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يشاركه فيها احد من الامة و يدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانها حرام ما روى عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث

(سورة النساء)

الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) الى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة الى أموالكم والمعنى ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (انه) ان اكلها (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما (وان خفتم أن لا تقسطوا) أى لا تعدلوا واقسط أى عدل (فى اليتامى) يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم وأما أيتام فجمع يتيم لا غير (فانكحوا ما طاب لكم) ما حل لكم (من النساء) لان منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما يجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات أو كانوا يتحرجون من الولاية فى أموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا كثرن فكانه قيل اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم ان لا تقسطوا فى نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أى أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكرات وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وار بعا ار بعا فان قلت الذى اطلق للناكح فى الجمع ان يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب

قال اسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابوداود وعن ابن عمران غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذى وقال العلماء فيجوز للحران يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج بأربع نسوة واستدل بهذه الآية واجاب الشافعي بأن هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (ان لا تعدلوا) يعنى بين الازواج الاربع (فواحدة) يعنى فانكحوا واحدة (او ماملكت ايمانكم) يعنى وماملكتم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن (ذلك ادنى) اى اقرب (ان لا تعولوا) معناه اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لا تعولوا اى لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى ان لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي لانه انفرد به ولم يوافقه عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعي وخطأه من غير علم له بلغة العرب فقد روى الازهرى في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا أى لا تكثر عيالكم وروى الازهرى عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهرى وهذا يقوى قول الشافعي لان الكسائى لا يحكى عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربى فصيح والذى اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغى للحضرى ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الازهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى في هذا الموضع من تفسيره ورد على أبى بكر الرازى ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن أبى حاتم قال كان الشافعى أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا اقسم النساء وهو حجة الشافعي (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال الكلبى وجماعة هذا خطاب للاولياء قال أبو صالح كان الرجل اذا زوج أيمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة اذا زوجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها الا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يدفعوا الحق الى أهله وقال الحضرمى كان أولياء النساء يعطى هذا أخته على ان يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمران النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج أمرهم الله تعالى بايتان نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعنى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى أخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لا يجب فى مقابلته غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المزوجات (لكم) يعنى للازواج (عن شيء منه) يعنى

للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جيء بأو لمكانها الذهب معنى التجويز (فان خفتم أن لا تعدلوا) بين هذه الاعداد (فواحدة) فالزموا أو فاختاروا واحدة (أو ماملكت أيمانكم) سوى فى اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى أن لا تعولوا) أقرب من ان لا تميلوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال اعال يعيل اذ كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من اعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا كأنه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن (نحلة) من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى

من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز (نفسا) نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ماوهبنه لكم (هنيئا مريئا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذى لا ينغصه شئ والمريء المحمود العاقبة وفى الآية دليل على إباحة هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولاحق للولى فيه قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبى اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغى له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وانما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها واصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سماهم سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق أموالكم (التى جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن أنت قيم اهلك انفق عليهم ولا تؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمى به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أى أطعموهم (واكسوهم) يعنى لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر فى القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء أى ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولى لليتيم السفيه مالك عندى وأنا امين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل (وابتلوا اليتامى) الآية نزلت فى ثابت بن رفاعة وفى عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الآية وابتلوا اليتامى يعنى اختبروهم فى عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم (حتى اذا بلغوا النكاح) أى مبلغ الرجال والنساء (فان آنستم) أى ابصرتم وعرفتم (منهم رشدا) يعنى عقلا وصلاحا فى الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

(فصل) فى احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسئلة الاولى * الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء فى الاسواق يدفع اليه شيئا يسيرا من المال وينظر فى تصرفه وان كان ممن لا يتصرف فى الاسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده واجرائه وتصرفه فى احوال

وآتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم (فان طبن لكم) للازواج (عن شيء منه) أى من الصداق اذ هو فى معنى الصدقات (نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم اعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الماء (هنيئا) لا اثم فيه (مريئا) لا داء فيه فسرهما النبى عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى اكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة فى الاباحة وازالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا وليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا (ولا تؤتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لانهم يلونها ويمسكونها (التى جعل الله لكم قياما) أى قواما لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم فيما يعنى قياما نافع وشافى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام فجعلت

داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا غلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد *(المسئلة الثانية)* قال الامام أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى أمر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا (فادفعوا اليهم أموالهم) وانما تدفع اليهم أموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد *(المسئلة الثالثة)* في بيان البلوغ وذلك باربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فاجازني أخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة و بلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء انزل باحتلام أو جماع فاذا وجد ذلك من الصبي او الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما نبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كما في أولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق أولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار فانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم وأما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها اقل مدة الحمل *(المسئلة الرابعة)* في بيان الرشد وهو أن يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذرا والتبذير أن ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان لماله مفسدا لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا و بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن *(المسئلة الخامسة)* اذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب *(المسئلة السادسة)* اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر فلو عاد سفيها ينظر فان كان

(تفسير النسفي)

الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم أن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تتبين حاله فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل في التجارة (حتى اذا بلغوا النكاح) أي الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد (فان آنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية في التصرفات وصلاحا في المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أي طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي

مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما استدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال علي لآتين عثمان ولأحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال ابن الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى (ولا تأكلوها اسرافا) الخطاب للاولياء يعني يا معشر الاولياء لا تأكلوا أموال اليتامى بغير حق (وبدارا أن يكبروا) يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنيا فليستعفف) أي فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزأه قليلا ولا كثيرا (ومن كان فقيرا) يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه (فليأكل بالمعروف) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شيء ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروي عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى أنه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فأما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئا فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا وروى أن رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعي عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأته ويقال لها أم كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كحة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امرأته

(سورة النساء)
حنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس
وعشرين سنة (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن
يكبروا) ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم
فاسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان
يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا
ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما
نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من
أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين أن
يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني
يستعفف من أكلها أي يحترز من أكل مال
اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة
العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في أكله
عن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة (فاذا
دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم
تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتباعدا عن
توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر (وكفى
بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم
والتكاذب أو هو راجع الى قوله فليأكل
بالمعروف أي ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه
ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة
وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم
الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون

وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث (وللنساء نصيب) يعني وللاناث من أولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر) يعني من المال المخلف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فان الله قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين (أولوا القربى) يعني القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارزقوهم منه) أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهي رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهي الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الاشعري والحسن وأبي العالية والشعبي وعطاء ابن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر أمر وجوب أو ندب على قولين أحدهما أنه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا أملك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي أو الوصي اني لا أملك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شئ لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم أموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك فقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحي من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم واحتج لهذا القول بانه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية واذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الوصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله (وقولوا لهم قولا معروفا) هو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) يعني أولادا صغارا (خافوا عليهم) يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء أولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا

(تفسير النسفي)

والنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون)
هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم
(مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل
والضمير في منه يعود الى ما ترك (نصيبا) نصب
على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا (مفروضا)
مقطوعا لا بد لهم من ان يحوزوه روي ان أوس بن
ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا
عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون
النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من
طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال
ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية
فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله
تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين
فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي ابني العم (واذا حضر القسمة)
أي قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث
(واليتامى والمساكين) من الاجانب
(فارزقوهم) فاعطوهم (منه) مما ترك الوالدان
والاقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل
كان واجبا في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث
(وقولوا لهم قولا معروفا) عذرا جميلا وعدة
حسنة وقيل القول المعروف ان يقولوا لهم
خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما اعطوهم
ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا

المريض أن يحرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأخيك المسلم وكأنه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وأمسك أموالك لولدك فيمنعونه من الوصية لأقاربه المحتاجين وقيل الآية تحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصى بالثلث أو بأقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة انهم أوصوا بالقليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذى هو ذرية غيره اذا كان فى حجره والمقصود من الآية أن من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليه أو وصيه وليفعل به ما يحب أن يفعل بأولاده من بعده (فليتقوا الله) يعنى فى الأمر الذى تقدم ذكره (وليقولوا قولا سديدا) يعنى عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه أن يتصدق بدون الثلث ويترك الباقى لولده وورثته وأن لا يحيف فى وصيته والقول السديد من الأوصياء وأولياء اليتامى أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) قال مقاتل وابن حيان نزلت فى رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعنى حراما بغير حق (انما يأكلون فى بطونهم نارا) يعنى سيأكلون يوم القيامة فسمى الذى يأكلون نارا بما يؤول اليه أمرهم يوم القيامة قال السدى يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام والمراد ان أكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وانما خص الأكل بالذكر وان كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد وهو كقولك رأيت بعينى وسمعت بأذنى (وسيصلون سعيرا) يعنى بأكلهم أموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة فلما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لأن هذه الآية واردة فى المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لأن أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم وارد على سبيل الاصلاح فى أموال اليتامى والاحسان اليهم وهو من أعظم القرب قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى على فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله كيف أصنع فى مالى كيف أقضى فى مالى فلم يجبنى بشئ حتى نزلت آية الميراث وفى رواية فقلت لا يرثنى الا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفى رواية

(سورة النساء)

من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما فى حيزه صلة للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أى يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (وسيصلون) شامى وأبو بكر أى سيدخلون (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (فى أولادكم) فى شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الأنثيين) أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع اليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث ولا يتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أى اذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله

أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد على شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كحة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن أحكام الفرائض وأصول قواعدها

(فصل في الحث على تعليم الفرائض) اعلم ان علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا وأشرفها ذخرا وأفضلها ذكرا وهي ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الأول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها وأصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة في محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فاني مقبوض أخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدا ان أحدا يخبرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو أول علم ينسى وهو أول شئ ينزع من أمتي أخرجه ابن ماجه والدارقطني

(فصل في بيان احكام الفرائض) اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضي ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعض ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وأم أو لاب أو لام وابن الاخ للاب والام أو للاب وان سفل والعم للاب والام أو للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض

(فصل واسباب الارث ثلاثة) نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجاه في الصحيحين فاما الكفار فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني

من المجوسى والى هذا ذهب الزهرى والاوزاعى وأحمد واسحاق لما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود وحمله الآخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند أهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

(فصـــل) والسهام المحدودة فى الفرائض المذكورة فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام والاخت الواحدة للاب اذا لم يكن اخوة لاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسئلتين احداهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكرا كان أو انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع انتهى

(فصل) روى عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان أما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس واما الثانى وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعى والشافعى وأحمد وأولاد الاب

(سورة النساء)
(فان كن نساء) أى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بناتا ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان او صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) أى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة منفردة واحدة مبنى على كان التامة والنصب اوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنه ينزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم اعطوهما حكم الجماعة فى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للابنتين ولانه قال فى آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو ابعد منهما ولان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان أحرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا

يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للام والاب وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام اولاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلومات عن ابن وبنت اوعن اخ واخت لاب وام اولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه ادالم يأخذ من الثلثين شيئا حتى لومات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شئ لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لومات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولومات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين ومابقي فللاخت فأخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني مادام هذا الحبر فيكم أخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم يعني في أمر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعفا سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم ومابقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين (فان كن) يعني المتروكات من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعني بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا ماترك) واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ماروي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على الثنتين وعنده ان فرض الثنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني أن في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعني البنت واحدة (فلها

(تفسير النسفي)

مع أحد او انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفي الآية دلالة على ان المال كله للذكر اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم ان للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير في (ولابويه) للميت والمراد الاب والام الا انه غلب الذكر (لكل واحد منهما السدس) بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف (مما ترك ان كان له ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث) أي مما ترك والمعنى وورثه ابواه فحسب لانه اذا ورثه ابواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب اقوى من الام في الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين (فلامه) بكسر الهمزة حمزة وعلي لمجاورة

(النصف) يعني فرضالها (ولابويه) يعني ابوى الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعني للميت (وورثه أبواه فلامه الثلث) يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة (فان كان له) يعني للميت (اخوة) يعني ذكورا واناثا (فلامه السدس) يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا ابن اخي ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان أحدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني ووجه هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان أصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية من ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيئا البتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الام (من بعد وصية يوصى بها او دين) يعني ان هذه الانصبة والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كأنه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر قال علي رضي الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع على ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا) قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون ايهم

(سورة النساء) كسر اللام (فان كان له) أي للميت (اخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والعلات والاخياف في حجب الام سواء (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية (يوصى بها) وما بعده بفتح الصاد مكي وشامي وحماد ويحيى وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسر الصاد الباقون لمجاورة يوصيكم الله أي يوصي بها الميت (أو دين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان او لا تدل على الترتيب ألا ترى انك اذا قلت جاءني أحد الرجلين زيد أو عمرو كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في قوله من بعد وصية يوصي بها أو دين من بعد احد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام الا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (آباؤكم) مبتدأ (وابناؤكم) عطف عليه والخبر (لا تدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة في موضع

اقرب لكم نفعاً أى لا تعلمون ايهم انفع لكم فى الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له ولكن الله هو الذى دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث (فريضة من الله) يعنى ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة (ان الله كان عليما حكيما) يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب قوله عز وجل (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين) هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الازواج (ولهن) يعنى للزوجات (الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) لما جعل الله فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل الله فى الموجب السببى للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت فى ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى (وان كان رجل يورث كلالة او امرأة) تقدير الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا فى الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد وروى الشعبى قال سئل ابو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيى فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان اراه ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال انى لاستحى من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد ابن ثابت واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة فى أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشئ الواحد الذى يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يومئذ اب ولا ابن لان اباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التى نزلت فى آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول على بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحى من الورثة وهو قول ابى بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما ترثنى كلالة اى يرثنى ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد به غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذى لا ولد له ولا والد والحى

والميت

(تفسير النسفى)

نصب بتدرون (نفعا) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (ولكم نصف ما ترك ازواجكم) أى زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) أى ابن أو بنت (فان كان لهن ولد) منكم او من غيركم (فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين) (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين) والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين (وان كان رجل) يعنى الميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أى وان كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة) عطف على رجل

والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يرث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما اعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك آية الصيف التي في آخر النساء واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله الا يكفيك آية الصيف أراد ان الله انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها وقوله تعالى (وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله أخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال تعالى وله اخ وذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما الى الآخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما أيضا (فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث) وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في أول سورة النساء من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها الله في أولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى (من بعد وصية يوصى بها او دين) تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام يذكر هنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال و ببعضه وفي معنى الآية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه ابوداود وقوله تعالى (غير مضار) يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي بأكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابوهريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه ابوداود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله

(وله أخ او أخت) أي لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم افرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما تذكيره فلانه يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به او يرجع الى احدهما وهو مذكر (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك) من واحد (فهم شركاء في الثلث) لانهم يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى (من بعد وصية يوصى بها او دين) انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة (غير مضار) حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي بزيادة على الثلث أو لوارث (وصية من الله) مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار أو عدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح واعلم ان الورثة اصناف اصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتي الصلب الا ان يكون معها او أسفل منها غلام فيعصبها والاخوات لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير العصبة عصبة مع البنت او بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد عند أبي حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد

عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى (وصية من الله) أي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم (والله عليم) يعني انه عالم بمصالح عباده ومضارهم وبما يعرض عليهم من الاحكام وقيل عليم عمن يجور في وصيته وبمن لا يجور (حليم) يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل (تلك حدود الله) يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه (ومن يطع الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله) يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله (ويتعد حدوده) يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى به (يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على ان قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا واذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله اعلم قوله تعالى (واللاتي) هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها على المؤنث خاصة (يأتين الفاحشة) يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة ههنا هي الزنى وانما سمي الزنى فاحشة لزيادة قبحه (من نسائكم) قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج أي اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أي اسمعوا شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة سترا يستركم به دون فواحشكم (فان شهدوا) يعني الشهود بالزنى (فأمسكوهن في البيوت) أي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنى عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنى (حتى يتوفاهن الموت) يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهذا الحكم كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

(فصل) اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم

الى

(تفسير النسفي)

الابن وان سفل والاب والجد والاب وله السدس مع الابن او ابن الابن وان سفل ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقي والجد وهو ابو الاب وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام الى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفل او الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أي جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند عدمه الربع * والعصبات وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض واولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لا بغيرهن * وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من اصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وافرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيهما مدني وشامي (وله عذاب مهين) لهوانه عند الله ولا تعلق

الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية الاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن واسحاق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن علي بن أبي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي أحد الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء ويروى مثله عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا جلد عليه قوله عز وجل (واللذان) هو تثنية الذي (يأتيانها) يعني يأتيان الفاحشة (منكم) يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل (فآذوهما) يعني عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال (فان تابا) يعني من الفاحشة (وأصلحا) يعني العمل فيما يأتي (فأعرضوا عنهما) أي اتركوهما ولا تؤذوهما (ان الله كان توابا رحيما) يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بأن المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى (انما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا

(سورة النساء)

للمعتزلة بالآية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا الاثم خاطب الحكام فقال (واللاتي) هي جمع التي وموضعها رفع بالابتداء (يأتين الفاحشة) اي الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنى (فأمسكوهن في البيوت) فاحبسوهن (حتى يتوفاهن الموت) اي ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة اوحتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن (او يجعل الله لهن) قيل اويعني الا ان (سبيلا) غير هذه عن ابن عباس رضي الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة (واللذان) يريد الزاني والزانية وبتشديد النون مكي (يأتيانها منكم) أي الفاحشة (فآذوهما) بالتوبيخ والتعيير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا) عن الفاحشة (وأصلحا) وغيرا الحال (فأعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (ان الله كان توابا رحيما) يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنى الاذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى

أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها (بجهالة) قال قتادة اجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شئ عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معناه الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بأنه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) يعني يتوبون بعد الاقلاع من الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا ازال أغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها (فأولئك يتوب الله عليهم) يعني يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيما) قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل في معنى الآية علم انه انما أتى تلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب قوله عز وجل (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر أحدهم الموت) يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال اني تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا أمرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى أخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى في المؤمنين يعني قوله انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير ان تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية

منسوخة

(تفسير النسفي)

الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى في السحاقات والثانية في اللواطين والتي في سورة النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر لابي حنيفة رحمه الله في انه يعزر في اللواطة ولا يحد وقال مجاهد الآية الاولى في اللواطة (انما التوبة) هي من تاب الله عليه اذا قبل توبته أي انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شئ ولكنه تأكيد للوعد يعني انه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك (للذين يعملون السوء) الذنب لسوء عاقبته (بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا (فأولئك يتوب الله عليهم) عدة بانه يفي بذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة (وكان الله عليما) بعزمهم على التوبة (حكيما) حكم بكون الندم توبة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) أي ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى ان يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا

منسوخة في حق المؤمنين وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم واسلام تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعتدنا لهم) أي هيأنا لهم (عذابا أليما) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات (ولا تعضلوهن) أي ولا تمنعوهن من الازواج وأصل العضل المنع (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) يعني لتضجروهن فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنى يعني أن المرأة اذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق اليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن تصنع لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا انتقلت تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بأن تتخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتين بفاحشة وهي اما النشوز أو الزنى بين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنى ونهى عن بخس الرجل حق المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها (وآتيتم احداهن قنطارا) يعني وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس افقه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ أو رجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان

وعد به الاختيار (ولا الذين يموتون) في موضع جر بالعطف على للذين يعملون السيئات أي ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبير الآية الاولى في المؤمنين والوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلا م سين وهو مبتدأ خبره (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أي هيأنا من العتيد وهو الحاضر والاصل أعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بان يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) أي أن تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ماعداه كما في قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن او مجزوم بالنهي على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) من المهر واللام متعلقة بتعضلوا (الا ان يأتين بفاحشة) هي النشوز وايذاء الزوج وأهله بالبذاء أي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنى فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع (مبينة) وبفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من اعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) لقبحهن او سوء خلقهن (فعسى ان تكرهوا

شيئا ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء أو في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلا أو ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدنى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فأعجبته بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها فقيل (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) أي تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم احداهن) وأعطيتم احدى الأزواج فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) أي بينا والبهتان ان تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أي خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذهن أو قول النبي عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الارث كرها ولكن نخطب فننكحهن برضاهن فقيل لهم (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطء

خير المهور أيسرها وأسهلها (فلا تأخذوا منه شيئا) يعني من القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيئا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له ان يأخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (أتأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتانا) يعني ظلما وقيل باطلا (واثما مبينا) يعني أتأخذونه مباهتين آثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلمة تعجب والمعنى لأي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لأخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم الى بعض) أصل الافضاء في اللغة الوصول يقال أفضى اليه أي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبي الافضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية روي انه لما توفي أبو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأتته فأخبرته فأنزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء (الا ما قد سلف) يعني الا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أقبح المعاصي (ومقتا) يعني انه يورث المقت من الله وهو أشد البغض وغاية الخزي والخسارة (وساء سبيلا) أي وبئس ذلك طريقا لانه يؤدي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه آتيه برأسه قوله عز وجل (حرمت عليكم أمهاتكم) بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أو نسب (خ) عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم وأصل أمهات أمات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة رجع النسب اليها من جهة الاب أو من جهة الام بدرجة أو بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات باناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخواتكم) جمع أخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في أصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام (وعماتكم) جمع عمة وهي كل امرأة شاركت أباك في أصله وهن جميع أخوات الاب وأخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام أيضا وهي أخت أبي الام (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل

امرأة

امرأة شاركت الام فى اصلها فيدخل فيه جميع اخوات الام واخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهى أخت أم الاب (وبنات الاخ وبنات الاخت) وهى عبارة عن كل امرأة لاخيك أو لاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ أو الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل والاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والخالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه * الصنف الثانى المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك فى قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) كل أنثى انتسبت باللبن اليها فهى أمك وبنتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة انها لا تحل لى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة أخى من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون ارضاع الصبى فى حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله فى عامين عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء فى الثدى وكان قبل الفطام أخرجه الترمذى عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان فى الحولين أخرجه مالك فى الموطأ بأطول من هذا وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر * الشرط الثانى ان يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعى ويدل على ذلك ما روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم (م) عن ام الفضل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفى رواية ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة قال يا نبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقى حكمه وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثورى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وابو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كمذهب الشافعى واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا واجاب الشافعى ومن وافقه فى هذه المسئلة بأن السنة مبينة للقرآن مفسرة له وقوله تعالى (وأمهات نسائكم) يعنى اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه امها الاصلية وجميع جداتها من قبل الاب والام كما فى النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد

أى لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوأة الاب بنكاح أو بملك يمين أو بزنى كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كان نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال (الا ما قد سلف) أى لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال (انه كان فاحشة) بالغة فى القبح (ومقتا) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى (وساء سبيلا) وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ما طاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال (حرمت عليكم أمهاتكم) والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الام أو الاب ملحقة بهن (وبناتكم) وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته (واخواتكم) لاب وأم أو لاب أو لام (وعماتكم) من الاوجه الثلاثة (وخالاتكم) كذلك (وبنات الاخ) كذلك (وبنات الاخت) كذلك ثم شرع فى السبب فقال (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لابيه وأم المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد العقد (وربائبكم) سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا

سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امرأة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم) يعني ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من أصلابكم) انما قال من اصلابكم احترازا من التبني ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أو رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فههنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو ان يتزوج احداهما ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما آية وحرمتهما آية واما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شيء لم أجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ وقوله تعالى (الا ما قد سلف) يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفورا رحيما) وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل على ذلك ما روى عن الضحاك بن فيروز عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني أسلمت وتحتي اختان قال طلق ايتهما شئت أخرجه أبو داود (فروع) تتعلق بحكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة او لبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها

بذلك وان لم يربها (اللاتي في حجوركم) قال داود اذا لم تكن في حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدة التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) متعلق بربائبكم اي الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب اي ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لان الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل وهذا لان النساء الاولى مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فلا حرج عليكم في أن تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن أو متن (وحلائل ابنائكم) جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول (الذين من اصلابكم) دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع (وان تجمعوا بين الاختين) أي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين (الا ما قد سلف) ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما) وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امرأة الاب ونكاح الاختين فلذا قال فيهما الا ما قد سلف

لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه امها ولا بنتها ولو اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا ابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان الزنى يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران ابن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر اهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى (والمحصنات) يعني وحرمت المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء التي حرمن بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى (الا ما ملكت ايمانكم) يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرمت عليكم امهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا (واحل لكم ما وراء ذلكم) يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف أخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بأمة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (أن تبتغوا بأموالكم) فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا أي تطلبوا بأموالكم اي تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا بأموالكم (محصنين) يعني متزوجين وقيل متعففين (غير مسافحين) يعني غير زانين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنى سفاحا

(سورة النساء)

(والمحصنات من النساء) أي ذوات الازواج لانهن أحصن فروجهن بالتزوج قرأ الكسائي بكسر الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتح الصاد في جميع القرآن (الا ما ملكت أيمانكم) بفتحها في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم المنكوحات أي اللاتي لهن ازواج بالسبي وزوجها في دار الحرب الا ما ملكتموهن بسبيهن واخراجهن بدون ازواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف (وأحل لكم) على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم (ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة واحل كوفي غير ابي بكر عطف على حرمت (ان تبتغوا) مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم لان تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر (بأموالكم) يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لا تعد مالا عادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني

لان الزانى لاغرض له الاصب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلفوا فى معناه فقال الحسن ومجاهد أراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع فى اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع (فآتوهن اجورهن) يعنى مهورهن وانما سمى المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمى بدل منافع الدار والدابة أجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق و يستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا فى ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهنى انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس انى كنت اذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أى ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا فى ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهنى (ق) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعى ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ الآية قوله تعالى فى سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس فى المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص فى المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هى ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هى قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس بالمتعة قال قاتلهم الله انما افتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له و روى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها الا أجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعى لا اعلم فى الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول أهل العلم جميعا من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الاثر والرأى وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبى صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله واما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التى جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين أى عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبرى أولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى فآتوهن اجورهن يعنى مهورهن (فريضة) يعنى لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا عقدا الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى

(تفسير النسفى)

(فما استمتعتم به منهن) فما نكحتموه منهن (فآتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب على البضع فما فى معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن (فريضة) حال من الاجور أى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله أو تزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام او فراق

من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لاجناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه (ان الله كان عليما) يعني بما يصلحكم أيها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر اموركم (حكيما) يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

(فصل في قدر الصداق وما يستحب منه) اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة اوقية أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (م) عن ابي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمد واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على أن الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفي رواية فقد انكحتكها بما معك من القرآن اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال هل تجد شيئا فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه أصحاب الرأي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى في صداق امرأة ملء كفيه سويقا أو تمرا فقد استحل اخرجه أبو داود وعن عبد الله بن عامر عن أبيه ان امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه أخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة (أن ينكح المحصنات) يعني الحرائر (المؤمنات فمما ملكت أيمانكم) يعني جارية أخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى وفي الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف

(سورة النساء) (ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيما) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت (ومن لم يستطع منكم طولا) فضلا يقال لفلان على طول أي فضل وزيادة وهو مفعول يستطع (ان ينكح) مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طولا (المحصنات المؤمنات) الحرائر المسلمات (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) أي فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة ونكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص للاستحباب بدليل ان الايمان ليس شرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل لنا في مسئلة الطول

مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنى وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد ابن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب أبي حنيفة الا أن يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند أبي حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول في الحر في الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فخص جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى (والله أعلم بايمانكم) قال الزجاج أي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم (بعضكم من بعض) يعني أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك أمر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وأنتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم أكفاء بعض (فانكحوهن باذن أهلهن) يعني اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة (وآتوهن أجورهن) يعني مهورهن (بالمعروف) يعني من غير مطل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن (محصنات) يعني عفائف (غير مسافحات) يعني غير زانيات (ولا متخذات اخدان) جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها يعني حبيبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات الاخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا (فاذا أحصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فان أتين بفاحشة) يعني بزنى (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) يعني فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد الزاني اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحصن والذي لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما

(تفسير النسفي)

(والله اعلم بايمانكم) فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل على أن الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان الممنوع لا يختلف (بعضكم من بعض) أي لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن أهلهن) سادتهن وهو حجة لنا في ان لهن ان يباشرن العقد بأنفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وانه ليس للعبد أو للأمة ان يتزوج الا باذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي لانهن وما في أيديهن مال الموالي والتقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف حال من المفعول في وآتوهن (غير مسافحات) ذوان علانية (ولا متخذات أخدان) ذوان سرا والاخدان الاخلاء في السر (فاذا أحصن) بالتزويج أحصن كوفي غير حفص (فان أتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ما على المحصنات) أي الحرائر (من العذاب) من الحد يعني خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على انه الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يتزوجن

حدّ الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت أمة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحدّ ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحدّ ولا يثرب ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر أخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها أي لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النواوي وهذا البيع المأمور به في الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته أو بالاحسان اليها أو يزوجها أو غير ذلك والله أعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشي العنت منكم) يعني الزنى والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنى وانما سمي الزنى بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعني عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين أن الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهديكم) أي ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) أي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام (ويتوب عليكم) يعني ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته وربما وقع ما تقصير وتفريط فيما أمر به ونهى عنه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم (والله عليم) يعني بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعني فيما دبر من أمورهم (والله يريد أن يتوب عليكم) قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم (أن تميلوا) يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية (ميلا عظيما) يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم (يريد الله أن يخفف عنكم) يعني ليسهل عليكم أحكام الشرائع فهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في أصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما

(سورة النساء)

(ذلك) أي نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة لمن خاف وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الزنى لانه سبب الهلاك (وان تصبروا) في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) لان فيه ارقاق الولد ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يستر المحظور (رحيم) بكشف المحذور (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله ان يبين لكم وزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابالك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف (والله عليم) بمصالح عباده (حكيم) فيما شرع لهم (والله يريد ان يتوب عليكم) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل (ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا) الفجرة (عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم (يريد الله ان يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة

خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي وأما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى (الا أن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا ههنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير احدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد أن تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم بعضا وانما قال أنفسكم لانهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى أسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيئا يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم با كل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بان تعملوا عملا ربما أدى الى قتلها (ان الله كان بكم رحيما) يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه تعالى أمر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس وأكل المال بالباطل لانهما مذكوران في آية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من أول السورة الى هنا (عدوانا وظلما) يعني يتجاوز الحد فيضع الشئ في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه نارا) أي ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) أي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اجتناب الشئ المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر فمن ذلك ما روى عن أبي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا أنبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت أخرجاه في الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا أنبئكم باكبر الكبائر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع

(وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وغيره من الرخص (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن تقع تجارة تجارة كوفي أي الا أن تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) الا أن تكون تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص (ولا تقتلوا انفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او ومعنى القتل أكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه اولا تتبعوا اهواءها فتقتلوها او ترتكبوا ما يوجب القتل (ان الله كان بكم رحيما) ولرحمته بكم نهيكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء ابدانكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ومن يفعل ذلك) أي القتل أي ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال او مفعول لهما (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) أي اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي حق غيره

الموبقات قيل يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والربى والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل أو امه فيسب اباه وأمه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعمائة أقرب وفي رواية الى السبعين أقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام أو جاحدا فريضة أو مكذبا بقدر وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب أو لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مِغْوَل الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفرها الحسنات ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم وقوله تعالى (وندخلكم مدخلا كريما) يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر واتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) اصل التمني ارادة الشئ وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشئ في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية واكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة

لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بغفرانه
(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنهما الكبائر
من أول سورة النساء الى قوله ان
كل ما نهى الله عنه من أول سورة وعنه أيضا الكبائر ثلاث
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والامن من
الاشراك بالله واليأس من روح الله
مكر الله وقيل المراد بها انواع الكفر بدليل قراءة
عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر
(وندخلكم مدخلا) مدخلا مدني وكلاهما
بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة
النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس
وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب
عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان يشرك
به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتثبت المعتزلة
بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتناب
الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان
الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء ان شاء
عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى
ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فعد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها
بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات فهذه الآية تدل على ان الصغائر
والكبائر يجوز ان يذهبهما الحسنات لان لفظ
السيئات ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال
الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمني مال
الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به
بعض الناس على بعض من الجاه والمال
بقوله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة
عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما

ما يعلم أو يظن انه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو النساء
وانما لنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان
المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث
مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة
من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزل قوله
للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا
أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف
ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين أحدهما
ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو
مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما
فعل وربما اعتقد في نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا
وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة
وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه
في الدين أو الدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فليعلم
العبد ان الله أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم اعطني
ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله تعالى (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن) قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ
الانثيين وقيل هذا الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنة
بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل
للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ
الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق
للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب
ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء ان يكن رجالا وان
يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن ان يسألوه من فضله فانه أعلم بمصالح عباده (ان الله
كان بكل شئ عليما) يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فان
الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالي)
يعني ورثة من بني عم وأخوة وسائر العصبات (مما ترك) يعني يرثون مما ترك (الوالدان والاقربون)
من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي أي ورثة مما
ترك وتكون ما بمعنى من يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان
والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم ولداه وأقربوه والقول الاول
أصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف
والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان جمع يمين يحتمل ان يراد به القسم أو اليد أوهما جميعا وذلك انهم
كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان
الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك
وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين
السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى (فآتوهم
نصيبهم) يعني أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى

(تفسير النسفي)
ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى
كل واحد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد
أخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك
الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى
مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهي
عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون اجرنا على
الضعف من اجر النساء كالميراث وقالت النساء
يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل
(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث
(واسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفد
ولا تتمنوا ما للناس من الفضل (ان الله كان
بكل شئ عليما) فالتفضيل منه عن علم بمواضع
الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأمر بالمسئلة الا
ليعطي وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله
غضب عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير
الكثير عن عبده ويقول لا أعطي عبدي حتى
يسألني وسلوا مكي وعلي (ولكل) المضاف
اليه محذوف تقديره ولكل أحد او لكل مال
(جعلنا موالي) وراثا يلونه ويحرزونه (مما
ترك الوالدان والاقربون) هو صفة مال محذوف
أي من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل
محذوف دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك
(والذين عاقدت أيمانكم) عاقدتهم أيديكم
وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو
(فآتوهم نصيبهم) مع الفاء عقدت كوفي
أي عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد الموالاة
وهي مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة
الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا
أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا
معتق فيقول لآخر واليتك على ان تعقل اذا
جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت
انعقد ذلك ويرث الاعلى من الاسفل

ببعض فى كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبنى بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر أبى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم انما نزلت فى أبى بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر ان لا يورثه فلما أسلم أمره الله ان يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال ان حكم الآية باق قال انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وانما حلف كان فى الجاهلية لم يرده الاسلام الا شدة أخرجه مسلم وقوله تعالى (ان الله كان على كل شئ شهيدا) قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل (الرجال قوامون على النساء) نزلت فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتانى فأنزل الله هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذى أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد فى حفظها ولما أثبت القيام للرجال على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب فى الميراث والتعصيب فى الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء ثم قال تعالى (وبما أنفقوا من أموالهم) يعنى وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها أخرجه الترمذى (فالصالحات) يعنى المحسنات العاملات بالخير (قانتات) أى مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن فى غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذى هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها عن أبى هريرة قال قيل يا رسول الله أى النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائى ورواه البغوى بسند الثعلبى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت

(سورة النساء)

(ان الله كان على كل شئ شهيدا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا من أموالهم) وبما نفقوا عليهن وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول (فالصالحات قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) لواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم

اليها سرتك واذا أمرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى (بما حفظ الله) يعني بما حفظهن الله حين أوصى بهن الازواج وأمرهم باداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان (واللاتي تخافون) أي تعلمون وقيل تظنون (نشوزهن) أي عصيانهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا أمرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها دل ذلك على نشوزها على زوجها (فعظوهن) يعني اذا ظهر منهن أمارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما أنت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن في المضاجع) يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر (واضربوهن) يعني ان لم ينزعن بالهجران ضربها يعني ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت أخرجه أبو داود قوله ولا تقبح أي لا تقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرت النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه أبو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرت يقال ذئرت المرأة على زوجها اذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشئ أحاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها للتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شئ أولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت

(تفسير النسفي)
(بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين اوصى بهن
الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف أو بما
حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب
أو بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك
والثاني (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن
وترفعهن عن طاعة الازواج والنشز المكان
المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره
(فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى
والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية
ويرغب الطبائع النافرة (واهجروهن في
المضاجع) في المراقد أي لا تداخلوهن تحت
اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو ان يوليها
ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع
(واضربوهن) ضربا غير مبرح امر بوعظهن
اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان
لم ينجع فيهن الوعظ والهجران (فان اطعنكم) بترك
النشوز (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فازيلوا عنهن
التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من
بغيت الامر أي طلبته

فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها أو يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه ابو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي أخرى حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة فلتأته وان كانت على التنور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان أطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن (ان الله كان عليا كبيرا) العلي في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله متعال من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو عمن جنى عليكم قوله تعالى (وان خفتم) يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أي ظننتم (شقاق بينهما) يعني بين الزوجين واصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون أمر آحاد الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها (ان يريدا اصلاحا) يعني الحكمين وقيل الزوجين (يوفق الله بينهما) يعني بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة

(سورة النساء)

(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان علت أيديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل الى شق أي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا حكما من أهله) رجلا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما (وحكما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة والضمير في (ان يريدا اصلاحا) للحكمين وفي (يوفق الله بينهما) للزوجين أي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق والقى في نفوسهما المودة والاتفاق او الضميران للحكمين أي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد او الضميران للزوجين أي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة

رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقررت
به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من
اهله وواحد من أهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب وأشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز
وفائدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة
على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من ايقاع طلاق او خلع والحكمان وكيلان
للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل
او يفتدي حكم المرأة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم
الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد
لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به
فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول علي للزوج كذبت أي لست بمنصف في
دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين
دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح
في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال
ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر أن رضاه شرط بل معناه ان المرأة لما رضيت بما في كتاب الله
تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان
تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى
غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة باصلاح
حالهما في الوصلة وقوله تعالى (ان الله كان عليما خبيرا) يعني أن الله تعالى يعلم كيف يوفق بين
المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله
عز وجل (واعبدوا الله) يعني وحدوه وأطيعوه وعبادة الله عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله
ويدخل فيه جميع اعمال القلوب وأعمال الجوارح (ولا تشركوا به شيئا) يعني وأخلصوا لله في العبادة
ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد اشرك به
ولا يكون مخلصا (ق) عن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له
عفير أو اسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله
اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك
به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده
معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله
وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان
يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متأكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما
قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة
ويتركوا العمل الذي ترفع لهم به هذه الدرجات في الجنة وقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) تقديره واحسنوا
بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكيد حقهما على
الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما
والانفاق عليهما بقدر القدرة (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من
قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم أباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك
(م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول

(تفسير النسفي)
(ان الله كان عليما) بارادة الحكمين (خبيرا) بالظالم
من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا
خلافا لمالك رحمه الله (واعبدوا الله) قيل
العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضاء بالموجود
والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا
به شيئا) صنما وغيره ويحتمل المصدر أي اشراكا
(وبالوالدين احسانا) وأحسنوا بهما احسانا
بالقول والعمل والانفاق عليهما عند الاحتياج

الله قال من أدرك والديه عند الكبر او أحدهما ثم لم يدخل الجنة قوله تعالى (وبذى القربى) أى واحسنوا الى ذى القرابة وهو ذو رحمه من قبل أمه وأبيه (ق) عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه معنى ينسأ له فى اثره يؤخر له فى اجله وعمره وقوله تعالى (واليتامى والمساكين) أى واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا (ق) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) أى واحسنوا الى الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة قالت قلت يارسول الله ان لى جارين فالى ايهما اهدى قال الى اقربهما بابا منك (م) عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يااباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفى رواية قال اوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشئ الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقوله تعالى (والصاحب بالجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هى المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر المجتاز بك الذى قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه (ق) عن ابى شريح خويلد بن عمرو العدوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد فى رواية ولا يحل لرجل ان يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شئ عنده يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية أى يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله ان يقيم عند أخيه حتى يؤثمه اى يوقعه فى الاثم لانه اذا أقام عنده ولم يقره اثم بذلك وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) يعنى المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم مالا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سئ الملكة أخرجه الترمذى عن رافع بن مكيث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابوداود وله عن على بن أبى طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة

(وبذى القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ وعم أو غيرهما (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) أى الذى جواره بعيدا أو الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبى (والصاحب بالجنب) أى الزوجة عن على رضى الله عنه أو الذى حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر أو شريك فى تعلم علم أو غيره أو قاعدا الى جنبك فى مجلس أو مسجد (وابن السبيل) الغريب أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء

الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال رأيت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم عليه وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختالا) المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس (فخورا) الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف الله به فهو يتجلجل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة (ق) عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منهما المتكبرون على الناس بهما قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة ابن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع ويحيى بن عمر وكانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ويقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم (عذابا مهينا) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) يعني للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى (وماذا عليهم)

(ان الله لا يحب من كان مختالا) متكبرا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم (فخورا) يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا (الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان مختالا فخورا او جمع على معنى من أو على الذم أو رفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون (ويأمرون الناس بالبخل) بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والجود ان يؤكل ولا يأكل (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفي الحديث اذا أنعم الله على عبده نعمة أحب ان يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فأحببت أن اسره بالنظر الى آثار نعمتك فأعجبه كلامه قيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أي يهانون به في الآخرة (والذين ينفقون أموالهم) معطوف على الذين يبخلون او على الكافرين (رئاء الناس) مفعول له أي للفخار وليقال ما أجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون او مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار

يعني وأي شئ عليهم وأي وبال وتبعة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) اي
اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعني لا يخفى
عليه شئ من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم قوله
عز وجل (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس
ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل
الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه
الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم أحدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على
أصغر شئ يعرفه الناس (وان تك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بعشرة أمثالها وقيل هذا عند
الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لأن
تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة أحب الي من الدنيا وما فيها (م) عن أنس بن مالك في قوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم
مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا
حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول
لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم
فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول
يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذي (ق) عن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل
يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال
لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم
ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده مامن أحد
منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية
فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم
يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقي فيها أحد ممن
أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم
يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير
فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في
قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد
يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق
الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم
في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى
الحجر والى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض
فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم تعرفهم أهل
الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما

(سورة النساء)
(وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله) وأي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ (وكان الله بهم عليما) وعيد (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة (وان تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة كان جارى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال (يضاعفها) يضاعف ثوابها يضعفها مكي وشامي

رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شئ أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى لملائكته انظروا في أعماله الصالحات فأعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو أعلم بذلك أعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا وأخرجه ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها أي يجعلها أضعافا كثيرة (ويؤت من لدنه) يعني من عنده (أجرا عظيما) يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال أبو هريرة اذا قال الله عز وجل أجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل أمة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى بنبي كل أمة يشهد عليها ولها (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحد رواته وقوله تعالى (يومئذ) يعني يوم القيامة (يود) أي يتمنى (الذين كفروا) يعني جحدوا وحدانية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعني فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لو تسوى بهم الارض) يعني لو صاروا وإياها سواء وسويت عليهم وقيل انهم ودوا لو لم يبعثوا لانهم انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال اني أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال ان الله تعالى يغفر لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا

وعصوا

(تفسير النسفي)
(ويؤت من لدنه اجرا عظيما) ويعط صاحبها
من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن
يعرف مقداره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا
وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب
الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف)
يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم
(اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (على
هؤلاء) أي امتك (شهيدا) حال أي شاهدا
على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر
وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي
الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال حسبنا (يومئذ) ظرف لقوله (يود الذين
كفروا) بالله (وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما
تسوى بالموتى أو يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا
والارض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون
حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة
حمزة وعلي تسوى بفتح التاء والسين من تتسوى مدني وشامي (ولا
وحذف احدى التاءين
تسوى بادغام التاء في السين
يكتمون الله حديثا) مستأنف اي ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم

وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون و يقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه عبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم علي في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكاري الآية فعلى هذا ففي المراد بالصلاة قولان أحدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكاري وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين (ولا جنبا) يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب وأصل الجنابة البعد سمي الذي أصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل (الا عابري سبيل) العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين أحدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه أو للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس ابن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب الشافعي وأحمد القول الثاني ان المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرون والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم و يصلي الا ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدي القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح

(سورة النساء)
ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا
نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت
الخمر مباحة فأكلوا وشربوا وافتقدموا أحدهم
ليصلي بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون
أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد نزل
(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى) أي لا تقربوها في هذه الحالة (حتى
تعلموا ما تقولون) أي تقرؤن وفيه دليل على
ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة
الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره
حتى خاطبهم باسم الايمان وما امر النبي عليه
السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد
الايمان ولان الامة اجتمعت على أن من أجرى
كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره
(ولا جنبا) عطف على وأنتم سكارى لان محل
الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل
لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أي
ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى
المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل)
صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير
عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير مسافرين
والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل

صلاة بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شئ . الوجه الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم مذكور في الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال

(فصل في احكام تتعلق بالآية) اختلف العلماء في العبور في المسجد فأباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعى ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأى وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روى عن عائشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزنى من أصحاب الشافعى وأجاب أحمد عن حديث عائشة بأنه في رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضؤا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى عن أم سلمة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روى عن على ابن أبى طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شئ ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائى والترمذى ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيئا أخرجه الدارقطنى ويجب الغسل بأحد شيئين بانزال المنى وهو الماء الدافق أو بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذى (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل وقوله تعالى (وان كنتم مرضى) جمع مريض وأراد به المرض الذى يضر معه امساس الماء مثل الجدرى واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلى مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روى عن جابر قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لى رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العى السؤال انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو قال يعصب شك الراوى على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطنى ولم يجوز أصحاب الرأى الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم وقوله تعالى (أو على

(تفسير النسفى)
لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين (حتى تغتسلوا)
الا ان تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين
عبر عن التيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء
وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله وهو مروى
عن على رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه
الله لا تقربوا الصلاة أى مواضع الصلاة
وهى المساجد ولا جنبا أى ولا تقربوا المسجد
جنبا الا عابرى سبيل الا مجتازين فيه فيجوز
للجنب العبور في المسجد عند الحاجة (وان
كنتم مرضى

سفر) يعنى اوكنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم و يصلى ولا اعادة عليه لما روى عن ابى ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر ابد أفيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبنى الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوذر فسكت فقال ثكلتك يا أباذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتنى بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأنى القيت عنى جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبوداود العس قدح من خشب يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء فى موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم و يصلى ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه و به قال الشافعى وقال مالك والاوزاعى لا اعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعنى مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشئ باسم مكانه وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قرئ هنا وفى سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء فى معنى الملامسة على قولين أحدهما انه الجماع وهو قول على وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله حيى كريم يكنى عن الجماع بالملامسة والقول الثانى ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة فى اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ أو لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد فى الحديث النهى عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة فى معناها هى ان يقول اذا لمست ثوبى أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة فى الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة فى غير المجامعة لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء على صريح الجماع بل حمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد

(فصل فى احكام تتعلق بالآية) وفيه مسائل المسئلة الاولى اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهرى والاوزاعى والشافعى لما روى الشافعى بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك فى الموطأ قال الشافعى و بلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد وأحمد واسحاق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هى الا انت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذى انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير بن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقى يعرف بعروة المزنى وانما المحفوظ عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس و به قال الحسن والثورى واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة انها قالت كنت أنام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فاذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه فى الصحيحين وأجاب

(سورة النساء)
أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) أى
المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة
فكنى به عن الحدث (أو لامستم النساء)
جامعتموهن كذا عن على رضى الله عنه وابن
عباس

من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل أن يكون غمزه لها على حائل *المسألة الثانية* اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت أو أجنبية صغيرة فأصح القولين عنده انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله أو لامستم النساء والنظر الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة فان أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فأحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لانه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأته أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه *المسألة الثالثة* في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فاذا حصل شئ من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشياء روى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما روى عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد واسحاق واتفق هؤلاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما روى عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه أخرجه الترمذي وقال هو أصح شئ في هذا الباب *المسألة الرابعة* من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو اغماء أو نوم لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن أخرجه أبو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحاق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي لما روى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث *المسألة الخامسة* من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وأحمد واسحاق غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولابي داود والنسائي نحوه وعن أم حبيبة قالت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه احمد وأبو زرعة وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كأنه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ فقال هل هو الا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو يبني المسجد وأبو هريرة من آخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث وقوله تعالى (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي بكر الصديق فقالوا الا ترى الى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه في الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أي أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هو معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مأمور بالتطهر بالماء فاذا أعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبالي أكان في الموضع

(سورة النساء)
(فلم تجدوا ماء) فلم تقدروا على استعماله
لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول اليه (فتيمموا)
أو المانع من حية أو سبع أو عدو أو مرضى
ادخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى
والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة
والجزاء الذي هو الامر بالتيمم متعلق بهم
جميعا فالمرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم
وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه
لبعده والمحدثون وأهل الجنابة اذا لم
يجدوه لبعض الاسباب فلهم ان يتيمموا
(صعيدا) قال الزجاج هو وجه
الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لا تراب
عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك
طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية
لا التبعيض (طيبا) طاهرا

تراب أولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا بزرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذكر الشافعي انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فهذا بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك في الحجر الذي لا تراب عليه وأيضا فانه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها أصح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أي اقصدوا أرضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأجيب عنه بأن هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض وأجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق أصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي جهيم بن الحارث فقال أبو جهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان أرد عليك أولا الا اني لم أكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين

(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) قيل الباء زائدة (تفسير النسفي)

فهذا أجود ما في هذا الباب فان البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى أنه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل على ذلك ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها الى المناكب والآباط من بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك وأحمد واسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية ان تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال أبو اسحاق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

(فصل) وأركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحاق وذهب جماعة الى أن التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده والى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أبي حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله أعلم وقوله تعالى (ان الله كان عفوا) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا) ستورا على عباده بغفر الذنوب وسترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته أن يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى بان يرخص للعاجزين أمر العبادة قوله عزوجل

(ان الله كان عفوا) بالترخيص والتيسير (غفورا) عن الخطا والتقصير (ألم تر) من رؤية القلب وعدي بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل (ويريدون ان تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السبيل) أي سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (باعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم (وكفى بالله وليا) في النفع (وكفى بالله نصيرا) في الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقيم صفته وهو (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه في التوراة التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع

(ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فانزل الله ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها (يشترون الضلالة) يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضلوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا الاسلام (والله أعلم باعدائكم) يعني انه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تنصحوهم فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم) أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا (واسمع غير مسمع) هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه (وراعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه أرعنا سمعك أي اصرف سمعك الى كلامنا وأنصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أصله لويا لانه من لويت الشئ اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا (واسمع) يعني بدل قولهم لا سمعت (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا أي انظر الينا (لكان خيرا لهم) يعني عند الله (وأقوم) يعني أعدل وأصوب (ولكن لعنهم الله) يعني طردهم وأبعدهم عن رحمته (بكفرهم) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني فلا يؤمن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) خطاب لليهود (آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب ابن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وأمرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد

فقال

(تفسير النسفي)

هو حديربان يكون فيه الخبر محذوفه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاربة والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك قيل أسروا به (واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله (وراعنا) يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (وطعنا في الدين) هو قولهم لو كان نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه (ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا) ولم يقولوا وعصينا (واسمع) ولم يلحقوا به غير مسمع (وانظرنا) مكان راعنا (لكان) قولهم ذلك (خيرا لهم) عند الله (وأقوم) وأعدل وأسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام وأصحابه أو الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعني القرآن (مصدقا لما معكم) يعني التوراة

فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) أصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين (فنردها على أدبارها) يعني نجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء وقيل ندبرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة وأما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعني بتغيير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى أذرعات وار يحاء من ارض الشأم من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير فان قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي أهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يا رب اسلمت مخافة أن يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بأن لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فتجعل الكناية في قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليهم وقوله تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى أنه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مأمور الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمي أمرا لانه عن أمره كان قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قال ابن جرير الطبري معناه يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما انزلنا فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت في وحشي وأصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشأم فكان به الى أن

(سورة النساء)

(من قبل ان نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم (فنردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أي من قبل ان نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم (او نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان أريد الوجهاء او الى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بان لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشأم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان يأتي أهله وقال ما كنت أرى ان أصل الى أهلي قبل ان يطمس الله وجهي ولان الله تعالى أوعدهم بأحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود (وكان أمر الله) أي المأمور به وهو العذاب الذي أوعدوا به (مفعولا) كائنا لا محالة فلا بد ان يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ان مات عليه (ويغفر ما دون ذلك) أي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبي عليه السلام من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله (لمن يشاء) لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده

مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية ردّ على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر ابن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس اني لأرجو له كما أنه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن أبي طالب قال ما في القرآن أحب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله) يعني يجعل معه شريكا غيره (فقد افترى) أي اختلق (اثما عظيما) يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصلاح أو وصفها بزكاء العمل أو بزيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزلفى عند الله فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون انهم أزكياء لانهم برؤا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم (بل الله يزكي من يشاء) فيجعله زاكيا (ولا يظلمون فتيلا) يعني ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعني قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم (وكفى به) أي بذلك الكذب (اثما مبينا) قوله عز وجل (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم أهل

(تفسير النسفي)

يرزق من يشاء قال علي رضي الله عنه ما في القرآن آية أحب الي من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه أولى ان يغفر بالتوبة والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما واذا فهما ذكرنا (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكي من يشاء) اعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (فتيلا) قدر فتيل وهو ما تفتل بين الاصابع من الوسخ (انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم انهم عند الله أزكياء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) يعني اليهود (يؤمنون بالجبت) أي الاصنام وكل ما عبد من دون الله (والطاغوت) الشيطان

مكة انتم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم ان نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبوسفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبوسفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى ألم تر يعنى يا محمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبوداود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هى زجر الطير وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا أخذت اليمين مضى فى حاجته واذا أخذت الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشئ فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغى الانسان وقيل الجبت هو حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود (ويقولون) يعنى كعب بن الاشرف أصحابه (للذين كفروا) يعنى لكفار قريش (هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعنى طريقا (أولئك الذين لعنهم الله) يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه (ومن يلعن الله) يعنى يطرده من رحمته (فلن تجد له نصيرا) يعنى ينصره قوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك) هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شئ البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وجزاء مضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم والنقير هو النقطة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشئ الحقير التافه الذى لا قيمة له قوله عزوجل (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) أصل الحسد تمنى زوال النعمة عمن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى فى زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله فى جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعنى أنه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكانت له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعنى انه قد حصل فى أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه

(سورة النساء)
(ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك ان حيى بن أخطب وكعب ابن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم الى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبوسفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم أهدى سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله) أبعدهم من رحمته (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون ما لغيرهم فقال (أم لهم نصيب من الملك) وأم منقطعة ومعنى الهمزة الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) أى لو كان لهم نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أو ملك الله فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أى التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه

وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصانا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصانا في نبوته (فمنهم) يعني من اليهود (من آمن به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومنهم من صد عنه) أي اعرض عنه ولم يؤمن به (وكفى بجهنم سعيرا) يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) هذا وعيد من الله عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها (كلما نضجت جلودهم) يعني احترقت (بدلناهم جلودا غيرها) يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصياغة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل الما اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد أحد أجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى (ليذوقوا العذاب) أي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وانما أتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي بالوه اخبارا بأن احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس (ان الله كان عزيزا) يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه أحد (حكيما) يعني في تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) يعني سوف ندخلهم يوم القيامة (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) يعني باقين فيها (أبدا) يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع (لهم فيها) يعني الجنات (أزواج مطهرة) يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا (وندخلهم ظلا ظليلا) يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار

وكان

(تفسير النسفي)

(وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وأنه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه (فمنهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) ندخلهم (نارا كلما نضجت جلودهم) أحرقت (بدلناهم جلودا غيرها) أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك (ان الله كان عزيزا) غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين (حكيما) فيما يفعل بالكافرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة) من الانجاس والحيض والنفاس (وندخلهم ظلا ظليلا) هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بأداء الامانات والحكم بالعدل بقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وقيل قد دخل في هذا الامر أداء الفرائض التي هي أمانة الله تعالى التي حملها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع الله تعالى

وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه أهل مكة فأسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوى ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاء بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبي أنت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فأعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان ابن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شئ حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات. القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شئ من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله فيجب عليه رد الودائع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك أيضا عدل الامراء والملوك

في الرعية وبعض العلماء العامة فكل هذه الاشياء من الامانة التى أمر الله عز وجل بادائها الى أهلها وروى البغوى بسنده عن أنس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) يعنى وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة فى الاشياء فكل ماخرج عن الظلم والاعتداء سمى عدلا قال بعض العلماء ينبغى للقاضى ان يسوى بين الخصمين فى خمسة أشياء فى الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض آخر (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذى وقوله تعالى (ان الله نعما يعظكم به) أى نعم الشئ الذى يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل (ان الله كان سميعا بصيرا) يعنى انه تعالى سميع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) (ق) عن ابن عباس قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية قال نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير على وأنا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على أمير فأنزل الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى أولى الامر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله وأولى الامر منكم يعنى وأطيعوا أولى الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة هم الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس أيضا قال على بن أبى طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون ابن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولى الامر ابا بكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن أنس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابى

(تفسير النسفى)

(واذا حكمتم بين الناس) قضيتم (أن تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل أن عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بأن يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى أولاد عثمان أبدا (ان الله نعما يعظكم به) ما نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكم وبكسر النون وسكون العين مدنى وابو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) بأعمالكم ولما أمر الولاة بأداء الامانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الامراء

فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى أمر دينهم وجميع ما أدّى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ) يعنى اختلفتم فى شئ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) أى ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله أخذ به فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعلوا ذلك الذى أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعنى وأحمد عاقبة وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم له وأعظم اجرا (قوله عز وجل (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قال ابن عباس نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمى اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل به أو أخذت ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كانا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شئ كنتم فعلتموه فى الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة فى الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى أبى بردة الكاهن الاسلمى وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبى صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اطعموا اللقمة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لا بل مائة وسق ديتى فأبوا ان يعطوه الا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله عز وجل آيتى القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاى وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى

(فان تنازعتم فى شئ) فان اختلفتم أنتم وأولوا الامر فى شئ من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ان الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى ان مسلمة ابن عبد الملك بن مروان قال لابى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله وأولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله أى القرآن والرسول فى حياته والى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشوه فاحتكما الى النبى عليه السلام فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير فى يزعمون (ان يتحاكموا الى الطاغوت) أى كعب ابن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمروا ان يكفروا به)

لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني أهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب ابن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن في قول السدي وقد أمروا أن يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل (ويريد الشيطان أن يضلهم) يعني عن طريق الهدى والحق (ضلالا بعيدا واذا قيل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا وأي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا قوله عز وجل (فكيف اذا أصابتهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها (بما قدمت أيديهم) يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة (ثم جاؤك) يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك (يحلفون بالله ان أردنا) أي ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة (وتوفيقا) يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه و بين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فأعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان توعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملأ وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم ايصال المعنى الى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (الا ليطاع باذن الله) يعني بأمر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لان الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته تكون باذن الله لانه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم)

ويريد الشيطان ان يضلهم) عن الحق (ضلالا بعيدا) مستمرا الى الموت (واذا قيل لهم) للمنافقين (تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) للتحاكم (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضي لهم (فكيف) تكون حالهم وكيف يصنعون (اذا أصابتهم مصيبة) من قتل عمر بشرا (بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم (ثم جاؤك) أي اصحاب القتيل من المنافقين (يحلفون بالله) حال (ان أردنا) ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه و بين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) فأعرض عن قبول الاعذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والانذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم في عتابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه وفي أنفسهم يتعلق بقل لهم أي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم و يؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) أي رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بأن يطيعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت

يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة (فاستغفروا الله) يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك (واستغفر لهم الرسول) يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة (لوجدوا الله توابا رحيما) يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة ابن الزبير عن أبيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير أي اراد سعة له وللانصاري فلما أحفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا في ذلك قوله في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وقوله فلما أحفظ أي أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني أصل الجدار وقوله فاستوعى له أي استوفى له حقه في صريح الحكم وهو ان من كان أرضه أقرب الى فم الوادي فهو أولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على أمر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن ليهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه وقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد ان أقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه على بعض واختلط (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا فيما قضيت بل يرضوا بقضائك (ويسلموا تسليما) يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء

(سورة النساء)
(جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفر لهم الرسول) بالشفاعة لهم والعامل في اذ ظلموا خبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيما) بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك استغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك (فلا وربك) أي فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) او التقدير فلا أي ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) أي لا تضيق صدورهم من حكمك اوشكا لان الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له واسلمها أي جعلها سالمة له اي خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المنافقين أي ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هي المفسرة (أنفسكم) أي تعرضوا للقتل بالجهاد او ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم (أو اخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه (الا قليل منهم) قليل الاشارة على

الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه (لكان خيرا لهم) في الدارين (وأشد تثبيتا) لايمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أى ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أى لثبتناهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) كأفاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذى يصدق قوله بفعله (والشهداء) والذين استشهدوا فى سبيل الله (والصالحين) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه (ذلك) مبتدأ خبره (الفضل من الله) او الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم او أراد ان فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله (وكفى بالله عليما) بعباده وبمن هو أهل الفضل ودلت الآية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانفروا ثبات) فاخرجوا الى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية والثبات الجماعات واحدها ثبة (او انفروا جميعا) اى مجتمعين أو مع النبى عليه السلام لان الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا واللام فى (وان منكم لمن) للابتداء بمنزلتها فى ان الله لغفور ومن موصولة وفى (ليبطئن) جواب قسم محذوف

من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله عز وجل (ولو أنا كتبنا عليهم) أى فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره (ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر (ما فعلوه الا قليل منهم) معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى لرجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) يعنى ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه (لكان خيرا لهم) يعنى فى الدنيا والآخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا (وأشد تثبيتا) يعنى تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى اثبات ايمانهم وتصديقهم (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما) يعنى ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما (ولهديناهم صراطا مستقيما) قال ابن عباس معناه ولأرشدناهم الى دين مستقيم يعنى دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذى يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة قوله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم انى اذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت فى منزلة هى أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله هذه الآية ومن يطع الله يعنى فى أداء الفرائض واجتناب النواهى والرسول أى ويطع الرسول فى السنن التى سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبدخول الجنة فى الآخرة (من النبيين) يعنى أن المطيعين مع النبيين فى الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء فى الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون فى درجتهم فى الجنة لان ذلك يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين فى هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى بكر فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو أفضل أتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا فى سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته فى الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله فى سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر

وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما أحسن أولئك (رفيقا) يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء الا اني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو ان أكون معهم بحبي اياهم وان لم أعمل بأعمالهم وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعني الذي أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليما) يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله ورحمته ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانفروا ثبات) أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انفروا جميعا) يعني أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم لمن ليبطئن) نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتأخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) أي قتل وهزيمة (قال) يعني هذا المنافق (قد أنعم الله علي) يعني بالقعود (اذ لم أكن معهم) يعني مع المؤمنين (شهيدا) يعني حاضر الوقعة فيصيبني ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أي فتح وغنيمة (ليقولن) يعني هذا المنافق (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر (يا ليتني كنت معهم) في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون (فأفوز فوزا عظيما) أي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل (فليقاتل في سبيل الله) هذا خطاب للمنافق أي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل) أي فيستشهد (أو يغلب) يعني يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعني في كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما (أجرا عظيما) يعني ثوابا وافرا (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر وغنيمة لفظ مسلم قوله عز وجل (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدي

تقديره وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ أي تأخر ويقال ما بطأ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أي في الظاهر دون الباطن يعني المنافقين يقولون لم تقتلون أنفسكم تأنوا حتى يظهر الامر (فان أصابتكم مصيبة) قتل او هزيمة (قال) المبطئ (قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا) حاضرا فيصيبني مثل ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) فتح او غنيمة (ليقولن) هذا المبطئ متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنه (لم يكن) وبالتاء مكي وحفص (بينكم وبينه مودة) وهي اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو (يا ليتني كنت معهم) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن (فأفوز) بالنصب لانه جواب التمني (فوزا عظيما) فآخذ من الغنيمة حظا وافرا (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أي ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون او يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله (وما لكم) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الاثبات للانكار (لا تقاتلون في سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك قائما والمعنى وأي شيء لكم تاركين القتال وقد ظهرت

دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالعطف على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او منصوب على الاختصاص منه أي واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى أهلها فأعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أي الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي الكفار (ان كيد الشيطان) أي وساوسه وقيل الكيد

الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد ان قوما من المؤمنين استضعفوا وحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمي من المستضعفين وفي رواية ابن أبي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) يعني الظالم أهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا من لدنك وليا) يعني وليا يلي أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) يعني في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أي فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيده ما كاد المؤمنين به من تخويفه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله ضعيفا للتأكيد لضعف كيد الشيطان قوله عز وجل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي فرض عليهم جهاد المشركين وأمروا بالخروج الى بدر (اذا فريق منهم) يعني اذا جماعة من الذين سألوا أن يفرض عليهم الجهاد (يخشون الناس) يعني يخافون مشركي مكة (كخشية الله أو أشد خشية) أو بمعنى الواو يعني وأشد خشية (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) يعني لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (قل) أي قل لهم يا محمد (متاع الدنيا قليل) يعني ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل (والآخرة) يعني وثواب الآخرة (خير لمن اتقى) يعني اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تظلمون فتيلا) أي ولا تنقصون

من احوزكم قدر فتيل (م) عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه وأشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع قوله عز وجل (أينما تكونوا يدرككم الموت) نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه أفضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجو منه شئ بقوله (ولو كنتم في بروج مشيدة) البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة أي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله (وان تصبهم سيئة) أي جدب في الثمار وغلاء في السعر (يقولوا هذه من عندك) يعني من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة (قل) أي قل لهم يا محمد (كل من عند الله) يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فأما الحسنة فانعام من الله وأما السيئة فابتلاء منه (فمال هؤلاء القوم) أي فما شأن هؤلاء المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا (لا يكادون يفقهون حديثا) يعني لا يفقهون معاني القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى (ما أصابك من حسنة) يعني من خير ونعمة (فمن الله) يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك (وما أصابك من سيئة) يعني من شدة ومكروه ومشقة وأذى (فمن نفسك) يعني فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم برئ لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك أي عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما أصابك من خير فالله هداك له وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن أصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال ما أصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان أصابني خيرا ومكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل في معنى الآية ما اصابك من حسنة أي

(سورة النساء)

السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال (كان ضعيفا) لانه غرور لا يؤل الى محصول او كيده في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ماداموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فنزل (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) أي عن القتال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال) أي فرض بالمدينة (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون ان ينزل الله عليهم بأسه لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون أي ويخشون الناس مثل خشية الله أي مشبهين لاهل خشية الله (أو أشد خشية) هو معطوف على الحال أي أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أي ان قلت خشيتم الناس كخشية الله فأنت مصيب وان قلت انها أشد فانت مصيب لانه حصل لهم مثلها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا أمهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم أخبر أن الحذر لا ينجي من القدر بقوله (أينما تكونوا يدرككم الموت) ما زائدة لتوكيد معنى الشرط في أين (ولو كنتم في بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وان تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه

من عند الله) نسبوها الى الله (وان تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الا بشؤمك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى واذا أصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف اليه محذوف أي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) يفهمون (حديثا) فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أي فيما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (وأرسلناك للناس رسولا) لا مقدرا حتى ينسبوا اليك الشدة أو أرسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة (وكفى بالله شهيدا) بانك رسوله وقيل هذا متصل بالاول أي لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك اذ يقال في الافعال ما أصبت ولانهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا وايجادا فأنى يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز (من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه لا يأمر ولا ينهى الا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله (ومن تولى) عن الطاعة فأعرض عنه (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم (ويقولون) ويقول المنافقون اذا أمرتهم بشئ (طاعة) خبر مبتدا محذوف أي أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زورت وسوت فهو من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها أو بالادغام

النصر والظفر يوم بدر فمن الله أي من فضل الله وما أصابك من سيئة اى من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعني فبذنب أصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية قلت أما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها وأما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري في معنى الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى قوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) يعني وأرسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتي وما أرسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى بالله شهيدا) يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن أحبني فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما أمر به ونهى عنه فقد أطاع الله يعني ان طاعة الرسول طاعة الله تعالى لانه هو آمر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله عليه السلام لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا أداء شئ من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله (ومن تولى) أي اعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى (ويقولون طاعة) نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة أي أمرنا وشأننا طاعة (فاذا برزوا من عندك) أي خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذي تقول) التبييت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فمعنى بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمرا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر (والله يكتب) أي يثبت ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فأعرض عنهم) أي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم في ضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تغتر باسلامهم (وتوكل على الله) أي فوض أمرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم (وكفى بالله وكيلا) يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل (أفلا يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في أدبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشئ أي نظرت في عاقبته

ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي وان أحدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه احدها فصاحته التي عجز الخلائق عن الاتيان بمثلها في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيه فضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين واخبارهم وما يأتي في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية واذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به أي افشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال اذاع السر وأذاع به اذا أشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

(ولو ردوه) يعني الامر الذي تحدثوا به (الى الرسول) يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره (والى أولي الامر منهم) ذوي العقول والرأي والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى أولي الامر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب وما ينبغي لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن والخوف الى الرسول والى أولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية (لاتبعتم الشيطان) يعني لبقيتم على الكفر والضلالة (الا قليلا) اختلف العلماء في هذا

حمزة وأبو عمرو (غير الذي تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه (فأعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي أمر الاسلام (وكفى بالله وكيلا) كافيا لمن توكل عليه (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في ادبار الامر وما يؤول اليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم او تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته او من حيث المعاني فكان بعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شاء الله تعالى (واذا جاءهم أمر من الامن او الخوف) هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال أو المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة او خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود الى الامر او الى الامن او الخوف لان او تقتضي أحدهما (ولو ردوه) أي ذلك الخبر (الى الرسول) أي

الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه و يتصل به أولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك) نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان ابن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكائده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أي لعل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان أباسفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد (والله أشد بأسا) أي اعظم صولة (وأشد تنكيلا) يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الانسان بنفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من ينصر شفعا الوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) أي ضعف وقيل نصيب (منها) أي من وزرها (وكان الله على كل شئ مقيتا) قال ابن عباس يعني مقتدرا أو مجازيا وأقات على الشئ قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت الشر عنه * وكنت على اساءته مقيتا

يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذ جاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله عز وجل (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) التحية تفعلة من حيي وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولي الامر منهم) يعني كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسول (ورحمته) بانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما ولما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل في سبيل الله) ان أفردوك وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان أبوسفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم (والله اشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا وهو تمييز كبأسا (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا (يكن له نصيب

يقال حياك الله أى جعل لك حياة وذلك اخبار ثم جعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد فى الآية يعنى اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه أتم واحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان فى حياته سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام (أو ردوها) يعنى أو ردوا عليه كما سلم عليكم (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يعنى محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شئ من رد السلام بمثله أو باحسن منه مجاز

(فصل فى فضل السلام والحث عليه) (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أى الاسلام خير معناه أى خصال الاسلام خير (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن ابى امامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشى السلام أخرجه ابن ماجه

(فصل) فى احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل *المسئلة الاولى فى كيفية السلام* (ق) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بواو العطف فى قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه بمثله ولا يزيد عليه وروى ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد *المسئلة الثانية فى حكم السلام* الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضى حسين من أصحاب الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة فى بيت أو مجلس أو مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره أو يتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها والامر للوجوب ولان فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلو رد

(سورة النساء)
منها) من ثواب الشفاعة (ومن يشفع شفاعة
سيئة) هى خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن
عباس رضى الله عنهما ما المفسر غيرى معناه
من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة
وقال الحسن هو المشى بالصلح وضده النميمة
(يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله على
كل شئ مقيتا) مقتدرا من أقات على الشئ اقتدر
عليه أو حفيظا من القوت لانه يمسك النفس
ويحفظها (واذا حييتم) أى سلم عليكم فان التحية
فى دنيانا بالسلام وفى الدارين فسلموا على أنفسكم
تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت
العرب تقول عند اللقاء حياك الله أى أطال
الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام
(بتحية) هى تفعلة من حيا يحيى تحية (فحيوا
بأحسن منها) أى قولوا وعليكم السلام ورحمة
الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا
قال ورحمة الله ويقال لكل شئ منتهى ومنتهى
السلام وبركاته (أو ردوها) اى اجيبوها بمثلها
ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم
وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها والتسليم سنة
والرد فريضة والاحسن فضل وما من رجل
يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه
الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة
ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا
ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان
والاقامة وعند ابى يوسف رحمه الله لا يسلم على
لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام
اوغيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشى
على القاعد والراكب على الماشى وراكب
الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير

واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم أثموا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يرد أحدهم اخرجه أبوداود *المسئلة الثالثة فى آداب السلام* السنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روى عن أبى امامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه ابوداود والترمذى ولفظه قال قيل يارسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روى عن أنس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه فى الصحيحين وفى رواية لابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النساء فان كن جماعة النساء فى مسجد أو موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا اخرجه أبوداود وفى رواية الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن واذا مر على امرأة منفردة أجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هى عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فى السلام فيسلم بعضهن على بعض *المسئلة الرابعة فى الاحوال التى يكره السلام فيها* فمن ذلك الذى يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء *المسئلة الخامسة فى حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى* اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى انه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصرانى على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يانبى الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوا على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من أهل الكتاب فقولوا عليك أى عليك ما قلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى

(تفسير النسفي)
والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن
منهما الاهل الملة واو ردوها الاهل الذمة وعن النبى
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب
فقولوا وعليكم أى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون
السام عليكم وقوله عليه السلام لاغرار فى تسليم
أى لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه (ان
الله كان على كل شئ حسيبا) أى محاسبكم على
كل شئ من التحية وغيرها (الله) مبتدأ (لا اله
الا هو) خبره او اعتراض والخبر (ليجمعنكم)
ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة)
أى ليحشرنكم اليه والقيامة القيام كالطلابة
والطلاب وهى قيامهم من القبور او قيامهم
للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب
فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى
اليوم او صفة لمصدر محذوف أى جمعا لا ريب
فيه والهاء يعود الى الجمع (ومن أصدق من
الله حديثا) تمييز وهو استفهام بمعنى النفى أى
لا احد أصدق منه فى اخباره ووعده ووعيده
لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا
عن الشئ بخلاف ما هو عليه (فما لكم) مبتدأ
وخبر (فى المنافقين فئتين) أى ما لكم اختلفتم
فى شأن قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم

عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذي. قوله عز وجل (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم) هذه لام القسم تقديره والله الذي لا إله إلا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور (الى يوم القيامة) يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكري البعث (لا ريب فيه) يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعني لا أحد أصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب. قوله عز وجل (فما لكم في المنافقين فئتين) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى أحد الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الآية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين أي صرتم في أمرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر المؤمنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله (والله أركسهم) يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار (بما كسبوا) أي بسبب ما اكتسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق. (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى أتبتغون أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى. (ومن يضلل الله) يعني عن الهدى (فلن تجد له سبيلا) يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى. قوله تعالى (ودوا) يعني تمنى أولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعني تكفرون انتم يا معشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) يعني من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم (حتى يهاجروا) يعني يسلموا أو يهاجروا (في سبيل الله) معكم وهي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه الأولى هجرة المؤمنين في أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على الكفر (فخذوهم) الخطاب للمؤمنين أي خذوهم أيها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) يعني في هذه الحالة (ولا نصيرا) يعني ينصركم على أعدائكم لانهم أعداؤكم

فيهم فرقتين وما لكم لم تتفقوا القول بكفرهم وذلك ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك ما لك قائما قال سيبويه اذا قلت ما لك قائما معناه لم قمت ونصبه على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال (والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا في كفرهم (أتريدون ان تهدوا) ان تجعلوا من جملة المهتدين (من أضل الله) من جعله الله ضالا وأتريدون ان تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء) أي مستوين أنتم وهم في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) أي ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة (بينكم وبينهم ميثاق) القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال ابن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال أي فاقتلوهم الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق (أو جاؤكم) عطف على صفة قوم أي الا الذين يصلون الى

استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم أو ينتمون اليهم أو يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلحقون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أى عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما لهلال وفى رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم أيضا داخلون فى عهدكم (أو جاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم أقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم (أن يقاتلوكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا بأهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا أو لجأ الى معاهد أو ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله أمر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو القتل (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم) يذكر الله منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك انما القى الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا تقوية قلوبهم على قتل المسلمين ولكن قذف الله الرعب فى قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعتزلوكم) يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم (فلم يقاتلوكم) ويقال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم (وألقوا اليكم السلم) يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهى قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضرى المدينة تكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون ان يأمنوكم) يعنى يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم (ويأمنوا قومهم) يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم (كلما ردوا الى الفتنة) يعنى كلما دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعتزلوكم) يعنى فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة (ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم) أى ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم) يعنى اسرى (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) يعنى حيث أدركتموهم (وأولئكم) يعنى أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى (وما كان لمؤمن

(تفسير النسفي)

قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار قد والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) عن ان يقاتلوكم (أو يقاتلوا قومهم) معكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازالة الحصر عن صدورهم (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودخول اللام للتأكيد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) الانقياد والاستسلام (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا الى القتال (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم) بالنفاق (ويأمنوا قومهم) بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو (فان لم يعتزلوكم) فان لم يعتزلوا قتالكم (ويلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعتزلوكم أى وان لم يستسلموا لكم ويطلبوا الصلح (ويكفوا أيديهم) عطف عليه أيضا أى ولم يمسكوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله

(أن يقتل مؤمنا الا خطأ) الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فأسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وأبي جهل ابني هشام وهما اخوا عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن أبي انيسة حتى أتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ ونحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فأخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فلما اتاها قالت لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لان كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا أسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أي شئ صنعت انه قد أسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من أمري وأمر الحرث ما قد علمت واني لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه فيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى أهله) أي وعليه دية كاملة مسلمة الى أهل القتيل الذين يرثونه (الا أن يصدقوا) يعني الا أن يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه (فان كان) يعني المقتول (من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أراد أنه اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو مقيم مع قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) يعني انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فتجب فيه الدية والكفارة (فمن لم يجد) يعني الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) أي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا (وكان الله عليما) يعني بمن قتل خطأ (حكيما) يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

(فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل) المسئلة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي أو دية حالة مغلظة في مال القاتل وأما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين

(أن يقتل مؤمنا) ابتداء من غير قصاص أي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم اباحة دمه (الا خطأ) الا على وجه الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أي لكن ان وقع خطأ ويحتمل ان يكون صفة لمصدر أي الا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم (ومن قتل مؤمنا خطأ) صفة مصدر محذوف أي قتلا خطأ (فتحرير رقبة) مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أومن كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضا لكن يحتمل ان يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شئ فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الا ان يصدقوا) الا ان يتصدقوا عليه بالدية أي يعفوا عنه والتقدير فعليه دية في كل حال الا في حال التصدق عليه بها (فان كان من قوم عدو لكم) فان كان المقتول خطأ من قوم اعداء لكم أي كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) أي المقتول مؤمن (فتحرير رقبة مؤمنة) يعني

ومن صور قتل الخطأ ان يقصد رمي مشرك أو كافر فيصيب مسلما او يتعمد قتل انسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد

* المسألة الثانية في حكم الديات * فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاء ألفي شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل أو ألف دينار او اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار وعشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والاصل في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب الى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل أربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية أخرى الا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون في بطونها أولادها أخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم ابناء اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال أحمد وأصحاب الرأي والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم * المسألة الثالثة في حكم الكفارة * الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب

(تفسير النسفي)

اذا أسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة لا الدية لان العصمة المؤثمة وهي الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد (وان كان) أي المقتول (من قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أي وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا (فمن لم يجد) رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر (وكان الله عليما) بما أمر (حكيما) فيما قدر

فى مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجد الرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا فى خلال الشهرين أو نسى النية أو نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعى وأظهر قولى الشافعى لانه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبنى وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبى ولو حاضت المرأة فى خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان أحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما فى كفارة الظهار والثانى لا ينتقل لان الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطا والله أعلم قوله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) نزلت فى مقيس بن صبابة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر الى بنى النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى أخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموا ادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى اليه ديته فأعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون عليك سبة أقتل الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال فى ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار أرباب قارع
وأدركت ثأرى واضطجعت موسدا * وكنت الى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم (خالدا فيها) يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة (وغضب الله عليه) يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا (ولعنه) يعنى وطرده عن رحمته (وأعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه فى الصحيحين وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها

(سورة النساء) (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) حال من ضمير القاتل اى قاصدا قتله لايمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) أى ان جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أى انتقم منه وطرده من رحمته (وأعد له عذابا عظيما) لارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما فى الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم

آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبوداود والنسائي وزاد النسائي في رواية بثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الأكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التي في النساء أيضاً وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائباً يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه أيضاً ان توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعاً وأما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

(فصل) وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نزلت في كافر قتل مسلماً وهو مقيس بن ضبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلماً مستحلاً لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافراً وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبوداود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا دوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبداً فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمداً في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عمداً واذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل أولى والله أعلم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية

رجل

(تفسير النسفي) يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله سرتم في طريق الغزو (فتبينوا) فتثبتوا حمزة وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه

رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف أنت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبيت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (لست مؤمنا) يعني لست من أهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة في بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لا أنه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود والتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها (فعند الله مغانم كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي ألقى اليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم أنتم من قبل يعني من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فمن الله عليكم) يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فتبينوا) أي ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فلا تتهافتوا في القتل وكونوا متحرزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال أملى على النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من

(ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) السلم مدني وشامي وحمزة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (لست مؤمنا) في موضع النصب بالقول وروى ان مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم (فتبينوا) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (لا يستوي القاعدون) عن الجهاد (من المؤمنين غير أولي الضرر) بالنصب مدني وشامي وعلي لانه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها (والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) عطف على القاعدون ونفي التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوي الذين

المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل غير أولي الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفي رواية أخرى لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يارسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين المجاهدين في سبيل الله غير أولي الضرر يعني اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض (خ) عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين على أولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله (على القاعدين) يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر (أجرا عظيما) يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى (درجات منه) قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هن سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال اعدها علي يارسول الله فأعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في الآية الثانية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة

يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطالب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب (وكلا) أي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول أول لقوله (وعد الله) والثاني (الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) قيل انتصب أجرا بفضل لانه في معنى آجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه أسواطا أي ضربات وأجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة ورحمة باضمار فعلهما أي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبي عليه السلام اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية (وكان الله غفورا) بتكفير العذر (رحيما) بتوفير الاجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين الى بدر مرتدا فقتل كافرا (ان الذين توفاهم الملائكة) يجوز ان يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه (ظالمي أنفسهم) حال من ضمير المفعول في توفاهم أي في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة (قالوا) أي الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) أي في أي شئ كنتم في أمر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شئ من الدين (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين عن الهجرة (في الارض) أرض مكة فأخرجونا كارهين

المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم وقوله تعالى (ومغفرة) يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) يعني رأفة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباده المؤمنين (رحيما) يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان أرجعته ارجعته بما أصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته أخرجه النسائي

(فصل) اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن أهاليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه ابن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فأنزل الله هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان أحدهما انه قبض ارواحهم الثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي أنفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في اي الفريقين كنتم افي فريق المسلمين ام في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم (قالوا كنا مستضعفين) يعني عاجزين (في الارض) يعني في ارض مكة (قالوا) يعني قال لهم الملائكة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) يعني الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فأكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم (فأولئك) يعني من هذه صفتهم (مأواهم) يعني منزلهم (جهنم وساءت مصيرا) يعني بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة) يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة (ولا يهتدون سبيلا) يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة (فأولئك) يعني المستضعفين وأهل الاعذار (عسى الله ان يعفو عنهم) يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله (وكان الله عفوا غفورا) قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة

(قالوا) أي الملائكة موبخين لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام (فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) خبران فأولئك ودخول الفاء لما في الذين من الابهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أي قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه في بلد كما يجب وعلم انه يتمكن من اقامته في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين (الذين لا يستطيعون حيلة) في الخروج منها لفقرهم وعجزهم (ولا يهتدون سبيلا) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله

ولقد أمر على اللئيم يسبني

(فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع انجز (وكان الله عفوا غفورا) لعباده قبل ان يخلقهم (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك (كثيرا وسعة) في الرزق أو في اظهار الدين أو في الصدر لتبدل الخوف بالامن (ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير في يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج (فقد وقع أجره على الله) أي حصل له الاجر بوعد الله

وهو تأكيد للوعد فلا شيء يجب على الله لأحد من خلقه (وكان الله غفوراً رحيماً) قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهداً أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله (واذا ضربتم في الارض) سافرتم فيها فالضرب في الارض هو السفر (فليس عليكم جناح) حرج (أن تقصروا) في ان تقصروا (من الصلاة) من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضي ان القصر رخصة في السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وأما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصاناً في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) ان خشيتم ان يقصدكم الكفار بقتل او جرح أو اخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روي عن يعلى بن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على انه لا يجوز الاكمال في السفر لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق ممن تلزم طاعته كولي القصاص اذا عفا فمن تلزم طاعته أولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان أردن تحصناً دليله قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم أي لان لا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومئ على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح

الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة) قال الزجاج معنى مراغماً مهاجراً يعني يجد في الارض مهاجراً يعني ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلاناً يعني هجرته وعاديته ولم ابال به رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغماً لهم أي مغاضباً لهم ومقاطعاً وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب في الارض وأنشد الزجاج في المعنى

الى بلد غير داني المحل * بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهباً يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولاً يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحاً عما يكره وقيل يجد منقلباً ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومي أي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم وأوفى اجراً وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فأنزل الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعني قبل بلوغه الى مهاجره (فقد وقع أجره على الله) يعني وقد وجب أجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملاً وقال بعضهم انما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به اما اتمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملاً فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملاً (وكان الله غفوراً رحيماً) يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجراً قوله عز وجل (واذا ضربتم في الارض) يعني اذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) اي حرج واثم (أن تقصروا من الصلاة) يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها ترخيصاً ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين أحدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفي بالايماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز

القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر فى حال الامن فى السفر جائز ويدل عليه ما روى عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة وانما قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن فى ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن أمرنا ان نصلى ركعتين فى السفر أخرجه النسائى وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذى والنسائى وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم أن كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضى ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا فى حال الامن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب فى الوقوع وقوله تعالى (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) أى ظاهر العداوة فلعلى بهذا رخصت لكم فى قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع

(فصل) فى أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل * المسئلة الاولى فى حكم القصر * قصر الصلاة فى حالة السفر جائز باجماع الامة وانما اختلفوا فى جواز الاتمام فى حال السفر فذهب أكثر العلماء على ان القصر واجب فى السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبى حنيفة ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها فى الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفى رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر أخرجاه فى الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام فى السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبى وقاص واليه ذهب الشافعى وأحمد وهو رواية عن مالك ويدل على ذلك ما روى البغوى بسند الشافعى عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابى أنت وأمى قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال احسنت يا عائشة وما عاب على أخرجه النسائى وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ولفظة لا جناح انما تستعمل فى الرخصة لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أولا وزيد فى صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع *المسئلة الثانية* اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدى وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو

(سورة النساء) كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فتحرزوا عنهم

قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد * المسئلة الثالثة * ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك * المسئلة الرابعة * اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن أنس وقال عمرو ابن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد واسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فيكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

(فصل) قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن أبي أيوب الانصاري انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي أحب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروى عن أبي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا حان وقت الصلاة واقتسم الاصحاب فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل أراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه أقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون أمر الفريقين بحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر أول الآية الاسلحة

(تفسير النسفي)

(واذا كنت) يا محمد (فيهم) في أصحابك (فأقمت لهم الصلاة) فاردت ان تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق ابو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر وكان الخطاب له متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) أي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) أي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من ورائكم) أي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) في موضع رفع صفة لطائفة (فليصلوا معك) أي وتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو وليصلوا معك الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم) ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه (وأسلحتهم) جميع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة

فقط وذكرهنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما ينتبه للمسلمين في اوّل الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلاجرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة (ودّ الذين كفروا) يعني تمنى الكفار (لو تغفلون) يعني لو وجدوكم غافلين (عن اسلحتكم وامتعتكم) يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم انتهى

(فصل) في احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل * المسئلة الاولى * قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن أبي طالب انه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة بأن هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر أمته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله واذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم * المسئلة الثانية * قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لانفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو وأما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه

(سورة النساء) (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أي تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلة واحدة) فيشدون عليكم شدة واحدة

اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها روي ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ماروي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين وأربع سجدات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه النسائي قال أبو بكر السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين أخذ الاوزاعي وأشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي أيضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته * (المسئلة الثالثة) * فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ماروي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة * (المسئلة الرابعة) * اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالسجود والركوع الى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم وقوله تعالى (ولا جناح عليكم) أي ولا اثم ولا حرج عليكم (ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من

العدو

(تفسير النسفي) (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم) رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو

العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فأكب لوجهه (٧) من زخة زخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا احد فقال أتشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن أشهد ان لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لأضربه به فوالله ما أدري من زخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون به قوله عز وجل (فاذا قضيتم الصلاة) يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف (فاذكروا الله) يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله في جميع أحوالكم (قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فان ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح (فاذا اطمأننتم) يعني فاذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب (فأقيموا الصلاة) يعني فأتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأقيموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون) يعني ان حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى (وترجون من الله ما لا يرجون) يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الأديان كلها (وكان الله عليما حكيما) يعني انه تعالى لا يأمركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له

(ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أخبر انه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة) فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) أي دوموا على ذكر الله في جميع الأحوال أو فاذا أردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود (فاذا اطمأننتم) سكنتم بزوال الخوف (فأقيموا الصلاة) فأتموها بطائفة واحدة أو اذا أقمتم فأتموا ولا تقصروا أو اذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محدودا بأوقات معلومة (ولا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أي ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة (وكان الله عليما) بما يجد المؤمنون من الألم (حكيما) في تدبير أمورهم روي ان طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي محقا

(٧) قوله من زخة هي وجع يأخذ في الظهر فيصلب و يغلظ حتى لا يتحرك معه اه مصححه

قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها الى طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود وقال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فأنزل الله هذه الآية إنا أنزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالأمر والنهي والفصل (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يعني بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه اياه وان رأي أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد (للخائنين خصيما) يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له (واستغفر الله) يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفورا) يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم (رحيما) يعني بعباده المؤمنين

(فصل) وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء وقالوا لولا وقوع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه أن يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والأمر الالهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذاب وأن اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بأن يقضي على اليهودي بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف أنه لو وقع ذلك الأمر لكان خطأ في نفس الأمر فأمره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفر صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته الوجه الرابع أن درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل ما يقع منه على وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم قوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لأن من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لأنه أوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا تخاصم الخائن ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) يعني خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودي وهو بريء وانما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لأنه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط

(تفسير النسفي)
(بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر في أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه (ولا تكن للخائنين) لأجل الخائنين (خصيما) مخاصما أي ولا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانة (ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) وانما قيل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالم من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم وروي أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة

فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة فى الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة قوله عز وجل (يستخفون من الناس) يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن ابيرق (ولا يستخفون من الله) يعنى ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهو معهم) يعنى والله معهم بالعلم والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون مالا يرضى من القول) يعنى يضمرون ويقدرون ويزورون فى أذهانهم وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به (وكان الله بما يعملون محيطا) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه شئ من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه (جادلتم عنهم) يعنى خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا بزعمهم فى الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه (فى الحياة الدنيا) وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفى قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة فى الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعنى اذا أخذه بعذابه وهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع (أم من يكون عليهم وكيلا) يعنى محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم قوله تعالى (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت فى قومه الذين جادلوا عنه وقيل هى عامة فى كل مسىء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوأ يسىء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون فى الاكثر ايصالا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعنى فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوأ أى قبيحا أو يظلم نفسه برميه البرىء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه (ثم يستغفر الله) يعنى من ذنوبه (يجد الله غفورا رحيما) ففى هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثانى ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب (ومن يكسب اثما) يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به (فانما يكسبه على نفسه) يعنى انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فانى لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت فى طعمة أيضا (وكان الله عليما) يعنى بسارق الدرع (حكيما) يعنى اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو اثما) قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه

(يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة (اذ يبيتون) يدبرون وأصله أن يكون ليلا (ما لا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا (وكان الله بما يعملون محيطا) عالما علم احاطة (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر (جادلتم) خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه (فى الحياة الدنيا) فمن يخاصم عنهم (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) وقرئ عنه فى الآخرة اذا أخذهم الله بعذابه (أم من يكون عليهم وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه أى عن طعمة (ومن يعمل سوأ) بالشرك أو ذنبا دون الشرك (او يظلم نفسه) كما فعل طعمة سوأ قبيحا يتعدى ضرره الى الغير أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (يجد الله غفورا رحيما) له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) لان وباله عليها (وكان الله عليما حكيما) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) او كبيرة أو الاول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد

الكاذبة (ثم يرم به بريئا) يعني ثم يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم بأحد هذين المذكورين بريئا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى بأحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريئا (فقد احتمل بهتانا) البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه (واثما مبينا) يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة (ان يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمي بها اليهودي (وما يضلون الا أنفسهم) يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وشهادتهم له انه بريء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) يعني انهم وان سعوا في القائك في الباطل فأنت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره أحد (وأنزل الله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك في الشبهات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من احكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيما) يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم) يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هي الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا وناجيته ساررته وأصله ان يخلو في نجوة من الارض وقيل أصله من النجاء والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الا من أمر بصدقة) يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها (أو معروف) يعني أو أمر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو اصلاح بين الناس) يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل بن سعد ان أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت

(تفسير النسفي)
(ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا) كذبا عظيما (واثما مبينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به (ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بني ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير في منهم يعود الى الناس (أن يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم (وما يضلون الا أنفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك (وأنزل الله عليك الكتاب) القرآن (والحكمة) والسنة (وعلمك ما لم تكن تعلم) من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الامور وضمائر القلوب (وكان فضل الله عليك عظيما) فيما علمك وأنعم عليك (لا خير في كثير من نجواهم) من تناجي الناس (الا من أمر بصدقة) الا نجوى من أمر وهو مجرور بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير (أو معروف) أي قرض أو اغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع (أو اصلاح بين الناس) أي اصلاح ذات البين

ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها (ومن يفعل ذلك) يعنى هذه الاشياء التى ذكرت (ابتغاء مرضاة الله) يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث (فسوف نؤتيه) يعنى فى الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (أجرا عظيما) لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت فى طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان وأصله من المشاقة وهى كون كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) اى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعنى ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) أى نكله فى الآخرة الى ما تولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) يعنى ونلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الى النار روى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به) نزلت فى طعمة بن أبيرق ايضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب غير انى لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصى جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى عند الله فأنزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها فى حال الشرك (ويغفر ما دون ذلك) يعنى ما دون الشرك (لمن يشاء) يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد فى موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد أو لان الآية المتقدمة نزلت فى سبب ونزلت هذه الآية فى سبب آخر ٣ وهو ان الآية المتقدمة نزلت فى سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية فى سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل (ان يدعون من دونه الا اناثا) نزلت فى أهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا اناثا لان كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناثا اقوال أحدها انهم كانوا يسمون اصنامهم بأسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان والقول الثانى اناثا يعنى أمواتا قال الحسن كل شئ لا روح فيه كالحجر والخشبة هو اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبنى وهذه الدراهم تنفعنى ولان الانثى انزل درجة من الذكر والميت

(ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضاة الله) طلب رضاء الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم او المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يؤتيه أبو عمرو وحمزة (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره فى الدنيا (ونصله جهنم) فى العقبى (وساءت مصيرا) قيل هى فى طعمة وارتداده (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره فى هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الصواب (ان يدعون من دونه) ما يعبدون من دون الله (الا اناثا) جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله

(٣) قوله وهو أن الآية المتقدمة الخ الذى ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت فى أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية أو فى قاتل حمزة واصحابه أو فى جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى قل يا عبادى الآية ولم يقدم لسرقة طعمة ذكرا على أنه لا يظهر أن تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهر اه مصححه

أنزل درجة من الحي كما ان الموات انزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات والقول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هن بنات الله (وان يدعون) أي وما يعبدون (الا شيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه اغواهم واغراهم على عبادتها واطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة (لعنه الله) أي ابعده الله وطرده عن رحمته (وقال) يعني ابليس (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه (ولاضلنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شئ قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لأضل جميع الخلق (ولامنينهم) قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يعني يقطعونها او يشقونها وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قربة (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه وقيل يحتمل ان يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن اسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس اخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول ان فيه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاختصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) يعني يتخذه ربا يطيعه فيما أمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر (فقد خسر خسرانا مبينا) لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الآية سؤالان الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشئ المقدر القليل وقال في موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة * والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما نال من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول

(تفسير النسفي)
(وان يدعون) يعبدون (الا شيطانا) لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (من عبادك نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا الى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله (ولأضلنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انفاذ الضلالة اليه لاضل الكل (ولامنينهم) ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير أي لاحملنهم على ان يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم او بالوشم او بنفي الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب بالسواد او بالتحريم والتحليل او بالتخنث او بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله) وأجاب الى ما دعاه اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) في الدارين

ولاضلنهم ولاغوينهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال فى الاعراف ولاتجد اكثرهم شاكرين وقال فى بنى اسرائيل لاحتنكن ذريته الاقليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التى يريدها منهم فحصل له ماظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثانى قال ابن الانبارى المعنى لاجتهدن ولاحرصن فى ذلك لاانه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردى من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان أكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى (يعدهم ويمنيهم) يعنى الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم مايوقع فى قلب الانسان من طول العمر ونيل ماارادمن الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لايلتفت الى شئ منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ماارادمنها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ماهو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لاجنة ولانار ولابعث فاجتهدوا فى تحصيل اللذات الدنيوية (وما يعدهم الشيطان الاغرورا) يعنى باطلا وضلالا (أولئك) يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا (مأواهم جهنم) يعنى مرجعهم ومستقرهم جهنم (ولايجدون عنها) يعنى عن جهنم (محيصا) يعنى مفرا ومعدلا يعنى لايعدلون عنها الى غيرها ولابدلهم من ورودها والخلود فيها لماذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى من تحت المساكن والغرف (خالدين فيها) يعنى فى الجنات (أبدا) بلاانتهاء ولاغاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لاانقطاع له ولايتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لايقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفى قوله خالدين فيها أبدا دليل على ان الخلود لايفيد التأبيد والدوام لانه لوافاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم من ذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لاعلى الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذى لاينقطع وقوله عز وجل (وعد الله حقا) يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا حقا (ومن اصدق من الله قيلا) يعنى ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب) الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه واراده وفى المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة فى قولهم لانبعث ولانحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح (من يعمل سوءا يجز به) قال الضحاك يقول ليس لكم ماتمنيتم وليس لاهل الكتاب ماتمنوا ولكن من عمل سوءا يعنى شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولايجزى المؤمن بسوء عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا) وهذا هو الكافر فأما المؤمن فله ولى ونصير وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصرانى وكافر قال ابن عباس هى عامة فى حق كل من عمل سوءا يجز به الاان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يارسول الله وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه مايكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأما من كان جزاؤه فى الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل

(سورة النساء)
(يعدهم) بوسوس اليهم ان لاجنة ولانار ولابعث ولاحساب (ويمنيهم) مالاينالون (وما يعدهم الشيطان الاغرورا) هو ان يرى شيئا تظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان فى الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرأ النخعى سيدخلهم (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن أصدق من الله قيلا) قولا وهو استفهام بمعنى النفى أى لااحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه (ليس بأمانيكم) ليس الامر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الاصنام (ولا أمانى أهل الكتاب) ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (من يعمل سوءا يجز به) أى من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله (ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده

فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوأ يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبى بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر الا أقرئك آية أنزلت على قلت بلى يارسول الله قال فأقرأنيها فلا أعلم الا انى وجدت انقصاما فى ظهرى فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأنك يا أبا بكر قلت يارسول الله بأبى أنت وأمى وأينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون بأعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبى بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة فى حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها فى حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولى لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوأ يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من فى قوله من الصالحات للتبعيض لان أحدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النقير نقرة فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة فى نفى الظلم ووعد بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعنى ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذى كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبنى على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعنى انقاد لله وخضع له فى سره وعلانيته وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر الثانى من مبانى الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعنى فى عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس فى تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال العلماء وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر فى قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له (واتبع ملة ابراهيم) يعنى دين ابراهيم عليه السلام (حنيفا) يعنى مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ماسواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم

(تفسير النسفى)
(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو
مؤمن) فقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى
للتبعيض والثانية لبيان الابهام فى من يعمل
وفيه اشارة الى ان الاعمال ليست من الايمان
(فأولئك يدخلون الجنة) يدخلون مكى وأبو
عمرو وأبو بكر (ولا يظلمون نقيرا) قدر النقير وهو
النقرة فى ظهر النواة والراجع فى ولا يظلمون
لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز ان
يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره
عند الآخر وقوله من يعمل سوأ يجز به وقوله
ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمنى أهل
الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به
خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا
ولا معبودا سواه (وهو محسن) عامل للحسنات
(واتبع ملة ابراهيم حنيفا) مائلا عن الاديان
الباطلة وهو حال من المتبع أو من ابراهيم

داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني * وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلاله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من أجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فأصاب الناس شدة فحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان ابراهيم يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ماجاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشئ قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملأى بأجود دقيق يكون حوارى فأمرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال ياسارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله (م) عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياخير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك ابراهيم خليل الله

(فصل) وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وأنا حبيب الله ولا فخر أخرجه الترمذي باطول منه

(سورة النساء) (واتخذ الله ابراهيم خليلا) هو في الاصل الخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خليلا لانك تحب ان تعطي الناس ولا تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسألهم وفي قوله (ولله ما في السموات وما في الارض) دليل على ان اتخاذه خليلا لا لاحتياج الخليل اليه لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) عالما (ويستفتونك في

النساء) ويستأنونك الافتاء في النساء والافتاء
تبيين المبهم (قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم في
الكتاب في يتامى النساء) أي الله يفتيكم والمتلو في
الكتاب أي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك
أعجبني زيد وكرمه ومايتلى في محل الرفع
بالعطف على الضمير في يفتيكم أو على لفظ الله
وفي يتامى النساء صلة يتلى أي يتلى عليكم في
معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا
من فيهن والاضافة بمعنى من (اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن) مافرض لهن من الميراث وكان
الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان
كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت
دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها
(وترغبون ان تنكحوهن) أي في ان تنكحوهن
لجمالهن او عن ان تنكحوهن لدمامتهن
(والمستضعفين من الولدان) أي اليتامى وهو
مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في
الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور
دون الاطفال والنساء (وان تقوموا لليتامى)
مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى
النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا
او منصوب بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
(بالقسط) بالعدل في ميراثهم ومالهم (وما تفعلوا
من خير) شرط وجوابه (فان الله كان به
عليما) أي فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت
من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها
من مخايله وأماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان
يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسب أو ضرب
(او اعراضا) عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها
بسبب كبر سن او دمامة أو سوء في خلق أو خلق
او ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك
(فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما) كوفي
يصالحا غيرهم اي يتصالحا وهو أصله فابدلت
التاء صادا وأدغمت (صلحا) في معنى مصدر كل
واحد من الفعلين ومعنى الصلح ان يتصالحا على
ان تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها
او تهب له بعض المهر او كله او النفقة (والصلح خير)

قوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الارض) قال اهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بما (وكان الله بكل شيء محيطا) يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم كحة وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فأجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وحالهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم (في يتامى النساء) قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى أولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى أم كحة (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق (وترغبون ان تنكحوهن) يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى (والمستضعفين من الولدان) يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث (وان تقوموا لليتامى بالقسط) يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة اخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها أو يتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المترفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو اعراضا يعني بوجهه عنها أو يعبس في وجهها أو يترك مصاجعتها أو يسيء عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (أن يصالحا) من المصالحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح (بينهما صلحا) يعني في القسمة والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وأنا اريد ان اتزوج امرأة جميلة شابة أوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فأقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج أن يوفيها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان وان أمسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها (والصلح خير) يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة (وأحضرت الانفس الشح) الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا وتتقوا) هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا أيها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعني ولن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم (ولو حرصتم) يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك (فلا تميلوا كل الميل) يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى (فتذروها كالمعلقة) يعني فتدعوا الأخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا أيما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج

من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخير كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الانفس الشح) أي جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها وكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من أذم بني آدم وامرأته من اجملهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على أني واياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل ان يسوي بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه (ولو حرصتم) بالغتم في تحري ذلك (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه وان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة

ولاهى ذات بعل فتحسن اليها (وان تصلحوا) يعنى بالعدل فى القسم (وتتقوا) يعنى الجور فى القسم (وان الله كان غفورا) يعنى لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحيما) يعنى بكم حيث لم يكلفكم مالا تقدرون عليه (وان يتفرقا) يعنى ان لم يصطلحا وأرادا الفرقة (يغن الله كلا من سعته) يعنى من فضله ورزقه والمعنى يغنى الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يرزق الزوج بما تحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفى هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعنى واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غناه (حكيما) يعنى فيما أمر به ونهى عنه

*(فصل) فيما يتعلق بحكم الآية وجملته أن الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن فى القسم فان ترك التسوية بينهن فى فعل القسم عصى الله عز وجل فى ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط فى البيتوتة اما فى الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان فى نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوى بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالى للقديمات ويدل على ذلك ماروى أبو قلابة عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلابة ولو شئت لقلت ان أنسا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أخرجاه فى الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهن ولا يجب عليه أن يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه فى البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ماروى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخارى مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه قوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) يعنى عبيدا وملكا قال أهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى من سعته وفضله أشار الى ما يوجب الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعنى ووصيناكم يا أهل القرآن فى كتابكم (ان اتقوا الله) أى بان تتقوا الله وهو أن توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا ما أوصاكم به (فان لله ما فى السموات وما فى الارض) يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد ان يتقيه ويرجوه (وكان الله غنيا) يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حميدا) يعنى محمودا على نعمه عليهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) قال ابن عباس يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفائدة فى تكرير قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض قلت الفائدة فى ذلك ان لكل آية معنى تختص به اما الآية الاولى فمعناها فان لله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما فى السموات وما فى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصى وقيل لما بين أن له ما فى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد أنه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون

(تفسير النسفى)

(وان تصلحوا) بينهن (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم (وان يتفرقا) أى ان لم يصطلح الزوجان على شئ وتفرقا بالخلع أو بتطليقه اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها (يغن الله كلا) كل واحد منهما (من سعته) من غناه أى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه (وكان الله واسعا) بتحليل النكاح (حكيما) بالاذن فى السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغنى المقتدر ثم بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا والمملكون عبيده رقا (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أوتوا (ان اتقوا الله) بان اتقوا وتكون ان المفسرة لان التوصية فى معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة مازال يوصى الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حميدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه ان يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى اصل الخير كله وقوله وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله

فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا أي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تعديد لما هو موجب تقرا لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير قوله عز وجل (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويأت بآخرين) بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصيرا) يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله وبمن يطلب الآخرة بعمله قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوّام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهداء لله يعني أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو أن يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه (أو الوالدين والاقربين) يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه أو أقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم او على الوالدين أو الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كلوا أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان ردّ الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله أولى بالغني وبالفقير (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا) قرئ بواوين ومعناه أن يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) يعني أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني

(ان يشأ يذهبكم) يعدمكم (أيها الناس ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما (وكان الله سميعا) للاقوال (بصيرا) بالافعال وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (او الوالدين والاقربين) أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (او فقيرا) فلا يمنعها ترحما عليه (فالله أولى بهما) بالغني والفقير أي بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه ان يوحد لان المعنى ان يكن أحد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه قوله غنيا وفقيرا وهو جنس الغني والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالاغنياء والفقراء (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (ان تعدلوا) عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل (وان تلوا) بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية (أو تعرضوا) أي وان وليتم اقامة الشهادة او أعرضتم عن اقامتها غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللي أي وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الايمان وداوموا عليه اولاهل الكتاب لانهم

آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أولئك المنافقين أى يا أيها الذين آمنوا اتفاقا آمنوا اخلاصا (بالله ورسوله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذى نزل على رسوله) أى الفرقان (والكتاب الذى أنزل من قبل) أى جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل وأنزل مكى وشامى وابو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لان الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لان الكفر ببعضه كفر بكله (ان الذين آمنوا) بموسى عليه السلام (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بموسى بعد عوده (ثم كفروا) بعيسى عليه السلام (ثم ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) الى النجاة أو الى الجنة أوهم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم (بأن لهم عذابا أليما) مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام (فان العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (فى الكتاب) القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أى انه اذا سمعتم أى نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع

تميلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا أى وواحدة من الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه ولا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون خبيرا) يعنى انه تعالى يجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته فيجازيكم بأعمالكم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت فى عبد الله ابن سلام وأسد وأسيد بنى كعب وثعلبة ابن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعنى آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لأهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا فى الماضى والحال آمنوا فى المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان (والكتاب الذى نزل على رسوله) يعنى القرآن (والكتاب الذى أنزل من قبل) يعنى وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب الذى أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت فى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعنى بألسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها فى الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان فى قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكى عن على بن أبى طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعنى عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعنى من كفرهم (ولا ليهديهم سبيلا) يعنى طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) يعنى أخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب أى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعنى يتخذون اليهود أولياء وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين (أيبتغون عندهم العزة) يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان العزة لله جميعا) يعنى فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله

وللمؤمنين

وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يا معشر المسلمين (في الكتاب) يعني القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها) قال المفسرون الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا أنزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن و يستهزؤن به في مجالسهم ثم ان أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم و يخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يعني يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن و بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذن مثلهم) يعني انكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فأنتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر أو خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أي انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل (الذين يتربصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر (فان كان لكم فتح من الله) أي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم (قالوا) يعني المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعني في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أي دولة وظهور على المسلمين (قالوا) يعني المنافقين للكفار (ألم نستحوذ عليكم) الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ على فلان أي غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم (ونمنعكم من المؤمنين) يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم بأخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمى ظفر المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنيء ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين (فالله يحكم بينكم يوم القيامة) يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيامة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فيه قولان أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس ان المراد به يوم القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علي بن أبي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة و يتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني

النصيب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يعملون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (انكم اذا مثلهم) أي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء (الذين) بدل من الذين يتخذون اوصفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يتربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق (فان كان لكم فتح من الله) نصرة وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين فأشركونا في الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لانه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لانه لمظة من الدنيا يصيبونها (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم (فالله يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيامة) فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي في القيامة بدليل أول الآية كذا عن علي رضي الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان المنافقين يخادعون الله) أي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر والمنافق من أظهر الايمان وابطن الكفر او أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في

الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال
في الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار في
العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء
خداعهم (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)
متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن
وهو جمع كسلان كسكارى في سكران (يراؤن
الناس) حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء
والسمعة والمراآة مفاعلة من الرؤية لان المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانا (ولا يذكرون
الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم
لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أولا
يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا
نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى
لكان كثيرا (مذبذبين) نصب على الذم أي
مرددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين
الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون
وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين
أي يدفع فلا يقر في جانب واحد الا ان الذبذبة
فيها تكرير ليس في الذب (بين ذلك) بين الكفر
والايمان (لا الى هؤلاء) لا منسوبين الى هؤلاء
فيكونوا مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين (ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا) طريقا الى الهدى (يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من
دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا) حجة بينة في تعذيبكم (ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار) أي في الطبق
الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت
بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق
بعض وانما كان المنافق أشد عذابا من الكافر
لانه أمن السيف في الدنيا فاستحق الدرك
الاسفل في العقبى تعديلا ولانه مثله في الكفر
وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله
والدرك بسكون الراء كوفي غير الاعشى وبفتح
الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان
الاختيار فتح الراء (ولن تجد لهم نصيرا) يمنعهم
من العذاب (الا الذين تابوا) من النفاق وهو
استثناء من الضمير المجرور في ولن تجد لهم نصيرا

يعاملون الله وهو مجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين (واذا قاموا الى الصلاة) يعني المنافقين (قاموا كسالى) يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يعتقدون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا الان الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور (يراؤن الناس) يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق (ولا يذكرون الله الا قليلا) قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها (مذبذبين بين ذلك) يعني متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) يعني طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) يعني أتريدون أيها المتخذون الكفار أولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه واما تسميه من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى (ولن تجد لهم نصيرا) يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينقذهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى (الا الذين تابوا) يعني من النفاق (وأصلحوا) يعني أصلحوا الاعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم

عنه (واعتصموا بالله) يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به (وأخلصوا دينهم) يعني وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى (فأولئك) يعني التائبين من النفاق (مع المؤمنين) يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) يعني في الآخرة قوله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر أوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد انقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته أولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا وكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر (وكان الله شاكرا) يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر (عليما) يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال أهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو أحد على أحد الا ان يكون مظلوما فانه قد أرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظلوم (عليما) بما في قلبه فليتق الله ولا يقل الا الحق قوله تعالى (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو رفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع

(وأصلحوا) ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم) لله (وآمنتم) به فما منصوبة بيفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالايمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان (وكان الله شاكرا) يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب (عليما) عالما بما تصنعون (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه (وكان الله سميعا) لشكوى المظلوم (عليما) بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لا يجهر أحد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به حثا على الافضل وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا للعفو فقال (ان تبدوا خيرا) مكان جهر السوء (أو تخفوه) فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال (أو تعفوا عن سوء) أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) أي انه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته

دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل (ان الذين يكفرون بالله ورسله) نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقا) يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء ولزم الايمان بجميعهم (وأعتدنا) يعني وهيأنا (للكافرين عذابا مهينا) يعني يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون (أولئك) يعني من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله (وكان الله غفورا رحيما) يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فائتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتوراة وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ليشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت (فقالوا) يعني اسلاف هؤلاء اليهود (أرنا الله جهرة) يعني عيانا والمعنى أرنا نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية (ثم اتخذوا العجل) يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة (فعفونا عن ذلك) يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي

(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) في الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما (أولئك سوف نؤتيهم) وبالياء حفص (أجورهم) أي الثواب الموعود لهم (وكان الله غفورا) يستر السيئات (رحيما) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما في الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (كتابا من السماء) أي جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وانما

صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا وتحكما فاني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق (وقلنا لهم) يعني والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) يعني وقلنا لهم لا تتجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا (وكفرهم بآيات الله) يعني وبجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه (وقتلهم الانبياء) يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم (بغير حق) يعني بغير استحقاق لذلك القتل (وقولهم قلوبنا غلف) يعني وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله (بل طبع الله عليها بكفرهم) يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني حين رموها بالزنى وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنى وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله (وما قتلوه وما صلبوه) وفي قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعني ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل ان يصيح الديك

أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا أي أرنا نره جهرة (فأخذتهم الصاعقة) العذاب الهائل أو النار المحرقة (بظلمهم) على أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فانه قال رب أرني أنظر اليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم (ثم اتخذوا العجل) الها (من بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمعجزات التسع (فعفونا عن ذلك) تفضلا ولم نستأصلهم (وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة ظاهرة على من خالفه (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) أي ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم (وقلنا لهم لا تعدوا) لا تجاوزوا الحد تعدّوا ورش تعدّوا باسكان العين وتشديد الدال مدني غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهي قراءة أبي لانه أدغم التاء في الدال وأبقى العين ساكنة في رواية وفي رواية نقل فتح التاء الى العين (في السبت) بأخذ السمك (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا مؤكدا (فبما نقضهم) أي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (وكفرهم بآيات الله) أي معجزات موسى عليه السلام (وقتلهم الانبياء) كزكريا ويحيى وغيرهما (بغير حق) بغير سبب يستحقون به القتل (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي محجوبة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والوعظ (بل طبع الله عليها بكفرهم) هو رد

وانكار لقولهم قلوبنا غلف (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام وأصحابه (وبكفرهم) معطوف على فبما نقضهم أو على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم عطف بعض كفرهم على بعض (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) هو النسبة الى الزنى (وقولهم انا قتلنا المسيح) سمى مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح اولانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمى مسيحا بمعنى الماسح (عيسى بن مريم رسول الله) هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال انا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بأنهم لا يؤمنون وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وان الذين اختلفوا فيه) فى عيسى يعنى اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا اله وابن اله وثالث ثلاثة (لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان

ثلاث مرات وليبيعنى بدراهم يسيرة وليأ كلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لى ان ادللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان أعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى وله الجنة وانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبى الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى وأولى الاقوال بالصواب ما ذكرناه عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين أحيط به وبهم من غير مسئلة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزى الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلى الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون القى شبهه على بعض أصحابه بعدما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقى ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود ان الذى قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفى أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (لفى شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه فى البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (مالهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره (الا اتباع الظن) يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة (وما قتلوه يقينا) قال ابن عباس يعنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعنى علمه علما تاما وأصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه (بل رفعه الله اليه) يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده (حكيما) يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بنطيونس بن اسبسيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى (وان من أهل الكتاب) يعنى وما من أحد من أهل الكتاب (الا ليؤمنن به) يعنى بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن

عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول
لاوجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين
أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام وكان عود الضمير اليه أولى (قبل موته) اختلف المفسرون
في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى
وما من أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند
الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق
أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجاءة فقيل له أرأيت ان خر من فوق بيت
قال يتكلم به في الهواء فقيل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان
اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة بأجنحتها وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت
به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله وتقول للنصراني أتاك عيسى فزعمت انه الله وابن الله فيقول آمنت
انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير
الى أن الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضا والمعنى وما من أحد من أهل
الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل
الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض
لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا
القول ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل
فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد
زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من
أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن
فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى
عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين
ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من
أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه
وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من اليهود والنصارى ولا يقبل من
أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا
بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى
يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس
الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ
وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في
ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من
قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل
الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول
يعني الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان بأن هذا على
العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون
معنى الآية وما من أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح
الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم

(سورة النساء)
لا يترجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان
يترجح أحدهما الا ان المراد انهم شاكون ما لهم به
من علم ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
وقيل وان الذين اختلفوا فيه أي في قتله لفي
شك منه أي من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان
هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا
فأين عيسى (وما قتلوه يقينا) أي قتلا يقينا أو
ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجعل يقينا
تأكيدا لقوله وما قتلوه أي حق انتفاء قتله
حقا (بل رفعه الله اليه) الى حيث لا حكم فيه
لغير الله أو الى السماء (وكان الله عزيزا) في
انتقامه من اليهود (حكيما) فيما دبر من
رفعه اليه (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته) ليؤمنن به جملة قسمية واقعة
صفة لموصوف محذوف تقديره وان من
أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا
الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى
أحد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام
وبأنه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان
تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعني وان
منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى
وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله
روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى
أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام أو الضمير في به
يرجع الى الله أو الى محمد صلى الله عليه وسلم

قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) يعني فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهي ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا انبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم ان يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا أنتهي اليه فتركته ولقد انصف الواحدي فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى (واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من العذاب قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم) يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب من تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم البالغون فيه أولو البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) يعني بالله ورسله (يؤمنون بما أنزل اليك) يعني بالقرآن الذي أنزل اليك (وما أنزل من قبلك) يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار

(تفسير النسفي)

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهي ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا (وبصدهم عن سبيل الله) وبمنعهم عن الايمان (كثيرا) اي خلقا كثيرا او صدا كثيرا (وأخذهم الربا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا للكافرين منهم دون من آمن (عذابا أليما) في الآخرة (لكن الراسخون في العلم) أي الثابتون فيه المتقنون (منهم) من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أي القرآن (وما أنزل من قبلك) أي سائر

من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك (والمقيمين الصلاة) اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتهم فقيل له افلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع لحن في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد وربما غبي عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجروا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب وبالعقاب (أولئك) يعني من هذه الاوصاف صفته (سنؤتيهم أجرا عظيما) يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى فأنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ

(سورة النساء) منصوب على المدح
الكتب (والمقيمين الصلاة) وفي مصحف عبد الله
لبيان فضل الصلاة وهي قراءة مالك بن دينار وعيسى
والمقيمون الزكاة) (والمؤتون الزكاة) مبتدأ (والمؤمنون بالله
واليوم الآخر) عطف عليه والخبر (أولئك
سنؤتيهم أجرا عظيما) وبالياء حمزة (انا أوحينا
اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من
السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه
كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا (كما أوحينا
الى نوح والنبيين من بعده) كهود وصالح
وشعيب وغيرهم

الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل
عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته واهلاك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر
كآدم عليهما السلام وكان أطول الانبياء عمرا عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن
وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص
جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال (وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا
داود زبورا) يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي أنزل على داود
وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وثناء على الله
عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل
خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب
التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها
فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبي موسى
الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وأنا استمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا
من مزامير آل داود وقال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك
تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية لان الله أنزل
عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على أحد منهم كتابا
جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل) لما
نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام
والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك أخبارهم والى
من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم (ورسلا لم نقصصهم عليك) أي لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال
أهل المعاني الذين نوه بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى (وكلم الله
موسى تكليما) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام
وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال أراد الحائط
ان يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب
تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر واذا حقق بالمصدر لم يكن
الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى
الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل
كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يا رب
هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء يشبه
كلامك قال لا وأقرب خلقي شبها بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله
تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال
التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء قوله عز وجل (رسلا
مبشرين ومنذرين) يعني انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت
رسلا الى خلقي مبشرين من أطاعني واتبع أمري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من
عصاني وخالف أمري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال الكتاب
جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به
والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما

(تفسير النسفي)
(وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط) أي أولاد يعقوب (وعيسى وأيوب
ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) الكتاب
زبورا حمزة مصدر بمعنى مفعول يسمى به الكتاب
المنزل على داود عليه السلام (ورسلا) نصب
بمضمر في معنى أوحينا اليك وهو وأرسلنا ونبأنا
(قد قصصناهم عليك من قبل) من قبل
هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) سأل
أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء
قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال كم
الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول
الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد عليه السلام
وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد
عليه السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل
بأعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من
شرطه ان يؤمن بهم جميعا اذ لو كان معرفة كل
واحد منهم شرطا لقص علينا كل ذلك (وكلم الله
موسى تكليما) أي بلا واسطة (رسلا مبشرين
ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح أي
أعني رسلا ويجوز ان يكون بدلا من الاول
وان يكون مفعولا أي وأرسلنا رسلا واللام في

متفرقة بل انزاله متفرقا أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة أولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقه ومبينون أحكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزيزا) يعني في انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله (حكيما) يعني في ارساله الرسل قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله أعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فأنزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فأنزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعني ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم بأنك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك (والملائكة يشهدون) يعني يشهدون بأن الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بأنه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية

(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يتعلق بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعني في حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما يعرف بالعقل (وكان الله عزيزا) في العقاب على الانكار (حكيما) في بعث الرسل للانذار ولما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة (أنزله بعلمه) أي أنزله وهو عالم بأنك أهل لانزاله اليك وانك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم (والملائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدا وان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا لا نجده في كتابنا (قد ضلوا ضلالا بعيدا) عن الرشد (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمدا عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ما داموا على الكفر (ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أي بالاسلام أو هو حال أي محقا (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد (وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض) فلا يضره كفركم (وكان

للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة (قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعني عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا ليهديهم طريقا) يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون (الا طريق جهنم) يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعني في جهنم (أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) يعني هينا قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب (قد جاءكم الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بالحق) يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق (من ربكم) يعني من عند ربكم (فآمنوا خيرا لكم) يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي أنتم عليه (وان تكفروا) يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم (فان لله ما في السموات والأرض) يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شئ وانه قادر على ما يشاء (وكان الله عليما) يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله (حكيما) يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستأتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولود الغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب (لا تغلوا في دينكم) وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم أرشدهم الى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلمته) هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة (ألقاها الى مريم) يعني أوصلها الى مريم (وروح منه) يعني انه كسائر

الارواح

الله عليما) بمن يؤمن وبمن يكفر (حكيما) لا يسوي بينهما في الجزاء (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنى وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى بن مريم) لا ابن الله (رسول الله) خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو بدل (وكلمته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام (ألقاها الى مريم) حال وقد معه مرادة أي أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمي القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لما انه يحيي القلوب (منه) أي بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وبه أجاب علي بن الحسين بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حيث زعم ان في كتابكم حجة على ان عيسى من الله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدا محذوف أي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدأ (اله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه ان يكون له ولد) أسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد (له ما في السموات وما في الارض) بيان لتنزهه عما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه اذ البنوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو يتعالى عن ان يكون جسما (وكفى بالله وكيلا) حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال وأي شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله

الارواح التي خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما أضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل النكرة في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأي روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل وقوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعني فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة أقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (انتهوا خيرا لكم) يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله اله واحد) ثم نزه نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعني لا ينبغي أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلا) يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم وقوله تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبد الله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أي أنفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيد الله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبد الله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان

ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) أي لن يأنف (ان يكون عبد الله) هو رد على النصارى. (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) اي الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتشبثت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا أبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب انا نسلم تفضيل الثاني على الاول لكن هذا الامس ما تنازعنا فيه لان الآية تدل على ان الملائكة المقربين باجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة ولان المراد ان الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجي رأسا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث الحمقاء أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى وينبئ بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم فبرؤه من العبودية فقيل لهم هذه الاوصاف في الملائكة اتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على

الله تعالى لم ينقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله أو انهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم) يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا واستكبروا) يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله) يعني من سوى الله لانفسهم (وليا) يعني يجيهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقي في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم وأما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة (قد جاءكم برهان من ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى (فأما الذين آمنوا بالله) يعني صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وانزل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في أن يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به أي وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من أليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري (ق) عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي رواية للترمذي وكان لي تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع أخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فأفقت

فقلت

تفضيل البشر على الملك ابتداء انهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها تشابهت الانبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابا بالحديث (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يترفع ويطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أي رسول يبهر المنكر بالاعجاز (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن (فسيدخلهم في رحمة منه) أي جنة (وفضل) زيادة النعمة (ويهديهم) ويرشدهم (اليه) الى الله أو الى الفضل أو الى صراطه (صراطا مستقيما) فصراطا حال من المضاف المحذوف (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت

فقلت يارسول الله الا أوصى لاخواتى بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركنى فقال ياجابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد أنزل فبين الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية فى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة أهمهم شان الكلالة فسألوا عنها النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسير له والى جنبه حذيفة ابن اليمان فبلغها النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجى أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت أن امارتك تحملنى ان أحدثك فيها مالم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم فى أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على المورث فهو من مات ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد وقوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعنى مات سمى الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة (ليس له ولد) يعنى ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا انما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد (وله أخت) يعنى ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من أبيه وامه اومن ابيه (فلها نصف ما ترك) يعنى فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند أبى حنيفة وأهل العراق يرد الباقى عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقى بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت أخا من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اراد بنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين أواخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) يعنى واذا كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم أن تضلوا) يعنى يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها (والله بكل شئ عليم) يعنى من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شئ (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوى وفيه نظر لانه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى بكر الصديق ان النبى صلى الله عليه وسلم بعثه فى الحجة التى أمره عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذن فى الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بن ابى طالب فامره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فاذن معنا فى أهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبى بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوى ثم نزلت فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية

(سورة النساء)

(ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة أى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله أخت) أى لاب وأم اولاب (فلها نصف ماترك) أى الميت (وهو يرثها) أى الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) أى فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة) أى وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم المذكورة (رجالا ونساء) ذكورا واناثا (فللذكر) منهم (مثل حظ الانثيين يبين الله لكم) الحق فهو مفعول يبين (ان تضلوا) كراهة ان تضلوا (والله بكل شئ عليم) يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها أحدا وثمانين يوما ثم نزلت آيتا الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة المائدة)

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فأكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع أشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما أخذه على عباده في القرآن فيما أحل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود جمع عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري وأولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه أوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لان الله تعالى أتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها أبهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع أهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما أضاف البهيمة الى الانعام على

(تفسير النسفي)

(سورة المائدة)

(مدنية وهي مائة وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفى بالعهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم بهيمة الانعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء

جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما أضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه مايحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت أو نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ماروى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة أمه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يارسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه أم نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الانعام قال مافي بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة مافي بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لايحل أكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى (الامايتلى عليكم) يعني في القرآن تحريمه وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو مااستثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير محلى الصيد وأنتم حرم) يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر غير محلى صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام فلايجوز للمحرم أن يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم مايريد) يعني ان الله يقضي في خلقه مايشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ماأراد تحريمه وفرض مايشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبعة البكري أتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الامَ تدعو الناس فقال الى شهادة ان لااله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي أمراء لااقطع أمرا دونهم ولعلي أسلم وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حطم * ليس براعي ابل ولاغنم
ولابجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فقال المسلمون يارسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى فقالوا يارسول الله هذا شئ كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها أن يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ماروى عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شئ كان له حلالا أخرجاه في الصحيحين (م) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند

وبقر الوحش ونحوهما (الامايتلى عليكم) آية تحريمه وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلى الصيد) حال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الاشياء لامحلين الصيد (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم مايريد) من الاحكام او من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ماحرم (يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله) جمع شعيرة وهي اسم ماأشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر (ولا الشهر الحرام)

أبي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره ذلك ٣ وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هي أن تصيد وأنت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التي نهى عنها (ولا الشهر الحرام) أي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقص هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسيء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني قد أحللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتي تفسير النسيء في سورة براءة (ولا الهدي ولا القلائد) الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * واعناق الهدي مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدي خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم (ولا آمين البيت الحرام) يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يبتغون) يعني يطلبون (فضلا من ربهم) يعني الرزق والارباح في التجارة (ورضوانا) يعني ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

(فصل) اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يأمن بالهدي والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا ان يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا

على

٣ قوله وقال ابن عباس الخ كان هذا قولا ثانيا له رضي الله عنه اذ تقدم له غير هذا اه مصححه

(تفسير النسفي)

أي اشهر الحج (ولا الهدي) وهو ما أهدي الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرضوا للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيه وجهان أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص لانها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا او جاز ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي أي ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها (يبتغون) حال من الضمير في آمين (فضلا من ربهم) أي ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم أي لا تتعرضوا

على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او أمان وكذلك اجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم وقوله تعالى (واذا حللتم) يعنى من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا فى الارض معناه انه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجرمنكم) قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم (شنآن قوم) يعنى بغض قوم وعداوتهم (ان صدوكم) يعنى لان صدوكم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعنى ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعنى ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس ابن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس (واتقوا الله) أى واحذروا الله ان تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى فى أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجارى وكانت العرب فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم فى سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء فى ذلك وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعنى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعنى المقتولة بالخشب وكانت العرب فى الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك (والمتردية) يعنى التى تتردى من مكان عال فتموت أو فى بئر فتموت والتردى هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل فى هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم (والنطيحة) يعنى التى تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب فى الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها فى حكم الميتة فأما الهاء فى هذه الكلمات التى تقدمت أعنى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم أثبتت الهاء فى النطيحة مع انها

(سورة المائدة)

لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم (واذا حللتم) خرجتم من الاحرام (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلى الصيد وأنتم حرم (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) جرم مثل كسب فى تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا وان صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامى وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجرمنكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفى أو البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال (حرمت عليكم الميتة) أى البهيمة التى تموت حتف انفها (والدم) أى المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير) وكله نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى خنقوها حتى ماتت او انخنقت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التى أثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت (والمتردية) التى تردت من جبل أو فى بئر فماتت (والنطيحة) المنطوحة وهى التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح

فى الاصل منطرحة فعدلوا الى النطيحة وفى مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعنى كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بنى فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء فى النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتى فعيلة بالهاء وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقتيلة بنى فلان وقوله تعالى (وما أكل السبع) قال قتادة كان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله أو أكل منه أكلوا مابقى منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب و يعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفى الآية محذوف تقديره ما أكل السبع منه لان ما أكل السبع فقد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقى منه (الا ما ذكيتم) يعنى الا ما أدركتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما أكل السبع وهذا قول على بن أبى طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبى هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الاول وأما كيفية ادراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين ان أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم الى أن السبع اذا جرح فاخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعا تيأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حركة ورمق الا انه قد صار الى حالة لا يؤثر فى حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانبارى لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة وأصل الذكاة فى اللغة تمام الشئ فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ماروى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه فى الصحيحين وأقل الذبح فى الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمرئ مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى (وماذبح على النصب) يعنى وحرم ماذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة بأصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وماذبح على اسم النصب اولاجل النصب فهو حرام (وان تستقسموا بالازلام) يعنى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القداح وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوبة على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهلية اذا أرادوا سفرا أوتجارة أونكاحا واختلفوا فى نسب أوأمر قتيل أوتحمل عقل اوغير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجليها لهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربى لم يفعلوه وان اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل

(تفسير النسفى)
(وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه
(الا ما ذكيتم) الا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب
اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة
ومابعدها فانه اذا أدركها وبها حياة فذبحها
وسمى عليها حلت (وماذبح على النصب)
كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعظمونها بذلك ويتقربون اليها تسمى
الانصاب واحدها نصب أوهو جمع والواحد
نصاب (وان تستقسموا بالازلام) فى موضع
الرفع بالعطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتة
وكذا والاستقسام بالازلام وهى القداح
المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا
أوغزوا أوتجارة أونكاحا أوغير ذلك يعمد الى
قداح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربى
وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج
الآمر مضى لحاجته وان خرج الناهى أمسك
وان خرج الغفل أجاله فمعنى الاستقسام
بالازلام طلب معرفة ماقسم له ممالم يقسم له بالازلام
قال الزجاج لافرق بين هذا وبين قول المنجمين
لاتخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم
كذا وفى شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول
المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى
عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم
جعل النجوم دلالات وعلامات على احكام الله
تعالى ويجوز أن يجعل الله فى النجوم معانى
واعلاما يدرك بها الأحكام ويستخرج بها
الاشياء ولا لائمة فى ذلك انما اللائمة عليه فيما
يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر

وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها عن قطن بن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة وقوله تعالى (ذلكم فسق) يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول أصح (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا ولم ترد يوما بعينه يعني وهو الآن يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد يوم واحد معين (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) أي وخافوا مخالفة أمري وأخلصوا الخشية لي قوله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فأي آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر الى ان ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذناها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده. وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم

(سورة المائدة)
وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم
فسق) الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة
ويحتمل أن يعود الى كل محرم في الآية (اليوم)
ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن
وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت تريد الآن
وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان
يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع (يئس
الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه أن يبطلوه
أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لان الله تعالى وفى
بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم)
بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار
وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين
(واخشون) بغير ياء في الوصل والوقف أي
احلصوا الى الخشية (اليوم) ظرف لقوله
(أكملت لكم دينكم) بان كفيتكم خوف عدوكم
وأظهرتكم عليهم كما تقول الملوك اليوم كمل
لنا الملك أي كفينا من كنا نخافه أو أكملت لكم
ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال
والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين

على الاديان وأمنتكم من عدوكم بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل أكمال الدين لهذه الامة أنه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم أكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فأكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في أول وقت البعثة بأن ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد التحتم واما في آخر زمان البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولأتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم في الخير حتى يجيء الاسلام فيقول يارب انت السلام وأنا الاسلام فيقول اياك اليوم أقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة أو الى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله عز وجل (يسألونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يارسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع

(تفسير النسفي) القياس (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (ورضيت لكم الاسلام دينا) حال اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذا ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها (في مخمصة) مجاعة (غير) حال (متجانف لاثم) مائل الى اثم أي غير متجاوز سد الرمق (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك (رحيم) باباحة المحظور للمعذور (يسألونك ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لان يسألونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقال

فأمرني أن اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن ابي خيثمة وعويمر بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك مالا نفع فيه منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى يسألونك يعني يسألك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلا سألوا عما أحل لهم (قل أحل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى (وما علمتم من الجوارح مكلبين) يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سألوا عن الصيد وقيل ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمونهن) يعني تعلمون الجوارح الاصطياد (مما علمكم الله) يعني من العلم الذي علمكم الله ففي الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بأن يوجد فيها أمور منها انه ٣ اذا أشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها ان لا ينفر منه اذا أراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلابك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني أخاف ان يكون انما أمسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم

(سورة المائدة)
(قل أحل لكم الطيبات) أى ماليس بخبيث منها وهو كل مالم يأت تحريمه فى كتاب الله أوسنة أو اجماع أو قياس (وما علمتم) عطف على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا (من الجوارح) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة ويشترط للحل الجرح (مكلبين) حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع انه استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه أولان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد (تعلمونهن) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من أقتلهم دراية فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عن لقاء النحارير انامله (مما علمكم الله) من التكليف

٣ قوله اذا اشليت قال فى الصحاح وقول الناس اشليت الكلب على الصيد خطأ وقال أبو زيد اشليت الكلب دعوته وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وآسدته اذا أغريته به ولا يقال اشليته انما الاشلاء الدعاء اه مصححه

على غيره وفي رواية فانك لا تدري أيهما قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا أثر سهمك فكل فان وقع في الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلاب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا والمعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فأخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بأرض قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل وقوله تعالى (فكلوا مما أمسكن عليكم) دخلت من في قوله مما للتبعيض لانه انما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر (واذكروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعني اذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل ٣ وسيأتي بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (واتقوا الله) يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سريع الحساب) يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات) انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم أكملت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فبين انه كما أكمل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة وقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) يعني وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متنصرو العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن أبي طالب قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعي ان من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي وأجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر أهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام ومن

(تفسير النسفي) (فكلوا مما أمسكن عليكم) الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فأما صيد البازي ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف في موضعه (واذكروا اسم الله عليه) يرجع الضمير في عليه الى ما أمسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند ارساله (واتقوا الله) واحذروا مخالفة أمره في هذا كله (ان الله سريع الحساب) انه يحاسبكم على افعالكم ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرره تأكيدا للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أي ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص

٣ قوله وسيأتي بيان هذه المسئلة الخ لم يتعرض لما ذكره هنا عند الآية الآتية في سورة الانعام اهـ مصححه

لا كتاب له وأجمعوا على ان المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولان ماقبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي أو غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي أو نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي او النصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم نأكل ولا وجه للنسخ وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعني ان ذبائحكم لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشرعنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد ان يزوج أخته فقالت اني أخشى ان أفضحك اني قد بغيت فأتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحرائر أو العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزويج بالامة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزويج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله تعالى (اذا آتيتموهن أجورهن) يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزوج غير

(سورة المائدة)

حلها الله (وطعامكم حل لهم) ولا جناح عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (والمحصنات من المؤمنات) هي الحرائر او العفائف وليس هذا شرط الصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف على الطيبات او مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هي الحرائر الكتابيات أو العفائف الكتابيات (اذا آتيتموهن أجورهن) أعطيتموهن مهورهن (محصنين غير مسافحين) متزوجين غير زانين

زانيه (ولا متخذى أخدان) يعنى ولا منفردين ببغى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنى واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) يعنى ومن يجحد بما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعنى فقد بطل ثواب عمله الذى كان عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة وقيل فى معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعنى نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضى أعمالنا لم يبح للمؤمنين تزوجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى ان تزوج المسلمين اياهن ليس بالذى يخرجهن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم فى الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم فى الآخرة لان كل من كفر بالله وجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين وقيل ان من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد شيأ مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) يعنى اذا أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر فى البر أى اذا أردت التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزى عدة صلاة بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بأن المعنى اذا قمتم الى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا لان النبى صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى وقيل هذا اعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة أخرجه مسلم والقول الاول هو المختار فى معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة فى هذه الآية أربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته ان الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب ان يكون منويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة فى هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا انما أوجبنا النية فى الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله

مخلصين

(تفسير النسفى)

(ولا متخذى أخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) أى اذا أردتم القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن أى اذا أردت أن تقرأ القرآن لان الفعل مسبب عن الارادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وتقديره وانتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضؤون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ

مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه فى الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها او يجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس فى المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثانى يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية فى حكم الوجه الفرض الثانى قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) يعنى واغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين فى الغسل ونقل عن مالك والشعبى وزفر وأبى بكر بن داود الظاهرى انه لا يجب ادخال المرفقين فى الغسل واختاره ابن جرير الطبرى ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذى آمر به ان يبلغ المرفقين فى الغسل لا يجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل فى المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين فى الوضوء وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبى هريرة انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما فى هذه الآية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء فى القدر الذى يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربعه وفى رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعى الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعى باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس الفرض الرابع قوله تعالى (وارجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء فى هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضا ويروى عن أنس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس فى الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى ان ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة ان الواجب فى الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة وأصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهرى يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء فى هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائى عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة انما أمر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه أيضا فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن

(وأيديكم الى المرافق) الى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها فى الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا فى الحالتين معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه عليه السلام لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق لا دليل فيه على أحد الامرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها فى الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فاخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافعى باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذنا ببيان النبى عليه السلام وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس (وأرجلكم الى الكعبين) بالنصب شامى ونافع وعلى وحفص والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم بالجر بالعطف على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهى عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجئ بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة وقال فى جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح ان النبى عليه السلام رأى قوما يمسحون على ارجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما أمر بغسل هذه الاعضاء

بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لأنه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانباري وأبو علي الكسر عطف على الممسوح غير أن المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما أتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان الا أن مسح الرأس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرؤس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشئ على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر * علفتها تبنا وماء باردا * يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤس في الظاهر اكتفي بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما أخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر أو يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

(فصل قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية اربعة) وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدأوا بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت ان ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الآية

ايضا

لطهارها من الاوساخ التي تتصل بها لانها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا أراد ان يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلي الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لان ذلك أبلغ في التعظيم (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم

أيضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

(فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله) (ق) عن حمران مولى عثمان ابن عفان ان عثمان دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاثا ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد ابن عاصم الانصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتي باناء فيه ماء وطشت فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من كف يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل اصبعيه السبابتين في أذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ وترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة اخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين أو ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة اخرجه البخاري عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال وقد روي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا (م) عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فاذا عمر قال اني قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وأن

محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب (ق) عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه أبو داود وابن ماجه وقوله تعالى (وان كنتم جنبا فاطهروا) أي اغتسلوا أمر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المني على أي صفة كان من الاحتلام أو غيره أو بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء يخلل بها أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله تعالى (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب (وليتم نعمته عليكم) يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واثقكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي أخذه عليهم في يوم ألست بربكم فقالوا بلى (واتقوا الله) يعني فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك واعدائك أقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ان لا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو (هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

(تفسير النسفي)

(وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم) قال الرازي معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث (من الغائط) المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة (أو لامستم النساء) جامعتم (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (واتقوا الله) في نقض الميثاق (ان الله عليم بذات الصدور) بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب الى التقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واتقوا الله) فيما أمر ونهى (ان الله خبير بما تعملون) وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية

(تعملون) يعني ان الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى
(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني عملوا بما واثقهم الله به وأوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها
(لهم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كأنه لما تقدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم
مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا)
يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده (أولئك)
يعني من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس الا للكفار
لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل (يا أيها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم
ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم)
يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير في سبب
نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر
عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو
محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا
غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا
وددنا انك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد
أرني سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال
من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف ومضى فأنزل الله
هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي
وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا
عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في
طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها
علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين
فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه
فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر
فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير
يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات
وقيل أراد أن يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس
حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض
وقالوا انكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا
منه فقال عمرو بن جحاش أنا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك الله يده
ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال
وخرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك أصحابي
فمن خرج اليك منهم وسألك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة
وأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود أن يبسطوا
اليكم أيديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المبطوش به ليقتله (فكف أيديهم عنكم)

(سورة المائدة) (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعد يتعدى الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي لا يفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية (ان يبسطوا) بأن يبسطوا اذ طرف النعمة (ان يبسطوا اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به (فكف أيديهم عنكم) فمنعها أن تمد

يعني انه تعالى منعهم مما أرادوه بكم (واتقوا الله) يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن اراده بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة أولى بالصواب لانه عقب الآية ذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله أخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم ذكر القصة في ذلك قال أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها فتقاره فوقعت في عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقباء أخذهم وجعلهم في حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا أطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وقيل انه جعلهم في كمه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فأخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا ان العنقود العنب لا يحمله الا خمسة أنفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة انفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معنا اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم وأخبروا موسى وهارون بما رأيتم فيريان رأيهما واخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما وفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (وقال الله اني معكم) فيه حذف تقديره وقال للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فيكون عوده الى النقباء أولى ثم ابتدأ الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل (لئن أقمتم الصلاة) هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهي قوله لئن أقمتم الصلاة (وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا) وجزاء الشرط قوله تعالى (لا كفرن عنكم سيئاتكم) وذلك اشارة الى

السكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافي والدافع والمانع (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى أريحاء أرض الشأم وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء (وقال الله اني معكم) أي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة) وكانتا فريضتين عليهم (وآمنتم برسلي) من غير تفريق بين أحد منهم (وعزرتموهم) وعظمتموهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزر في اللغة الرد ويقال عزرت فلانا أي أدبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام في (لا كفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم) أي بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء السبيل) اخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم (فبما نقضهم ميثاقهم) ما مزيدة لافادة تفخيم الامر (لعناهم) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) يابسة لا رحمة فيها ولا لين قسية حمزة وعلي أي رديئة من قولهم درهم قسي أي رديء (يحرفون الكلم عن مواضعه) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة

ازالة العذاب وقوله تعالى (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما أخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم وأصل التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا أخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيآتكم يعني اذا فعلتم سائر ما امرتكم به لامحون عنكم سيآتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي أمر باتباعه قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم) أي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه (لعناهم) يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعلنا قلوبهم قاسية) يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق (يحرفون الكلم عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت (الا قليلا منهم) يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فاعف عنهم واصفح) أي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم ومؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي نزلت في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بأنها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم ما داموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن والله يحب المحسنين قوله عز وجل (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لا أن الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (فنسوا حظا مما ذكروا به) يعني وتركوا ما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاغرينا) يعني فالقينا وأوقعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا

(سورة المائدة)

اغفال التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة فخرنوا حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فخرنوا أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال) يا محمد (تطلع على خائنة منهم) أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أي على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة (الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (واصفح ان الله يحب المحسنين) ومن في قوله (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسل وافعال الخير يتعلق بأخذنا أي وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصر الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان (فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا) فالصقنا والزمنا من غري بالشئ اذا لزمه ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بالاهواء المختلفة (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) أي في القيامة بالجزاء والعقاب (يا أهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس (قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه او يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد

العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) يعني ان الله تعالى يخبرهم في الآخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى (يا أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله بين ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له (ويعفو عن كثير) يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة في ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب مبين) يعني القرآن (يهدي به الله) يعني يهدي الله بالكتاب المبين (من اتبع رضوانه) أي اتبع ما رضيه الله وهو دين السلام لانه مدحه واثنى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان (باذنه) يعني بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعني دين الاسلام قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى (قل) يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعني يقدر ان يدفع (من الله شيئا) يعني من أمر الله شيئا (ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه) يعني يعدم المسيح وأمه (ومن في الارض جميعا) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع أمر الله اذا أراد اهلاكه واهلاك أمه وغيرها (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الاشياء فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده (يخلق ما يشاء) يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم (والله على كل شيء قدير) يعني ان الله تعالى لا يعجزه شيء أراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اضا وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان أخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم

(تفسير النسفي)

القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز والنور محمد عليه السلام لانه يهتدى به كما سمي سراجا (يهدي به الله) أي بالقرآن (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله فالسلام السلام أو الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (باذنه) بارادته وتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) معناه بت القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك أو لان مذهبهم يؤدي اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت (قل فمن يملك من الله شيئا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا (ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا) أي ان أراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وأمه يعني ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض جميعا على المسيح وأمه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية أنى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد (والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أي أعزة عليه كالابن على الاب أو كما قيل لاشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وحشمه نحن ابناء الملوك أو نحن

يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فأما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كالأب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادّعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تأولوا قول المسيح اذهب الى أبي وأبيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء لنقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا فى تعظيم أنفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله وأحباؤه فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه فى النار (بل أنتم بشر ممن خلق) يعنى بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزيون بالاساءة والاحسان قوله تعالى (يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) يعنى انه تعالى يملك ذلك لا شريك له فى ذلك فيعارضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه أو شريك فى ملكه (واليه المصير) يعنى والى الله مرجع العباد فى الآخرة فيجازيهم بأعمالهم قوله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعنى احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعنى على انقطاع من الرسل واختلف العلماء فى قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخارى وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهى الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادرى من هو فكانت تلك السنين مائة وأربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان الدمشقى والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازى والفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هى ان التحريف والتغيير قد كان تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فى هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعنى فقد أرسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر (والله على كل شئ قدير) يعنى

(سورة المائدة)

أبناء رسل الله (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى فان صح انكم ابناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم (بل أنتم بشر ممن خلق) أى أنتم خلق من خلقه لا بنوه (يغفر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلا (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلا (ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك والبنوة متنافيان (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) محمد عليه السلام (يبين لكم) أى الشرائع وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال أى مبينا لكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة وستون سنة (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا (ما جاءنا من بشير ولا نذير) والفاء فى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم (بشير) للمؤمنين (ونذير) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى أحوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (والله على كل شئ قدير) فكان قادرا على ارسال محمد عليه السلام ضرورة

أنه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة إليهم قوله عز وجل (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادي الله عندكم وأيامه التي أنعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم ودل بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجاتهم في ذات الله عز وجل (إذ جعل فيكم أنبياء) يعني أن موسى عليه السلام ذكر قومه بني إسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم بأن فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم إلى الجبل وأيضا كان أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك أنهم من أكابر الأنبياء وأولاد يعقوب وهم الأسباط أنبياء على قول الأكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وأيضا فإن الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده في بني إسرائيل أنبياء فإنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعني وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيدا في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم أصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسأل رجل عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي إليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الأغنياء قال فإن لي خادما قال فأنت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما أنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم وإهلاك عدوهم وإنزال المن والسلوى عليهم وإخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم إلى غير ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليهم قوله تعالى (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج إلى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لأنها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للأنبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والأرض هي الطور وما حوله وقيل هي أريحاء وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الأحبار وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها لكم فإن قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وقال فإنها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني أن اللفظ وإن كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فإن يوشع بن نون وكالب بن يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث أن هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع أنه قال إنها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا ترتدوا على أدباركم) يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم إلى ورائكم ولكن امضوا لأمر الله الذي أمركم به وإن فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعني فترجعوا خائبين لأنكم رددتم أمر الله قوله عز وجل (قالوا) يعني قوم موسى (يا موسى إن فيها) يعني في الأرض المقدسة (قوما جبارين) يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة

لنا

(تفسير النسفي)

(وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكا) لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولأنهم كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العظام أو أراد عالمي زمانهم (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) وهي أرض بيت المقدس أو الشام (التي كتب الله لكم) قسمها أو سماها أو كتب في اللوح المحفوظ أنها لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا أو لا ترتدوا على أدباركم في دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على

لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعني أرض الجبارين التي أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم ان لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله (قال رجلان من الذين يخافون) يعني يخافون الله ويراقبونه (أنعم الله عليهما) يعني بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بأن الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فانا قد رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا) يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا (ماداموا فيها) يعني مقيمين فيها (فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما أرادوا بقولهم وربك أخاه هارون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون أنا صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره قوله تعالى (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) اي يا رب (اني لا املك الا نفسي واخي) يعني انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء بأخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو

(سورة المائدة)

ما يريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) بغير قتال (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) بلادهم حينئذ (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أنعم الله عليهما) أي بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق (قالوا يا موسى انا لن ندخلها) هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد (أبدا) تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول (ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه أن يقال اذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الاكبر هارون أو لم يريدوا به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أريدا قتالهم (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قال رب اني لا أملك) لنصرة دينك (الا نفسي وأخي) وهو منصوب بالعطف على نفسي أو على اسم ان أي اني لا أملك الا نفسي وان أخي لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل ان واسمها أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل أي ولا يملك أخي الا نفسه او هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخي كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبي المعصوم او اراد ومن يؤاخيني على ديني

اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اى افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فأجاب الله دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانها محرمة عليهم) يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعني الارض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم (أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون في الارض فاما المحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى (يتيهون في الارض) يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهارون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في ازمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج من تلك الارض بل امرهم بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه ان يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنا عشر عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل اريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا واختلفوا في موسى عليه السلام مات في التيه ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا * قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام * فاما هارون فانه كان أكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى اني متوفي هارون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هارون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نم قال اني اخاف ان يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف اني اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السماء وهارون عليه وذهبت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هارون معه فقالت بنو اسرائيل حسد موسى هارون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افترونى اقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا اليه وهو بين السماء والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى عليه السلام وهارون الى الجبل فمات هارون وبقي موسى

(فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين (قال فإنها) أي الأرض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع والمراد بقوله كتب الله لكم أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم أو المراد فإنها محرمة عليهم (أربعين سنة) فإذا مضى الأربعون كان ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وأربعين ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف (يتيهون في الأرض) أي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا أربعين سنة والوقف على عليهم وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له

فقال بنو اسرائيل لموسى انت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل انه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحاق كان صفى الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فأراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع ابن نون فكان موسى يغدو ويروح اليه و يقول له يا نبى الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبى الله ألم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شئ مما احدث الله اليك حتى كنت انت تبتدئ به وتذكره لى ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اى رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الاحمر وفى رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيى الدين النووى قال المازرى وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع ان يكون الله قد أذن لموسى فى هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل فى خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد والثانى ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه وهذا جواب الامام ابى بكر ابن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازرى والقاضى عياض قالوا وليس فى الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه فان قيل فقد اعترف موسى حين جاء ثانيا بأنه ملك الموت فالجواب انه اتاه فى المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى واما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن فى المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وانما سأل موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفى الله تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع الى بنى اسرائيل فأخبرهم ان الله قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى اريحاء وهى مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة اريحاء ستة اشهر فلما كان فى السابع نفخوا فى القرون وضجوا فى الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله وسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام

قوله والثانى الخ هذا هو الجواب الثالث فى شرح النووى على مسلم ونص الجواب الثانى فيه والثانى ان هذا على المجاز والمراد ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ويقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة ويقال عورت الشئ اذا ادخلت فيه نقصا قال وفى هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل اراد رد حجته كان بعيدا والثالث الخ اه مصححه

فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشأم وصارت كلها لبنى اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأ كلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأ كلت الرجل والقربان وفى الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد ان يبنى بها ولم يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعنى النار لتأ كلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأ كلتها زاد فى رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا اخرجه البخارى ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أى لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وانا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيى الدين قال القاضى عياض اختلف الناس فى حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذى حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضى وقد روى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوى وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العير لما اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير فى زياداته على سيرة ابن اسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره امر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذى فتح اريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان موسى عليه السلام هو الذى قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبرى ونقل عن السدى قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب انى لا املك الا نفسى واخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا فى التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى فى السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبرى ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره فى التيه لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروى عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وان أهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وستردقصته فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) يعنى لا تحزن عليهم لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اى لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل قوله عز وجل (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق) يعنى اذكر لقومك واخبرهم خبر ابنى آدم وهما هابيل وقابيل فى قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابنى آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابنى آدم لصلبه وانما كانا رجلين من

(تفسير النسفى)

(فلا تأس على القوم الفاسقين) فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم يكن موسى وهارون معهم فى التيه لانه كان عقابا وقد سأل موسى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما الا عقوبة ومات هارون فى التيه ومات موسى فيه بعده بسنة ومات النقباء فى التيه الا كالب ويوشع ثم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله (واتل عليهم) على أهل الكتاب (نبأ ابنى آدم) من صلبه هابيل وقابيل او هما رجلان من بنى اسرائيل (بالحق) نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين او تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة او واتل عليهم وانت

بنى اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى فى آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ماذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال فى آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث فى الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اى اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذ قربا قربانا) القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به ❊ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ❊ذكر أهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين ألفا واختلفوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخواته شاء غير توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى اختى وانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال ابوه آدم انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردىء وأضمر فى نفسه لا أبالى أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أحد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقربه وأضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فأضمر لاخيه الحسد الى ان أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلنك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قربانى وتريد ان تنكح اختى الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس بأنك خير منى ويفتخر ولدك على ولدى فقال هابيل وما ذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل (لئن بسطت الى يدك) يعنى لئن مددت الى يدك (لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) يعنى ما أنا بمنتصر لنفسى بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان أقوى

حق صادق (اذ قربا) نصب بالنبأ أى قصتهما وحديثهما فى ذلك الوقت او بدل من النبأ أى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف (قربانا) ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانه دليله (فتقبل من أحدهما) قربانه وهو هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه وهو قابيل روى انه أوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسده عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله (قال لاقتلنك) أى قال لهابيل (قال انما يتقبل الله من المتقين) وتقديره قال لم تقتلنى قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متق فانما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (لئن بسطت) مددت (الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط) (يدى) مدنى وأبو عمرو وحفص (اليك لاقتلك)

من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفاً من الله فذلك قوله (انى أخاف الله رب العالمين) والمعنى انى أخاف الله فى بسط يدى اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل (انى أريد ان تبوء باثمى واثمك) يعنى ترجع باثم قتلى الى اثم معاصيك التى عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل انى أريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت أجاب ابن الانبارى عن هذا بأن قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك انى أريد ان تبوء باثمى واثمك أى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلا من هابيل واليه أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتنى فانا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه انى أريد ان تبوء بعقاب اثمى واثمك فحذف المضاف وباء باثم باء بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشرى ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فتكون من أصحاب النار) يعنى الملازمين لها (وذلك جزاء الظالمين) يعنى جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى (فطوعت له نفسه قتل اخيه) يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه واذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف فى موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخط والديه وبقى بلا أخ وأما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه) قال أصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره فى جراب أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله ان يرى قابيل سنته فى موتى بنى آدم فى الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض يعنى يحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يوارى سوءة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال يا ويلتا) أى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب) يعنى مثل هذا الغراب الذى وارى الغراب الآخر (فأوارى سوءة أخى) يعنى فأستر جيفته وعورته عن الاعين (فأصبح من النادمين) يعنى على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة

وخوف

انى أخاف الله رب العالمين) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل كان ذلك واجبا فان فيه اهلاك نفسه ومشاركة للقاتل فى اثمه وانما معناه ما أنا بباسط يدى اليك مبتدئا كقصدك ذلك منى وكان هابيل عازما على مدافعته اذا قصد قتله وانما قتله فتكا على غفلة منه انى أخاف حجازى وأبو عمرو (انى أريد) مدنى (ان تبوء) ان تحتمل أو ترجع (باثمى) باثم قتلى اذا قتلتنى (واثمك) الذى لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وانما أراد ذلك لكونه برده قضية الله تعالى او كان ظالما وجزاء الظالم جائز ان يراد (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه) فوسعته ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع (فقتله) عند عقبة حراء او بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة (فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه) أى الله او الغراب (كيف يوارى سوءة أخيه) عورة أخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده روى انه أول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة فحينئذ (قال يا ويلتا أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأوارى) عطف على أكون (سوءة أخى فأصبح من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى أمره ولم يندم ندم التائبين او كان الندم توبة لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك فالسودان من ولده وما روى ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء

وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثي الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * فهل أنا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقاء من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخالق في كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فأخذ بيد أخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت أباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى (من اجل ذلك) يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا أي جنى عليهم شرا (كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا (على بني اسرائيل) فان قلت من أجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح

(سورة المائدة)
عليهم السلام معصومون من الشعر (من أجل
ذلك) بسبب ذلك وبعاته وذلك اشارة الى القتل
المذكور وقيل هو متصل بالآية الاولى
فيوقف على ذلك أي فاصبح من النادمين
لاجل حمله اولاجل قتله وقيل هو مستأنف
والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبنا
لا بالنادمين (كتبنا على بني اسرائيل) خصهم
بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التوراة

من النادمين من اجل ذلك أي من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع أنه كان يقف على قوله
من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الأول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب
المعاني على أن قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل
ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى مامر ذكره في هذه القصة من أنواع المفاسد
الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى أنه حصلت له خسارة في
الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى أنه حظر في أنواع الندم والحسرة
والحزن مع انه لادافع لذلك البتة فقوله من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أي من اجل ذلك الذي
ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان
قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل قلت
ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا أن التشديد المذكور ههنا في حق بني
اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل
الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه
المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل
ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالقتل
بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام
وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده قوله عز وجل (أنه من قتل نفسا) يعني قتل نفسا ظلما (بغير نفس)
يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم (أو فساد
في الارض) هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب
كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها
قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله أو فساد في الارض (فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها
فكأنما أحيا الناس جميعا) قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس
جميعا ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما
قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا
محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن أحياها يعني من غرق
أو حرق او وقوع في هلكة فكأنما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من أحيا الناس
جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه
ومن تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعاني قوله ومن
أحياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكأنما نجى
جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الآية أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله
غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات)
يعني ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك) يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لمسرفون) يعني
بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم
ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان
يشأ يصلب وان يشأ يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبي نزلت في قوم

هلال

(تفسير النسفي)
اول كتاب فيه الاحكام (انه من قتل نفسا)
الضمير للشأن ومن شرطية (بغير نفس) بغير
قتل نفس (او فساد في الارض) عطف على
نفس أي بغير فساد في الارض وهو الشرك
او قطع الطريق وكل فساد يوجب القتل (فكأنما
قتل الناس جميعا) أي في الذنب عن الحسن
لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه
والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على
ذلك (ومن أحياها) ومن استنقذها من اسباب
الهلكة من قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك
(فكأنما أحيا الناس جميعا) جعل قتل الواحد
كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا
لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور ان قتلها
كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا
الذي اراد احياءها اذا تصور ان حكمه حكم احياء
جميع الناس رغب في احيائها (ولقد جاءتهم)
أي بني اسرائيل (رسلنا) (بالبينات) بالآيات الواضحات (ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك) بعدما كتبنا عليهم او بعد مجيء الرسل
(في الارض لمسرفون) في القتل لا يبالون
بعظمته (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)
أي اولياء الله في الحديث يقول الله تعالى من

هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الاسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في أثرهم فامر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود ان قوما من عكل أو قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم ان يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا الآية شرح غريب هذا الحديث وحكمه قوله انا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من أهل المدن والريف هو الارض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف (ويسعون في الارض فسادا) يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد

(سورة المائدة) (ويسعون في الارض فسادا) مفسدين ويجوز ان يكون أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة

فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء في لفظة أو المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفي من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر ابن الخطاب أول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزي في الدنيا) أي عذاب وهوان وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من اجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور) يعني لمن تاب من الشرك (رحيم) يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا آمن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن واصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع وأما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا آمن لم يطالب بشيء الا اذا أصيب عنده مال بعينه فانه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي غير أن مالكا قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما أصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن أبي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى أبي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا

(تفسير النسفي)

وخبر جزاء (أن يقتلوا) معمول له أي للفساد وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل (أو يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل وأخذ المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم) ان أخذوا المال (من خلاف) حال من الايدي والارجل أي مختلفة (أو ينفوا من الارض) بالحبس اذا لم يزيدوا على الاخافة (ذلك) المذكور (لهم خزي في الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) فتسقط عنهم هذه الحدود لا ما هو حق العباد (فاعلموا ان الله غفور رحيم) يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم

مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل أن يقدر علي فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادي وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بني آدم من قصاص أو مظلمة في مال أو غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله بترك المنهيات (وابتغوا اليه الوسيلة) يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر *ان الرجال لهم اليك وسيلة* أي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أي تحببوا الى الله عز وجل (وجاهدوا في سبيله) أي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته (لعلكم تفلحون) يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل (ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) المقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك ايسر من هذا وأنت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا أدخلك النار وادخلك الجنة فأبيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك ان لا تشرك بي (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا جاءهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم (ولهم عذاب مقيم) يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا قوله عز وجل (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) قال ابن السائب نزلت في طعمة بن أبيرق وقدمنا قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحد بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وانما قال أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شيء وجد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى (جزاء بما كسبا) يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم (نكالا من الله) يعني عقوبة من الله (والله عزيز) في انتقامه ممن عصاه (حكيم) يعني فيما أوجبه من قطع يد السارق

(فصل في بيان حكم الآية وفيه مسائل *المسئلة الاولى* اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا اهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود

(سورة المائدة) (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) فلا تؤذوا عباد الله (وابتغوا اليه الوسيلة) هي كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات (وجاهدوا في سبيله لعلكم تعلمون ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا) من صنوف الاموال (ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم وأنفقوها (ليفتدوا به) ووحد الراجع في ولو مع ما في حيزه خبران وقد ذكر شيئان لانه أجرى الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه (يريدون ان يخرجوا من النار) يطلبون او يتمنون (وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) دائم (والسارق والسارقة) ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو الخبر (فاقطعوا أيديهما) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من الجراءة وهي في الرجال اكثر واخر الزاني لان الزنى ينبعث من الشهوة وهي في النساء اوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنى تفاديا عن قطع النسل (جزاء بما كسبا) مفعول له (نكالا من الله) أي عقوبة منه وهو بدل من جزاء (والله عزيز) غالب لا يعارض في حكمه (حكيم) فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة

الله ثم قام فاختطب ثم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه * المسئلة الثانية * اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار فان سرق ربع دينار او متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك واحمد واسحاق الى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية الاولى اصح وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينارا او عشرة دراهم أخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز او غير حرز * المسئلة الثالثة * الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيئا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي له او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد ان يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة (قوله) غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذ في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابي حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فان هذه الرواية عن ابي حسين عن عمرو بن ابي شعيب عن ابيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص (قوله) ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث أنه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق

قطع لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هى الشاة التى يدركها الليل قبل ان تصل مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذى تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع اخرجه الترمذى والنسائى *المسئلة الرابعة* اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه *المسئلة الخامسة* اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى أنه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابى بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعى لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوى بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن على انه قال انى استحى ان لا ادع له يدا يستنجى بها ولا رجلا يمشى بها وهذا قول الشعبى والنخعى والاوزاعى وبه قال احمد واصحاب الرأى قوله تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه) يعنى من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعنى واصلح العمل فى المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعنى فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعنى لمن تاب (رحيم) به

(فصل) وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه فى المستقبل عن ابى امية المخزومى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فأعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع ثم جىء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله وأتوب اليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائى بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثورى واصحاب الرأى لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمى فلا يمتنع احدهما بالآخر والله اعلم قوله عز وجل (ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مدبر أمر ما فى السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شئ مما اراده فيهما لان ذلك كله فى ملكه واليه امره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك فى الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه فى مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة فى قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصى لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافى ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء واراد لا اعتراض لاحد عليه فى ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه قوله تعالى (يا أيها الرسول) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبى فى مواضع من كتابه وبيا أيها الرسول فى موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين

(سورة المائدة)
(فمن تاب) من السرقة (من بعد ظلمه) سرقه
(وأصلح) برد المسروق (فان الله يتوب عليه)
يقبل توبته (ان الله غفور رحيم) بغفر ذنبه
(ألم تعلم) يا محمد أو يا مخاطب (ان الله
له ملك السموات والارض يعذب من يشاء) من
مات على الكفر (ويغفر لمن يشاء) لمن تاب
عن الكفر (والله على كل شئ) من التعذيب
والمغفرة وغيرهما (قدير) قادر وقدم التعذيب
على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة (يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين

يسارعون في الكفر) يعني لا تهتم بهم ولا تهتم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من
الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر
وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) اى وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما
ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير
الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم
سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن
الذين هادوا سماعون للكذب اى ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب
أى يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من
فلان أى لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا
عليه وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون (لقوم آخرين) وهم أهل خيبر
(لم يأتوك) يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد * ذكر القصة في ذلك * قال علماء التفسير ان رجلا
وامرأة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت
اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم
ولكن الضرب فأرسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا
منهم مستخفين وقالوا لهم سألوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان أمركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم
بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير
وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد
احصنا فنحب ان تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يأمركم بما تكرهون ثم
انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي
الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا
ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فاخبرهم بذلك
فأبوا ان يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال
فأي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة
قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي
قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تحكمونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لابن صوريا انشدتك بالله الذي لا اله الا هو والذي انزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر
وفلق لكم البحر وأنجاكم واغرق آل فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل
عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي
ذكرتني به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك
يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليهما الرجم فقال
ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا
أخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنى في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر
في امرأة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا الابن عم الملك فقلنا
تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد

(تفسير النسفي)

يسارعون في الكفر) أي لا تهتم ولا تبال
بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما
يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن
موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم
يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا
فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم فيه
أسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها
(من الذين قالوا) تبيين لقوله الذين يسارعون
في الكفر (آمنا) مفعول قالوا (بأفواههم)
متعلق بقالوا أي قالوا بأفواههم آمنا (ولم
تؤمن قلوبهم) في محل النصب على الحال
(ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين
قالوا أي من المنافقين واليهود ويرتفع (سماعون
للكذب) على انه خبر مبتدأ مضمر أي
هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون
مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف
على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى
سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا
عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان
والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك) أي سماعون منك لاجل قوم آخرين
من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا

اربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار
ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا
عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد ناشدني بالتوراة ولولا
خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته وامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال
اللهم انى أول من احيا أمرك اذ أماتوه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها
الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن
سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما النبى صلى الله
عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية اخرى لهما قال اتى النبى صلى
الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما
قال فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقالوا لرجل ممن يرضون اعور اقرأ فقرأ حتى انتهى
الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم
ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يجنى زاد فى رواية أخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب
المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى محمم مجلود فدعاهم
فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذى انزل التوراة
على موسى هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم اخبرك نجد الرجم ولكنه
كثر فى اشرافنا فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع
على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انى اول من احيا امرك اذ اماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وان أمركم بالرجم
فاحذروه فأنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله
فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد
الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبى صلى الله
عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه
وسلم كان قد اوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها او اخبره بذلك
من اسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى
الله عليه وسلم حين كتموه قوله تعالى (يحرفون الكلم) يعنى يغيرون حدود الله التى اوجبها عليهم فى التوراة
وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم
بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به (من بعد
مواضعه) يعنى من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد
قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال فى موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه
فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات
الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك
النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه
ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة
من الكتاب ففى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفى قوله من بعد مواضعه

(سورة المائدة) منك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع يحرفون صفة لقوم كقوله لم يأتوك او خبر لمبتدا محذوف أى هم يحرفون والضمير مردود

اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتم هذا فخذوه) يعني ان أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه (وان لم تؤتوه فاحذروا) يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه (ومن يرد الله فتنته) يعني كفره وضلالته (فلن تملك له من الله شيئا) يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية (لهم في الدنيا خزي) يعني للمنافقين واليهود أما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فبأخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود (سماعون للكذب أكالون للسحت) نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك ولذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابوداود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل (فان جاؤك) يعني اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فأنزل الله هذه الآية يخير نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

(فصل) اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك ان أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فأما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعني بالعدل

(تفسير النسفي)

(يقولون ان أوتيتم هذا) على لفظ الكلام ويقولون مثل المحرف المزال عن مواضعه و يكون حالا من الضمير في يحرفون (فخذوه) واعلموا انه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وافتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) فاياكم واياه فهو الباطل روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله عليه السلام عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم وأبوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا يريد الكفر (فلن تملك له من الله شيئا) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء (أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) عن الكفر وهو حجة لنا عليهم لعلمه منهم اختيار الكفر (لهم في الدنيا خزي) للمنافقين فضيحة واليهود جزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أيضا أي التخليد في النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله (أكالون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا يأخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وبالتثقيل مكي وبصري وعلي (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) لان الله تعالى لن يقدروا على الاضرار بك (وان حكمت فاحكم بينهم) يعصمك من الناس بالقسط

والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذ من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين مبني على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) هذا تعجب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم (وما أولئك) يعني اليهود (بالمؤمنين) يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين لك قوله عز وجل (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد مضى بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تعا كموا فيه والنور هو الكاشف لشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوات والمعاد (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل ألوفا من الانبياء ليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أي انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يراقبهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا (والربانيون والاحبار) أما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه أحبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث

(سورة المائدة) (ان الله يحب المقسطين) العادلين بالعدل (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهي مبتدأ وخبره عندهم (ثم يتولون من بعد ذلك) عطف على يحكمونك أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم كما يدعون (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدي للحق (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعني النبيين الذين بعدوا وهو وصف أجري للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم (الذين أسلموا) انقادوا لحكم الله في التوراة (للذين هادوا) تابوا من الكفر واللام تتعلق بيحكم (والربانيون) الزهاد (والاحبار) معطوفان على النبيون أي الزهاد

يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه وانما سمى العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بأن يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا عليه شهداء) يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وامامن خفي عليه النص او اخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاء فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم وأخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان

(تفسير النسفي) استودعوا وقيل
والعلماء (بما استحفظوا) ... (من كتاب
الله) ويجوز أن يكون بدلا من بها في يحكم بها والضمير في استحفظوا للأنبياء
والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من
الله أي كلفهم الله حفظه أو للربانيين والأحبار ويكون الاستحفاظ من
الأنبياء (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهي
للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل
خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد (واخشون) في مخالفة أمري وبالياء فيهما سهل
وافقه أبو عمرو في الوصل (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه
الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به (فأولئك هم
الكافرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم جاحدا فهو كافر وإن لم يكن جاحدا فهو
فاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو

بنو النضير اذا قتلوا من قريظة أدوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى (والعين بالعين) يعني تفقأ بها (والانف بالانف) يعني يجدع به (والاذن بالاذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلع بها واما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرهما واما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكره قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآمدي من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى (فمن تصدق به) يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني (فهو كفارة له) في هاء له قولان أحدهما ان الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح أو ولي المقتول اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشئ من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص الا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله تعالى وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون) يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل قوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بأن التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار

(سورة المائدة)
عام في اليهود وغيرهم (وكتبنا عليهم فيها)
وفرضنا على اليهود في التوراة (أن النفس)
مأخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق
(والعين) مفقوءة (بالعين والانف) مجدوع
(بالانف والأذن) مقطوعة (بالأذن والسن)
مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) أي ذات
قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص .
والا فحكومة عدل وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت
وقوله أن النفس بالنفس يدل على ان المسلم
يقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحر بالعبد نصب
نافع وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على
ما عملت فيه أن ورفعها علي للعطف على محل ان
النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس
اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب الباقون الكل
ورفعوا الجروح والأذن بسكون الذال حيث
كان نافع والباقون بضمها وهما لغتان كالسحت
والسحت (فمن تصدق) من أصحاب الحق (به)
بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق
به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه السلام من
تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته
أمه (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون)
بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قفيت الشئ
بالشئ جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال قفاه
يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين
الذين اسلموا (بعيسى بن مريم مصدقا) هو حال من
عيسى (لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل
فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من
التوراة) أي وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى
ونور ومصدقا فنصب مصدقا بالعطف على ثابتا
الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع

للاول لان في الاول الاخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بأن الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للمتقين) انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل قوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا اليك يا محمد القرآن (بالحق) يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على انبيائه (ومهيمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهيمن لنبينا * والحق يعرفه ذوو الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعني اذا ترافع أهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزله الله اليك (ولا تتبع أهواءهم) يعني ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن (عما جاءك من الحق) يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار فمعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هي التي أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

(تفسير النسفي)

هدى ونور بيانا الذي قام مقامه فيه (وهدى وموعظة) انتصبا على الحال أي هاديا وواعظا (للمتقين) لانهم ينتفعون به (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم حمزة على انها لام كي أي وقفينا ليؤمنوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز ان يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أي القرآن فحرف التعريف فيه للعهد (بالحق) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا (مصدقا) حال من الكتاب (لما بين يديه) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لان ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون (ومهيمنا عليه) وشاهدا لانه يشهد لها بالصحة والثبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) أي بما في القرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) نهى ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن فكأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير ولا تتبع أهواءهم عادلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة (ومنهاجا) وطريقا واضحا واستدل به من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام

والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي ابن أبي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ليبلوكم) يعني ولكن أراد أن يختبركم (فيما آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف (فاستبقوا الخيرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا أمة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن أسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأن احكم بينهم بما أنزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي أنزله الله في كتابه (ولا تتبع أهواءهم) يعني فيما أمروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما أنزلت في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه في أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وقوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله اليك في كتابه واتباع أهوائهم (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الآخرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون) يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا أخذوا

ثم انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب بل للحكم به فقال في الاول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم أهل الانجيل وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (الى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات (جميعا) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه في تقدير اليه ترجعون (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل (وأن احكم) معطوف على بالحق أي أنزلنا اليك الكتاب بالحق وبان احكم (بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك) أي يصرفوك وهو مفعول له أي مخافة ان يفتنوك وانما حذره وهو رسول مأمون لقطع اطماع القوم (عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) أي بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فان الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لخارجون عن أمر الله (أفحكم الجاهلية يبغون) يطلبون وبالتاء شامي يخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه

منا مائة وأربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعني أي حكم أحسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في أحكامه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة ابن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فاني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا ألحق بفلان اليهودي وآخذ منه امانا اني أخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا ألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه امانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه أشار اليه انه الذبح وانه يقتلكم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا واعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله وأخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء (بعضهم أولياء بعض) يعني ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى أحدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روي ان أبا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعني مسلما أما سمعت قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أبعدهم الله قلت انه لا يتم أمر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق (يسارعون فيهم) يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا أهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وفي اصحابه من المنافقين (يقولون) يعني المنافقين (نخشى ان تصيبنا دائرة) الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التي تدول والمعنى يقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم أمر

(تفسير النسفي)

الآية وناصب أفحكم يبغون (ومن أحسن)
مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي
لا أحد أحسن (من الله حكما) هو تمييز واللام في
(لقوم يوقنون) للبيان كاللام في هيت لك أي
هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون
فانهم هم الذين يتيقنون ان لا أعدل من الله
ولا أحسن حكما منه وقال أبو علي معنى لقوم
عند قوم لان اللام وعند يتقاربان في المعنى
ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين (يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)
أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم
وتؤاخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم
علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض)
وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على ان الكفر
كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) من
جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين
(ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لا يرشد الذين
ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة (فترى الذين في
قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون) حال أو
مفعول ثان لاحتمال ان يكون فترى من رؤية
العين أو القلب (فيهم) في معاونتهم على المسلمين
وموالاتهم (يقولون) أي في أنفسهم لقوله على
ما أسروا (نخشى ان تصيبنا دائرة) أي حادثة

محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد (فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده) قال المفسرون
عسى من الله واجب لان الكريم اذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له
والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على الاديان كلها
واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه
ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم أو أمر
من عنده يعني انه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب
ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى في قلوبهم الرعب فأخلوا ديارهم وخربوها بأيديهم ورحلوا
الى الشام وقوله تعالى (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) يعني فيصبح المنافقون الذين
كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم ان أمر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود
(ويقول الذين آمنوا) يعني ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين (أهؤلاء
الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند
ما أظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى) ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد أيمانهم انهم لمعنا ومن
أنصارنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين
في أيمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم) أي بطل كل خير عملوه لاجل ما أظهروا من النفاق وموالاة
اليهود (فأصبحوا خاسرين) يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب
أعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) يعني من
يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان
فيختار اما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وانما ضر نفسه برجوعه
عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد
موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبر انه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى
عشر فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار
وهو الاسود العنسي وكان كاهنا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على
يد فيروز الديلمي بيته وقتله فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في آخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم
قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
أما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستأتي قصة قتله
فيما بعد وبنو أسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر
الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم
الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة
عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى (فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه) فقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر واصحابه الذين قاتلوا أهل الردة
ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا أهل المدينة

(سورة المائدة)
تدور بالحال التي يكونون عليها (فعسى الله ان
يأتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على اعدائه واظهار المسلمين (أو أمر من عنده)
أي يؤمر النبي عليه السلام باظهار أسرار المنافقين
وقتلهم (فيصبحوا) أي المنافقون (على ما أسروا
في أنفسهم) من النفاق (نادمين) خبر فيصبحوا
(ويقول الذين آمنوا) أي يقول بعضهم
لبعض عند ذلك ويقول بصري عطفا على ان
يأتي يقول بغير واو شامي وحجازي على انه جواب
قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقيل
يقول الذين آمنوا (أهؤلاء الذين أقسموا بالله
جهد أيمانهم انهم لمعكم) أي أقسموا لكم
باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على
الكفار وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال
أي مجتهدين في توكيد أيمانهم (حبطت
أعمالهم) ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة
لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل
شهادة لهم بحبوط الاعمال لهم وتعجيبا من سوء
حالهم (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والعقبى
لفوات المعونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن
دين الاسلام الى ما كان عليه الكفر يرتدد
مدني وشامي (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثني عليهم
بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته
عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان
واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين
وفي صحة خلافته خلافة عمر رضي الله عنهما
وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على
عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان
معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس والراجع
من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف

واهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا أوقال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه عليه فى الانتهاء وقال أبو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من ابى بكر الصديق لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال أهل الردة وقالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابى بكر مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة فكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام أراد بذلك وحشى انه فى حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفى حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم أبى موسى الاشعرى روى عن عياض بن غنم الاشعرى قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعنى أبا موسى الاشعرى أخرجه الحاكم فى المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم أهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدى نزلت فى الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على اظهار الدين وقيل هم أحياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من اخلاط الناس جاهدوا فى سبيل الله يوم القادسية فى خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبى معرضا بأن يحبه والمحبة ارادة ما تراه أو تظنه خيرا ومحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وان يثيبه أحسن الثواب على طاعته وان يثنى عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن أبى طالب اذلة على المؤمنين يعنى أهل رقة على اهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم فى دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعنى انهم أشداء اقوياء فى انفسهم وعلى اعدائهم (يجاهدون فى سبيل الله) يعنى انهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم)

(تفسير النسفى)

معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم (أذلة) جمع دليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذى هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لايجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته (يجاهدون فى سبيل الله) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واعزة واذلة (ولا يخافون لومة لائم) الواو يحتمل ان تكون للحال أى يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فيجاهدون لله لا يخافون لومة لائم وان تكون للعطف أى من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى أمر من امور الدين لا تزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم

(لائم) يعني لايخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لايخاف في نصرة لدين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين اعانهم الله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لاننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك اشارة الى ماتقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم (والله واسع عليم) يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أوالي الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لايجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني أن يكون المراد منه ان من شأنهم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لايفسدها والقول بالعموم أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن أبي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ماروي عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد ابن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فان حزب الله) يعني انصار دين الله (هم الغالبون) لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبه يعني همه قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) قال ابن عباس كان رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود (والكفار) يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعني لاتتخذوهم أولياء والمعنى أن أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يامعشر المؤمنين هزوا وسخرية فلاتتخذوهم انتم أولياء وأنصارا (واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني مؤمنين حقا لان المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل

واحد من اللوام (ذلك) اشارة الى ماوصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع ومحل (الذين يقيمون الصلاة) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (ويؤتون الزكاة) والواو في (وهم راكعون) للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة قيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد صلاته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وعلى ان الفعل القليل لايفسد الصلاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يتخذه وليا ويكن وليا (فان حزب الله هم الغالبون) من اقامة الظاهر مقام المضمر أي فانهم هم الغالبون أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لايغالب وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم أي اصابهم وروي ان رفاعة بن زيد وسويد ابن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لايصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة (من الذين أوتوا الكتاب) من للبيان (من قبلكم والكفار) أي المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار (أولياء واتقوا الله) في موالاة الكفار (ان كنتم مؤمنين) حقا لان

قوله تعالى (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً) قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل إن الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا الأذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع بمثله فيما مضى من الأمم قبلك فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح كصياح العير فما أقبح هذا الصوت وما أسمج هذا الأمر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله الآية وأنزل وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعني أن هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزواً ولعباً (هل تنقمون منا) يعني هل تكرهون منا أو تعيبون علينا (إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين إلا الإيمان بالله وبما أنزل إلينا وبما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر أو ينقم به وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

يعني أنه ليس فيهم عيب إلا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم ثم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازر وزيد وخالد وإزار ابن أبي إزار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فأنزل الله هذه الآية وقيل إنهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا (وأن أكثركم فاسقون) يعني إنما كرهتم إيماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بأنا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لأن الله علم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله قوله عز وجل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) هذا جواب اليهود لما قالوا ما نعرف ديناً شراً من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من إيماننا بالله وبما أنزل علينا (مثوبة عند الله) يعني جزاء فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان لأنها في معنى الثواب فكيف جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فإن قلت هذا يقتضي أن الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لأنه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم أن الأمر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه أن الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فإن اليهود حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم إن الأمر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى (من لعنه الله) معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لأن الغضب إرادة الانتقام من العصاة (وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من لعنه الله

(تفسير النسفي)

الإيمان حقاً يأبى موالاة أعداء الدين (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها) أي الصلاة أو المناداة (هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) يعني هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وأن أكثركم فاسقون) وهو عطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون والمعنى أعاديتمونا لأنا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقتم لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أكثركم فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي ثواباً وهو نصب على التمييز والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان ولكنها وضعت موضع العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب أليم وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم (من لعنه الله) شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أي الإيمان أي بشر مما نقمتم من إيماننا ثواباً أي جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعني أصحاب السبت (والخنازير) أي كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت وشبانهم مسخوا قردة

وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجملته ان كل من أطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أولئك) يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين (شر مكانا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه (وأضل عن سواء السبيل) يعني واخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت في اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج (والله أعلم بما كانوا يكتمون) يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل (وترى كثيرا منهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم (يسارعون) المسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون (في الاثم والعدوان واكلهم السحت) لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كانهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السحت فلذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى (لولا) يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) يعني الكذب (واكلهم السحت) والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت (لبئس ما كانوا يصنعون) يعني الاحبار والرهبان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس أموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الاول أصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل

(سورة المائدة)

ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة وهو معطوف على القردة والخنازير أي جعل الله منهم عبد الطاغوت (أولئك) الممسوخون الملعونون (شر مكانا) جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة (وأضل عن سواء السبيل) عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وهو متعلق بقالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه حالهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثيرا منهم) من اليهود (يسارعون في الاثم) الكذب (والعدوان) الظلم او الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة (واكلهم السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد (وقالت اليهود يد الله

قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسند الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) يعني أمسكت أيديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت أيديهم أي في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أي شدت أيديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا في لعنتهم أنهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه أحدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى أولي الأيدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح أي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان أحدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان أي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس حتى يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة أجاب أصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم أنه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن أبي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لامتنع كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق

والتكوين

(تفسير النسفي)

مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) روي ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا عليه السلام كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالا فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعل لليأس الذي هو من المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله او تغل في جهنم فهي كأنها غلت وانما ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وغاية

والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بان الاسم اذا ثنى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس ايضا قالوا وخطأ في كلام العرب ان يقال ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الدرهم اذا ثنى لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم في أيدى الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الواحد يؤدى عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعنى انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث أيضا أحد أحاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعنى كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعنى القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل التى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شئ من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) يعنى كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم أفسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم أهل الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأه الله تعالى وقال السدي كلما أجمعوا أمرهم على شئ ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون في الارض فسادا) يعنى ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل وليس يقدرون على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله (ولادخلناهم جنات النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) يعنى أقاموا أحكامهما بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر أهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما أمرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان

(سورة المائدة)

ما ينبغي له السخي ان يعطيه بيديه (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة (وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود (ما أنزل اليك من ربك) من القرآن (طغيانا وكفرا) أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم عنادا في الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فكلمتهم أبدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا في بلد الا وقد وجدته من اذل الناس (ويسعون في الارض فسادا) ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع (واتقوا) اي وقرنوا ايمانهم بالتقوى (لكفرنا عنهم سيئاتهم) ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل) اي أقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من

بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن وقوله تعالى (وما أنزل اليهم من ربهم) فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب أرمياء وزبور داود وفي هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما أنزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني ان اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله أنهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم أمة مقتصدة) أي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله ابن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا (وكثير منهم) يعني من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساء ما يعملون) يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره بأن يقول لهم يا أهل الكتاب لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في أمر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن أحدا ولا تترك شيئا مما أنزل اليك من ربك وان أخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما أنزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئا مما أوحي اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين

نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم من ربهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن (لأكلوا من فوقهم) يعني الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (وكثير منهم ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جميع ما أنزل اليك وأي شيء أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف ان ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) رسالاته مدني وشامي وأبو بكر أي فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس أولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن قالت الملحدة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد فهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل اليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا أو بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم

وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه في يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شئ من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شئ مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم أحدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد ألست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم ان تبينوه للناس فأنا برئ من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الكافرين) يعني فلا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل أهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابئين وكذا قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا لانه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبؤا عن الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبؤا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في أول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته ان المنافقين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم من

تبلغ أصلا او بلغ ذلك غير خائف أحدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته او نزلت بعد ما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لبطلانه (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب (فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تتأسف عليهم فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك (ان الذين آمنوا) بألسنتهم وهم المنافقون ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبويه وجميع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والصابئون كذلك أي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله

فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فاني وقيار بها لغريب

أي فاني لغريب وقيار كذلك ودل اللام على انه خبران ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على ان الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان

قيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أى بألسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة وأشرفهما الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على ان أشرف اقسام الايمان هذان القسمان وفى قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى فى الآخرة قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) يعنى أخذنا العهود عليهم فى التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه (وأرسلنا اليهم رسلا) يعنى لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) يعنى بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعنى من الرسل الذين جاءتهم (وفريقا يقتلون) يعنى من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى (وحسبوا) يعنى وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (أن لا تكون فتنة) يعنى ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذى فعلوه وانما حملهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى الآخرة (فعموا وصموا) يعنى أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل فى زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبنى اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه (ومأواه النار) يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة (وما للظالمين) يعنى وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك (من انصار) يعنى ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل

هـا الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هى خبر ان والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون فى دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا تهوى أنفسهم) بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل كانه يقول كيف فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وحسبوا أن لا تكون) حمزة وعلى وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله انه لا تكون فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند اليه مسد مفعولى حسب (فعموا وصموا) فلم يعملوا بما أبصروا أو لا بما سمعوا او فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصموا كثير منهم) هو بدل من الضمير اى الواو وهو بدل البعض من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اى أولئك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم فى انه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله) فى عبادته غير الله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه (ومأواه النار) أى مرجعه (وما للظالمين) أى الكافرين (من أنصار) وهو من كلام الله تعالى او من كلام عيسى عليه السلام (لقد ... واحد

٣ قوله ما يشتمل عليه صلة أن وأن أى أن وما تشتمل عليه صلتها اهـ منه

واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة او واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به انه ثالث ثلاثة آلهة لانه مامن اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بأنه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (وما من اله الا اله واحد) يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وان لم ينتهوا عما يقولون) يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أفلا يتوبون الى الله) يعني من قولهم بالتثليث (ويستغفرونه) وهذا استفهام بمعنى الامر أي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (والله غفور) يعني لمن استغفره وتاب اليه (رحيم) به وبسائر خلقه قوله عز وجل (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل) يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وامه صديقة) يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى (كانا يأكلان الطعام) فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي انظر يا محمد (كيف نبين لهم الآيات) يعني الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعني لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها (والله هو السميع العليم) يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما

كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أي ثالث ثلاثة آلهة والاشكال انه تعالى قال في الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله ربما يتجلى في بعض الازمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله (وما من اله الا اله واحد) للاستغراق أي وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له وفي قوله (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتي في فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان في اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا لشهادة عليهم بالكفر والتبعيض أي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (ما المسيح بن مريم الا رسول) فيه نفي الالوهية عنه (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول أي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الها بل الله ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى (وأمه صديقة) أي وما أمه أيضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم أبعدهما عما نسب اليهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقص لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) أي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد

في ضمائركم قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذموم ان في الدين (غير الحق) يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الهاً وكلا الغلوين مذموم (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا ذمه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله ولا تتبعوا أهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيرا) يعني من اتبعهم على ضلالتهم وأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعني واخطؤا عن طريق الحق قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود) قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف (وعيسى بن مريم) يعني وعلى لسان عيسى بن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما اكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بأنهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه (لبئس ما كانوا يفعلون) اللام في لبئس لام القسم أي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذي هذا الحديث حسن غريب قوله أكيله وشريبه وقعيده هو المؤاكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر القهر على الشيء قوله عز وجل (ترى كثيرا منهم) يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) يعني يوالون المشركين من أهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)

هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) هو عيسى عليه السلام أي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبخلق الله تعالى فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة لمصدر محذوف أي غلوا غير الحق يعني غلوا باطلا (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أي اسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) قيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم تعجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على ان ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة يعني على المسلمين في اعراضهم عنه (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)

يعني بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة (أن سخط الله عليهم) يعني بما فعلوا من موالاة الكفار (وفي العذاب هم خالدون) يعني في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث الى كافة الخلق (وما أنزل اليه) يعني ويؤمنون بالقرآن الذي انزل اليه من ربه (ما اتخذوهم أولياء) يعني ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) يعني ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأي طريق كان مثل القتل ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى (ذلك بأن منهم) يعني من النصارى (قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من النصارى مثل النجاشي وأصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى أشد واغلظ من كفر اليهود وأقبح فان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين وينكرون بعضهم والاول أقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وأصحابه الذين أسلموا معه

(ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية) قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد أمر أصحابه بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عقبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن

(سورة المائدة) لبئس شيئا قدموه لانفسهم (ان سخط الله عليهم) أي موجب سخط الله عليهم (وفي العذاب هم خالدون) أي في جهنم (ولو كانوا يؤمنون بالله) ايمانا خالصا بلا نفاق (والنبي) أي محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليه) يعني القرآن (ما اتخذوهم أولياء) يعني ان موالاة المشركين تدل على نفاقهم (ولكن كثيرا منهم فاسقون) مستمرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل اليه يعني التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود) هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز (والذين أشركوا) عطف عليهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين (ذلك بأن منهم) أي من النصارى (قسيسين ورهبانا) أي علماء وعبادا (وأنهم لا يستكبرون) علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا وان فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على ان العلم أنفع شيء وأهداه الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت

عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار الى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم مرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك الا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيى بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فأخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يعني انكم آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأرسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك أمرني ان لا آخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم فقالت قد أمر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني أبا سفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ولما بلغ أبا سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ارهى في ستين رجلا من أصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ارهى وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في أثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم

(تفسير النسفي)

في نصرانى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشي انه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء ومن في مما عرفوا لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان

الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا أربعين من نصارى نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من أهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم بقوله ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذي أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى أعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي (ربنا آمنا) يعني بالقرآن وشهدنا انه حق وصدق (فاكتبنا مع الشاهدين) يعني مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق) قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على تركهم دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا لم تركتم دينكم فأجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية وما لنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (ونطمع) يعني ونرجو بذلك الايمان (أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) يعني مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فأثابهم الله بما قالوا) يعني بالتوحيد الذي قالوا وانما علق الثواب وهو قوله تعالى (جنات تجري من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين (خالدين فيها) يعني في الجنات (وذلك جزاء المحسنين) يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) لما ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (أولئك أصحاب الجحيم) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر وعلي بن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسيحون في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول

القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفاعل في عرفوا (ربنا آمنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك وما لنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال أي غير مؤمنين كقولك مالك قائما (وما جاءنا) وبما جاءنا (من الحق) يعني محمدا عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير ونحن نطمع (ان يدخلنا ربنا) الجنة (مع القوم الصالحين) الانبياء والمؤمنين (فأثابهم الله بما قالوا) أي بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية في ان الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدمع في السياق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضاء بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد في حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان

الله صلى الله عليه وسلم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما أردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فانى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار والصوامع فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعنى الطيبات اللذيذات التى تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فأعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ أحله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مأمور بها وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعنى ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا أنفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) يعنى وكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم وأحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذى فمكروه الا على وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتنى شهوتى فحرمت على اللحم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه أعجلها نضجا أخرجه الترمذى وقوله تعالى (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) هذا تأكيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته) يعنى فكفارة ايمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم (اطعام عشرة مساكين من أوسط

المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدى شكره فقال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكبر من نعمته عليه فى الفالوذ (ولا تعتدوا) ولا تتجاوزوا الحد الذى حد عليكم فى تحليل او تحريم او ولا تتعدوا حد ما أحل لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا فى تناول الطيبات (ان الله لا يحب المعتدين) حدوده (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) حلالا حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) توكيد للتوصية بما أمر به وزاده توكيدا بقوله (الذى أنتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شئ يرى انه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف ايماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله ما يجرى على اللسان بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) أى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها وبالتخفيف كوفى غير حفص والعقد العزم على الوفاء وذا لا يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) أى فكفارة نكثه او فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التى من شأنها ان تكفر الخطيئة أى تسترها (اطعام عشرة مساكين) هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم بطريق التمليك وهو لكل أحد نصف صاع من بر او صاع من شعير او صاع من تمر وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين (من اوسط ما تطعمون أهليكم)

ماتطعمون

ماتطعمون أهليكم) يعنى من أقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فأمر الله بالعدل فى اداء الكفارة وقيل أراد بالاوسط فى القيمة فلا يكون غاليا من أعلى الموجود ولا خسيس الثمن من اردا الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل أراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله أوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ماتطعمون أهليكم وأفضله (أوكسوتهم) هو معطوف على محل أوسط أى كما تطعمون المساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم فكذلك فاكسوهم من أوسط الكسوة (أوتحرير رقبة) يعنى عتق رقبة والمراد جملة الشخص

(فصل فى حكم الآية وفيه مسائل) المسئلة الاولى فى بيان الكفارة وهى أربعة أنواع النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر مايطعم لكل مسكين فذهب قوم الى أنه يطعم لكل مسكين مد من الطعام بمد النبى صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد ابن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمر وعلى وعائشة أنه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد ابن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مد من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز فى الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد فى عشرة أيام *النوع الثانى من الكفارات الكسوة واختلف العلماء فى قدرها فذهب قوم الى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا او رداء أو قميص او عمامة أو سراويل او كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعى وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ماتجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى مايجزى فى الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال أبو موسى الاشعرى يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعى يجب ثوب جامع كالملحفة *النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب فى جميع الكفارات واجاز أبو حنيفة والثورى اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان فى كفارة القتل ومذهب الشافعى ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد فى الكفارة بالاجماع ويشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق فى الكفارة مكاتبا أو أم ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذى يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى فى اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأى عتق المكاتب فى الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا وجوز واعتق القريب فى الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لاتضر بالعمل وعند أبى حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذنين فى الكفارة *النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعنى الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام يعنى فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعى اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ماتجب فيه

(سورة المائدة)
أى غداء وعشاء من براذ الاوسع ثلاث برات مع الادام والادنى مرة من تمرا وشعير (اوكسوتهم) عطف على اطعام اوعلى محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل من اطعام والبدل هو المقصود فى الكلام وهى ثوب يغطى العورة وعن ابن عمر رضى الله عنه ازار وقميص ورداء (اوتحرير رقبة) مؤمنة اوكافرة لاطلاق النص وشرط الشافعى رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد فى كفارة القتل ومعنى او التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) احداهما (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبى وابن مسعود كذلك

الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي * المسئلة الثانية كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء أطعم وان شاء كسا وان شاء أعتق فبايها أخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة * المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شئ من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي أو عبد أو غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز * المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان اتتك عن مسئلة وكلت اليها وان أتتك من غير مسئلة أعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا أن الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام أو الكسوة او العتق وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة أو العتق او الصوم عند العجز (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم (واحفظوا أيمانكم) يعني قللوا أيمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر * قليل الالا يا حافظ ليمينه * وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى أن يحنث نفسه ويكفر لما روى عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته) يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون اليه في أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني نعمه التي انعم بها عليكم ان بين لكم آياته ومعالم شريعته قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله في هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس في اللغة الشئ الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى أبو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر

(ذلك) المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث (واحفظوا ايمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا او لا تحلفوا أصلا (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته واحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أي القمار (والانصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهي القداح التي مرت (رجس) نجس او خبيث مستقذر (من عمل الشيطان) لانه يحمل عليه فكانه عمله والضمير في (فاجتنبوه) يرجع الى الرجس او الى عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف المحذوف كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال رجس (لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتي منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر

والميسر قل فيهما إثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الأنصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل أن تحرم زاد حتى انتشينا فتفاخرت الأنصار وقريش فقالت الأنصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا حتى ثملوا وعبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا فلان أخي وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني إنما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر فيقعد حريبا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك أن الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بأمر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بأمر الدين وهي قوله تعالى (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام في الآية الأولى ثم أفرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الأنصاب والأزلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لا جرم أفردهما بالذكر في آخر الآية والله أعلم وقوله تعالى (فهل أنتم منتهون) لفظه استفهام ومعناه الأمر أي انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما للمخاطب كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الأمور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الأصنام وعدد أنواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال فهل أنتم منتهون ومعناه الأمر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وأبو داود ما أسكر الفرق منه فمل الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد أهل النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه أبو داود قوله عز وجل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني فيما

(سورة المائدة) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام اولا ثم أفردهما آخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول

أمركم به ونهاكم عنه (واحذروا) أي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فإن توليتم) يعني فإن أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا أنكم بسبب توليكم وإعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا إثم عليهم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الإباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فإن شئت حرمت النساء سواكم * وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم (إذا ما اتقوا) يعني إذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم (وآمنوا) يعني بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) أي وازدادوا من عمل الصالحات (ثم اتقوا وآمنوا) يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الأولى إخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم أنه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم أمروا باتقائها والإيمان بتحريمها (ثم اتقوا) يعني ما حرم عليهم في المستقبل (وأحسنوا) يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الأول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الإحسان إليه وقيل إن المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الإيمان والتقوى وضم الإحسان إليهما ثم قال تعالى (والله يحب المحسنين) يعني أنه تعالى يحب المتقربين إليه بالإيمان والأعمال الصالحة والتقوى والإحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الإيمان والتقوى والإحسان لأن هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له إن ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والإحسان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد) نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله الآية اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد في حالة الإحرام دون الإحلال وإنما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح وإنما هو ابتلاء سهل كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى (تناله أيديكم) يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد (ورماحكم) يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاؤوا نالوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه (ليعلم الله) أي ليرى الله فإنه قد علمه فهو مجاز لأنه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله (من يخافه

بالغيب

(تفسير النسفي)

واحذروا) وكونوا حذرين خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة (فإن توليتم) عن ذلك (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أي فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما (إذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) بعد الإيمان (ثم اتقوا) الخمر والميسر بعد التحريم (وآمنوا) بتحريمهما (ثم اتقوا) سائر المحرمات أو الأول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات (وأحسنوا) إلى الناس (والله يحب المحسنين) ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم نزل (يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم ومن للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه

بالغيب) يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيئا بعد النهي (فمن اعتدى بعد ذلك) يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي (فله عذاب أليم) يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوشع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لأنه قد سمي الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) جمع حرام أي لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام وأحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في أبي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش مأكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهن (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور وقال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لأن الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الأعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة قوله تعالى (ومن قتله منكم متعمدا) قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء أما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لأنه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما اذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني ألحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا وهذا قول شاذ لا يؤخذ به (فجزاء مثل ما قتل من النعم) يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي بالخلقة أم بالقيمة والذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لأن ظاهر الآية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لأن الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب أن يكون في سائر الصور كذلك لأن اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد وأجيب عنه بأن حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها بأقصى الامكان وان لم تمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وحكموا في حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي شاة وفي الأرنب سخلة وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الأطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي أصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس

(سورة المائدة)

(فمن اعتدى بعد ذلك) الابتلاء فصاد (فله عذاب أليم) قال في قوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من العتو العظام وتناله صفة لشيء (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) أي المصيد اذ القتل انما يكون فيه (وأنتم حرم) أي محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا (ومن قتله منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أي ذاكرا لاحرامه أو عالما ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه أو رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ (فجزاء مثل ما قتل) كوفي أي فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما مر (فجزاء مثل) على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أي فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد اثم من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير في قتل اذ المقتول

انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين ينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى أبي بكر الصديق فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر أبي بن كعب فقال الاعرابي انى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء أمرناك به وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعني ان الكفارة هدي يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدي الى الكعبة (أو كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما) ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الآية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى (ليذوق وبال امره) يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه انهاك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل التحريم (ومن عاد) يعني الى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف (والله عزيز ذو انتقام) يعني ممن عصاه واذا أتلف المحرم شيئا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما وقوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد

يكون من النعم أو صفة لجزاء (يحكم به) بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى لا بالصورة او بالصورة بلا معنى ولان القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم بيانا في تفسير المثل بالقيمة قلت من اوجب القيمة خير بين ان يشتري بها هديا أو طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي أو يكفر بالطعام او الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الضمير في به أي يحكم به في حال الهدي (بالغ الكعبة) صفة لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم (او كفارة) معطوف على جزاء (طعام) بدل من كفارة او خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام او كفارة طعام على الاضافة مدني وشامي وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل او كفارة من طعام (مساكين) كما تقول خاتم فضة أي خاتم من فضة (او عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحمل يقال عندي غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان أريد ان قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح (ذلك) اشارة الى الطعام

ماصيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فأما طعامه واختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابى بكر وعمر وابن عمر وابى ايوب وقتادة وقيل صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فأما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه ابوداود والترمذى والنسائى ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل أكله وقال ابوحنيفة لايحل الا ان يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلايحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لايكون بالسرطان بأس واختلفوا فى الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لايحل للمحرم اكله فى حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر فى الجرادة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل مافى البحر الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابى ليلى ومالك يباح كل مافى البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل مالا يؤكل نظيره فى البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلايحل اكله قوله تعالى (متاعا لكم وللسيارة) يعنى ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) ذكر الله عزوجل تحريم الصيد على المحرم فى ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها فى اول السورة وهو قوله غير محلى الصيد وانتم حرم والثانى قوله ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لايحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثورى واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثى انه اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مافى وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه فى الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وابى هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعى واحمد واصحاب الرأى ويدل عليه ماروى عن ابى قتادة الانصارى قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى منزل فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنونى واحبوا لو انى ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولونى السوط والرمح قالوا لا والله لانعينك عليه فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا فى اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شئ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هى طعمة اطعمكموها الله وفى رواية هو حلال فكلوه وفى رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد أمره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا مابقى من لحمها أخرجاه فى الصحيحين وأجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب ابن جثامة بانه انما رده النبى صلى الله عليه وسلم لانه ظن أنه انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ماصيد لاجله (واتقوا الله) يعنى فلا تستحلوا الصيد فى حال الاحرام ولا فى الحرم ثم حذرهم بقوله (الذى اليه تحشرون) يعنى فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عزوجل (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمى البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه

(صياما) تمييز نحو لى مثله رجلا والخيار فى ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين (ليذوق وبال أمره) متعلق بقوله فجزاء أى فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا أى ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذى يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفا الله عما سلف) لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) الى قتل الصيد بعد التحريم او فى ذلك الاحرام (فينتقم الله منه) بالجزاء وهو خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (والله عزيز) بالزام الاحكام (ذو انتقام) لمن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد فى البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده (متاعا لكم) مفعول له أى أحل لكم تمتيعا لكم (وللسيارة) وللمسافرين والمعنى أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت فى مسيره الى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ماصيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش فى الماء فى بعض الاوقات كالبط فانه برى لانه يتولد فى البر والبحر له مرعى كما للناس متجر (مادمتم حرما) محرمين (واتقوا الله) فى الاصطياد فى الحرم او فى الاحرام (الذى اليه تحشرون) تبعثون فيجزيكم على أعمالكم (جعل الله الكعبة) أى صير (البيت الحرام)

بدل او عطف بيان (قياما) مفعول ثان او جعل بمعنى خلق وقياما حال (للناس) أى انتعاشا لهم فى أمر دينهم ونهوضا الى اغراضهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) والشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان فى اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله او أريد به جنس الاشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم (والهدى) ما يهدى الى مكة (والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهو البدن فالثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه اظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما أو الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) أى لتعلموا ان الله يعلم مصالح ما فى السموات وما فى الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا ان الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وان الله غفور) لآثام من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى الملتجئ الى البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) لما اخبر انه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر انه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهم فيعاقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر وقيل هو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديئهم (يا أولى الالباب) أى العقول الخالصة (لعلكم تفلحون) كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء امتحانا فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين

عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم أن يصطاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى (قياما للناس) أصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما فى أمر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك وأما فى امر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شئ ويأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقى الرجل قاتل ابيه اوابنه فى الحرم لم يهجه واما فى أمر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التى تقام عنده اسبابا للعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس (والشهر الحرام) يعنى وجعل الشهر الحرام قياما للناس وأراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الفرد يعنى وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون فى الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس (والهدى والقلائد) يعنى وكذلك جعل الهدى والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يأمنون بسوق الهدى الى البيت الحرام على انفسهم وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى علم فى الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما فى السموات وما فى الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى لمن انتهك محارمه واستحلها (وان الله غفور رحيم) يعنى لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى (ما على الرسول الا البلاغ) يعنى ليس على رسولنا الذى ارسلناه اليكم الا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففى الآية تشديد عظيم فى ايجاب القيام بما أمر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر فى التفريط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه شئ من احوالكم ظاهرا وباطنا (قل لا يستوى الخبيث والطيب) يعنى الحلال والحرام فى الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردىء والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعنى ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتى فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت فى شريح بن ضبيعة البكرى وحجاج بنى بكر وقد تقدمت القصة فى أول السورة (فاتقوا الله) يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تعتدوه (يا أولى الالباب) يعنى يا ذوى العقول السليمة (لعلكم تفلحون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من أبى فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وفى رواية أخرى ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسألني عن شئ فليسأل فلا تسألوني عن شئ إلا أخبرتكم به مادمت في مقامي فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما تقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقني بعبد أسود للحقته زاد في رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم أخرجاه في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء جمع شئ ان تبد لكم أي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني ان أمرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن أن يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ يبد لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها أنزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الآية* (عفا الله عنها) يعني عن مسئلتكم عن الاشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعني لمن تاب منكم (حليم) فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات أخرجه أبو داود والاغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها أقدام العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(سورة المائدة)

اصله شيئاء بهمزتين بينهما ألف وهي فعلاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهي مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أي قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة لاشياء أي وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم أي تغمكم وتشق عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفا الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاقبكم

عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تتكلفوا وعن أبي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا المائدة ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا أنتم شيئا فلعلكم ان أعطيتم سؤالكم ساءكم ذلك قوله تعالى (ما جعل الله) أي ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحرنا ناقته اذا شق أذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة (ولا سائبة) يعني المسيبة المخلاة (ولا وصيلة) الوصيلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها (ولا حام) الحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت خمسة أبطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلاء ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء كانت الناقة اذا تابعت ثنتي عشرة سنة اناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق اذنها ثم سيبت مع أمها وفعل بها كما فعل بأمها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك ان الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض أوغاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله أو شفي مريضي أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الانثى والحامي هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا أمر به ولكنكم أنتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم (خ) عن ابن مسعود ان أهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون وقوله تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني بقولهم ان الله أمرنا بها (وأكثرهم لا يعقلون) أراد بالاكثر الاتباع يعني أن الاتباع لا تعقل ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) يعني واذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحائر وفعلوا هذه الاشياء أضافوها الى الله كذبا تعالوا الى ما أنزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشئ (قالوا

(تفسير النسفي) (قد سألها) لا يرجع الى أشياء حتى يعدى بعن بل يرجع الى المسألة التي دلت عليها لا تسألوا أي قد سأل هذه المسألة (قوم من قبلكم) من الأولين (ثم أصبحوا بها) صاروا بسببها (كافرين) كما عرف في بني اسرائيل (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أكله الرجال وان كان أنثى أرسلت في الغنم وكذا ان كان ذكرا وأنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر به (ولكن الذين كفروا) بتحريمهم ما حرموا (يفترون على الله الكذب) في نسبتهم هذا التحريم اليه (وأكثرهم لا يعقلون) ان الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أي هلموا الى حكم الله ورسوله

حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) يعني إنما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وإن آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا أمر من الله تعالى ومعناه احفظوا أنفسكم من ملابسة الذنوب والإصرار على المعاصي لأنك إذا قلت عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم أنفسكم فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر إذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل إن المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم أنتم مهتدين فإن قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه أكثر الناس أن المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب أصحاب المعاصي فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة (عن قيس ابن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وألبستم شيعا وأذيق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال ابن عمر إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغائب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم (وعن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الآية قال أية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين منكم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب) وقيل في معنى الآية إن العبد إذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يقول إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به وعن

(سورة المائدة)

بأن هذه الأشياء غير محرمة (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أي كافينا ذلك حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذي والواو في (أولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) أي الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) انتصب أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الأفعال أي الزموا إصلاح أنفسكم والكاف والميم في عليكم في موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (لا يضركم) رفع على الاستئناف أو جزم على جواب الأمر وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد (من ضل إذا اهتديتم) كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها لا يضركم الضلال من دينكم إذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تركهما

صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب الاهواء فذكر شيئا من أمره فقلت له الا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب اذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الاقوال وأصح التاويلات عندنا في هذه الآية ما روي عن أبي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء مالزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية أوكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذي يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم أنفسكم أي احفظوا انفسكم وهذا أمر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم وقوله تعالى (الى الله مرجعكم جميعا) يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي (فينبئكم بما كنتم تعملون) يعني فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) سبب نزول هذه الآية ما روي ان تميم بن أوس الداري وعدي بن بداء خرجا من المدينة في تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى الى تميم وعدي وأمرهما ان يدفعا متاعه الى أهله اذا رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى أهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء أهل الميت الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيئا على نفسه قالا لا قالوا انا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا لا ندري انما أوصى الينا بشيء وأمرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه ومالنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال تميم برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشأم بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الى الشأم بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فمرض فأوصى اليهما وأمرهما ان يبلغا ما ترك أهله قال تميم ولما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه انا وعدي فلما أتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فاخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم

(تفسير النسفي)
مع القدرة عليهما الا يجوز (الى الله مرجعكم جميعا) رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يجزيكم على أعمالكم روي انه خرج بديل مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدوا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم

مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الأخيرة البخاري في صحيحه وأما التفسير فقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر (اذا حضر أحدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت وأردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من أهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت (أو آخران من غيركم) يعني من غير أهل دينكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى أنها ثابتة لا تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أي دين كانا من اهل الكتاب أو من عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما أخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شئ من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير ان أبا حنيفة اجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيئا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال وقوله تعالى

(سورة المائدة)

اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) ارتفع اثنان لانه خبر المبتدأ وهو شهادة بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او لانه فاعل شهادة بينكم أي فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان واتسع في بين فأضيف اليه المصدر واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الاجل (ذوا عدل) صفة لاثنين (منكم) من أقاربكم لانهم أعلم باحوال الميت (أو آخران) عطف على اثنان (من غيركم) من الاجانب (ان أنتم ضربتم في الارض) سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فأصابتكم مصيبة الموت) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في أول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو استئناف كلام او صفة لقوله او آخران من غيركم أي او آخران من غيركم محبوسان وان أنتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر او الظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي (فيقسمان بالله) فيحلفان به (ان ارتبتم) شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لا نشتري) وجواب

(ان أنتم ضربتم فى الارض) يعنى ان أنتم سافرتم فى الارض (فأصابتكم مصيبة الموت) يعنى نزل بكم أسباب الموت فأوصيتم اليهما ودفعتم مالكم اليهما (تحبسونهما) يعنى ان اتهمتموهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن يوقفوهما (من بعد الصلاة) يعنى من بعد صلاة العصر لان جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان فى بيت المقدس فعند الصخرة وفى سائر البلاد فى أشرف المساجد وأعظمها (ان ارتبتم) يعنى ان شككتم أيها الورثة فى قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع (لانشترى به ثمنا) يعنى لانبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه أو حق نجحده (ولو كان ذا قربى) يعنى ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم أكثر من غيرهم (ولا نكتم شهادة الله) انما أضاف الشهادة اليه لانه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها (انا اذا لمن الآثمين) يعنى ان كتمنا الشهادة أو خنافيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بنى سهم فأتوهما فى ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا لهما ألم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبى صلى الله عليه وسلم. (فان عثر) يعنى فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عليه (على انهما استحقا اثما) يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة (فآخران) يعنى من أولياء الميت واقربائه (يقومان مقامهما) يعنى مقام الوصيين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعنى بأمر الميت وهم أهله وعشيرته (فيقسمان بالله) يعنى فيحلفان بالله (لشهادتنا أحق من شهادتهما) يعنى ايماننا احق وأصدق من ايمانهما (وما اعتدينا) يعنى فى ايماننا وقولنا ان شهادتنا أحق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على أولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصى اذا أخذ شيئا من مال الميت وقال انه أوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما أسلم تميم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا أخذت الاناء فانا أتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى (ذلك أدنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) يعنى ذلك الذى حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد ايمانهم أدنى اى اجدر واحرى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى ان يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم) أى واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واتقوا الله) يعنى وخافوا الله أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين)

الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم فى شأنهما حلفوهما (به) بالله أو بالقسم (ثمنا) عرضا من الدنيا (ولو كان) أى المقسم له (ذا قربى) أى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا (ولا نكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وتعظيمها (انا اذا) ان كتمنا (لمن الآثمين) وقيل ان أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان أريد الوصيان لم ينسخ تحليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) فعلا ما أوجب اثما واستوجبا أن يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان أو هما بدل من الضمير فى يقومان او من آخران استحق عليهم الاوليان حفص أى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وأبو بكر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح وسموا أولين لانهم كانوا أولين فى الذكر فى قوله شهادة بينكم (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين (وما اعتدينا) وما تجاوزنا الحق فى يميننا (انا اذا لمن الظالمين) أى ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذى مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (ان يأتوا) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حملوها بلا خيانة فيها (او يخافوا ان ترد أيمان بعد ايمانهم) أى تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) فى الخيانة واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان

يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى وخان أمانته أو حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما فى القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله أعلم باسرار كتابه قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل أى لا يهديهم الى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا أجبتم) يعنى فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا أجابكم أممكم وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتموهم فى دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى وفائدة هذا السؤال توبيخ أمم الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعنى الرسل (لا علم لنا) قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما أضمروا وما أظهروا ونحن لا نعلم الا ما أظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم على أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال فى رواية أخرى معناه لا علم لنا الا علم انت أعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم. ومنه ما روى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن أى رب أصحابى فيقال لى انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك زاد فى رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدى أخرجاه فى الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال فى حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين الرازى وجها آخر وهو أن الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا أن الادب فى السكوت وفى تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) يعنى انك تعلم ما غاب عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما فى البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذى سألتنا عنه ليس يخاف عليك لانك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها الذى لا تخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك) قال بعضهم اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا أجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان أشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم فى انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد ذكر الله فى هذه الآية انواع نعمه على عيسى عليه السلام التى تدل على انه عبد وليس باله والفائدة فى ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة ٣ وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضى دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه فى هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها (وعلى والدتك) يعنى نعمته على مريم عليها السلام انه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم

(سورة المائدة)
قلت ما معنى أوهما قلت معناه ذلك أقرب من ان يؤدوا الشهادة بالحق والصدق اما لله او لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعى والجواب ان الورثة قد أدعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا او احذروا (يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) ما الذى اجابتكم أممكم حين دعوتموهم الى الايمان وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم وماذا منصوب بأجبتم نصب المصدر على معنى أى اجابة أجبتم (قالوا لا علم لنا) باخلاص قومنا دليله (انك أنت علام الغيوب) او بما أحدثوا بعدنا دليله كنت أنت الرقيب عليهم او قالوا ذلك تأدبا أى علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه لا علم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع (يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل فى (اذ أيدتك) أى قويتك نعمتى (بروح القدس) بجبريل عليه السلام أيدته لتثبت الحجة عليهم او بالكلام الذى يحيى به الدين وأضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوصام الآثام دليله (تكلم الناس فى المهد) حال أى تكلمهم طفلا اعجازا (وكهلا) تبليغا (واذ علمتك) معطوف على اذ أيدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كففت واذ اوحيت (الكتاب) الخط (والحكمة) الكلام

٣ قوله وقيل موضع اذ رفع الخ لا يلائمه قوله ومعناه الخ فليتأمل

ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى (اذ أيدتك بروح القدس) يعني جبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة (تكلم الناس في المهد) يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر (وكهلا) يعني وفي حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (واذ علمتك الكتاب والحكمة) يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أي وعلمتك التوراة التي انزلتها على موسى والانجيل الذي أنزلته عليك (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني) يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني (فتنفخ فيها) ذكر هنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة بجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيأ ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه فيعود الى الكاف يعني في ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذني) وانما كرر قوله باذني تأكيدا لكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرئ الاكمه والابرص باذني) يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر (واذ تخرج الموتى) يعني من قبورهم أحياء (باذني) تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شئ قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى (واذ كففت بني اسرائيل عنك) يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك (اذ جئتهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (ان هذا الا سحر مبين) يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل (واذ أوحيت الى الحواريين) يعني ألهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما أوحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم أصحاب عيسى وخواصه (أن آمنوا بي وبرسولي) يعني عيسى عليه السلام (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) لما وفقهم للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى (اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد أن يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل يستطيع هل يسهل عليك وهل يخف عليك أن تقوم معي فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الاسلام والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه

الحكم الصواب (والتوراة والانجيل واذ تخلق) تقدر (من الطين كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فتكون طيرا باذني) وعطف (وتبرئ الاكمه والابرص باذني) على تخلق (واذ تخرج الموتى) من القبور أحياء (باذني) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بني اسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم) ظرف لكففت (بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (واذ أوحيت) الهمت (الى الحواريين) الخواص او الاصفياء (ان آمنوا) أي آمنوا (بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) أي اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه (اذ قال الحواريون) أي اذكر واذ (يا عيسى ابن مريم) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو (هل يستطيع ربك) هل يفعل او هل يطيعك ربك ان سألته فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع ربك علي أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (ان ينزل علينا) ينزل مكي وبصري (مائدة من السماء) هي الخوان اذا كان عليها الطعام من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليها (قال اتقوا الله) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذ الايمان يوجب التقوى (قالوا نريد ان نأكل منها) تبركا (وتطمئن قلوبنا) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي (ونعلم ان قد صدقتنا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين) بما عايناه بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) أصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم (ربنا) نداء ثان

المقالة فرد الله عليهم عيسى عليه السلام بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول أصح وقيل في معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك ويعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد في الآثار من أطاع الله أطاعه كل شئ (ان ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام (قال) يعني عيسى مجيبا للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما طلبنا نزول المائدة علينا لانا نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد ان نأكل منها للتبرك بها لا الاكل حاجة (وتطمئن) قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم ان قد صدقتنا) يعني ونزداد ايمانا ويقينا بأنك رسول الله (ونكون عليها من الشاهدين) يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك (قال عيسى بن مريم اللهم) قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم (ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا) يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها أول الناس كما يأكل آخرهم (وآية منك) أي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك (وارزقنا) اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة (وانت خير الرازقين) يعني وانت خير من تفضل ورزق (قال الله) عز وجل مجيبا لعيسى (اني منزلها عليكم) يعني المائدة (فمن يكفر بعد منكم) يعني بعد نزول المائدة (فاني أعذبه عذابا) يعني جنسا من العذاب (لا أعذبه أحدا من العالمين) يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمر ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سألتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير أخرجه الترمذي وقال قد روى عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى

(سورة المائدة)
(أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا او يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم او للمتقدمين منا والاتباع (وآية منك) على صحة نبوتي ثم أكد ذلك بقوله (وارزقنا وانت خير الرازقين) واعطنا ما سألناك وانت خير المعطين (قال الله اني منزلها عليكم) بالتشديد مدني وشامي وعاصم وعد الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله (فمن يكفر بعد منكم) بعد انزالها منكم (فاني أعذبه عذابا) أي تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في (لا أعذبه) للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء (أحدا من العالمين) عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما شاؤا

وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون رأس الحواريين انت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة بحالها حين أنزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى منهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرق يأكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز بر وبقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل أنزل الله سمكا وخمسة أرغفة فأكلوا منها ما شاء الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به خيرا ثبته ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير وليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ

قوله عز وجل (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة

(تفسير النسفي)
وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا (واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) الجمهور على ان هذا السؤال يكون في يوم القيامة ودليله سياق الآية وسياقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء

وأجيب عن حرف اذ بأنه قد تجيء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعني اذا فزعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عني اذ جزى * جنات عدن في السموات العلى

ولفظ الآية في قوله أأنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وانه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وأمي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله ورأوا أن مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام (قال سبحانك) يعني تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي كيف أقول هذا الكلام ولست بأهل واستحق العبادة حتى أدعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال (ان كنت قلته فقد علمته) أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) يعني تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك أنت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قوله تعالى اخبارا عن عيسى (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) يعني ما قلت لهم الا قولا أمرتني به (أن اعبدوا الله) يعني قلت لهم اعبدوا الله (ربي وربكم) يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) يعني وكنت أشهد ما يفعلون واحضره ما دمت مقيما فيهم (فلما توفيتني) يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت (كنت أنت الرقيب عليهم) يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء (وأنت على كل شيء شهيد) يعني أنت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعدما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت العادل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفر لهم) يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك (فانك أنت العزيز) يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده (الحكيم) في أفعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول

(سورة المائدة)

دليله لفظ اذ (قال سبحانك) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول ما ليس لي بحق) أن أقول قولا لا يحق لي ان أقوله (ان كنت قلته فقد علمته) ان صح اني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى اني لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم اني لم أقله ولو قلته علمته لانك (تعلم ما في نفسي) ذاتي (ولا أعلم ما في نفسك) ذاتك ونفس الشيء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك (انك أنت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلم علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) أي ما أمرتهم الا بما أمرتني به ثم فسر ما أمر به فقال (أن اعبدوا الله ربي وربكم) فأن مفسرة بمعنى أي (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا (ما دمت فيهم) مدة كوني فيهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) الحفيظ (وأنت على كل شيء شهيد) من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) قال الزجاج علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم أي ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وأنت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم أي لمن اقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك أو عزيز قوي قادر على الثواب حكيم لا يعاقب

السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا أن النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اخرجه النسائي قوله عز وجل (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه وأما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم) يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وأمه لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كأنه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض ومن فيهن (وهو على كل شئ قدير) والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(قد تم الجزء الاول من تفسير الخازن في غاية ربيع الاول سنة ١٢٨٧ ويليه الجزء الثاني أوله تفسير سورة الانعام)

(تفسير النسفي)

الا عن حكاية وصواب (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا أي يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة من المبتدا والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمرو منطلق وبالنصب نافع على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم) بالسعي المشكور (ورضوا عنه) بالجزاء الموفور (ذلك الفوز العظيم) لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر (وهو على كل شئ قدير) من المنع والاعطاء والايجاد والافناء نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(قد تم الجزء الاول من تفسير الامام النسفي ويليه الجزء الثاني وأوله كأول الخازن)

(فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن الجليل للإمام علي بن محمد الخازن)

(تم فهرست الجزء الثاني من تفسير الخازن)

هـــــــــــــــذا

الجزء الثانى من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب
التأويل فى معانى التنزيل تأليف الشيخ
الامام الحجة المقدم العلامة قدوة الامة
وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيى
السنة علاء الدين على بن محمد
ابن ابراهيم البغدادى
الصوفى المعروف
بالخازن تغمده
الله برحمته
آمين
م

❁(وبهامشه الجزء الثانى من تفسير الامام النسفى)❁

ض ح ن

(الجزء الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تفسير سورة الانعام)

(فصل في ذكر نزولها) روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة ونزلت املا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحى الي ولم يوح اليه شئ الى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الآية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهما قالا هي مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

*(بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر أي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوي بغير سند (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عدولا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خالق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل اكرمتك وأحسنت اليك وانت تشتمني وتجحد احساني اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) يعني انه تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه أصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك أن تقبض مني فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل أرواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذي وأما قوله تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وان لم تحمدوه (الذي خلق السموات والارض) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وأفرد النور لارادة الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به الاوثان تقول عدلت هذا بذا أي ساويته به والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر او ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أي عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته (هو الذي خلقكم من طين) من لابتداء الغاية أي ابتدأ خلق أصلكم يعني آدم منه (ثم قضى أجلا) أي حكم أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ أو الاول النوم والثاني الموت او الثاني هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أي معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة

أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثاني اجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله تعالى وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعني قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو أجل مسمى عنده يعني ان ذلك الاجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره (ثم أنتم تمترون) يعني ثم أنتم تشكون في البعث قوله عز وجل (وهو الله في السموات وفي الارض) يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات (يعلم سركم وجهركم) في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من أعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض (ويعلم ما تكسبون) يعني من خير او من شر يعني في الآية سؤال وهو ان الكسب اما ان يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر ومن أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشئ على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك وأجيب عنه بأنه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والا لزم عطف الشئ على نفسه ذكره الامام فخر الدين (وما تأتيهم) يعني لاهل مكة (من آية من آيات ربهم) يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا بالحق) يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (لما جاءهم) يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) يعني فسوف يأتيهم أخبار استهزائهم اذا عذبوا في الآخرة قوله تعالى (ألم يروا) الخطاب لكفار مكة يعني ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه زمان بزمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي التابعين (مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم) يعني أعطيناهم ما لم نعطكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) مفعال من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين (فأهلكناهم بذنوبهم) يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) يعني وخلقنا من بعد هلاك أولئك أهل قرن آخرين

وفي هذه

(ثم أنتم تمترون) تشكون من المرية او تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد ان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (في السموات وفي الارض) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيهما والاول تصريح على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي وهو يعلم سركم وجهركم (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب ومن في (وما تأتيهم من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعيض أي وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا (بالحق لما جاءهم) أي بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) أي أنباء الشئ الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شئ استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلو كلمته (ألم يروا) يعني المكذبين (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء اهل كل عصر وهو ثمانون سنة او سبعون (مكناهم) في موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (في الارض ما لم نمكن لكم) التمكين في البلاد اعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) كثيرا وهو حال من السماء (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فأهلكناهم بذنوبهم) ولم يغن ذلك عنهم شيئا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم

وفي هذه الآية مايوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله ابن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس من عندي يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها (فلمسوه بأيديهم) يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ في ايقاع العلم بالشئ من الرؤية لان المرئيات قد يدخلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف الممسوس (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شئ لما سبق فيهم من علمي بهم (وقالوا) يعني مشركي مكة (لولا) يعني هلا (أنزل عليه) يعني على محمد (ملك) يعني نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) يعني لفرغ الامر ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني ولو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك هو ام آدمي وقيل في معنى الآية انا لو جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فتعودا المسئلة بحالها انا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا لانهم يظنون انه ملك وليس بملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشرا وانما كان فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (فحاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سيروا في الارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن ما في السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء

(ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في ورق (فلمسوه بأيديهم) هو للتأكيد لئلا يقولوا ٥ سكرت أبصارنا ومن المحتج عليهم العمى (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا انه نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم ألبسه اذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فأحاط بهم الشئ الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن ما في السموات والارض) من استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا منه شيئا الى غيره

المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان أجابوك والا فأخبرهم ان ذلك لله الذي قهر
كل شئ وملك كل شئ واستعبد كل شئ لا للاصنام التي تعبدونها انتم فانها اموات لا تملك شيئا ولا تملك
لنفسها ضرا ولا نفعا وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله
تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته اردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى (كتب على
نفسه الرحمة) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه
الى الاقبال عليه واخبار بأنه رحيم بعباده وانه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة ممن تاب
وأناب (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو
عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي
سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما
قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان
رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة
مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى
ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي
عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب
ولمسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها
يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (م)
عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة
رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها
والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة (ق) عن عمر قال قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبتغي اذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته
ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا
والله وهي تقدر ان لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله
تعالى (ليجمعنكم) اللام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) يعني
في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك فيه انه آت (الذين خسروا
أنفسهم) يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه
فكانوا كمن خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه (فهم لا يؤمنون)
يعني لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان قوله تعالى (وله
ما سكن في الليل والنهار) يعني وله ما استقر وقيل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر
وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو
من ساكن الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير
ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع)
لاقوالهم واصواتهم (العليم) بسرائرهم واحوالهم قوله عز وجل (قل أغير الله اتخذ وليا) قال مقاتل لما
دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله أتخذ
وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا أتخذ غير الله وليا (فاطر السموات
والارض) أي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبتدئهما (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق
ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته ان يطعم
الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غني عن الخلق ومن كان

(تفسير النسفي)
(كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شئ للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شئ بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم (لا ريب فيه) في اليوم أو في الجمع (الذين خسروا أنفسهم) نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فهم لا يؤمنون) وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم أي ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت بي المسكين ولا بك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لانهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان الى البدل والتفسير (وله) عطف على لله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أي الحر والبرد وذكر السكون لانه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا انه خالق الكل ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان (قل أغير الله اتخذ وليا) ناصرا ومعبودا وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما أدخل همزة الاستفهام على مفعول أتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض) بالجر صفة لله أي مخترعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أي ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق أي المنافع

كذلك

كذلك وجب ان يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الامة
والاسلام بمعنى الاستسلام يعني أمرت أن أستسلم لامر الله وأنقاد الى طاعته (ولا تكونن من المشركين) يعني
وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد
لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي امرني ان أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شئ
سواه وانى أخاف ان عصيت ربى فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف
عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رحمه) يعني بأن انجاه من العذاب ومن انجاه من
العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف
العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه (وذلك الفوز المبين) يعني ان صرف العذاب
وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر) يعني بشدة وبلية والضر
اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه (فلا كاشف له الا هو) يعني فلا
يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسسك بخير) يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال
الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شئ قدير) يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه
الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسك بضر
وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا
وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وان يمسسك
الله بضر أيها الانسان فلا كاشف له لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير أيها الانسان فهو على كل شئ
قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال
لي يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت
فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت
على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي
زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين
فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب
وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا ومثله بطوله في مسند أحمد بن
حنبل قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون
تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذى يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل
ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره
وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذى لا يعجزه شئ أراده ومعنى فوق
عباده هنا ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر
الذى لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال
ابن جرير الطبرى معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه
بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل
لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء
الذى تفرد به الله عز وجل (وهو الحكيم) يعني في أمره وتدبيره عباده (الخبير) يعني بأعمالهم وما يصلحهم
قوله عز وجل (قل أى شئ أكبر شهادة) قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد أرنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
ان ليس لك عندهم ذكر فأنزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون
نبوتك من قومك أى شئ أكبر شهادة يعني أعظم شهادة فان هم أجابوك والا (قل) انت يا محمد (الله

كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قل انى
أمرت ان أكون أول من أسلم) لان النبي
سابق أمته في الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا
أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل
لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله
لفظا لقيل وان لا أكون والمعنى أمرت بالاسلام
ونهيت عن الشرك (قل انى أخاف ان عصيت
ربى عذاب يوم عظيم) أى انى أخاف عذاب يوم
عظيم وهو القيامة ان عصيت ربى فالشرط
معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب
(من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله
الرحمة العظمى وهى النجاة من يصرف حمزة وعلى
وأبو بكر أى من يصرف الله عنه العذاب
(وذلك الفوز المبين) النجاة الظاهرة (وان يمسسك
الله بضر) من مرض أو فقر أو غير ذلك من
بلاياه (فلا كاشف له الا هو) فلا قادر على
كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى
او صحة (فهو على كل شئ قدير) فهو قادر
على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر
(فوق عباده) خبر بعد خبر
أى الغالب المقتدر
أى عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع
غيره عن بلوغه (وهو الحكيم) في تنفيذ مراده
(الخبير) بأهل القهر من عباده (قل أى شئ
أكبر شهادة) أى شئ مبتدأ وأكبر خبره
وشهادة تمييز وأى كلمة يراد بها بعض ما تضاف
اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى
باسم ما أضيفت اليه وقوله (قل الله) جواب أى
أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف
فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشئ على
الله تعالى وهذا لان الشئ اسم للموجود
ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود
فيكون شيئا ولذا نقول الله تعالى شئ لا كالاشياء

شهيد بيني وبينكم) قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا أي شيء أكبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الآية ان أكبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله (وأوحى الي هذا القرآن لانذركم به) يعني ان الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لانه أوحى الي هذا القرآن وهو معجزة لانكم أنتم الفصحاء البلغاء واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحى الي هذا القرآن لاخوفكم به وأحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعني وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتي بعدي الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بابلاغ ما جاء به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن وسنة وقوله وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرائيل فانهم كانوا في حال أكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود موقوفا وقوله تعالى (أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا آلهة غيري انكم ايها المشركون تشهدون ان مع الله آلهة أخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع يلحقه التأنيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين (قل لا أشهد) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره (قل انما هو اله واحد) يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد (وانني بريء مما تشركون) يعني وأنا بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بريء مما تشركون قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) المراد بالذين أوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا معرفة فبين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين

(تفسير النسفي)
شهادة أ(شهيد بيني وبينكم) أي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز أن يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له (وأوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) أي ومن بلغه القرآن الى قيام الساعة في الحديث من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن في محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد اليه محذوف أي ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير القرآن (أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكيت (قل لا أشهد) بما تشهدون وكرر (قل) توكيدا (انما هو اله واحد) ما كافة لان عن العمل وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفة أو بمعنى الذي في محل النصب بان وهو مبتدأ واله خبره والجملة صلة الذي وواحد خبر ان وهذا الوجه أوقع (وانني بريء مما تشركون) به (الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (يعرفونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين (كما يعرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال

رأيته كما أعرف ابنى ولانا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى فقال عمر وكيف ذاك قال أشهد انه رسول الله حقا ولا أدرى ما يصنع النساء وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) يعنى أهلكوا أنفسهم وغبنوها وأوبقوها فى نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتاب (فهم لا يؤمنون) يعنى به والقول الثانى انه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا فى معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انه جعل لكل واحد من بنى آدم منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التى فى الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التى فى النار فذلك هو الخسران قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام أو ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعنى كذب بحججه واعلام أدلته التى اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعنى انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل (ويوم نحشرهم جميعا) أى اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعنى انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل (ثم لم تكن فتنتهم) يعنى قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما فى قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج فى قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا أن تبرؤا منها وهو قوله تعالى (الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعنى انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعنى زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال الكلبى اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبى ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدرى ما يقول الا انى أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال أبو سفيان انى لارى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفى رواية الموت أهون علينا من هذا فأنزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعنى اغطية جمع كنان (أن يفقهوه) يعنى لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فتقبله ويجعل بعضها فى أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا

(الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن معنى النفى أى لا أحد أظلم لنفسه والظلم وضع الشئ فى غير موضعه واشنعه اتخاذ المخلوق معبودا (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا) فيصفه بما لا يليق به (او كذب بآياته) بالقرآن والمعجزات (انه) ان الامر والشأن (لا يفلح الظالمون) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا (ويوم نحشرهم) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جميعا) حال من ضمير المفعول (ثم نقول للذين أشركوا) مع الله غيره توبيخا وبالياء فيهما يعقوب (أين شركاؤكم) آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثم لم تكن) وبالياء حمزة وعلى (فتنتهم) كفرهم (الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) يعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به او ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكى وشامى وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وان قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل ان قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلى على النداء أى يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) الهيته وشفاعته (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو

كل آية لا يؤمنوا بها) يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن انما جاؤا ليجادلوك ويخاصموك لا ليؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعني أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطروا يعني وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمع وأساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أجيب عنه بأنهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى أخبار الاولين وقيل في معنى أساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم أخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعني ويتباعدون بأنفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني محمدا لتقتلوه وأربي لكم ابنكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لأقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى (وان يهلكون الا انفسهم) يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم (وما يشعرون) يعني بذلك قوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار) يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت امرا عجيبا ومنظرا فظيعا (فقالوا) يعني الكفار (يا ليتنا نرد) يعني الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكتموه فأظهره الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي اي ما هي الا حياتنا

القرآن روى انه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) اغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان واعنة (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا في الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله اكاذيب وواحد الاساطير اسطورة (وهم) أي المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتباعه والايمان به (وينأون عنه) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عني به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبه (ولو ترى) حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما (اذ وقفوا على النار) أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار (فقالوا يا ليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدؤا بقوله (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وعلي وحفص على جواب التمني بالواو وباضمار ان ومعناه ان رددنا لم نكذب

الدنيا أي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) يعني على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أي يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشر حقا (قالوا بلى وربنا) يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فأجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بأمر الله أليس هذا بالحق يعني البعث حقا فأجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا (قال فذوقوا العذاب) أي يقول الله لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما كنتم تكفرون) يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعني خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم (حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة) يعني جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة أو اقل من ذلك (قالوا) يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد (يا حسرتنا) يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على ما فرطنا) يعني قصرنا (فيها) يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعني اثقالهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس أنت فيقول أنا عملك طال ما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته والمعنى انهم يقاسون من عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان

وتمكن من المؤمنين وافقهما نافع ويكون شامي (بل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بدا لهم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه أو في أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هي الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وانهم لكاذبون أي وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وهي كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أي البعث (بالحق) بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق (قالوا بلى وربنا) اقروا وأكدوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أي القيامة لان مدة تأخرها مع تأبد ما بعدها كساعة واحدة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال يعني باغتة أو على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته (قالوا يا حسرتنا) نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الايمان بها (وهم يحملون أوزارهم) آثامهم (على ظهورهم) خص الظهر

أوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني أي ذكره ملازم لي (ألا ساء ما يزرون) يعني بئس الشيء شيئاً يعملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله رداً عليهم ومكذباً لهم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما أن المراد بها حياة الكافر لأن المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا إلا خيراً لأنه يحصل في أيام حياته من الأعمال الصالحة والطاعة ما يكون سبباً لحصول السعادة في الآخرة وأما الكافر فإن كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفاق والقول الثاني أن هذا عام في حياة المؤمن والكافر لأن الإنسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لأن الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير أن المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وأنه عام فيهما وإنما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه أن أمر الدنيا والعمل لها لعب ولهو وأما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وإن كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لأنه لا يحدي شيئاً ولاشتغالهم عما أمروا به نسبوا إلى اللعب واللهو وقوله تعالى (وللدار الآخرة) يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الآخرة (خير) يعني من الدنيا وأفضل لأن الدنيا سريعة الزوال والانقطاع (للذين يتقون) يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو (أفلا يعقلون) أن الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) يعني قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله إن محمداً الصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فأنزل الله هذه الآية عن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فيهم فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أخرجه الترمذي من طريقين قال في أحدهما وهذا أصح ففي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لأنهم كانوا يعتقدون صدقه وأنه ليس بكذاب وإنما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم (فإنهم لا يكذبونك) يعني إنهم لا يكذبونك في السر لأنهم قد عرفوا أنك صادق (ولكن الظالمين) يعني الكافرين (بآيات الله يجحدون) يعني في العلانية وذلك أنهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذي أنزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم يكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وإنما جحدوا آيات الله وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فإنهم لا يكذبونك لأنهم قد عرفوا صدقك وإنما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل (ولقد كذبت رسل من قبلك) يعني ولقد كذبت الأمم الخالية رسلهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) يعني أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم إياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد على تكذيب قومك وأذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإزالة حزنه على تكذيب قومه له وأذاهم إياه (حتى أتاهم نصرنا) يعني بإهلاك من كذبهم (ولا مبدل لكلمات الله) يعني ولا ناقض لما حكم الله به من إهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبإ المرسلين)

لأن الماء وحمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم (ألا ساء ما يزرون) بئس شيئاً يحملونه وإذا للتعظيم ما يذكر بعده (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد إلى الهزل قيل ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو وقيل ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وللدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها ولدار الآخرة بالإضافة شامي أي ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يضاف إلى صفته وخبر المبتدإ على القراءتين (خير للذين يتقون) وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو (أفلا تعقلون) بالتاء مدني وحفص ولما قال أبو جهل ما نكذبك يا محمد وإنك عندنا المصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل (قد نعلم إنه) الهاء ضمير الشأن (ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك) لا ينسبونك إلى الكذب وبالتخفيف نافع وعلى من أكذبه إذا وجده كاذباً (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) من إقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله لأن تكذيب الرسل تكذيب المرسل (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني (فصبروا) والصبر حبس النفس على المكروه (على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وإيذائهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين

يعني ولقد أنزلت عليك في القرآن من أخبار المرسلين مافيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث ابن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سألوه آية أحب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت ان تبتغي) يعني تطلب وتتخذ (نفقا في الارض) يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سلما في السماء) يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) يعني بالآية التي سألوا عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك وان قدرت ان تذهب في الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكونن من الجاهلين) يعني بأن لو شاء الله لجمعهم على الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله (والموتى) يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (يبعثهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) فيجزيهم بأعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على ان ينزل آية) يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى (ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح في الماء كما ان الطير يسبح في الهواء وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا أمم أمثالكم قال مجاهد أي اصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد ان كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير أمم أمثالنا وهذه المماثلة لا تحصل من كل الوجوه فيما

انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش ان تكون من زائدة والفاعل نبإ المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم ويحب مجيء الآيات ليسلموا فنزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبتغي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (يبعثهم الله ثم اليه يرجعون) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وقالوا لولا نزل عليه) هلا أنزل عليه (آية من ربه) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع أرض مكة وتفجير الانهار خلالها (قل ان الله قادر على أن ينزل آية) كما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على أن ينزل تلك الآية ولا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت (ومامن دابة) هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث (في الارض) في موضع جر صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الا أمم أمثالكم) في الخلق والموت والبعث

يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما انكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شئ) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتردن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا (من يشأ الله يضلله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى (قل أرأيتكم) يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني تقول العرب أرأيتك بمعنى اخبرنا بحالك وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكيد (ان اتاكم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتتكم الساعة) يعني القيامة (أغير الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم ترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى (وتنسون ما تشركون) يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوا وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع (فأخذناهم بالبأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والاوجاع والزمانة (لعلهم يتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلا الى أقوام بلغوا في القسوة الى ان أخذوا بالبأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم

والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها (ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شئ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شئ أي من شئ يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة واشارة ودلالة واقتضاء (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الامم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال (والذين كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بانه فعال لما يريد (من يشأ الله يضلله) أي من يشأ الله ضلالته يضلله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح (قل أرأيتكم) وبتليين الهمزة مدني وبتركه علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فأخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أغير الله تدعون) أي أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد ان يتفضل عليكم (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم ولا تذكرون آلهتكم في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون ان أتاكم عذاب الله (ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك) رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم

(وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فأصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشئ معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) يعني بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم أبواب كل شئ من الخير كان مغلقا عنهم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) يعني فرحوا بما أوتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما أوتي من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فأخذناهم في آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذاهم مبلسون) اى آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن سكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب قوله تعالى (قل أرأيتم) اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (ان أخذ الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فأصمكم حتى لا تسمعوا شيئا (وأبصاركم) وأخذ أبصاركم التي تبصرون بها فأعماكم حتى لا تبصروا شيئا أصلا (وختم على قلوبكم) يعني حتى لا تفقهوا شيئا أصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من أمور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف اعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى (من اله غير الله يأتيكم به) يعني يأتيكم بما أخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر أولا ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أي انظر يا محمد (كيف نصرف الآيات) يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعني يعرضون عنها مكذبين لها (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) يعني فجأة (أو جهرة) يعني معاينة ترونه عند نزوله وقال ابن عباس ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) يعني المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) يعني لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعني لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما

(فأخذناهم بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر الاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الانفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادا (ولكن قست قلوبهم) فلم ينزجروا بما ابتلوا به (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وصاروا معجبين بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحناها (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) آيسون متحسرون وأصله الاطراق حزنا لما أصابه أو ندما على ما فاته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من أجل النعم واجزل القسم او احمدوا الله على اهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بان أصمكم وأعماكم (وختم على قلوبكم) فسلب العقول والتمييز (من اله غير الله يأتيكم به) بما أخذ وختم عليه من رفع بالابتداء واله خبره وغير صفة لاله وكذا يأتيكم والجملة في موضع مفعولي أرأيتم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصرف) لهم (الآيات) نكررها (ثم هم يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الاعراض عن الشئ (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) بان لم تظهر اماراته (أو جهرة) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار وان نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة

أرسلوا بالبشارة والنذارة (فمن آمن وأصلح) يعني آمن بهم وأصلح العمل لله (فلا خوف عليهم) يعني حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أي إذا حزن غيرهم (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) يعني يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أقول لكم (عندي خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فأمره الله تعالى أن يقول لهم إنما بعثت بشيرا ونذيرا ولا أقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله فأعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فأخبر ان ذلك بيد الله لا بيدي (ولا أعلم الغيب) يعني فأخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون (ولا أقول لكم اني ملك) وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فأجابهم بقوله ولا أقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول شيئا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون أمري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام (ان أتبع الا ما يوحى الي) يعني ما أخبركم الا بوحي من الله أنزله علي ومعنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحي الله اليه وظاهر الآية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه (قل هل يستوي الاعمى والبصير) يعني المؤمن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل (أفلا تتفكرون) يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل (وأنذر به) يعني وخوف بالقرآن والانذار اعلام مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم أوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعني من دون الله (ولي) اي قريب ينفعهم (ولا شفيع) يعني يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المؤمنون ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى يأذن الله لهم في الشفاعة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع (لعلهم يتقون) يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفراري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي

والادلة الساطعة (فمن آمن وأصلح) أي داوم على ايمانه (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فلا خوف يعقوب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) أي قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولا أعلم الغيب) النصب عطفا على محل عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول اني ملك) أي لا أدعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع الا ما يوحى الي) أي ما أخبركم الا بما أنزل الله علي (قل هل يستوي الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدي او لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن يدعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية (أفلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين أشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه (وأنذر به) بما يوحى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المسلمون المقرون بالبعث الا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي اليه او أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا أي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون في زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) واثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام او معناه يصلون صلاة الصبح والعصر او الصلوات الخمس بالغدوة شامي ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء

صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كانت ركبنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل المجلس واحدا وأقبل علينا وول ظهرك إليهم فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ماذا يصيرون فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الأولى التي عن سلمان وخباب بن الأرت فرق كثير وبعد عظيم وهو أن إسلام سلمان كان بالمدينة وكان إسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الأنعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث ابن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لأجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وإنما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولأنهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولأن الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاص

فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتأولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أوفى هذا انما هو فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفى النهار يريدون وجهه يعنى يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين فى عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) يعنى لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفى وهو قوله ماعليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهى وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح فى العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبى صلى الله عليه وسلم ماطردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهى التلطف بهؤلاء الاشراف فى ادخالهم فى الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فأعلمه الله ان ادناء هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقربهم منه وأدناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم فى اللغة وضع الشئ فى غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تطردهم عنك فتضع الشئ فى غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) يعنى وكذلك ابتلينا الغنى بالفقير والفقير بالغنى والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول فى الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعنى الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعنى من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فأجابهم بقوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) يعنى انه تعالى أعلم بخلقه وباحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم بن أبى عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان ابن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها فى كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التى تقدمت فى رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعنى فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف فى عباده كيف يشاء وأراد فأوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (انه من عمل منكم سوأ بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا فى سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده)

(تفسير النسفى)

المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضى الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم (ماعليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الا على ربى (وما من حسابك عليهم من شئ) وذلك انهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفى وهو ماعليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهى وهو ولا تطرد ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أى الاغنياء (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى أنعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء انكارا الا ان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا اليه (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يشكر نعمته (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) اما ان يكون أمرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون أمرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا (انه) الضمير للشأن (من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة وجعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد السوء

يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته
وندم على فعله (فانه غفور) يعني لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا
على أبي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية
عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم يستتر ببعض من العري
وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع
الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت ان أصبر
نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا
وبرزت وجوههم قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيري ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل
أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (وكذلك نفصل الآيات)
يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك
نميز ونبين لك أدلتنا وحججنا وبراهيننا في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل (ولتستبين) قرئ بالتاء على
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك (سبيل المجرمين) يعني طريق
هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى
النار قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)
يعني نهيت أن أعبد الاصنام التي تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون
الله لان الجمادات أخس من ان تعبد أو تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى
(قل لا أتبع أهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما أنا
من المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين (اني على بينة من ربي) قال
ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان
وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن
والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندي
ما تستعجلون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب
عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فأمر الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه
الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها
وأعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل
والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي
بانزال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به
فهو حق وقرئ يقضي بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق (وهو خير
الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور
ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندي ما تستعجلون به) يعني من انزال العذاب والاستعجال
المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت
السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو أن عندي ما تستعجلون به
لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضي الامر بيني وبينكم) يعني

اوالعمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور
رحيم) أنه فانه شامي وعاصم الاول بدل الرحمة
والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور
رحيم أنه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني
مبتدأ أنه فانه غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة
استفسرت فقيل انه من عمل منكم (وكذلك
نفصل الآيات ولتستبين) وبالياء حمزة وعلي
وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدني غيره بالرفع
فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكر وتؤنث
ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين
واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة
أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى
اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما
يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل اني
نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله) أي
صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة
ما تعبدون من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أي
لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من
اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب
الذي منه وقعوا في الضلال (قد ضللت اذا)
أي ان اتبعت أهواءكم فأنا ضال (وما أنا من
المهتدين) وما أنا من المهتدين في شيء يعني أنكم
كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على
ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي)
أي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على
حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره
وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي
وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على
تأويل البرهان او البيان او القرآن ثم عقبه بما
دل على انهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال
(ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي
استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء
(ان الحكم الا لله) في تأخير عذابكم (يقص الحق)
حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما
يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض
الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل فالحق
أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضي وقوله (وهو
خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق

لانفصل ما بيني و بينكم ولا تاكم ماتستعجلون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعني انه أعلم
بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستعجل
بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وبأحوالهم قوله عز وجل (وعنده مفاتح الغيب)
المفتاح الذي يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح و يقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم
الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل
أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد
جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق
منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها و توصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان
عالما بجميع المعلومات ما غاب عنها ومالم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون
المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في
قوله وعنده مفاتح الغيب (لايعلمها الاهو) فقيل مفاتح الغيب خمس وهي ما روي عن عبد الله بن
عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في
غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي
أرض تموت ولا يدري أحد متى يجيء المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم
ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت الا الله ولا يعلم متى
الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب
وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة
والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم مالم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون أن
لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتح الغيب وقال ابن
عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق (ويعلم ما في البر والبحر) قال
مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين
هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته
وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة
وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى
أن تسقط على الارض (ولا حبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض
قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن
عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي
واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة فان قلت ان جميع
هذه الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال
الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر
هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من
المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيهما من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف
عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة
يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة
وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء
منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع
فسبحان العليم الخبير قوله تعالى (الا في كتاب مبين) فيه قولان أحدهما ان الكتاب المبين هو علم الله

اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط
لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قل لو أن
عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به
من العذاب) (لقضي الامر بيني وبينكم) لأهلكتكم
عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو
ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع
(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) المفاتح
جمع مفتح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب
والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب
والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتح على
طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى
ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال
ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها
فأراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده
لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال
المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في
المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح
العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه
(ويعلم ما في البر) من النبات والدواب (والبحر)
من الحيوان والجواهر وغيرهما (وما تسقط من
ورقة الا يعلمها) ما للنفي ومن للاستغراق أي يعلم
عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف
على ورقة وداخل في حكمها وقوله (الا في كتاب
مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى
الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد وهو علم

الذى لا يتغير ولا يبدل والثانى ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها فى هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شئ مما يصنعونه لان من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب فى كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع قوله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل) يعنى يقبض أرواحكم اذا نمتم بالليل (ويعلم ما جرحتم) ما كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم فيه أى فى النهار (ليقضى أجل مسمى) يعنى اجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) فى الآخرة (ثم ينبئكم) أى يخبركم (بما كنتم تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعنى وهو العالى عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعنى انه اقدر منه واغلب هذا مذهب أهل التأويل فى معنى لفظة فوق فى قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه وقهر كل شئ بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) يعنى ان من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان أنه اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه أقواله وافعاله فى صحائف تنشر وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل القبيح وترك المعاصى وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بنى آدم ويحفظون اجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه واجله وعمله (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعنى أعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فان قلت قال الله تعالى فى آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فى آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات ان المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء جعلت له أعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا ما من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت اليه يدعوها فتستجيب له وقوله (وهم لا يفرطون) يعنى الرسل لا يقصرون فيما أمروا به ولا يضيعونه قوله عز وجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعنى ثم رد العباد بالموت الى الله فى الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت أيدى موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (الا له الحكم) يعنى لا حكم الا له (وهو أسرع الحاسبين) يعنى انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعنى يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذى ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذى ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطأتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد

الله او اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام فى المنام (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يبعثكم فيه) ثم يوقظكم فى النهار أو التقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه (ليقضى أجل مسمى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فى ليلكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فأما الروح التى تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيى الانفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك ازجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تقرأ على رؤس الاشهاد (حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى ان يأتيه الممات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه توفيه واستوفيه بالامالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون) لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى حكمه وجزائه أى رد المتوفون برد الملائكة (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو اسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة وقيل الرد الى من رباك خير من البقاء مع من آذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر) مجاز عن

والاهوال وقيل الحمل على الحقيقة أولى فظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعا وخفية) يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا حالا وحالا (لئن انجيتنا من هذه) يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن أنعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات والشدائد التي أنتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أنتم تشركون) يريد أنهم يقرون بان الذي انجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أو من تحت أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني أئمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة (أو يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضكم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا يعني الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمين من أمة محمد وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال هن اربع وكلهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لابد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي بن كعب نحوه هن أربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا واذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون اوهذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص انه أقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطال فيها

(تفسير النسفي)

والبحر وظلمات البر الصواعق والبحر مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات الغيم والليل (تدعونه) حال الامواج وكلاهما في ينجيكم (تضرعا) معلنين من ضمير المفعول في ينجيكم وكذا الضراعة وهو مصدر في موضع الحال (وخفية) أي مسرين في أنفسكم خفية حيث كان عاصم (لئن أنجانا) أبو بكر وهما الغتان والمعنى أنجيتنا الباقون وعلى الظلمات وبالامالة حمزة (من هذه) يقولون لئن خلصنا (قل الله (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى من الظلمات (منها) كوفي ينجيكم) بالتشديد (ثم أنتم تشركون) (ومن كل كرب) وغم وحزن هو الذي عرفتموه ولا تشكرون (قل هو القادر) فالام يحتمل العهد قادرا وهو الكامل القدرة (على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) والجنس كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (او من تحت أرجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون او من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات (أو يلبسكم شيعا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال (ويذيق بعضكم بأس بعض) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى ان لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل ان فناء أمتي بالسيف (أنظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به) بالقرآن او بالعذاب (قومك) قريش (وهو الحق) أي الصدق أو لابد ان ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى أمركم انما أنا منذر (لكل

فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل انها صلاة رغبة و رهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته ان لا يهلك أمتى بسنة فأعطانيها وسألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخرجه الترمذى وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أى انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحججنا لهؤلاء المكذبين (لعلهم يفقهون) يعنى يفهمون و يعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى فى كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير فى به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى أنه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما أنا منذر والله هو المجازى لكم على أعمالكم وقيل معناه انى انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم أومر بحربكم وعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعنى حفيظا انما أطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة (لكل نبإ مستقر) أى لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهى اليه اما فى الدنيا واما فى الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب فى الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر اما فى الدنيا واما فى الآخرة قوله تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) الخطاب فى واذا رأيت للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون فى آياتنا يعنى القرآن الذى أنزلناه اليك والخوض فى اللغة هو الشروع فى الماء والعبور فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا فى الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب فى واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستهزاء بالقرآن وبمن أنزله وبمن أنزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم فى وقت الاستهزاء بقوله (فأعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسينك الشيطان) يعنى فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى المشركين (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفى رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فأنزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون أى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم (لعلهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء

*(فصل) قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التى فى سورة النساء وهى قوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى أنها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعنى اتخذوا دينهم الذى أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام

(سورة الانعام)

نبإ) لكل شئ ينبأ به يعنى أنباءهم بأنهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه (وسوف تعلمون) تهديد (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فأعرض عنهم) ولا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز ان تجالسهم (واما ينسينك الشيطان) ما نهيت عنه ينسينك شامى نسى وأنسى واحد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكر (مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء (من شئ) أى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم ان يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا اورفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لعبا ولهوا) سخروا به واستهزؤا ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما يشغل الانسان من هوى اوطرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به) وعظ بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابسال المنع (ليس لها من دون الله ولى) ينصرها بالقوة (ولا شفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت فى الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة ان تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) نصب على المصدر وان

لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤا به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاصنام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار
كانوا اذا سمعوا القرآن لغوا ولهوا واعتدوا سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم
دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل
الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم
لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا
يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج
مخرج التهديد فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة
وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله
(وذكر به) يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (ان تبسل نفس بما كسبت) أي لئلا تبسل
نفس وأصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل أي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس
بما كسبت ترتهن وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل
تهلك وقال قتادة تحبس يعني في جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت
وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم بسبب
الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة (ليس لها) يعني لتلك النفس التي هلكت (من
دون الله ولي) أي قريب يلي أمرها (ولا شفيع) يعني يشفع لها في الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعني وان
تفتد بكل فداء والعدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعني ذلك العدل وتلك الفدية (أولئك الذين) اشارة الى
الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا (ابسلوا بما كسبوا) يعني أسلموا الى الهلاك بسبب
ما اكتسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ذلك بسبب كفرهم قوله تعالى (قل أندعو
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين آبائك أندعو يعني
انعبد من دون الله يعني الاصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (ونرد على اعقابنا) يعني
ونرد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعني الى دين الاسلام والتوحيد (كالذي استهوته الشياطين في
الارض) يعني كالذي ذهبت به الشياطين فالقته في هوية من الارض وأصله من الهوى وهو النزول من
أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه (له
أصحاب يدعونه الى الهدى) يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم (ائتنا)
يعني يقولون ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى
عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان
عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل
الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أصحابه
اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعني ان طريق الله الذي أوضحه لعباده ودينه الذي شرعه
لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان
هدى الله هو الهدى لا هدى غيره (وأمرنا لنسلم) أي وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة (لرب العالمين) لانه
هو الذي يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واتقوه) يعني وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما
ما يقرب اليه (وهو الذي اليه تحشرون) يعني في يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل (وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق) يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه
دليلا على وحدانيته وقيل خلقهما بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقهما
بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق

تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل
المفدى بمثله وفاعل (لا يؤخذ منها) لا ضمير العدل
لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ
وأما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى
به فصح اسناده اليه (أولئك) اشارة الى
المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ
والخبر (الذين أبسلوا بما كسبوا) وقوله (لهم
شراب من حميم) أي ماء مسخن حار خبر ثان
لاولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم
شراب من حميم او مستأنف (وعذاب أليم بما
كانوا يكفرون) بكفرهم (قل) لابي بكر يقل
لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه الى عبادة
الاوثان (أندعو) أنعبد (من دون الله) الضار
النافع (ما لا ينفعنا) ما لا يقدر على نفعنا ان
دعوناه (ولا يضرنا) ان تركناه (ونرد) وأنرد (على
اعقابنا) راجعين الى الشرك (بعد اذ هدانا الله)
للاسلام وانقذنا من عبادة الاصنام (كالذي
استهوته الشياطين) كالذي ذهبت الغيلان
ومردة الجن والكاف في محل النصب على الحال
من الضمير في نرد على اعقابنا أي أننكص
مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال
من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه
طلبت هويه (في الارض) في المهمة (حيران)
حال من مفعول استهوته أي تائها ضالا عن
الجادة لا يدري كيف يصنع (له) لهذا المستهوي
(أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى ان
يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى
يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا
للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما يقال
ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي
عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام
التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه
اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو
الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال
(وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان
هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كأنه
قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لنسلم لرب
العالمين وأن أقيموا الصلاة) والتقدير وأمرنا لان
نسلم ولان أقيموا أي للاسلام ولاقامة الصلاة
(واتقوه وهو الذي اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق)

(ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كانه قال و يوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء (قوله الحق) يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ماروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يارسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى في آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولاجماع أهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى يعلم ماغاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه (الخبير) يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحاق والكلبي والضحاك آزر اسم أبي ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في القرآن الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد ابن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه ياعابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارح ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث وسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر ايضا ولم يقل أباه تارح فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارح والله أعلم وقوله (أتتخذ أصناما آلهة) معناه اذكر لقومك يا محمد قول ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا (اني أراك وقومك في ضلال مبين) يعني يقول ابراهيم لابيه آزر اني أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين لمن أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام

(سورة الانعام) (ويوم يقول كن فيكون) على الحكمة أو معطا (ويوم يقول) مبتدأ ويوم يقول الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ وقوله الصدق خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق واليوم بمعنى أي قولك الصدق كائن يوم الجمعة والبعث بالحق الحين والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أي لايكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن بلغة اليمن او جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب (والشهادة) أي السر والعلانية (وهو الحكيم) في الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو اسم أبيه او لقبه لانه خلاف بين النسابين ان اسم أبيه تارح وهو عطف بيان لابيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الالهية (اني أراك وقومك في ضلال مبين)

لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم و يعترفون بفضله فلاجرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عزوجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكما ارينا ابراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه أجره في الدنيا يعني أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيها من العجائب قال البغوي وروي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فأراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما أنا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان أخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شئ من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شئ حسا وخبرا قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل وأجن اذا أظلم وغطى كل شئ واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذا ربي)

(ذكر القصة في ذلك) قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه و يقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة ناحيته وامر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا

يحفظهم

(تفسير النسفي)

(وكذلك) أي وكما أريناه قبح الشرك (نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أي نرى بصيرته لطائف خلق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لان الواو والتاء تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا (فلما جن عليه الليل) أي أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أي الزهرة او المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه (قال هذا ربي) أي قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

بعقلهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون فى الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد ابن اسحاق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل فى بطنها وقال السدى فخرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لى اليك حاجة أحب ان أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لثقتى بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من أهلك فقال آزر انا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على أهلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فأخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق اليه ابوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا فى النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وقال محمد بن اسحاق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فلم يمكث فى المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله غيره ونظر فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث فى السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال ابراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر فى خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربى ويقال انه قال لابويه أخرجانى فأخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها اله وهو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعنى ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربى ثم اختلف العلماء فى وقت هذه الرؤية وفى وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ فى حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذى صدر من ابراهيم فى هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج

من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لابد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فأراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى ان دهمهم عدو ولا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال الرأي عندي ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم انه لا يسمع ولا يبصر ولا يدفع دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره هذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفإن مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى أيكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضمارا تقديره يقولون هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد أن أراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب أو يتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام واما قوله تعالى (فلما أفل) يعني غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعني ابراهيم (لا أحب الآفلين) يعني لا أحب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعني طالعا منتشر الضوء (قال هذا ربي) معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب (فلما أفل) يعني غاب (قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) يعني ان لم يثبتني

(تفسير النسفي)

(فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) أي لا أحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا في الطلوع (قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) نبه قومه على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب

بي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من أول الفطرة وفي الآية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعني طالعة (قال هذا ربي) يعني هذا الطالع اوانه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوأ من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيقي فلهذا أتى بلفظ التذكير (هذا أكبر) يعني من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعني فلما غابت الشمس (قال يا قوم اني بريء مما تشركون) يعني انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بآلهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها واظهر لقومه انه بريء مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (اني وجهت وجهي) يعني اني صرفت وجه عبادتي وقصرت توحيدي (للذي فطر السموات والارض) يعني للذي خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعني مائلا عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى وأصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال أتحاجوني في الله يعني أتجادلونني في توحيدي لله وقد هداني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينه (قال) يعني ابراهيم (أتحاجوني في الله وقد هدان) يعني الى توحيده ومعرفته (ولا أخاف ما تشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف أن تمسك بخبل أو جنون لعيبك اياها فأجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله (الا أن يشاء ربي شيئا) يعني لكن ان يشأ ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو أصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا أن يشاء ربي شيئا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئا كان (وسع ربي كل شيء علما) يعني أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه (أفلا تتذكرون) يعني أفلا تعتبرون أن هذه الاصنام جمادات لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض ومن فيهما (وكيف أخاف ما أشركتم) يعني وكيف أخاف الاصنام التي أشركتم بها الانها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) يعني وانتم لا تخافون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعني يقول من أولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد أم المشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعني آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس

(فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) وانما ذكره لانه أراد الطالع أولانه جعل المبتدأ مثل الخبر لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول أظهر لقوله يا قوم اني بريء مما تشركون (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) أي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشئها (حنيفا) حال أي مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله شيئا من خلقه (وحاجه قومه) في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه (قال أتحاجوني في الله) في توحيده أتحاجوني مدني وابن ذكوان (وقد هدان) الى التوحيد وبالياء في الوصل أبو عمرو ولما خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء قال (ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا) أي لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني منها بضر فهو قادر على ان يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا لا الاصنام (وسع ربي كل شيء علما) فلا يصيب عبدا شيء من ضر أو نفع الا بعلمه (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما أشركتم) معبوداتكم وهي مأمونة الخوف (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به) باشراكه (عليكم سلطانا) حجة اذ الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف (فأي الفريقين) أي فريقي الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فأينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرك عن الصديق رضي الله عنه

هو كما تظنون اعتادوكما قال لقمان لابنه ود كره وقيل فى معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك بأن يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفى الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كانت عاقبته الامن من النار لقوله (أولئك) يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعنى الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعنى ما جرى بين ابراهيم و بين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اما تخاف علينا من آلهتنا ان تمسك ايا ها قال أفلا تخافون أنتم منه اذ سويتم بين الصغير والكبير فى العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الها واحدا اخلص له الدين والعبادة أم من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (نرفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفى الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعنى انه تعالى حكيم فى جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد الله نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته فى عليين وأبقى النبوة فى ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعنى لابراهيم اسحاق يعنى ابنه الصلبه و يعقوب يعنى ابن اسحاق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعنى هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعنى من قبل ابراهيم أرشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختلفوا فى هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعنى ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكر فى جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخى ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب) هو أيوب بن أموص ابن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وموسى) هو بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهارون) هو أخو موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزى المحسنين) يعنى وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على أذى قومه كذلك نجزى المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركيا (ويحيى) هو ابن زكريا (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن يسن بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس فى هذه الآية الى نوح و جعله من ذريته (كل من الصالحين) يعنى ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما أخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحاق وذكر أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخر ذكر اسماعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعنى على عالمى زمانهم و يستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان

(تفسير النسفي)
(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) تم كلام ابراهيم
عليه السلام (وتلك حجتنا) اشارة الى جميع ما احتج
به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما
جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها
ابراهيم على قومه) وهو خبر بعد خبر (نرفع
درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وبالتنوين
كوفى وفيه نقض قول المعتزلة فى الاصلح (ان
ربك حكيم) بالرفع (عليم) بالاهل (ووهبنا له) أى
لابراهيم (اسحاق و يعقوب كلا هدينا) اى
كلهم وانتصب كلا بهدينا (ونوحا هدينا من قبل ابراهيم (ومن
وهدينا نوحا (من قبل) من قبل ابراهيم والاول أظهر
ذريته) الضمير لنوح اولابراهيم (داود
وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون)
لان يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم (وكذلك
والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء
نجزى المحسنين) ونجزى المحسنين جزاء مثل
ذلك فالكاف فى موضع نصب نعت لمصدر
محذوف (وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل)
أى كلهم (من الصالحين) وذكر عيسى معهم
دليل على ان النسب يثبت من قبل الام أيضا
لانه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لا يتصل
به الا بالام وبذا أجيب الحجاج حين أنكر ان
يكون بنو فاطمة اولاد النبى عليه السلام
(واسماعيل واليسع) واللسع حيث كان
بلامين حمزة وعلى (ويونس ولوطا وكلا فضلنا
على العالمين) بالنبوة والرسالة

العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الانبياء أفضل من الملائكة واعلم ان الله تعالى ذكرهنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب وهى ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر أولا نوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم ترجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى أن اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة فى تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد فى الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسماعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شئ يذكر والله أعلم باسرار كتابه قوله تعالى (ومن آبائهم) يعنى ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن مسلما (وذرياتهم) يعنى ومن ذرياتهم أى بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان فى ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح (واخوانهم) يعنى ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبيناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وارشدناهم (الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميناهم (لحبط) يعنى لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى أولئك الذين سميناهم من الانبياء أعطيناهم الكتب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر أولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعمل واصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله وقيل أمره ان يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التى لا تليق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله ان يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة

(سورة الانعام)

(ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا أى وفضلنا بعض آبائهم (وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى ما دان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (ولو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبى عليه السلام أو كل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشئ ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفى (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهديهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الوصل واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحذفها حمزة وعلى فى الوصل ويختلسها شامى

مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره ان يقتدي بشرائعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا

(فصل) احتج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة والمتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله أعلم وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا) يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا قيل لما أمره الله تعالى بالاقتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لاجرم اقتدى بهم فقال لا أسألكم عليه أجرا (ان هو) يعني ما هو يعني القرآن (الا ذكرى للعالمين) يعني ان القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلائق قوله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما آمنوا ان الله على كل شئ قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشئ اذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ خبرا عن غيرهم وأورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضا فما بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثاني في سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وانها من الآيات المدنيات التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست آيات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه

(تفسير النسفي)
(قل لا أسألكم عليه) على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجرا) جعلا وفيه دليل على ان أخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز (ان هو الا ذكرى للعالمين) ما القرآن الا عظة للجن والانس (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ) أي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك الا رحمة للعالمين روي ان جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبي عليه السلام وقال النبي عليه السلام له أليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وحق قدره منصوب نصب المصدر

فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجد فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شئ فقال اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شئ فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية قال البغوى وفى القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله انزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شئ فقال مالك بن الصيف اغضبنى محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدى نزلت هذه الآية فى فنحاص بن عازوراء اليهودى وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظى جاء ناس من يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا أبا القاسم الا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التى فى سورة النساء فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ وأورد الرازى على هذا القول اشكالا أيضا وهو أنه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شئ مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشئ واجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى) أى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شئ من انزل التوراة على موسى وفى هذا الالزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذى لا ينكر (نورا وهدى للناس) يعنى التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير (تجعلونه قراطيس) يكتبونه فى قراطيس مقطعة (يبدونها) يعنى القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيرا) يعنى ويخفون كثيرا مما كتبوه فى القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة ومما أخفوا أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم فى التوراة (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى فان أجابوك يا محمد والا فقل أنت الله الذى انزله (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا القيت الحجة عليهم وبلغت فى الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شئ فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعنى وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذى بين يديه) يعنى من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعنى انه موافق لما فى التوراة والانجيل وسائر

(سورة الانعام)
(قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا) حال
من الضمير فى به أو من الكتاب (وهدى للناس
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما
فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات
مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء
وبالياء فى الثلاثة مكى وأبو عمرو (وعلمتم) يا أهل
الكتاب بالكتاب (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من أمور
دينكم ودنياكم (قل الله) جواب أى أنزله الله
فانهم لا يقدرون ان يناكروك (ثم ذرهم فى
خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه
(يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا
كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك)
كثير المنافع والفوائد (مصدق الذى بين يديه)

الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرئ بالتاء يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض (ومن حولها) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني يداومون عليها في أوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وفائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل (أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزلت هذه الآية في مسيلمة الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلمة نبي قالا نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم اذ أوتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فأوحى الي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فأوحى الي ان انفخهما روي بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت وروي بالخاء المعجمة من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة واما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم وقوله تعالى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه عليما حكيما

(تفسير النسفي)

من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لانها سرة الارض وقبلة أهل القرى واعظمها شأنا ولان الناس يؤمونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف (أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء) هو مسيلمة الكذاب (ومن قال) في موضع جر عطف على من افترى أي ومن قال (سأنزل مثل ما أنزل الله) أي سأقول وأملي هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتب الوحي وقد أملى النبي عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا آخر جرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحي الي كما أوحي اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة او النضر بن الحارث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا

كتب غفوراً رحيماً فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت أمراً عظيماً وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شئ معظمه وأصلها الشئ الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (والملائكة باسطو أيديهم) يعني بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطو أيديهم لقبض أرواحهم (أخرجوا أنفسكم) يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فان قلت انه لا قدرة لأحد على اخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرهاً لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخاً لهم لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله تعالى (ولقد جئتمونا فرادى) يعني وحداناً لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وافنوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئاً في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جئتمونا حفاة عراة غرلاً يعني قلفاً كما ولدتكم أمهاتكم في أول مرة في الدنيا لا شئ عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشر الناس حفاة عراة غرلاً قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من ان يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه ان النساء والرجال يحشرون جميعاً ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعني وتركتم الذي أعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلاً ويكون هجراً (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل (ان الله فالق الحب والنوى) لما تقدم

فالجابرات خبراً كانه يعارض (ولو ترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة وتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (في غمرات الموت) شدائده وسكراته (والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) أي يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها الينا من أجسادكم وهذه عبارة عن التشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من ان له شريكاً وصاحبة وولداً وغير الحق مفعول تقولون او وصف لمصدر محذوف أي قولاً غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئاً مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيئات التي ولدتم عليها في الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه نقيراً (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) في استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال

فوالله لولا البين لم يكن الهوى
ولولا الهوى ما حن للبين آلف

بينكم مدني وعلي وحفص أي وقع التقطع بينكم (وضل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم عند الله (ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر أي فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة

الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفا منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان أحدهما انه بمعنى خلق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك ان أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فلقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين أحدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحبة أو النواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه وقوله تعالى (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال عقب قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله (ذلكم الله) يعني ذلكم المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيي المميت لها (فأنى تؤفكون) يعني فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى (فالق الاصباح) أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما أول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء

(تفسير النسفي)
والحنطة (يخرج الحي من الميت) النبات الغض
النامي من الحب اليابس (ومخرج الميت
من الحي) الحب اليابس من النبات النامي
أو الانسان من النطفة والنطفة من الانسان
او المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج
الله عليهم بما شاهدوه من خلقه لانهم انكروا
البعث فاعلمهم انه الذي خلق هذه الاشياء فهو يقدر
على بعثهم وانما قال ومخرج الميت بلفظ اسم
الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على
الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع
الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فالق
الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من
جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم
الحيوان دليله قوله ويحيي الارض بعد موتها (ذالكم
الله) ذالكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له
الربوبية لا الاصنام (فأنى تؤفكون) فكيف
تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح
الامر بعد ذكرنا (فالق الاصباح) هو مصدر سمي
به الصبح أي شاق عمود الصبح عن سواد الليل

المستطير في جميع الافق الشرقي و يسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الاول بنور الفجر الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح أى فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش في آخر الليل الذى يلى الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق ويسمى الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفالق بمعنى الخالق يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره وقوله تعالى (وجاعل الليل سكنا) السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه و يسكن عن الحركة وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسبانا) يعنى انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى أجل جعل لهما يعنى عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعنى والله الذى خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها اذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر الى حيث يريدون و يستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا انه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعنى قد بينا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا (لقوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) يعنى والله الذى ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتداء خلقه من مريم وهى من بنات آدم فثبت أن جميع الخلق من آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعنى في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل أودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذى استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعنى منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لأن يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس انه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في اصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء و يؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعنى أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله في الآخرة

(وجعل الليل) أو خالق نور النهار (وجاعل الليل) وجعل الليل الذى قبله بمعنى المضى كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى فالق معطوف عليه جعل فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه من قوله لتوافقهما معنى (سكنا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق الى الانس بالحق (والشمس والقمر) انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حسبانا) أى جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب العلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أى في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا الآيات) لقوم يعلمون) قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم و يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) اي شيئا غضا أخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذي تراكب حبه (ومن النخل من طلعها قنوان) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المجتني لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وجنات) بالنصب عطفا على نبات كل شئ أي وأخرجنا به جنات (من أعناب) أي مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أي وثم جنات من أعناب أي مع النخل (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابه و بعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وينعه) ونضجه أي انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعده حمزة وعلي جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم

وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت مستودع في أهلك الى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة أو النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتأبيد (قد فصلنا الآيات) يعني قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض (فأخرجنا به) يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شئ) يعني كل شئ ينبت و ينمو من جميع اصناف النبات وقيل معناه أخرجنا بالماء الذي انزلناه من السماء غذاء كل شئ من الانعام والبهائم والطير والوحش وارزاق بني آدم واقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون (فأخرجنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور وأعور والاخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) يعني من ثمرها يقال اطلعت النخلة اذا أخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو و يخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا شق عنه كيزانه سمي عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أي قريبة التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أعناب) يعني وأخرجنا من ذلك بساتين من أعناب (والزيتون والرمان) يعني وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتبها) قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير متشابه) يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون ان الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى و يبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريفه ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا و يشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم و يبعثهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال الزجاج معناه انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة أثبتوا الشريك لاثنين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون

بالزندقة لان الكتاب الذى زعم زردشت انه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه سمى زندى ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما فى العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم فى كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله فى تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا فى معنى هذه الشركة فمن قال ان الآية فى كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها فى المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) فى معنى الكناية قولان أحدهما انه يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثانى ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذى خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما فى الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما فى الكون فامتنع ان يكون لله شريك فى ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أى اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادّعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشئ على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شئ (وخلق كل شئ) يعنى ان الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثله شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خالق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جمادات لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه) يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شئ وكيل) يعنى انه هو تعالى على كل شئ خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته فالابصار ترى البارئ جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب فى تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به

استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو غير ذلك والمعنى انهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركه فجعلوهم شركاء لله (وخلقهم) أى وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أى اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين فى المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب فى الملائكة وخرّقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشئ فهو بديع وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) او هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) أى ما من شئ الا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شئ والولد انما يطلبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهى (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) وقوله (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شئ وكيل) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شئ من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لا تدركه الابصار) لا تحيط به او ابصار من سبق ذكرهم وتثبت المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفى هو

(فصل) تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته ببصري ورأيته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دلائل السنة فما روى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس عنده في أوله ان ناسا سألوا ولا في آخره ليس دونها سحاب عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله أجل وأعظم أخرجه ابو داود واما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على انه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا ان الشئ اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشئ وحقيقته والرؤية المعاينة للشئ من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو انما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين

(تفسير النسفي)

الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفي الاحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فكذا هذا على أنه مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصي عن عهدتها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معلوم موجود والا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم لا يجوز ان يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي وهذا لان الرؤية تحقق الشئ بالبصر كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها وان كان لا في الجهة يرى لا فيها

الآيتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ويطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه أبصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست في أنفسها بصائر الا انها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين اسبابا لحصول البصائر سميت بصائر (فمن أبصر) يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق (فلنفسه) يعني فلنفسه أبصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمي) يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فعليها) يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم برقيب احصى عليكم أعمالكم وأفعالكم انما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر ان أدفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالايمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك نصرف الآيات) يعني وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل (وليقولوا درست) يعني وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم ان يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته وذلله للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخير وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف بمعنى قارأت أهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرؤا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وامحت من قولهم درس الاثر اذا امحى وذهب أثره (ولنبينه لقوم يعلمون) يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست أو درست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحاق ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها اهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا دارست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى (اتبع ما أوحي اليك من ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك وهو

(سورة الانعام)

(وهو اللطيف) أى العالم بدقائق الامور ومشكلاتها (الخبير) العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما ان البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) أبصر وإياها نفع (ومن عمى) عنه وضل (فعليها) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها انما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وكذلك نصرف الآيات) الكاف فى موضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وليقولوا) جوابه محذوف أى وليقولوا (درست) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب دارست مكى وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين (ولنبينه) أى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لانها فى معنى القرآن قيل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والصيرورة أى لتصير عاقبة أمرهم الى ان يقولوا درست وهو كقولك فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لقوم يعلمون) الحق من الباطل (اتبع ما أوحى اليك من ربك) ولا

القرآن فاعمل به و بلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست اودرست وفي قوله اتبع ما اوحي
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست
ونبه بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك
فانه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى (وأعرض عن
المشركين) قيل المراد منه في الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم
وعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال
الزجاج معناه لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة
في قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) يعني وما جعلناك
يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك
عليهم حفيظا تمنعهم منا ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم
فان ذلك بمشيئة الله تعالى (وما انت عليهم بوكيل) يعني وما انت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما انت
عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون
منسوخة قوله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال
ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون
يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم
لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا ندخل على هذا
الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات
قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو
ابن العاص والاسود بن أبي البختري الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد
آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه وتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له أبو طالب ان هؤلاء قومك و بنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد
ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له أبو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم
وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله
فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس
فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك أو نشتمن
من يأمرك فأنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي
يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال
الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون وقال ابن الانباري
هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه نسخ هذه الآية
ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة
وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك
من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام
فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة عملهم) يعني
كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة

(تفسير النسفي)
تتبع أهواءهم (لا اله الا هو) اعتراض أكد
به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب
أو حال من ربك مؤكدة (وأعرض عن
المشركين) في الحال الى ان يرد الامر بالقتال
(ولو شاء الله) أي ايمانهم فالمفعول محذوف
(ما أشركوا) بين انهم لا يشركون على خلاف
مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الايمان لهداهم
اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم
فأشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظا)
مراعيا لاعمالهم مأخوذا باجرامهم (وما أنت
عليهم بوكيل) بمسلط وكان المسلمون يسبون
آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله
بقوله (ولا تسبوا) آلهة (الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب
النهي (عدوا) ظلما وعدوانا (بغير علم) على
جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به (كذلك)
مثل ذلك التزيين (زينا لكل أمة) من أمم
الكفار (عملهم) وهو كقوله أفمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي

علمهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى (ثم الى ربهم مرجعهم) يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل (واقسموا بالله جهد ايمانهم) قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وارنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل فقال ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله جهد ايمانهم يعني أوكد ما قدروا عليه من الايمان وأشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لئن جاءتهم آية) يعني كما جاءت من قبلهم من الامم (ليؤمنن بها) يعني ليصدقن بها (قل) يعني قل يا محمد (انما الآيات عند الله) يعني ان الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله (انها اذا جاءت لا يؤمنون) فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم ايها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانو يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذا رأوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءتهم يؤمنون أولا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

أعاذل ما يدريك ان منيتي * الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعني لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشئ وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كما لم يؤمنوا به أول مرة) يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء

(سورة الانعام)

من يشاء وهو حجة لنا في الاصلح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (واقسموا بالله جهد ايمانهم) جهد مصدر وقع موقع الحال أي جاهدين في الاتيان بأوكد الايمان (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (انها) ان الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعني أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون انها بالكسر مكي وبصري وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون لا تؤمنون شامي وحمزة (ونقلب أفئدتهم) عن قبول الحق (وأبصارهم) عن رؤية الحق عند نزول الآية التي اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم أي وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كما لم يؤمنوا به أول مرة) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها

وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيمها اذا شاء ويزيغها اذا أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ومعنى قوله نقلب أفئدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك انهم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة تشهدون لك انك رسول الله أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعني كما سألوا (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قبيلا قبيلا قيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله (ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) يعني الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر ووجه المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا وهم أهل الشقاء الا ان يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله أراد الايمان من جميع الكفار قوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو مسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من أذى اعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس أشد علي من شياطين الجن وذلك

(تفسير النسفي)
(ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قيل وما يشعركم
أنها إذا جاءت ... في طغيانهم يعمهون يتحيرون (ولو أننا
نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا
الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا
(وحشرنا عليهم) جمعنا (كل شيء قبلا)
كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو
الكفيل قبلا مدني وشامي أي عيانا وكلاهما
نصب على الحال (ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله) ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول
المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية (ولكن
أكثرهم يجهلون) ان هؤلاء لا يؤمنون اذا
جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين
جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه
من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر
وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين
الانس والجن) على البدل من عدوا أو على انه
المفعول الاول وعدوا مفعول ثان

انى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى القول الثانى ان الجميع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدى ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التى مع الانس وبشياطين الجن التى مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبى صلى الله عليه وسلم ولأوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضى اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضى المغايرة فعلى هذا يكون فى الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض) يعنى يلقى ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو الوسوسة التى يلقيها الى من يريد اغواءه فعلى القول الأول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثانى ان أولاد ابليس يلقى بعضهم بعضا فى كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبى بكذا وكذا فأضل انت صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فكذلك وحى بعضهم الى بعض وقوله (زخرف القول) يعنى باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شئ حسن مموه فهو زخرف (غرورا) يعنى ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويغرونهم بها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعنى ما فعلوا الوسوسة التى يلقيها الشياطين فى قلوب بنى آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له فى الثواب اذا صبر على المحنة (فذرهم وما يفترون) يعنى فخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصى فانى من ورائهم قوله تعالى (ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغو فى اللغة الميل يقال اصغى الى كذا اذا مال اليه ويقال صغوت أصغو وصغيت أصغى لغتان قال ابن الانبارى اللام فى ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكى تصغى الى الباطل افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله (وليرضوه) يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وليقترفوا ما هم مقترفون) يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل (أفغير الله أبتغى حكما) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضى بينى وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فأمره الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعانى قال الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل ان يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق والله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يعنى مبينا فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بينى وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى (يعلمون انه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه (فلا تكونن من الممترين) يعنى فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل

(سورة الانعام)

يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وقال عليه السلام قرناء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصى (غرورا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (ولو شاء ربك ما فعلوه) أى الايحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه أجزل فى الثواب (فذرهم وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (ولتصغى) ولتميل اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهى معطوفة على غرورا أى ليغروا ولتصغى اليه (وليرضوه) لأنفسهم (وليقترفوا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) حال من الكتاب أى مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أى عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون انه منزل) شامى وحفص (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين فى ان أهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك

وأي شئ لكم في ان لا تأكلوا وما يمنعكم من ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام فخر الدين الرازي ههنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعني الا أن تدعوكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في أكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم انكم تأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهواءهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحائر وسيب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) يعني وذروا أيها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع ابن أنس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات واما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى (ان الذين يكسبون الاثم) يعني ان الذين يعملون بما نهاهم عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يعني بما كانوا يكتسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في

(سورة الانعام)

الله عليه (وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وفصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص وبضمهما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثيرا ليضلون) ليضلون كوفي (بأهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين من الحق الى الباطل (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره او الزنا في الحوانيت والصديقة في السر او الشرك الجلي والخفي (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) يوم القيامة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون في الدنيا (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) عند الذبح (وانه)

تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام انتهى

* (فصل اختلاف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها) * فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الأصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على ان آكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحمان فما ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما أهل لغير الله به والله أعلم وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون الى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فأنزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى أوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية (وان أطعتموهم) يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل (أومن كان ميتا فأحييناه) يعني أومن كان ميتا بالكفر فأحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى النور العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمله (كمن مثله في الظلمات) يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فأحياه وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك

قوله

(تفسير النسفي)

وان أكله (لفسق وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بأيديكم والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو يجعل الناسي ذاكرا تقديرا (وان أطعتموهم) في استحلال ما حرمه الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أومن كان ميتا فأحييناه) أي كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلوب (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) مستضيئا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها

قولين أحدهما ان الآية فى رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس فى قوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم كمن مثله فى الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبى صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان حمزة قد رجع من صيده وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة والكلبى نزلت فى عمار بن ياسر وأبى جهل وقال مقاتل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وذلك ان أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن حتى يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت هذه الآية والقول الثانى وهو قول الحسن فى آخرين ان هذه الآية عامة فى حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا فى الكل دخل فيه كل أحد وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم أعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) يعنى وكما جعلنا فى مكة أكابر وعظماء جعلنا فى كل قرية أكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر جمع الأكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها أكابر وانما جعل المجرمين أكابر لانهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل فى كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم (ليمكروا فيها) قال أبو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يمكرون الا بأنفسهم) يعنى ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعنى النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى أبى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحى كما يأتيه فأنزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعنى حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش ان قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وفى قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبى صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى

(كذلك) أى كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم أعمالهم (ما كانوا يعملون) أى أعمالهم (وكذلك) أى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها (جعلنا) صيرنا (فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصرة بقوله (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان مكرهم يحيق بهم (وما يشعرون) انه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية ومجرميها بدل من أكابر أو الأول مجرميها والثانى أكابر والتقدير مجرميها أكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الأكابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى نعطى من الآيات مثل ما أعطى الأنبياء فأعلم الله

يرحى الينا ويأتينا جبريل يصدقنا بأنك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) يعنى ان الله تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس بأهل لها وأنتم لستم لها بأهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعانى الابلغ فى تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين واتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم أبى طالب دون أبى جهل والوليد وغيرهما من أكابر قريش ورؤسائها وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى تصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هذا من عند الله وقيل معناه ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الآخرة (بما كانوا يمكرون) يعنى انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح أى وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد فى عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوضحه وأظهره وشرح المسألة اذا كانت مشكلة فأوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أى فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعنى فتحه ووسعه لقبوله والثانى ان الشرح نور يقذفه الله فى قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فمن يرد الله ان يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام فى قلبه فيضىء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت واسنده الطبرى عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقوله تعالى (ومن يرد) اى الله (ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يعنى يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبى ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الاية وعنده اعرابى من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شىء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شىء من الخير وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهى الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شىء وقرأ ابن عباس هذه الاية فقال هل هنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الشجر المستمسك الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقال اهل المعانى لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذى هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله صير قلب الكافر بحيث لا يعى علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به

تعالى ادرى أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أكابرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يمكرون) فى الدنيا (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور فى القلب انشرح وانفسح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أى الله (ان يضله يجعل صدره ضيقا) ضيقا مكى (حرجا) صفة ضيقا مدنى وأبو بكر بالغانى الضيق حرجا غيرهما

وفى الآية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى (كانما يصعد فى السماء) يعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة فى ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الكاف فى كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثانى قال الزجاج اى مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اى فيسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفى رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس فى الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب قوله عز وجل (وهذا صراط ربك مستقيما) يعنى وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعنى الاسلام وقال ابن مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك من أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبى صلى الله عليه وسلم عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة مهيئة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولى هو الناصر والقريب يعنى انه تعالى ينصرهم فى الدنيا ويقربهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا) أى اذكر يا محمد يوم نحشر المعادلين بالله الاصنام مع أوليائهم من الشياطين يعنى نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لابد له من تأويل آخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوائهم بأنفسهم لانه لا يقدر على الاجبار أحد الا الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فأما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبى كان الرجل فى الجاهلية

وصفا بالمصدر (كانما يصعد فى السماء) كانه كلف ان يصعد الى السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب مصعدا فى السماء او كعازب الرأى طائر القلب فى الهواء يصعد مكى يصاعد أبو بكر واصله يتصاعد الباقون يصعد واصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية حجة لنا على المعتزلة فى ارادة المعاصى (وهذا صراط ربك) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسنته فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقا لمن أراد ضلاله (مستقيما) عادلا مطردا وهو حال مؤكدة (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) يتعظون (لهم) اى لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعنى الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر او السلام التحية سميت دار السلام لقوله تحيتهم فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما (عند ربهم) فى ضمانه (وهو وليهم) محبهم او ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بأعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون او هو ولينا فى الدنيا بتوفيق الاعمال وفى العقبى بتحقيق الآمال (ويوم نحشرهم جميعا) وبالياء حفص أى واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم كما تقول استكثر الامير من الجنود (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم

اذا سافر فنزل بأرض قفراء وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو أنهم قالوا اسدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة قال يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار مثواكم) يعني ان النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها (خالدين فيها) يعني مقيمين في نار جهنم أبدا (الا ما شاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا خالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلتهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله الا ما شاء الله بمعنى من يعني الا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعني بعواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون كانه قال انما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بأنهم يستحقون ذلك قوله عز وجل (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) الكاف في وكذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من أعان ظالما سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد ان يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم وقوله تعالى (بما كانوا يكسبون) يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى (يا معشر الجن والانس) المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر (ألم يأتكم رسل منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل

(وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم (خالدين فيها) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فمصبحين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شيء (الا ما شاء الله) أي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (عليم) بأعمالهم فيجزي كلا على وفق عمله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) نتبع بعضهم بعضا في النار أو نجعل بعضهم أولياء بعض أو نسلط بعضهم على بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لانه به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان

ام لا

أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى انه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لانه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم يخاطب الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بأن الله تعالى قال يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله أعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) يعني يخبرونكم بما أوحي اليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما أخبر في كتابه وهو قوله تعالى يا معشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم في قوله تعالى (قالوا) يعني كفار الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بأن الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على انفسهم أنهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكانت عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن ربك) يعني لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان تأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا أتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (واهلها غافلون) أي وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها

من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتي) يقرؤن كتبي (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني يوم القيامة (قالوا شهدنا على أنفسنا) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل الينا (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) تعليل أي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول

وعلى قول الفراء انه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شئ من افعاله غير انه أخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) يعني ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما يعملون) مختص بأهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي وانه عالم بأعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب قوله عز وجل (وربك الغني) يعني عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذو الرحمة) قال ابن عباس بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون (ان يشأ يذهبكم) يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعني وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعني من بعد اهلاككم (ما يشاء) يعني خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدي وصاحب الكشاف يعني من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أو رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال القاضي وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة القدرة فكأنه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهذا آخر كلامه وقال الطبري في قوله كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم أنشئوا من اصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم أنشئوا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم قوله تعالى (ان ما توعدون) به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة (لآت) يعني انه كائن قريب (وما أنتم بمعجزين) يعني بفائتين حيثما كنتم يدرككم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد (يا قوم) أي قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكانتكم) وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكين وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة

وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعة لانه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وما ربك بغافل عما يعملون) بساه عنه وبالتاء شامي (وربك الغني) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظلمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) بمعنى الذي (توعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أي لكائن (وما أنتم بمعجزين) بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على

كما

كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التى أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكانتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكانتى التى أنا عليها وما أمرنى به ربى والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فانى ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل على أمر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة فى الزجر عن ما هم عليه من الكفر فكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم فى عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصى وقوله تعالى (فسوف تعلمون) يعنى لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أو لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أينا كان على الحق فى عمله نحن أم أنتم (من تكون له عاقبة الدار) يعنى فسوف تعلمون غدا فى القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهى الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بى وأشرك ثم فى هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثانى انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مما خلق من الحرث يعنى الزرع والثمر والانعام يعنى ومن الانعام وهى الابل والبقر والغنم نصيبا يعنى قسما وجزءا قال المفسرون كان المشركون فى الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شئ مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شئ مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم) يعنى قولهم الذى هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجئ الا فى موضع ذم لقائليه وانما نسبوا الى الكذب فى قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لاضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا لشركائنا) يعنى الاصنام وانما سموا الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعنى ما جعلوه لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعنى فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقرون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقرون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أى قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدى كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعنى بئس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى فى الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزءا من المال وهى لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاساءة فى الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه فى الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التى لم يرد بها شرع ولا نص ولا سنة قوله عز وجل

ما أنت عليه (انى عامل) على مكانتى التى
أنا عليها أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى
ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو
أمر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعلمون
أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق
لطيف فى الانذار (انه لا يفلح الظالمون) أى
الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون
حمزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أى
وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذى
(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا)
أى وللاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى
(فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) بزعمهم
وكذا ما بعده أى زعموا انه لله والله لم
يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أى لا يصل
الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى
الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها
والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون أشياء
من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فاذا
رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه
للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه
لها وقالوا ان الله غنى وانما ذاك لحب آلهتهم
وايثارهم لها وفى قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله
كان أولى بأن يجعل له الزاكى لانه هو الذى
ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (ساء ما يحكمون)
فى ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم
وموضع ما رفع أى ساء الحكم حكمهم أو نصب

اى ساء حكما حكمهم (وكذلك زين لكثير من المشركين) أى كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم
شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامى على اضافة القتل الى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فذرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث) للاوثان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وانعام حرمت ظهورها) هى البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعول له أو حال أى قسموا انعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه (سيجزيهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكر ومحرم حملا على اللفظ او التاء للمبالغة كنسابة (وان يكن ميتة) أى وان يكن ما فى بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أى وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى (فهم فيه شركاء) لان الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم (انه حكيم) فى جزائهم (عليم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر قتلوا مكى وشامى (سفها بغير علم) لخفة ان

(وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعنى كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا فى غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله فى استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم فى نهاية الجهالة أيضا فكانه قال ومثل ذلك الذى فعلوه فى القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعنى حسن (لكثير من المشركين قتل أولادهم) يعنى به وأد البنات احياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعنى شياطينهم امروهم ان يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فأشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم واضيف الشركاء الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم يعنى خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل فى الجاهلية يقوم فيحلف لان ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم اشركوهم فى الطاعة (ليردوهم) يعنى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى امروهم به والارداء فى اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم فى النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعنى وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك فى دينهم وكانوا على دين اسماعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذى كان عليه اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعنى ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذى زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل أن جميع الاشياء بمشيئته وارادته اذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك (فذرهم) يعنى فاتركهم يا محمد (وما يفترون) يعنى وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله تعالى (وقالوا) يعنى المشركين (هذه انعام وحرث حجر) أى حرام واصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشياء من انعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعنى بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى (لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنى يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعنى الحوامى وهى الانعام التى حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) يعنى لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعنى انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجزيهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب قوله عز وجل (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) يعنى نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبى اراد اجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) ودخلت الهاء فى خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فأنث بتأنيثها وقال الكسائى خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما فى هذه الآية فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ (سيجزيهم وصفهم) يعنى سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعنى انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على ان يستحيى جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل او راح من عند امرأته وقال لها أنت على كظهر امى

ان رجعت اليك ولم تئدها اتخذت لها فى الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا ابصرته راجعا دستها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب الخسران المذكور فى قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل فى ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر فى الدنيا والآخرة اما خسارته فى الدنيا فقد سعى فى نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته فى الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعنى فعلوا ذلك للسفاهة وهى الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى (وحرموا ما رزقهم الله) يعنى البحائر والسوائب والحامى وبعض الحروث وبعض ما فى بطون الانعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعنى انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله امرهم بذلك وهذ افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعنى فى فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعنى الى طريق الحق والصواب فى فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) يعنى والله الذى ابتدع وخلق جنات يعنى بساتين معروشات (وغير معروشات) يعنى مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات وأصل العرش فى اللغة شئ مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا فى معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما فى الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس فى البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبته الله فى البرارى والجبال من كرم او شجر (والنخل والزرع) يعنى وانشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التى تقتات وتدخر (مختلفا أكله) يعنى به اختلاف الطعوم فى الثمار كالحلو والحامض والجيد والردىء ونحو ذلك (والزيتون والرمان متشابها) يعنى فى المنظر (وغير متشابه) يعنى فى المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة فى الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا أثمر) لما ذكر ما انعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلى وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد الى غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة فى الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان يأكل منها شيئا قبل اخراج الواجب فيها لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فأباح الله ان يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشياء التى انعم الله بها على عباده هو الاكل (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى يوم جداده وقطعه واختلفوا فى هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده أى من الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة او سقاه النيل والندى او كان بعلا العشر كاملا وان سقى

أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم
لامهم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر
والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له
(قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب
(وهو الذى انشأ) خلق (جنات) من الكروم
(معروشات) مسموكات مرفوعات (وغير
معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش
يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا
تعطف عليه القضبان (والنخل والزرع مختلفا)
فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة
لان النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون
مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أكله)
أكله حازى وهو ثمره الذى يؤكل والضمير
للنخل والزرع داخل فى حكمه لانه معطوف عليه
أو لكل واحد (والزيتون والرمان متشابها)
فى اللون (وغير متشابه) فى الطعم (كلوا من ثمره)
من ثمر كل واحد وفائدة (اذا أثمر) ان يعلم
ان أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر
الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وآتوا
حقه) عشره وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله
فى تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى
وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان

بنضح اوسانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيا سقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا بآية الزكاة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححاه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدروا اداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى ان يأخذ من رب المال فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من لا يحبه الله فهو من أهل النار قوله تعالى (ومن الانعام) يعني وانشأ من الانعام (حمولة) وهي كل ما يحمل عليها من الابل (وفرشا) يعني صغار الابل التي

(ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال
وقوله كلوا الى (انه لا يحب المسرفين) اعتراض
(ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات
أي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال
وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التي تصلح
للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل
والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش

لاتحمل قال ابن عباس الحمولة هى الكبار من الابل والفرش هى الصغار من الابل وقال فى رواية اخرى عنه ذكرها الطبرى اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل مايحمل عليها من الانعام والفرش مالا يصلح للحمل سمى فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره (كلوا مما رزقكم الله) يعنى كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى لاتسلكوا طريقه وآثاره فى تحريم الحرث والانعام كما فعله أهل الجاهلية (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين) يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية ازواج) يعنى وانشأ من الانعام ثمانية ازواج يعنى ثمانية اصناف والزوج فى اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لاينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعنى الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) استفهام انكار اى قل يامحمد لهؤلاء الجهلة آلذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثها حرام (ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) يعنى ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى (نبئونى) أى اخبرونى وفسروا لى ما حرمتم (بعلم ان كنتم صادقين) يعنى ان الله حرم ذلك عليكم (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه اربعة ازواج أخر بقية الثمانية (قل آلذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفى هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم مالم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم فى كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يا محمد بلغنا انك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك الا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل لان الرحم لايشتمل الا على ذكر أو انثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ماقالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيأ من ذلك وانهم اتبعوا فى ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام فخر الدين فى معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى انكم لاتقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثانى انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلما لم تحكموا بهذه الاحكام فى هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا) يقول الله

(كلوا مما رزقكم الله) أى مما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقه فى التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) فاتهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قل آلذكرين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الانثيين أى أم حرم الانثيين وكذا ما فى أم ما اشتملت (نبئونى بعلم) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى ان الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين) منهما (أم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين) أم ما تحمل اناثها (أم كنتم شهداء) أم منقطعة أى بل أكنتم شهداء (اذ وصاكم الله بهذا) يعنى أم شاهدتم ربكم

لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فمن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمر بها قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه) اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحي الي وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا أجد فيما أوحي الي محرما يعني شيئا محرما على طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا) يعني سائلا مصبوبا (أو لحم خنزير فانه رجس) أي نجس (أو فسقا أهل لغير الله به) يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الآية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شئ من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بأن هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بها فمنها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولأبي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم

حرامه

ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي تحرمونه من أمركم بهذا التحريم أعزتم تهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (كذبا) نصب (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) ان اليه تحريم ما لم يحرم (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الدين في عليه ووقع الفاصل بين انهم يحتجون على الكفر ووقع اعتراضا غير أجنبي من بعض المعدود وبعضه اعتراضا على عباده المعدود وذلك ان الله تعالى من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد (قل لا أجد فيما أوحي الي) أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لان وحي السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس (محرما) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكي وشامي وحمزة ميتة شامي (أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل لغير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي

حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلا قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الاهلية (ق) عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم او تحليل فما كان أمر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروى عن سعيد بن أبي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل و يحرم من المطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى لا أجد محرما مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما أوحي الي في هذه الآية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الآية ثم حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم بقي في الآية أحكام في قوله تعالى أو دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما اختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين (الا ما حملت ظهورهما) يعني الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وأبو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية (او الحوايا) وهي المباعر في قول ابن عباس و جمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بعض الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (او ما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله

بالفسق لتوغله في باب الفسق (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى أكل شئ من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم كل ذي ظفر وحرمنا من البقر والغنم شحومهما ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهي الثروب وشحوم الكلى (الا ما حملت ظهورهما) الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) أو ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوياء أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الالية أو المخ

صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته وجملته أكثر وأفصح وقوله تعالى (ذلك جزيناهم) أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة (ببغيهم) يعني بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك انا حرمنا عليهم وأحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه (ولا يرد بأسه) يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتهما (عن القوم المجرمين) يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيقول الذين أشركوا) لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم مالم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شئ) يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا

(فصـــل استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية) فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا أراده منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضي ما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله أمرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما أشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فان الله تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع أمره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم فأخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله

تعالى

(ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سائر التحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشروهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) بامهال المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لو شاء الله) أن لا نشرك (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شئ من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى كتكذيبهم اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذا لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة لهم على انهم معذورون به وهذا مردود لان الاقرار بالمشيئة ومعنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن أي مارضي الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضي الاترى انه قال فلو شاء لهداكم أجمعين اخبر انه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض (حتى ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب

تعـالى فى كل الامو ردفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله أعلم وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لوشاء الله ما أشركنا ولكنه رضى ما نحن عليه من الشرك هل عندكم يعنى بدعوا كم ما تدعون من علم يعنى من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنـا) يعنى فتظهروا ذلك العلم لنـا وتبينوه كما بينا لـكم خطأ قولـكم وفعلكم وتنـاقض ذلك واستحالته فى العقول (ان تتبعون الا الظن) يعنى فيما أنتم عليـه من الشرك وتحريم مالم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانمـا هو باطـل (وان انتم الا تخرصون) يعنى وما أنتم فى ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله البـاطل وقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله أوحجة لهم فلله الحجة البـالغة يعنى التامة على خلقه بانزال الـكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده (فلوشـاء لهدا كم أجمعين) يعنى فلوشـاء الله لوفقكم أجمعين للهداية ولـكنه لم يشاء ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمـان الـكافر ولوشـاء لهداه لا يسئل عمـا يفعل وهم يسئلون (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون) يعنى هاتوا وادعوا شهـداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشئ يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقـال للواحد هلم وللاثنين هلمـا وللجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هـذا) وهـذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الـكافرين على تحريم ما حرموه على أنفسهـم وقالوا ان الله أمرنا به ليظهر ان لا شاهـد لهـم على ذلك وانمـا اختلقوه من عند أنفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين فى شهـادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم فى شهـادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعنى ان وقع منهم شهادة فانمـا هى باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد اهواءهـم ولـكن اتبع ما أوحى اليـك من كتابى الذى لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم بربهـم يعدلون) يعنى يشركون قوله عز وجل (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) لمـا بين الله تعالى فساد مقالة الـكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بتحريم ما حرموه على أنفسهم فكانهم سألوا وقالوا أى شئ حرم الله فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعـالوا تعال من الخاص الذى صار عاما وأصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفـل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فـكانه دعاه الى ما فيـه رفعة وشرف ثم كثر فى الاستعمـال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم اتل عليكم يعنى اقرأ ما حرم ربكم عليكم يعنى الذى حرم ربكم عليـكم حقا يقينا لا شك فيـه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحى أوحاه الله الى (ان لا تشركوا به شيئا) فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لا تشركوا به شيئا الانه كالتفصيل لما أجمله فى قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنـه من وجوه الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثانى ان يكون محله النصب واختلفوا فى وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتـكون لا صلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعـنى اتل عليكم تحريم الشرك اى لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم ان لا تشركوا الان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثـالث ان يكون الـكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء او بمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هـذا الاشراك الذى حرمه الله ونهـى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا فى معصية الخـالق او يريد بعبـادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقوله عز وجل (وبالوالدين احسانا) أى وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسـان نعمة الله لانه هو الذى أخرجه من العدم الى الوجود وخلقه وأوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمـة الله نعمة الوالدين لانهما السبب فى وجود الانسان ولمـا لهما عليه من حق

(قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه (ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) تكذبون (قل فلله الحجة البالغة) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته وبه تبطل صولة المعتزلة (فلوشاء لهداكم أجمعين) أى فلوشاء هدايتكم لهداكم (قل هلم شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى فى هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرما (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرث والانعام (تعالوا) هو من الخاص الذى صار عاما واصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذى حرمه ربكم (عليكم) ما من صلة حرم (أن) مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (لا تشركوا به شيئا) (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان تحريما لترك الاحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر

التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد البنات وهن احياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى أراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وهو الذي أبيح قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأوجبه عليكم (لعلكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له ولا يأخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان يأكل بالمعروف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فأما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية انما هي نهاية الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهو المختار في تفسير هذه الآية وقوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لا نكلف نفسا الا وسعها) يعني طاقتها وما يسعها في ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي ان يعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قلتم فاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قربى) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير

ذلك

(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) من اجل فقر
ومن خشيته كقوله خشية إملاق (نحن نرزقكم
واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق
(وما بطن) ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من
الفواحش (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا
بالحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم
(ذلكم وصاكم به) أي المذكور مفصلا أمركم به
(لعلكم تعقلون) لتعقلوا واعظموها عند
الله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) حفظه
الا بالخصلة التي هي احسن وهي حفظه وتثميره
(حتى يبلغ أشده) اشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه
وواحده شد كفلس وافلس (وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط) بالسوية والعدل
(لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا
يعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان
ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة
فيها ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع
وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلتم فاعدلوا)
فاصدقوا (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له
أو عليه في شهادة أو غيرها من اهل قرابة القائل
كقوله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين

ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به قوله عز وجل (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله في هذه الآية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا جميع أحكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين وأمرهم باتباع جملته وتفصيله (ولا تتبعوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية (ذلكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شئ وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة * فان قلت اتيان موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك * قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليها وقوله تعالى (تماما على الذي أحسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن اي اتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي أتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما احسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى (وتفصيلا لكل شئ) يعني وبيان لكل شئ يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدى) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفته (لعلكم ترحمون) يعني لكي يكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء

(وبعهد الله) يوم الميثاق اوفي الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أي ما مر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حمزة وعلي وحفص على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد اصله تتذكرون فادغم التاء الثانية في الدال أي امركم به لتتعظوا (وان هذا صراطي) ولان هذا صراطي فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامي واصله وانه على ان الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء حمزة وعلي (مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادي سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الآية ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لأول شئ في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكونوا على رجاء اصابة التقوى ذكر ولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي اتعظوا فاتقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم اخبركم انا آتينا أو هو عطف على قل أي ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذي أحسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين احسنوا أو اراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم (وهدى ورحمة لعلهم) أي بني اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) يصدقون اي بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون) لترجوا

التقوى (أن تقولوا) يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعنى أنزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا (انما أنزل الكتاب) وقيل يجوز ان تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا أهل مكة ان تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وان كنا) أى وقد كنا وقيل وانه كنا (عن دراستهم) يعنى قراءتهم (لغافلين) يعنى لا علم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (او تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم) وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعنى هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم (فمن أظلم) أى لا احد أظلم واكفر (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) يعنى واعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعنى اسوأ العذاب وأشده (بما كانوا يصدفون) أى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هل ينتظر هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدهم عن آيات الله وهو استفهام معناه النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الا ان تأتيهم الملائكة) يعنى لقبض أرواحهم وقيل ان تأتيهم بالعذاب (او يأتى ربك) يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام فى معنى الآية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجىء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف (او يأتى بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله او يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب فى عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفى رواية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم (م) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(أن تقولوا) كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أى اهل التوراة واهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا بأهل كتاب (وان كنا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لا علم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة أن تقولوا (لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا الايام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) فقد أى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف (وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وصدف عنها) أى اعرض (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية فى النكاية (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أى أقاتح الوحدانية وثبوت الرسالة وابطال ما ... الضلالة فما ينتظرون فى ترك الايمان بعدها (الا أن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت لقبض ارواحهم يأتيهم حمزة وعلى ما يعتقدون من (أو يأتى ربك) أى امر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لان الاتيان متشابه واتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى اشراط الساعة كطلوع

يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها او خروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل
صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبرى بسنده عن عبد الله بن مسعود فى تفسير هذه الآية
قال تصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد فى رواية عنه فذلك
حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وبسنده عن أبى ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى
مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح
طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال
لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى فتخر
ساجدة فى مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وبسنده عن ابى ذر قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم
ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها
ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى
بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وروى
بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا
الى الله قبل ان يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة
وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية
تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم
والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا
ان يكون ذلك بين يدى امر عظيم فاذا أصبحوا فطال عليهم رأمت اعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها
اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن
عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع اهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل
ذلك وقال ابن الجوزى قيل ان الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك
لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل
ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها روى عن ابن مسعود
انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها
او يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج اول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة
وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابى هريرة فى قوله تعالى او يأتى بعض آيات ربك قال هى
مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا
طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال فى ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث
الصحيحة وثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتى
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) يعنى لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل
توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التى تضطرهم الى الايمان والتوبة (أو كسبت فى ايمانها خيرا)
يعنى او عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الآيات
وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من
شرك او تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا

الشمس من مغربها وغير ذلك (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) لانه ليس بايمان اختيارى بل هو ايمان دفع العذاب والبأس عن انفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا (اوكسبت فى ايمانها خيرا) أى اخلاصا كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق أيضا وتوبة وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل

على أمة فآمنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعني ما وعدتم به من مجيء الآية ففيه وعيد وتهديد (انا منتظرون) يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة او قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين فرقوا) وقرئ فارقوا (دينهم وكانوا شيعا) يعني احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فاقر ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله و بعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الامة و روي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع واهل الشبهات واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعون البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند (ق) عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله كان هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار و واحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه وأصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى (لست منهم في شيء) يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية

(قل انتظروا) احدى الآيات الثلاث (انا منتظرون) بكم احداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي السواد الاعظم وفي رواية وهي ما أنا عليه واصحابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرأ حمزة وعلي فارقوا دينهم أي تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما (لست منهم في شيء) أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم

اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني اي كل واحد منا بريء من صاحبه (انما امرهم الى الله) يعني في الجزاء والمكافأة (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) يعني عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر امثالها * واجيب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو جاري على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة وهذا أولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة و يعطي من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عذاب العاصي (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا أراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها واذا تحدث عبدي بأن يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي زاد الترمذي من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل (قل) يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (انني هداني ربي الى صراط مستقيم) يعني قل لهم انني ارشدني ربي الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين (دينا قيما) يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا عوج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو ابلغ من القائم (ملة ابراهيم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته (حنيفا) الاصل في الحنف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فأخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام (قل ان صلاتي) اي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي اراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل

(انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) فيجازيهم على ذلك (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) تقديره عشر حسنات امثالها الا انه اقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل انني هداني ربي) ابو عمرو ومدني (الى صراط مستقيم دينا) نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم قيما كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به (ملة ابراهيم) عطف بيان (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يا معشر قريش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد

النسك كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان جميع العبادات يؤديها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا (ومحياي ومماتي) أي حياتي وموتي بخلق الله وقضائه وقدره أي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله (لله رب العالمين لا شريك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت (وأنا أول المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره قوله عز وجل (قل أغير الله ابغي ربا) أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك أغير الله اطلب سيدا والها (وهو رب كل شئ) يعني وهو سيد كل شئ ومالكه لا يشاركه فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه (ولا تكسب كل نفس الا عليها) يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعني لا تؤاخذ نفس آثمة باثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وامته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز أو الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو أعلم باحوال عباده والمعنى يبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب وهو قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) يعني لاعدائه باهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما أمره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعني لذنوب أوليائه واهل طاعته (رحيم) يعني بجميع خلقه والله أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الاعراف)

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس أيضا انها مكية الا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التي كانت وبه قال

وقتادة

اوذبحي اوحجي (ومحياي ومماتي) وما آتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه محياي ومماتي بسكون الياء الاول وفتح الثاني مدني وبعكسه غيره (لا شريك له) في شئ من ذلك (وبذلك) الاخلاص (أمرت وانا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام أمته (قل اغير الله أبغي ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار بأنه اهم (وهو رب كل شئ) وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس اخرى (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) من الاديان التي فرقتموها (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الامم اولان بعضهم يخلف بعضا اوهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان او التقدير الى درجات اوهي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفعة بعد رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فيما اعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني بالفقير والمالك بالمملوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة

(سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني)

قتادة وقال مقاتل ثمان آيات فى سورة الاعراف مدنية أولها واسألهم عن القرية الى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم وهى مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفصل وعنه أنا الله أعلم وافصل وعنه أن المص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هى حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف تحتوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معانى الحروف المقطعة أوائل السور فى أول سورة البقرة وقوله تعالى (كتاب أنزل اليك) يعنى هذا كتاب أنزله الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منه) يعنى فلا يضق صدرك بالابلاغ وتأدية ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعني أنزلت اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره (وذكرى للمؤمنين) يعنى ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل اليكم من ربكم يعنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا ويحب أن نعلم فيم أنزلت وما معناها ونحو هذا قال الزجاج أى اتبعوا القرآن وما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر به كان معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار أى اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعنى ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (قليلا ما تذكرون) يعنى ما تتعظون الا قليلا قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ما أمروا به فذكر فى هذه الآية ما فى ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالاهلاك اهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (فجاءها بأسنا) يعنى عذابنا فان قلت مجىء البأس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال أهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها بأسنا وقال الفراء الهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيتنى فأحسنت الى فلم يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك أعطيتنى فأحسنت الى أو أحسنت الى فأعطيتنى فيكون أحدهما بدلا من الآخر (بياتا) يعنى فجاءها عذابنا ليلا قبل أن يصبحوا (أوهم قائلون) من القيلولة وهى نوم نصف النهار أو استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) قال الزجاج المختار فى تفسيره ما قال ابن عباس رضى الله عنهما انا الله اعلم وافصل (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب (انزل اليك) صفته والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن فى صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اى لا شك فى انه منزل من الله او حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهى متوجه الى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعطف اى هذا الكتاب انزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك واللام فى (لتنذر به) متعلق بأنزل اى انزل اليك لانذارك به او بالنهى لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين) فى محل النصب باضمار فعلها اى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير او الرفع بالعطف على كتاب اى هو كتاب وذكرى للمؤمنين او بانه خبر مبتدأ محذوف او الجر بالعطف على محل لتنذر اى للانذار وللذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) اى القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) اى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامى (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (اهلكناها) اى اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (اوهم قائلون) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو

وهم غيرهم وقعي له ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود
الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة
(فما كان دعواهم) يعنى فما كان دعاء أهل القرية التى جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء
وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم أشركنا فى صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها
سبحانك اللهم (اذ جاءهم بأسنا) يعنى عذابنا (الا ان قالوا انا كنا ظالمين) يعنى انهم لم يقدروا على رد
العذاب عنهم وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسألن الذين أرسل
اليهم) يعنى نسأل الامم الذين أرسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل (ولنسألن المرسلين) يعنى
ولنسألن الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا واديتم الى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم
فى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين
ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدى
يسأل الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم فى
الآية الاولى بأنهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على
أنفسهم بذلك * قلت لما اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير
والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار * فان قلت ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنهم قد بلغوا
رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل
فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم
أنهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ للكفار
أيضا لانهم أنكروا تبليغ الرسل فتزداد بذلك خزيهم وهوانهم وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم)
يعنى فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا فى الدنيا (وما كنا غائبين) يعنى عنهم وعن
أفعالهم عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما أجابوا * فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسألن
الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين واذا كان عالما فما
فائدة هذا السؤال * قلت فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقريع
والتوبيخ للكفار لانهم اذا أقروا على أنفسهم كان أبلغ فى المقصود فأما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو
منفى عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها فهو العالم
بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعنى
والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء
ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى أن المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله
عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزى جاء
فى الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه اياه فقال الهى من يقدر ان
يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب
الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة
فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على
سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل * فان قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد
فما الحكمة فى وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق
بالايمان بذلك فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة
وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى أثبت أعمال العباد فى اللوح المحفوظ ثم فى

ولا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو ولانه لما
عطف على حال قبلها حذفت الواو واستثقالا
لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو
العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان
لانهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما
اشد وافظع وقدم لوط عليه السلام اهلكوا
بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام
وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا اى ليلا وهم
نائمون او نهارا وهم قائلون (فما كان دعواهم) لما
دعاؤهم وتضرعهم (اذ جاءهم بأسنا) العذاب
جاءهم اوائل العذاب (الا ان قالوا انا كنا
ظالمين) اعترفوا بالظلم على انفسهم والشرك حين
لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وان قالوا الخبر
ويجوز العكس (فلنسألن الذين أرسل اليهم)
ارسل مسند الى اليهم اى فلنسألن المرسل اليهم
وهم الامم عما اجابوا به رسلهم (ولنسألن المرسلين) على الرسل
عما اجيبوا به (فلنقصن عليهم) على الرسل
والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين
بأحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم
وافعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد
منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع
والتقدير اذا فاهوا بألسنتهم وشهد عليهم
انبياؤهم (والوزن) أى وزن الاعمال والتمييز
بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يومئذ)
أى يوم يسأل الله الامم ورسلهم فحذفت الجملة
وعوض عنها التنوين (الحق) أى العدل صفته
ثم قيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان
وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل
هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل

صحائف الحفظة الموكلين ببني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن أو نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان وأورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع *واجيب عنه بأن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر (فأولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه (ومن خفت موازينه) يعني موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فأولئك الذين خسروا انفسهم) يعني غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وأدلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها وما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا قوله عز وجل (ولقد مكناكم في الارض) يعني ولقد ملكناكم أيها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع المآكل والمشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليلا ما تشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة

والله اعلم بكيفيته (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان او موزون أي من رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات (وما توزن به حسناتهم (فأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) هم الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل ولا يكون في ميزانهم خير فتخف موازينهم (فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي جحودها وترك الانقياد لها (ولقد مكناكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما والوجه تصريح الياء لانها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همز تشبيها بصحائف (قليلا ما تشكرون) مثل قليلا ما تذكرون

واظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعنى ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله فى ظهر أبيكم آدم ثم صورناكم فى أرحام النساء صورا مخلوقة * فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضى ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخى ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته * قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر به على الخبر وقيل فى معنى الآية ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أو لانه أبو البشر فكان فى خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعنى آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعنى آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعنى بعد اكمال خلقه وقد تقدم فى سورة البقرة الكلام فى معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان المسجود له وكان ذلك بأمر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره فى سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعنى الملائكة (الا ابليس) يعنى فسجد الملائكة لآدم الا ابليس (لم يكن من الساجدين) يعنى له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثناه منهم قوله تعالى (قال مامنعك أن لا تسجد اذ أمرتك) يعنى قال الله عز وجل لابليس أى شئ منعك من السجود لآدم اذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا فى قوله ان لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير مامنعك ان تسجد فهو كقوله لا أقسم اى أقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اى يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل الكتاب اى ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة أو لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى ان لا فى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا الا ان معنى قوله مامنعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبرى الصواب فى ذلك ان يقال ان فى الكلام محذوفا تقديره مامنعك من السجود فاحوجك ان لا تسجد فترك ذكر احوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعى فكأنه قال مادعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها * فان قلت لم سأله عن المانع له من السجود وهو أعلم به * قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره بأصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه (قال) يعنى قال ابليس مجيبا لله تعالى عما سأله عنه (انا خير منه) فان قلت قوله انا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه فى قوله تعالى مامنعك أن لا تسجد فلم يجب بامنعه من السجود فانه كان ينبغى له ان يقول منعنى كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه * قلت استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) والنار خير من الطين وانور وانما قال انا خير منه لما رأى انه اشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم عليه السلام (قال مامنعك ان لا تسجد) ما رفع أى أى شئ منعك من السجود ولا زائدة بدليل مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (اذ أمرتك) فيه دليل على ان الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قال انا خير منه خلقتنى من نار) وهى جوهر نورانى (وخلقته من طين) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافى القياس اول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص كذا فكان الجواب لما منعك ان يقول منعنى وانما قال انا خير منه لانه لما استأنف قصة واخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبقلة فضله عليه فعلم منها الجواب كأنه قال منعنى من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهى انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول

لفضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجهل عدوّ الله ابليس وجه الحق واخطأ طريق الصواب لأن من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذى حمل الخبيث ابليس مع الشقاء الذى سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان فى جوهر الطين الرزانة والاناءة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعى لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التى سبقت له من الله تعالى فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اوّل من قاس ابليس فأخطأ وقال ابن سيرين ايضا ماعبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذى قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لاتحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شئ وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التى سبقت له فى القدم وأورث ابليس كبره اللعنة والطرد للشقاوة التى سبقت له فى القدم وقوله تعالى (قال فاهبط منها) يعنى قال الله تعالى لابليس لعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك ان تتكبر فيها) يعنى فليس لك ان تستكبر فى الجنة عن امرى وطاعتى لانه لا ينبغى ان يسكن فى الجنة او فى السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنهما المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون فى الارض (فاخرج انك من الصاغرين) يعنى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدوّ الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فأخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها (قال) يعنى قال ابليس عند ذلك (انظرنى) يعنى اخرنى وامهلنى فلاتمتنى (الى يوم يبعثون) يعنى من قبورهم وهى النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لعنه الله لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه لاسبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء فى الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ماسأل بل (قال) الله تعالى له (انك من المنظرين) يعنى من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة فى سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم * فان قلت فما وجه قوله انك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه * قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت بآجالهم وهو منهم (قال) يعنى ابليس (فبما أغويتنى) يعنى فبأى شئ اضللتنى فعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتنى ثم ابتدأ فقال (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هى باء القسم تقديره فباغوائك اياى وقيل معناه فبما أوقعت فى قلبى الغى الذى كان سبب هبوطى الى الارض من السماء وأضللتنى عن الهدى لاقعدن لهم صراطك المستقيم يعنى لاجلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذى يسلكونه الى الجنة وذلك بأن أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل ومايكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعنى يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك

خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة اومن السماء لانه كان فيها وهى مكان المطيعين والمتواضعين والفاء فاهبط جواب لقوله انا خير منه أى ان كنت تتكبر فاهبط (فما تكون لك) فما يصح لك (ان تتكبر فيها) وتعدى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال انظرنى الى يوم يبعثون) امهلنى الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الاحباب أى هذا برى بمن يسيئنى وكيف بمن يحبنى وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال (قال فبما أغويتنى) أضللتنى أى فبسبب اغوائك اياى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك اقسم أو تكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أى على الظهر وعن طاوس انه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى

ولأغوينهم ولأضلنهم كما أضللتني عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له في طريق الإسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن أيمانهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لأنهم منقلبون اليها وصائرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم في هذا القول لأن الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فأزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأثبطهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فأزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى قال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه وقال شقيق البلخي ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فأقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الأربع انما أريد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) يعني ولا تجد يا رب أكثر بني آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد أكثرهم موحدين * فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين * قلت قاله ظنا فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده قوله عز وجل (قال اخرج منها) أي قال الله تعالى لابليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه

لا ينبغي

وهو يقول أنا أغوي نفسي (ثم لآتينهم من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) ارغبهم في الدنيا (وعن أيمانهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الاغلب وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربع مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لابتداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فأصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى اياهم (قال اخرج منها) من الجنة

لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة (مذؤما) يعني معيبا والذأم أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير (لمن تبعك منهم) يعني من بني آدم (لأملأن جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بني آدم وأطاعه منهم ان يملأ جهنم منه وممن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان اهبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فكلا من حيث شئتما) يعني فكلا من ثمار الجنة من أي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى قوله تعالى (فوسوس لهما الشيطان) يعني فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها اليهما * فان قلت كيف وسوس اليهما وآدم وحواء في الجنة وابليس قد أخرج منها * قلت ذكر الامام فخر الدين الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى السماء الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصبهاني بل كان آدم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب أحدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هنالك * فان قلت ان آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلأجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم حتى أكل من الشجرة (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) يعني ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري مأخوذ من المواراة وهي الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لان اظهاره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعني وقال ابليس لآدم وحواء (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) يعني عن الأكل من هذه الشجرة (الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما أطمع ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف بذلك آدم وأحب ان يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون أبدا * فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب ان يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه * قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يتشرف بالنبوة فكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب ان يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير ان تكون هذه الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما طلب ان يكون من الملائكة لطول أعمارهم لا لانهم أفضل منه حتى يلتحق بهم في

أو من السماء (مذؤما) معيبا من ذأمه اذا ذمه والذأم والذم العيب (مدحورا) مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام في (لمن تبعك منهم) موطئة للقسم وجوابه (لأملأن جهنم) وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذاها مسكنا (فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهما الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما قلبت في أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة فالتزموا ابدالها في موضع الثقل لا في غيره وهذا مدرك بالضرورة وقرأ عبد الله أوري بالقلب (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين) الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى (أو تكونا من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة

الفضل لانه طلب امان يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) أى واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد (انى لكما لمن الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بغرور) يعنى فخدعهما بغرور يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه و يكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علو الى أسفل ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحدا لا يحلف بالله كاذبا وابليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلما ذاقا الشجرة) يعنى طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الأكل اليسير (بدت لهما سوآتهما) يعنى ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا أخذتهما العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذا ولا هذا عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب قشط عنه وبدت سوأته (وطفقا) يعنى واقبلا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يعنى انهما لما بدت لهما سوآتهما جعلا يرقعان و يلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما وفى الآية دليل على ان كشف العورة من ابن آدم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر فى عقلهما من قبيح كشفها روى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوءته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها أرسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا يا رب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى من طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهكما عن أكل ثمرة هذه الشجرة (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) يعنى ألم أعلمكما ان الشيطان قد بانت عداوته لكما بترك السجود حسدا و بغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى أعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال أطعمتنى حواء فقال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتنى الحية فقال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك واما أنت يا ابليس فملعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم اما خلقتك بيدى اما نفخت فيك من روحى اما اسجدت لك ملائكتى اما اسكنتك جنتى فى جوارى قوله عز وجل (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها (وان لم تغفر لنا) يعنى وانت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا (وترحمنا) يعنى وتتفضل

(تفسير النسفى)

ساكنين (وقاسمهما) وأقسم لهما (انى لكما لمن الناصحين) واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنها من اثنين (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وهى السنبلة أو الكرم (بدت لهما سوآتهما) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم (وطفقا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أى جعل (يخصفان عليهما من ورق الجنة) يجعلان على عورتهما ورقة فوق ورقة ليسترا بها كما تخصف النعل التين أو الموز (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطا وروى انه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق جبين فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وطحن وخبز (وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا

علينا برحمتك (لنكونن من الخاسرين) يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم يا رب أرأيت ان تبت
اليك واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله ان ينظره فأعطى كل واحد
منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه الصلاة
والسلام من ربه عز وجل

(فصل) وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية
وأجيب عنه بأن درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما
حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بأمور وصدرت
منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم
وسيئات بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم
مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل
الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
يعني انهم يرونها بالنسبة الى أحوالهم كالسيئات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان أكل
آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة أو بعدها والخلاف فيه فأغنى عن الاعادة والله أعلم قوله تعالى
(قال اهبطوا) قال الامام فخر الدين رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا
يجب ان يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعني
من السماء الى الارض قال السدي رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس
والحية (بعضكم لبعض عدو) يعني ان العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم
وابليس (ولكم في الارض مستقر) يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعني القبور (ومتاع الى حين) يعني ولكم فيها متاع تستمتعون
به الى انقطاع الدنيا أو الى انقضاء آجالكم ومعنى الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه
اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم
يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع الى حين
يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا (قال فيها تحيون) يعني قال الله عز وجل لآدم وذريته وابليس
وأولاده فيها تحيون يعني في الارض تعيشون أيام حياتكم (وفيها تموتون) يعني وفي الارض تكون وفاتكم
وموضع قبوركم (ومنها تخرجون) يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة قوله
عز وجل (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط
الى الارض وجعلها مستقرا لهم أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما أنزل
عليهما اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فأما منفعته في الدين فانه يستر العورة وسترها شرط في صحة
الصلاة وأما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بأن أنزل عليهم لباسا يواري
سوآتهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم *
فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها* أحدها انه بمعنى خلق أي
خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا *الوجه الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات
اللباس فكأنه أنزله عليهم *الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال
تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للطائر معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير
للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لان التزين
غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وريشا

(لنكونن من الخاسرين) فيه دليل لنا على المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الى السماء ثم هبطوا جميعا الى الارض (بعضكم لبعض عدو) في موضع الحال أي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (ولكم في الارض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وانتفاع بعيش (الى حين) الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما أصابني ما أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده (قال فيها تحيون) في الارض (وفيها تموتون ومنها تخرجون) للثواب والعقاب تخرجون حمزة وعلي (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) جعل ما في الارض منزلا من السماء لان أصله من الماء وهو منها (يواري سوآتكم) يستر عوراتكم (وريشا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين

يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة أيضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه لحسن الريش أي لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التي يتقي بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة ابن الزبير رضي الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خلق له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وأنشدوا في المعنى

اذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى * عريت وان وارى القميص قميص

وقوله تعالى (ذلك من آيات الله) يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده (لعلهم يذكرون) يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكرونها قوله تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة يعني آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها وقوله تعالى (ينزع عنهما لباسهما) انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس (ليريهما سوآتهما) يعني ليرى آدم عورة حواء ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض (انه يراكم هو وقبيله) يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله أي من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن أبي زيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبري قبيله يعني صنفه

(تفسير النسفي)

لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي يقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة للمبتدا وخير خبر المبتدا كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير أو ولباس التقوى خبر مبتدا محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس التقوى أهل التقوى من الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلى عطفا على لباسا أي وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري من الفضيحة واشعارا بأن التستر من التقوى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشان والحديث (يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون (وقبيله) وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو

وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن يزيد قبيله نسله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ولده وقوله (من حيث لا ترونهم) يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رحمهم الله ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادراكا كانوا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للانس كثافة أجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها الله وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء) يعني أعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل (واذا فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا وارد في طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا أصل له والعذر الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني انكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده في تبليغ أوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون أمر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس رضي الله عنهما بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربي بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه * قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربي بالقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا (وادعوه مخلصين له الدين) أي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره (كما بدأكم تعودون) قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال
ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه
فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله
الكريم الستار الرحيم الغفار (انا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فيه دلالة
خلق الافعال (واذا فعلوا فاحشة) ما يبالغ في
قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة
وشركهم (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا
بها) أي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا
يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله أمرهم بان
يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا عنها
وهما باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثاني
افتراء على ذي الجلال (قل ان الله لا يأمر
بالفحشاء) اذ المأمور به لا بد ان يكون حسنا
وان كان فيه على مراتب على ما عرف في أصول
الفقه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام
انكار وتوبيخ (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل
وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر
بالفحشاء (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)
وقيل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته
مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها في كل
وقت سجود او في كل مكان سجود (وادعوه)
واعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة
مبتغين بها وجهه خالصا (كما بدأكم تعودون)
كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم
الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له

وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل بأعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل بأعمال أهل الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بدأكم خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فأحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين أخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى (فريقا هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته (وفريقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فريقا حتى وجب عليهم الضلالة السابقة التي لهم سبقت في الازل بأنهم أشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأعوانا أطاعوهم فيما أمروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدرون على اضلال أحد وقوله (ويحسبون انهم مهتدون) يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا احله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه فأمرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حي من أهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لي ان أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فأنزل الله تعالى فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحمسي ويرى أنه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكلوا واشربوا) قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني الدسم واللحم (ولا تسرفوا) يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي

العبادة (فريقا هدى) وهم المسلمون (وفريقا) أي أضل وفريقا (حق عليهم الضلالة) وهم الكافرون (انهم) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أي انصارا (ويحسبون انهم مهتدون) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والاضلال (يا بني آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب ويستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وكلوا) من اللحم والدسم (واشربوا ولا تسرفوا) بالشروع في الحرام او في مجاوزة الشبع

الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله فى نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفى الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل فى التحريم لان الاصل فى جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لا يحب المسرفين) يعنى ان الله تعالى لا يحب من اسرف فى المأكول والمشروب والملبوس وفى هذه الآية وعيد وتهديد لمن اسرف فى هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس راضيا عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد فى الاسراف قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الزينة قولان * أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلى ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا فى هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية أقوالا * احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق * والقول الثانى وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله تعالى من الزرع وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هى للذين آمنوا) يعنى قل يا محمد ان الطيبات التى اخرج الله من رزقه للذين آمنوا (فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خالصة) لهم (يوم القيامة) يعنى لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة فى الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلمهم انها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى أنا الله وحدى لا شريك لى فأحلوا حلالى وحرموا حرامى قوله عز وجل (قل انما حرم ربى الفواحش) جمع فاحشة وهى ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربى الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعنى علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أحد اغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد احب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة فى وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والاثم) يعنى وحرم الاثم واختلفوا

(انه لا يحب المسرفين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولم يرو عن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التى اخرج لعباده) أى اصلها يعنى القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها احد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع وهى مبتدأ خبره للذين آمنوا وفى الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف أى هى خالصة وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كذلك نفصل الآيات) نميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون) انه لا شريك له (قل انما حرم ربى الفواحش) ما تفاحش قبحه أى تزايد ربى حرم الفواحش (ما ظهر منها وما بطن) سرها وعلانيتها (والاثم)

في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بأن الاثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والفائدة فيه ان يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم أن التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهري وقد تسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي * كذاك الاثم تذهب بالعقول

وقال ابن سيدة صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير وقوله تعالى (والبغي) أي وحرم البغي (بغير الحق) والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من ان يكون بغيا (وأن تشركوا) أي وحرم أن تشركوا (بالله ما لم ينزل به سلطانا) هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بأن يشرك به غيره لان الاقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق * فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من أعظم الفواحش واعظم الآثام وكذا البغي أيضا من الفواحش والاثم * قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكأنه بين جملته ثم تفصيله وقوله (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) تقدم تفسيره قوله تعالى (ولكل امة اجل) الاجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان أحدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الله الى ذلك الوقت (فاذا جاء أجلهم) يعني فاذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها أقل أسماء الاوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فأخبرهم الله تعالى ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني أن المراد بهذا الاجل هو أجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل أمة لتقارب أعمار أهل كل عصر فكأنهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضا يكون المقتول ميتا بأجله خلافا لمن يقول القاتل قطع عليه أجله قوله عز وجل (يابني آدم اما يأتينكم رسل منكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله من اتقى وأصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يابني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يابني آدم عام في كل بني آدم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لان الرسول اذا كان من

اى شرب الخمر أو كل ذنب (والبغي) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبغي ومحل (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا يجوز ان ينزل برهانا على ان يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وأن تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل امة أجل) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالامم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها اقل ما يستعمل في الامهال (يابني آدم اما يأتينكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لان ما الشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم

جنسهم كان أقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه و يعرفون أحواله فاذا أتاهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرة أمثاله علم ان ذلك الذى أتى به معجزة له وحجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتى) يعنى يقرؤن عليكم كتابى وأدلة أحكامى وشرائعى التى شرعت لعبادى (فمن اتقى) يعنى من اتقى الشرك ومخالفة رسلى (وأصلح) يعنى العمل الذى أمرته به رسلى فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى وما نهيته عنه (فلا خوف عليهم) يعنى حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب (ولا هم يحزنون) يعنى على مافاتهم من دنياهم التى تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعنى ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا (واستكبروا عنها) يعنى واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى لا يخرجون منها أبدا قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى من أعظم ظلما ممن يقول على الله مالم يقله أو يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد (أو كذب بآياته) يعنى أو كذب بالقرآن الذى أنزله على عبده و رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب فى اللوح المحفوظ واختلفوا فى ذلك النصيب على قولين * أحدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم فى الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدى ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس فى رواية عنه كتب لمن يفترى على الله كذبا ان وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور فى قوله فأنذرتكم نارا تلظى وفى قوله اذ الاغلال فى أعناقهم فهذه الاشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم فى كفرهم * والقول الثانى ان المراد بالنصيب المذكور فى الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية فى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال فى رواية أخرى عنه من عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم فى الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فأبان ان الذى ينالهم هو ما قدر لهم فى الدنيا فاذا فرغ توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق أولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضيلا من الله سبحانه وتعالى لكى يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعنى حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعنى ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعنى قال الرسل وهم الملائكة للكفار (أينما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعنى ملائكة العذاب يتوفونهم يعنى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا أينما كنتم تدعون يعنى شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله (قالوا) يعنى الكفار مجيبين للرسل (ضلوا عنا) يعنى بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك قوله عز وجل (قال ادخلوا فى أمم قد خلت

يقصون عليكم آياتى) يقرؤن عليكم كتبى وهو فى موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اصلا فلا خوف (والذين كذبوا) منكم (بآياتنا واستكبروا عنها) تعظموا عن الايمان بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) من يعقوب (فمن أظلم) من اشنع ظلما (ممن افترى على الله كذبا) ممن تقول على الله مالم يقله (أو كذب بآياته) (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا (يتوفونهم) أى يقبضون ارواحهم وهو حال من الرسل أى متوفيهم ومافى (قالوا أينما كنتم تدعون) فى خط المصحف موصولة بأين وحقها ان تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (من دون الله) ليذبوا عنكم (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اعترفوا بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر بكفرهم (قال ادخلوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (فى أمم) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم (قد خلت) مضت

من قبلكم من الجن والانس) يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في أمم يعني في جملة أمم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعة قد خلت من قبلكم من الجن والانس (في النار) أي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وانما عني بالامم الجماعات والاحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس (كلما دخلت أمة) يعني كلما دخلت جماعة النار (لعنت أختها) يعني كلما دخلت أمة النار لعنت أختها من أهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت أهل ملة النار لعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى (حتى اذا اداركوا) يعني تداركوا وتلاحقوا (فيها جميعا) يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقروا في النار (قالت أخراهم لأولاهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لاولها وقال السدي قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار أولا (ربنا هؤلاء أضلونا) يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا سبيلهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشئ مرة واحدة قال الازهري والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين فيرد تفسيره الى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة وأولى الاشياء به ان يجعل عشرة أمثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الآية فآتهم عذابا ضعفا أي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشئ أي زيادته (قال) يعني قال الله تعالى (لكل ضعف) يعني لأولاكم ضعف ولأخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر (وقالت أولاهم) يعني في الكفر وهم القادة (لأخراهم) يعني الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل أمة سلفت في الدنيا لأخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم (فذوقوا العذاب) وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (بما كنتم تكسبون) يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعني كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا (واستكبروا عنها) أي وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح

(من قبلكم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (في النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) شكلها في الدين أي التي ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فابدلت التاء دالا وسكنت للادغام ثم ادخلت همزة الوصل (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لأولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لأولاهم لأجل لأولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) يا ربنا (هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضاعفا (من النار قال لكل ضعف) للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون ابو بكر أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هي في السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين الى السماء وبالتاء مع

المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لأرواحهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان بأقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل من البركة والخير والرحمة شئ وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر

* جسم الجمال واحلام العصافير *

وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأيوس منه قطعا وقال بعض أهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذا شاب الغراب أتيت أهلي * وصار القار كاللبن الحليب

قوله تعالى (وكذلك نجزي المجرمين) أي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين انهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعني لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد التمهد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهي الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواشي اللحف (وكذلك نجزي الظالمين) يعني وكذلك نكافئ ونجازي المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة اتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يعني لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لا نكلف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان

التخفيف ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلي (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) حتى يدخل البعير في ثقب الابرة اي لا يدخلون الجنة ابدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا (نجزي المجرمين) اي الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية جمع غاشية (وكذلك نجزي الظالمين) انفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها) طاقتها والتكليف الزام ما فيه كلفة أي مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا والخبر (هم فيها خالدون)

الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعانى هو من تمام الخبر وموضعه رفع والعائد محذوف كأنه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به قوله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) يعنى وقلعنا وأخرجنا ما فى صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم فى الدنيا ومعنى الآية أزلنا تلك الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن على رضى الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا أنه قال انى لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا وقال السدى فى هذه الآية ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة فى العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وان كان فى لذة ونعيم * وأجيب عن هذا بأن الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا فى كمال وزيادة من النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا وبهذا تتم نعمه ولذته ويكمل سروره وبهجته وقوله تعالى (تجرى من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) يعنى ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) يعنى وما كنا لنرشد لذلك العمل الذى هذا ثوابه لولا انه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفى الآية دليل على ان المهتدى من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يعنى ان أهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما أعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا أن تلكم الجنة) يعنى ونادى مناد يا أهل الجنة ان هذه الجنة التى كانت الرسل وعدتكم بها فى الدنيا واختلفوا فى المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون فى الجنة (م) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا ولا تموتوا أبدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورثتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فأما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد فى رواية فذلك قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات

غير

(ونزعنا ما فى صـدورهم من غل) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الانهار) حال من هم فى صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) بغير واو شامى على انها جملة موضحة للاولى (لنهتدى لولا ان هدانا الله) اللام لتوكيد النفى اى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا واظهارا لما اعتقدوا (ونودوا ان تلكم الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن او بمعنى أى كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة (أورثتموها) اعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لانها لا تستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شئ بل هو صلة خالصة وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر ونوحا عليه السلام واهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما اغويتنى

غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعنى ان المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثتموها عن الاعمال الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الاعمال ولا يعارض هذا القول ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا والله أعلم قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعنى ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار تقول أهل الجنة يا أهل النار (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعنى ما وعدنا فى الدنيا على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) يعنى من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعنى قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا * فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار او من البعض للبعض * قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار فى دار الدنيا * فان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء او كيف يصح ان يقع * قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى (فاذن مؤذن بينهم) يعنى نادى مناد وأعلم لان أصل الاذان فى اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد أسمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدى (ان لعنة الله على الظالمين) يعنى يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعنى الذين يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعنى ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التى شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فأخطؤا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعنى وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها قوله عز وجل (وبينهما حجاب) يعنى بين الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور فى قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدى وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمى بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدى انما سمى الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف الشئ المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء فى صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس فى الآخرة دار الا الجنة او النار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة

(ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا) ان مخففة من الثقيلة او مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (ماوعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل وجدتم ماوعد ربكم) من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع اهل الجنة والنار (أن لعنة الله على الظالمين) ان لعنة مكى وشامى وحمزة وعلى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها عوجا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهما) وبين الجنة والنار او بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور فى قوله فضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) على اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهى أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا فى الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم أو من لم يرض عنه أحد ابويه او اطفال المشركين

دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن عبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم ان يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضي آباؤهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوءمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم أولاد الزنى وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد والله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على ان أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانباري وانما احتبسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو رتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطلعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجلز أصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري قول أبي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب الاعراف أفضل من اهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما أجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة وبين اهل النار والله أعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل (يعرفون كلا بسيماهم) يعني ان أصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشيء وأصله من السمة قال ابن عباس رضي الله عنهما أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلت ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا اهل الجنة وعرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم) يعني نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذا رأوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشراف

والافاضل

(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا) أي أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) انه سلام أو أي سلام وهو تهنئة

والافاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى (لم يدخلوها وهم يطمعون) يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم قوله تعالى (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعني واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه ان لا يجعلهم منهم قوله تعالى (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء في الدنيا وهم من اهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعني بسيما اهل النار (قالوا) يعني اصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم في النار (ما أغنى عنكم جمعكم) يعني ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعني وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيئا قال الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل ابن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاولئك الكفار (أهؤلاء) لفظ استفهام يعني أهؤلاء الضعفاء (الذين اقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلي ورحمتي (لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لاصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار أهؤلاء يعني أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قوله عز وجل (ونادى أصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد احترقت أفض على من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الآية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء او مما رزقكم الله يعني وأطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم (ان الله حرمهما على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فأجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه وأصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المستهزؤن وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به استهزاء بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا

(لم يدخلوها) اى اصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كان سائلا سأل عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطمعون) في دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (واذا صرفت أبصارهم) ابصار اصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا (تلقاء) ظرف اى ناحية (أصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال او كثرتكم واجتماعكم وما نافية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ مضمر تقديره هؤلاء هم الذين (اقسمتم) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره اقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة اى لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة او اريد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك علفتها تبنا وماء باردا أي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) هو تحريم منع كما في وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت او نصبت ما بعده ذما وان جررته وصفا للكافرين فلا (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) فحرموا واحلوا ما شاؤا ودينهم عندهم

يفعلونها فى الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى وخدعهم عاجل ماهم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ماهم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة فى اليقظة وهو طمع الانسان فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق فى الدنيا بلذاته وماهو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعنى يوم القيامة (ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) يعنى فاليوم نتركهم فى العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدى قال ابن عباس رضى الله عنهما نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسى فنتركهم فى النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض الناسى سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم فى النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا بآياتنا يجحدون) يعنى ونتركهم فى النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب) يعنى ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذى أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أى بيناه على علم منا بما فصلناه وبيناه (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) أى جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون (هل ينظرون) يعنى هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآياتنا وجحدوها ولم يؤمنوا بها (الا تأويله) يعنى هل ينظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على ألسنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتأويل ما يؤل اليه الشئ (يوم يأتى تأويله) يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤل اليه أمورهم (يقول الذين نسوه من قبل) يعنى يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أقروا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى أن الكفار أقروا بان الذى جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما أقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما رأوا أنفسهم فى العذاب قالوا (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) يعنى انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذى كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصى بالطاعة والانابة (قد خسروا أنفسهم) يعنى ان الذى طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا فى الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون فى الدنيا من أن الاصنام تشفع لهم فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا فى دعواهم كاذبين قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعنى ان سيدكم ومالككم ومصلح أموركم وموصل الخيرات اليكم والذى يدفع عنكم المكاره هو الله (الذى خلق السموات والارض) أصل الخلق فى اللغة التقدير ويستعمل فى ابداع الشئ من غير اصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعنى ابدعهما وانشأ خلقهما على غير مثال سبق وقدر احوالهما (فى ستة ايام) فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال فى ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه فى مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعنى على مقادير البكر والعشى فى الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل فى يوم السبت وهو قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم فى افراده من حديث ابى هريرة

(وغرتهم الحياة الدنيا) اغتروا بطول البقاء
(فاليوم ننساهم) نتركهم فى العذاب (كما نسوا
لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) أى
كنسيانهم وجحودهم (ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه) مبينا حلاله وحرامه ومواعظه
وقصصه (على علم) عالمين بكيفية تفصيل
احكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب (لقوم
فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه
يؤمنون هل ينظرون) ينتظرون (الا تأويله)
الا عاقبة أمره وما يؤل اليه من تبيين صدقه
وظهوره وصحة ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم
يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه
واعرضوا عنه (قد جاءت رسل ربنا بالحق)
أى تبين وصح انهم جاؤا بالحق فأقروا حين
لا ينفعهم (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
جواب الاستفهام (أو نرد) جملة معطوفة على
جملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه
قيل فهل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه
وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل
يضرب زيدا او عطف على تقدير هل يشفع لنا
شافع او هل نرد (فنعمل) جواب الاستفهام
أيضا (غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون) ما كانوا يعبدونه
من الاصنام (ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام) اراد السموات والارض
وما بينهما وقد فصلها فى حم السجدة أى من
الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا
وللاعلام بالتأنى فى الامور ولان لكل عمل يوما
ولان انشاء شئ بعد شئ ادل على عالم مدبر مريد
يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته

رضى الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان فى صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض فى ستة ايام وقال فى آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل فى ستة ايام والذى فى الحديث ان بعض الخلق وقع فى سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهرى فى كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارى السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبرى قال الطبرى خلق الله السموات والارض فى ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق فى يوم الجمعة وتهودت اليهود فى يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم بن سيدة قال وسمى سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن فى السبت خلق قال أصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التى هى الارض بلا دحو ولا بسط فى يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فى يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها وأخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها فى يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم فى يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض فى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التى خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق فى ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل فى ستة أيام من أيام الدنيا

* فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق فى لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة فى خلق السموات والارض فى ستة أيام وما الحكمة فى ذلك * قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء فى لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شئ حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل فى الوجود الا فى ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأنى فى الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض فى لمحة ولحظة فخلقهن فى ستة أيام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الامور كما فى الحديث التأنى من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيئا بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد ان يوقع فى كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل فى الخلق ابلغ فى القدرة وأقوى فى الدلالة والتثبت ابلغ فى الحكمة فأراد الله تعالى اظهار حكمته فى خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته فى خلق

الاشياء بكن فيكون وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش فى اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب فى كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه أوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملاله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسى فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقى فى كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم فى امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب انه قال كنا عند مالك ابن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الرحمن الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج الرجل وفى رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فأطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فأمر به ان يخرج وروى البيهقى بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقى والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى قال البغوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذى سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثورى والاوزاعى والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهة اقروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذى قررناه فى تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثانى انا نخوض فى تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقص الملك يقال ثل عرشه أى انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذى قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذى ألفوه من ملوكهم واستقر فى قلوبهم تنبيها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفى التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب عنه بأن الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد الا بعد أكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثانى ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

(ثم استوى) استولى (على العرش) اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لان العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق والحسن وابى حنيفة ومالك رضى الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والايمان به واجب

قد

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه أعظم المخلوقات و رد هذا القول بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن فى ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فأى تخصيص للعرش ههنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقى عن أبى الحسن الاشعرى ان الله تعالى فعل فى العرش فعلا سماه استواء كما فعل فى غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخى والتراخى انما يكون فى الافعال وافعال الله توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون فى المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقى رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد أشار ابو الحسن الاشعرى الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابى هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء بائن منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة الله تعالى تنفى الاعوجاج عنه و روى ان ابن الاعرابى جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك العرب لا تقول استولى فلان على الشئ حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله أعلم وقوله تعالى (يغشى الليل النهار) يعنى انه تعالى يأتى بالليل على النهار فيغطيه و يلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (يطلبه حثيثا) يعنى سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه حكى الامام فخر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى ألف فرسخ فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية فى مجاريها بأمره وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير و رجوع اذ ليس هى قادرات بأنفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم فى تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر فى قوله بأمره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما أفردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته و رسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى (ألا له الخلق

والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) يغشّى حمزة وعلى وابو بكر أى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يطلبه حثيثا) حال من الليل أى سريعا والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيه يطلب النهار (والشمس والقمر والنجوم) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم (مسخرات) حال أى مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بأمره) هو امر تكوين ولما ذكر انه خالقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق

والامر) يعنى له الخلق لانه خلقهم وله أن يأمر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو نقيض النهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عزوجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى ان من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما فى العالم لله عزوجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا لاحد شئ وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عزوجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الآمر والناهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر أشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف قوله عزوجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة لان الداعى لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى (تضرعا) يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعنى سرا فى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء أن يكون خفيا لهذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا رضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ق وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس الا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعنى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعاء وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعنى فى الدعاء وقال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال أى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شئ فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت

قوله

(والامر) اى هو الذى خلق الاشياء وله الامر (تبارك الله) كثر خيره ودام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رب العالمين) (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذللا وتملقا قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم اينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به فى كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب

قوله تعالى انه لا يحب المعتدين واختلف بعض أرباب الطريقة عند قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها أفضل ليقتدى به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار مباينا شائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها والصلاة المكتوبة فى المسجد أفضل من صلاته فى بيته وصلاة النفل فى البيت أفضل من صلاتها فى المسجد وكذا اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات قوله تعالى (ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) يعنى ولا تفسدوا أيها الناس فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله فيها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال ابن عطية لا تعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعنى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا فى الارض شيئا بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو افسادها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ماهيتها وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) أصل الخوف انزعاج فى الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء فى الذكر والدعاء وطمعا فى الاجابة فان قلت قال فى أول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشئ على نفسه فما فائدة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أى ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى فى بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية فى بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى أنفسكم بين الخوف والرجاء فى اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله فى العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيهما (ان رحمة الله) أصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة عن الاحسان وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هى ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات (قريب من المحسنين) قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التى هى الثواب فى الآخرة الا الموت وهو قريب من الانسان قوله عز وجل (وهو الذى يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وهو الذى يرسل الرياح (بشرا) قرئ نشرا بالنون أراد جمع نشور وهى الريح الطيبة الهبوب التى تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة

المعتدين (ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها)
أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد
أو بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا)
حالان أى خائفين من الرد طامعين فى الاجابة
أو من النيران وفى الجنان أو من الفراق وفى
التلاق أو من غيب العاقبة وفى ظاهر الهداية
أو من العدل وفى الفضل (ان رحمة الله قريب
من المحسنين) ذكر قريب على تأويل الرحمة
بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف
أى شئ قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو
بمعنى مفعول أو لان تأنيث الرحمة غير حقيقى أو
للاضافة الى المذكر (وهو الذى يرسل الرياح)
الريح مكى وحمزة وعلى (نشرا) حمزة وعلى مصدر
نشر وانتصابه اما لان أرسل ونشر متقاربان
فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال أى
منشورات نشرا عاصم تخفيف نشرا جمع بشير
لان الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر
كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور

التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النتشر المنشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك عنة و يسرة والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدي رحمته) يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانباري رحمه الله تعالى اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا بما اذا كانت يد الانسان تتقدمه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثثت راحلتي حتى أدركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت انك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وأخرجه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لانتن أكثر أهل الارض وقوله تعالى (حتى اذا أقلت سحابا ثقالا) يقال أقل فلان الشئ اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء سمي سحابا لانسحابه في الهواء والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه لبلد ميت) يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا الى اللفظ قال الازهري رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فأنزلنا به الماء) اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانباري جائز أن يكون فأنزلنا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وأنزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء (فأخرجنا به) يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فأخرجنا بذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدبه من اصناف الثمار والزروع (كذلك نخرج الموتى) يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين

أي ناشرة للمطر (بين يدي رحمته) أمام نعمته
وهو الغيث الذي هو من أجل النعم (حتى اذا
أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال
من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا
(سحابا ثقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه)
الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى
كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل
ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه مطر
وسقيه ميت مدني وحمزة وعلي وحفص (فأنزلنا
به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا
به من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو

سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفى رواية أربعين يوما فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها وكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض به وقيل انما وقع التشبيه بأصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فأنبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر من الخشب اليابس قادر على ان يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم (لعلكم تذكرون) الخطاب لمنكرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهى مزهرة مورقة مثمرة فى ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة أخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكى تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذى يبدئ ويحيى قوله تعالى (والبلد الطيب) يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعنى اذا أصابه المطر أخرج نباته باذن الله عز وجل (والذى خبث لا يخرج) يعنى والبلد الذى خبث أرضه فهى سبخة لا يخرج يعنى لا يخرج نباته (الا نكدا) يعنى عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعد ان وعدت وان * اعطيت اعطيت تافها نكدا

يعنى بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها أخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لا ينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التى خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله عز وجل ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذى أرسلت به أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) يعنى كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن قوله عز وجل (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك وتعالى لما ذكر فى الآيات

اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعادة الشئ بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض الطيبة الترب (يخرج نباته باذن ربه) بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة نكدا (والذى خبث) صفة للبلد أى والبلد الخبيث (لا يخرج) أى نباته فحذف للاتماء (الا نكدا) هو الذى لا خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك التصريف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لقد أرسلنا) جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا (نوحا الى قومه) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم ادريس عليه

المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع اممهم وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك فى الدنيا وفى الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفى ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يأت أحدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى لقد أرسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا فى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتني ام عبت الكلب (فقال) يعني نوحا لقومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني ان لم تقبلوا ما آمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعاجلهم ام يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملأ) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا لنراك) يعني يا نوح (فى ضلال مبين) يعني فى خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم ليس بي ضلالة) يعني ما بي ما تظنون من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) يعني هو ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربي) يعني بتحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا (وأنصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وأدعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله تعالى عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم فى قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (واعلم من الله ما لا تعلمون) يعني واعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من أسراره فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون (أوعجبتم) الالف الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أكذبتم وعجبتم (ان جاءكم ذكر من ربكم) يعني وحيا من ربكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه

السلام (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملأ) أى الاشراف والسادة (من قومه انا لنراك فى ضلال مبين) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال يا قوم ليس بي ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شئ من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال (ولكني رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحى الي فى الاوقات المتطاولة أو فى المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنذائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأنصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية فى صدق العناية (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة

منهم بل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكراً كما سمى القرآن ذكراً وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعني جاءكم لأجل أن ينذركم (ولتتقوا) أي ولأجل أن تتقوا (ولعلكم ترحمون) لأن المقصود من إرسال الرسل الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة (فكذبوه) يعني فكذبوا نوحاً (فأنجيناه) يعني من الطوفان والغرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين) قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والإيمان يقال رجل عمٍ في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

واعلم ما في اليوم والأمس قبله * ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هوداً) أي وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى أخاهم هوداً يعني أخاهم في النسب لا في الدين وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وقال ابن إسحاق هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا على أن هوداً عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الأخوة من أين حصلت فقيل إنه كان واحداً من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لأنه واحد منهم وقيل إنه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الأخوة وجهين الأول قال الزجاج إنه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الأخوة والمعنى إنا أرسلنا إلى عاد واحداً من جنسهم من البشر ليكون الفهم والأنس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث إليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثاني أنه أخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالأحقاف باليمن والأحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) أي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه إلهاً آخر فإنه ليس لكم إله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وههنا قال أن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوانٍ فيها لأن الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (أفلا تتقون) يعني أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة مسبوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة) يعني إنا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا له إنا لنراك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود أنهم قالوا له إنا لنراك في سفاهة والفرق بينهما أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قال له قومه عند ذلك إنا نراك في ضلال مبين حيث تتعب في إصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء وأما هود عليه السلام فإنه لما زيف عبادة الأصنام ونسب من عبدها إلى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا إنا لنراك في سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) يعني في ادعائك أنك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود لهؤلاء الملأ الذين نسبوه إلى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعني ليس الأمر كما تدعون أن بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني إليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعني أؤدي إليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وأنا لكم ناصح) يعني فيما آمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه (أمين) يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصح والأمين الثقة على ما ائتمن عليه حكى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه

(لينذركم) ليحذركم عاقبة الكفر (ولتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (فكذبوه) ونسبوه إلى الكذب (فأنجيناه والذين معه) وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (في الفلك) يتعلق بمعه كأنه قيل والذين صحبوه في الفلك (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين) عن الحق يقال أعمى في البصر وعمٍ في البصيرة (وإلى عاد) وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحداً منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم لأنهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هوداً) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) وإنما لم يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ الذين كفروا من قومه) وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لأن في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد ابن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (إنا لنراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفاً مجازاً يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها (وإنا لنظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح) فيما أدعوكم إليه (أمين) على ما أقول لكم وإنما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وإنا لنظنك من الكاذبين أي لتقابل الاسم الاسم وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون

قال وانصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثانى بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأنصح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس بأعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم فى قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين فى تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعنى أعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعنى واذكروا نعمة الله عليكم اذ أهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم فى الارض (وزادكم فى الخلق بسطة) يعنى طولا وقوة قال الكلبى والسدى كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعنى نعم الله وفيه اضمار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهوان تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (لعلكم تفلحون) يعنى لكى تفوزوا بالفلاح وهو البقاء فى الآخرة (قالوا) يعنى قال قوم هود مجيبين له (أجئتنا) ياهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعنى من الاصنام (فائتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى فى قولك انك رسول الله (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (قد وقع) يعنى نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) أى عذاب وسخط (أتجادلوننى) يعنى أتخاصموننى (فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) يعنى وضعتم لها اسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعنى من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فانتظروا) يعنى العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى نزول العذاب بكم (فأنجيناه) يعنى فأنجينا هودا عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعنى وأنجينا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعنى وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا اهلاك استئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعنى لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

(ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحاق وأصحاب السير والاخبار) قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هودا عليه الصلاة والسلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا فى الارض وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا فى الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا

ذلك

منهم (أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى خلفاءهم فى الارض أوفى مساكنهم واذ مفعول به وليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم فى الخلق بسطة) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بذراع حجازى وعامر وعلى (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى نحو انى وآناء (لعلكم تفلحون) ومعنى المجئ فى (قالوا أجئتنا) ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه (فائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع) اى قد نزل (عليكم) جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها) فى اشياء ما هى الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهى خالية عن معنى الالوهية (انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب (انى معكم من المنتظرين) ذلك (فأنجيناه والذين معه) اى من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل او الكائن خلف الشئ وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة نفى الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فأوفدوا اليه قيل ابن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم

ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة أديانهم وكل معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الجبري وهو رجل من عاد وكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صند بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الجبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم واكرمهم وكانوا اخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما أدري كيف اصنع فاني استحي ان آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أياما
وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه عند ذلك وقال في ذلك

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فأبصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الهي * على الله التوكل والرجاء
زاد في رواية لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
واني لن افارق دين هود * طوال الدهر أو يأتي الفناء

فقال جلهمة بن الجبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

الا يا سعد انك من قبيل * ذوي كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

اعانه بهود عليه السلام واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد ان تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخالفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فاختار السوداء على ظن انها كثيرة الماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا

لا يخفى ما في قافية البيت الثاني

أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل والصداء مع العمود
ونترك دين آباء كرام * ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية ابن بكر حتى أدركهم بمكة قبل ان يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل ابن عنز رأس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط قيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة أنسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقى من آل عاد أحدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أي كل شئ مرت به بأمر ربها وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان أفاقت قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحدا الا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها في قوتها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر فألقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انما خرجت على مثل حلق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد وأتت الريح لما خرجوا من الحرم فأهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من

ارضهم

أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من أرض اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بأرض حضرموت يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن شابة بين الركن والمقام و زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة ويروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعني وأرسلنا الى ثمود وهو ثمود بن غابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس ابن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بني ثمود أخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم أبيهم الذي ينسبون اليه أخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) يعني قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه (قد جاءتكم بينة من ربكم) يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وأدعو اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تصديقي بأني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعني علامة على صدقي قال العلماء رحمهم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة انها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من أنثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجز أيضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا أيضا معجزة وانما اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذروها تأكل في أرض الله) يعني فذروا الناقة تأكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقة أيضا لله وليس لكم في ارض الله شئ لانه هو الذي انبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من انواع الاذى ولا تعقروها (فيأخذكم عذاب أليم) يعني بسبب عقرها واذاها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها (وبوأكم) يعني واسكنكم وانزلكم (في الارض تتخذون من سهولها قصورا) يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال بيوتا) يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين (فاذكروا آلاء الله) أي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعثو أشد الفساد وقيل أراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا) يعني المساكين (لمن آمن منهم) يعني قال الاشراف المتعظمون في أنفسهم لتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) يعني ان الله أرسله الينا واليكم (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) يعني قال الضعفاء انا بما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعني عن أمر الله والايمان به وبرسوله صالح (انا بالذي آمنتم به كافرون) أي جاحدون

(والى ثمود) وارسلنا الى ثمود وقرئ والى ثمود بتأويل الحي أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة في هذه كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي ثمود لانهم عاينوها (فذروها تأكل في أرض الله) أي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فيأخذكم) جواب النهي (عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (في الارض) في أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) غرفا للصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصا اذ الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) روى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها في الارض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه ان يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاؤا وآمن به جندع ورهط من قومه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) وقال شامي (للذين استضعفوا)

منكرون (فعقروا الناقة) يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) اى تكبروا عن أمر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من المرسلين) يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رسله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فأصبحوا في دارهم جاثمين) يعني فأصبحوا في أرضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب أي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم أصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعني فأعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان أحدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء وعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديما وتأخيرا تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم بأسمائهم الحديث في الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها

(ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السير والاخبار)

قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان أحدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم آية تكون مصدقا على ما يقول فقال صالح اي آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم من السنة وقالوا تدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت آمنا بك وصدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني

للذين استضعفوهم رؤساء الكفار (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل ان البدل حيث جاء كان في تقدير اعادة العامل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو يدل على ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا عنهم لانهم سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مسلما كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به لا شبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا علي أشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها (فأصبحوا في دارهم) في بلادهم أو مساكنهم (جاثمين) ميتين قعودا يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون (فتولى عنهم) لما عقروا الناقة (وقال يا قوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة ايام تصفر وجوهكم اول يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث ويصيبكم العذاب في الرابع وكان كذلك روى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم

ولتؤمنن

ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوا ووصفوا غيرانه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه وأراد بقية أشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا أوثانهم ورباب بن صمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها ولا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتتفحج لهم فيحلبون ما شاؤا منها من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا أوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدوقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وجها وأكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه (ق) عن عبد بن زمعة رضي الله تعالى عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة قوله انبعث أي قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن أراده قال أصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستنفروا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها فلما رآها قدار ثم حشته على عقرها وأغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج أهل البلد فاقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا يقال له صور وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج أهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام فلما

رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة أجل
يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب أربعة نفر من التسعة
الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فأصاب قلبه ثم جذبه
فأنزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله
ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد
أول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار
وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم
مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان
كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فأتوه ليلا ليقتلوه في أهله فدمغتهم
الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا
بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه فانه قد وعدكم
العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فأنتم وراء
ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق
صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه
فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بأبي هدب وهو
مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه وكانوا عمدوا الى أصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب
صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبونا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فأتوا
أبا هدب فكلموه في أمر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل
بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا بأجمعهم الا قد مضى
يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا
وبكوا وأيقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما
أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب
فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم الى الشام فنزل رملة
فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا والقوا بأنفسهم الى الارض يقلبون أبصارهم الى
السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة
عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم
وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه
الصلاة والسلام فأطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى أتت
وادي القرى فأخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت
في الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك
سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها
ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر
أولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فأبى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له احمر
أزرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه وأهله
وقالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح

الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلنا فنقول ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى القرية بل كان يبيت فى مسجد له خارج القرية فاذا أصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على أمرهم لينظروا ما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضى صالح بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدى وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه بقدار فكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا ان تكونوا باكين ثم رفع رأسه واسرع السير حتى جاوز الوادى وفى رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة وللبخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر فى غزوة تبوك أمرهم ان لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفى بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو أبو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج اصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر ابى رغال فنزل القوم وابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حاضوراء وقال قوم من أهل العلم توفى صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام فى قومه عشرين سنة قوله تعالى (ولوطا) يعنى وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخى ابراهيم وابراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعنى أهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى الشأم فنزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين وانزل لوطا الاردن أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعنى اتفعلون الفعلة الخسيسة التى هى غاية فى القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران فى ادبارهم (ما سبقكم بها من احد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفى وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفى هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر فى الدنيا الا كان من قوم لوط (أئنكم لتأتون الرجال) يعنى فى أدبارهم (شهوة من دون النساء) يعنى ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء (بل أنتم) يعنى ايها القوم (قوم مسرفون) أى مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله

(ولوطا اذ قال لقومه) أى واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من أحد) من زائدة لتأكيد النفى وافادة معنى الاستغراق (من العالمين) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها وقوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال) بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للانكار وقرئ انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية (من دون النساء) أى لا من النساء (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن ثم اسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا

تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشئ فى غير محله وموضعه الذى خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التى هى مقصودة بتلك الشهوة المركبة فى الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من أهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا حسانا صباحا فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبى ان أول من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس فى صورة شاب أمرد فدعا الى نفسه فكان أول من نكح فى دبره فأمر الله تعالى السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم قوله عز وجل (وما كان جواب قومه) يعنى وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث (الا ان قالوا) يعنى قال بعضهم لبعض (اخرجوهم من قريتكم) يعنى اخرجوا آل لوط واتباعه وأهل دينه من بلدكم (انهم اناس يتطهرون) يعنى انهم اناس تتنزهون عن فعلكم وعن ادبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصى والآثام يسمى طهارة فمن تباعد عنهما فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون أى من فعل المعاصى والآثام (فأنجيناه وأهله) يعنى فأنجينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد بأهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد بأهله ابنتاه (الا امرأته) يعنى زوجته (كانت من الغابرين) يعنى كانت من الباقين فى العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وأمطرنا عليهم مطرا) يعنى حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال ابو عبيدة يقال فى العذاب امطرت وفى الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعنى انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبر وا بما جرى على أولئك فينزجر وا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أخاهم شعيبا) يعنى وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذى كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم شعيبا يعنى فى النسب لا فى الدين وشعيب هو ابن ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم وام ميكيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن يثروب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس فى المكيال والميزان (قال) يعنى شعيب (يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يعنى قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبى من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التى كانت لشعيب لم تذكر فى القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة فى القرآن وقيل أراد

المعتاد الى غير المعتاد (وما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوهم من قريتكم) أى لوطا ومن آمن معه يعنى ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذى هو اصل الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم (انهم أناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فأنجيناه واهله) ومن يختص به من دونه من المؤمنين (الا امرأته كانت من الغابرين) من الباقين فى العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فأصابها حجر فماتت (وأمطرنا عليهم مطرا) وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الكافرين (والى مدين) وارسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) أى معجزة وان لم تذكر فى القرآن

بالبينة

بالبينة مجىء شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينة الموعظة وهى قوله (فأوفوا الكيل والميزان) يعنى فأتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يعنى لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان فى الكيل والوزن اذا نقصه وطففه (ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) يعنى بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبى يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعنى الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس (خير لكم) يعنى مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) يعنى ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذى تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعنى وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) يعنى ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعنى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعنى حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعنى انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الجماعة من أشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) يعنى ان قوم شعيب اجابوه بأن قالوا لابد من احد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا ولترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى قوله أو لتعودن فى ملتنا وأجيب عن هذا الاشكال بأن اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة أولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو فى الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقنى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام أحسن مدة * الى فقد عادت لهن ذنوب

اراد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) اى لا نعود فى ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعنى ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن آمن به الى

(فأوفوا الكيل والميزان) أتموهما والمراد فأو[…] الكيل ووزن الميزان او يكون الميزان كالمعا[…] بمعنى المصدر (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) و[…] تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الو[…] وكانوا يبخسون الناس كل شئ فى مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقو[…] بخست زيدا حقه أى نقصته اياه (ولا تفسدو[…] فى الارض بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيه[…] أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والاولياء واضافته كاضافة بل مكر الليل والنهار أى بل مكركم فى الليل والنهار (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد فى الارض (خير لكم) فى الانسانية وحسن الاحدوثة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لى فى قولى (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون) من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) اى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر أمر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار والكافرون على ما يسوءهم

العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أنتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها و بصرنا خطأها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما في الأول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكأنه خلصنا منها وقوله تعالى اخبارا عنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) يعني وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا أن يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله وقدره فينا و ينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا وأصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد ان وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فأمورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشاء بالطاعة و يشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله (وسع ربنا كل شيء علما) يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقي من شقي في علم الله تعالى (على الله توكلنا) أي على الله نعتمد واليه نستند في أمورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق) لما أيس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا و بين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاتحين) يعني خير الحاكمين قال الفراء ان أهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هي لغة مراد وانشد لبعضهم في ذلك

الا ابلغ بني عصم رسولا * فاني عن فتى حكم غني

اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني أقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم و يفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر أمرنا حتى ينفتح بيننا و بين قومنا و ينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه (انكم اذا لخاسرون) يعني انكم لمغبونون في فعلكم (فأخذتهم الرجفة) يعني الزلزلة الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحتراق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح

حكم الله فيميز من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) أي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال) شعيب (اولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب (وما يكون لنا) وما ينبغي لنا وما يصح (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) الا ان يكون سبق في مشيئته ان نعود فيها اذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وسع ربنا كل شيء علما) أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (على الله توكلنا) في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا الازدياد الايقان (ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء بالحق يفتح الامر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمي أهل عمان القاضي فتاحا (وانت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف ما تباعه لانه ينهاكم عنهما ويأمركم على الايفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ميتين

سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الايكة والى مدين فاما أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلي كان ابوجاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به * كلمن هدد ركني * هلكه وسط المحله * سيد القوم اتاه * هلك نار تحت ظله * جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله *

وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان أي أقمت به والمغاني المنازل التي بها أهلها واحدها مغنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعني خسروا انفسهم بهلاكهم (فتولى عنهم) يعني فأعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف آسى) يعني أحزن (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أحزن على قوم كافرين لانهم هم الذين أهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيبا قال لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما ارسلنا في قرية من نبي) فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال البأساء كل ما نالهم من الشدة في أموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال (لعلهم يضرعون) يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد ارسل رسلا الى امم أخر فكذبوا رسلهم فأخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فأخبر الله في هذه الآية انه يأخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله (حتى عفوا) يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت أموالهم واولادهم (وقالوا) يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم

(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غني بالمكان اقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لا من قالوا لهم انكم اذا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فهم الرابحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد ان نزل بهم العذاب (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) احزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو اراد لقد اعذرت لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (وما أرسلنا في قرية من نبي) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أي فكذبوه (الا أخذنا أهلها بالبأساء) بالبؤس والفقر (والضراء) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم او هما نقصان النفس والمال (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب واللام في (ولو ان أهل القرى) اشارة الى أهل القرى التي دل عليها وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامي (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فأخذناهم بغتة) يعني أخذناهم فجأة في آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين في هذه الآية انهم لو آمنوا يعني بالله وبرسله واطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعني ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والأمن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشئ وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشئ أي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فأخذناهم) يعني بأنواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى (أفأمن أهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (أن يأتيهم بأسنا) يعني عذابنا (بياتا) يعني ليلا (وهم نائمون أو أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى) يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بأمور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفأمنوا مكر الله) يعني استدراجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعني انه لا يأمن ان يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في أخراه وهلك مع الهالكين (اولم يهد) يعني اولم يبين (للذين يرثون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) يعني لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع) أي ونختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا واعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعني لاهل تلك القرى (رسلهم بالبينات) يعني جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل يعني من قبل ذلك وهو يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كرها يوم أخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب

بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام للجنس (أفأمن اهل القرى) يريد الكفار منهم (ان يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا أي وقت بيات يقال بات بياتا (وهم نائمون أو أمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا أشرقت والفاء والواو في أفأمن وأو أمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى أو أمن شامي وحجازي على العطف بأو والمعنى انكار الأمن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا او ضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي لهم (أفأمنوا) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى (مكر الله) اخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلي قدس الله روحه العزيز مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خثيم لابيها مالي ارى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) ان لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة اي اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (ونطبع) مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من انبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك

ليؤمنوا

ليؤمنوا بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد ان يأخذوا من العلم ما ابدى اليهم ربهم وان لا يتأولوا علم ما اخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن ابدا وقد كان سبق علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون أبدا فأخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) يعني وما وجدنا لأكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس انما أهلك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) اى وما وجدنا أكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم موسى) يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام موسى (بآياتنا) يعني بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (الى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملأ أشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له اني رسول أي مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق السموات والارض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني اليك (حقيق) أي واجب (على ان لا أقول على الله الا الحق) يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره (قد جئتكم ببينة من ربكم) يعني ببرهان على صدقي فيما ادعى من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى (فأرسل معي بني اسرائيل) يعني خل عنهم واطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال) يعني فرعون (ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) يعني ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من أرسلك بينة تدل على صدقك فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين

ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم انهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق يعني ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الايمان والآية اعتراض اوللامم المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وان) الشأن والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم اوللامم (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن اولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مغرقين (وقال موسى يا فرعون) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة وكأنه قال يا ملك مصر واسمه قابوس او الوليد بن مصعب بن الريان (اني رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق) أي انا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق ان أكون قائله والقائم به حقيق على نافع اى واجب على ترك القول على

انها كانت فى عظم الجثة كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وهى الجان قال ابن عباس والسدى ان موسى لما القى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل فى الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى انشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وانا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فعادت فى يده عصا كما كانت وفى كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثانى انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين أى بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التى أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام فى انه رسول من رب العالمين وقوله تعالى (ونزع يده) النزع فى اللغة عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه والمعنى انه أخرج يده من جيبه او من تحت جناحه (فاذا هى بيضاء للناظرين) قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هى بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فأخرجها فاذا هى كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا فى الجسد وهو البرص قال الله تعالى فى آية اخرى بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص والمعنى فاذا هى بيضاء للنظار ولا تكون بيضاء للنظار الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه

(فصل فى بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل) اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان فى قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكاليفه وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز ان تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا فى دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم فى جميع ما أتوا به لان المعجز مع التحدى من النبى قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فأطيعوه واتبعوه ولان معجز النبى شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم الضرب الثانى ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبى بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى أظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم قوله عز وجل (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا) يعنى موسى (لساحر عليم) يعنى انه ليأخذ بأعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ

بخلاف

الله الا الحق اى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة ابى أى انى رسول خليق بأن لا أقول او يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى انى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على ان لا أقول على الله الا الحق (قد جئتكم ببينة من ربكم) بما يبين رسالتى (فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه والسلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى اربعمائة عام معى حفص (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأت بها ان كنت من الصادقين) فأتنى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فألقى) موسى عليه السلام (عصاه) من يده (فاذا هى) اذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر أمره روى انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون ياموسى خذه وأنا أؤمن بك فأخذه موسى فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه (فاذا هى بيضاء للناظرين) اى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه روى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها فى جيبه ونزعها فاذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا حية والآدم أبيض وهذا الكلام قد عزى الى فرعون فى سورة الشعراء وانه قاله للملأ وهنا عزى اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم

بخلاف ماهو عليه كما أراهم يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا الساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملأ لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملأ حوله ان هذا الساحر عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون أولا ثم انهم قالوه بعده فأخبر الله تعالى عنهم هنا وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملأ من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فأخبر الله عز وجل هنا عن الملأ وأخبر هناك عن فرعون وقوله (يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أيها القبط من أرض مصر (فماذا تأمرون) يعني فأي شيء تشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تأمرون من قول الملأ لان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من أرضكم فقال الملأ مجيبين لفرعون فماذا تأمرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فما ترون ان نفعل به والقول الأول أصح لسياق الآية التي بعدها وهو قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) يعني أخر أمرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجاء التأخير في اللغة وقيل معنى ارجئه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ان رأى من امر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن حاشرين) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اى اقام به يعني مدائن صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل الى هذه المدائن رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله (يأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نقاتل موسى الا بمن هو أشد منه سحرا فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها العوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم فقال فرعون للعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسيهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وجاؤا الى فرعون (قالوا ان لنا لأجرا) يعني جعلا وعطاء تكرمنا به (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازي ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو تقدير سائل سأل ماقالوا اذ جاؤا فأجيب بقوله قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقربين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا أقتصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (يا موسى اما ان تلقي) يعني عصاك (واما ان نكون

نحن الملقين) يعنى عصينا وحبالنا فى هذه الآية دقيقة لطيفة وهى ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم فى الالقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب أولا وأظهروا مايدل على رغبتهم فى ذلك (قال) يعنى قال لهم موسى (القوا) يعنى انتم فقدمهم على نفسه فى الالقاء فان قلت كيف جاز لموسى ان يأمر بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين فى فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثانى انما أمرهم بالالقاء لتظهر معجزاته لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى فى عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لابد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التشاجر فى التقديم والتأخير فأذن لهم فى التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو ألقى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالقاء أولا (فلما ألقوا) يعنى حبالهم وعصيهم (سحروا أعين الناس) يعنى صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة مافعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو الفرق بين السحر الذى هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التى هى فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشئ والمعجزة قلب نفس الشئ عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى (واسترهبوهم) يعنى أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعنى السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا ايضا والقوها على الارض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا فى ميل فصارت كلها حيات وافاعى ففزع الناس من ذلك وأوجس فى نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لم يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بأن كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم بما رأوا من تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك أوجس فى نفسه خيفة موسى قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) يعنى فألقاها (فاذا هى تلقف) يعنى تبتلع (ما يأفكون) يعنى ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشئ عن غير وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هى تلقف يعنى تبتلع كل شئ أتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت فى يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعنى فظهر الحق الذى جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعنى من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما انفقدت وتلاشت فى عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فغلبوا هنالك) يعنى فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه (وانقلبوا صاغرين) يعنى ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعنى ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى

نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم فى ان يلقوا قبله حيث أكدوا ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتحاوروا فى الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) فى باب السحر او فى عين من رآه (وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هى تلقف) تلقف حفص (ما يأفكون) ما موصولة او مصدرية يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روى انها لما تلقفت مل الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) أى فرعون وجنوده والسحرة وصاروا اذلاء مبهوتين (والقى السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كانما ألقاهم ملق لشدة خرورهم اولم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم القوا وكانوا أول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء بررة

ما ليس

ماليس فى قدرتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروالله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايمان به (قالوا آمنا برب العالمين) فقال فرعون اياى تعنون فقالوا بل (رب موسى وهارون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بى ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتنى لأومنن بك وقيل ان الحبال والعصى التى كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعتها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا به وصدّقوه فان قلت كان يجب ان يأتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل فى قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه فى امر العصا وانه ليس يقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت فى قلوبهم بادروا الى السجود تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما رأت السحرة ما رأت عرفت ان ذلك من أمر السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قوله عز وجل (قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم) يعنى قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدّقتموه قبل ان آمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة) يعنى ان هذا الصنع الذى صنعتموه انتم وموسى فى مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطؤا عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (لتخرجوا منها أهلها) وتستولوا عليها أنتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعنى فسوف تعلمون ما أفعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما فى القطع (ثم لاصلبنكم أجمعين) يعنى على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أوّل من صلب وأوّل من قطع الايدى والارجل فرعون (قالوا) يعنى مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انا الى ربنا منقلبون) يعنى انا الى ربنا راجعون واليه صائرون فى الآخرة (وما تنقم منا) وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) ثم فزعوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) اى اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا أتى بلفظ التنكير يعنى صبرا وأى صبر عظيم (وتوفنا مسلمين) يعنى واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا فى أوّل النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء قال الكلبى ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى) يعنى وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى (وقومه) من بنى اسرائيل (ليفسدوا فى الارض) يعنى أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذرك وآلهتك) يعنى وتذره ليذرك ويذر آلهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامرى عجلا وقال السدى كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنا ربكم الاعلى والاولى ان يقال ان فرعون كان دهريا منكر الوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هى الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول فى نفسه انه هو المطاع والمخدوم فى الارض فلهذا قال أنا ربكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشعبى والضحاك ويذرك والاهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالآلهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

(قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) هو بدل مما قبله (قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفى غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (قبل ان آذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها) ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل ان تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد اجمله ثم فصله بقوله (لاقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم اجمعين) هو أوّل من قطع من خلاف وصلب (قالوا انا الى ربنا منقلبون) فلا نبالى بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته او انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا (وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * (ربنا أفرغ علينا صبرا) أى اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذرك وآلهتك) عطف على ليفسدوا وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وأمرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا

الى انه زائل ولذلك قال أنا ربكم الأعلى (قال) فرعون مجيبا للملأ (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) سنقتل جازي أي

تروحنا من العباء قصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤبا

أراد بالالاهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أتذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أو حبس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا مما ارادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانا فوقهم قاهرون) يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعني لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وأبنائكم (ان الارض لله) يعني أرض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل أن تأتينا يعني بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام يوهم أن بني اسرائيل كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الايهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيبا لهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يعني فرعون وقومه (ويستخلفكم في الارض) يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم قوله عز وجل (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعني بالقحط والجدب تقول العرب مستهم السنة يعني أخذهم الجدب في السنة ويقال اسنتوا كما يقال أجدبوا قال الشاعر

* ورجال مكة مسنتون عجاف *

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعني واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعني لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة) يعني الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه

سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أي ارض مصر أو للجنس فيتناول ارض مصر تناولا أوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنية اياهم ارض مصر (والعاقبة للمتقين) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط واخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى أن استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بسني القحط وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم (ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتعظوا فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية (واذا جاءتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه)

على انعامه (وان تصبهم سيئة) يعني القحط والجدب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطيروا) يعني يتشاءموا وأصله يتطير والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعني انهم قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد ابن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية (الا انما طائرهم عند الله) يعني ان نصيبهم من الخصب والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضي الله عنهما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله تعالى (وقالوا) يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأتنا به من آية) يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعني بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا على الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شئ وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدري وهم أول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما ان الطوفان أمر من أمر الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأنبت الله لهم تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة وأكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت دور القبط منه ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى خرج الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي

(وان تصبهم سيئة) أي هذه التي يستحقها (يطيروا) اصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانهما من طرف اللسان واصول الثنايا جدب ومرض (بموسى ومن معه) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شئ منها (الا انما طائرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) اصل مهما ما ما الاولى للجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا فلما ذهب ما الاولى الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري وهو في موضع النصب بتأتنا اي ايما شئ ومن آية تبيين لهما والضمير في به وبها راجع الى مهما الا ان الاول ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لانها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى او قصدوا بذلك الاستهزاء (فأرسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل وقيل طغا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة او هو

والكلبي القمل الدبى وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الأخبار أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يمشي الى كثيب رمل أعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فأكلها ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه واذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وابصارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا الى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى أخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد ما أقاموا شهرا في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منه بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا أراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الآخر واذا أراد ان يأكل سبقه الضفدع الى فيه ولا يعجن أحدهم عجينا الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلأت ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله عز وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي على النار وفي التنانير وهي تفور فأثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ موسى عليه السلام عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم سبعا من السبت الى السبت فأقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عبيطا وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الآبار والانهار يجدونه دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيئا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويفرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقني من مائك فتصب لها في قربتها فيصير في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها دما ملحا فكانوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن أسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعني يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعني عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعني آل فرعون قوله تعالى (ولما وقع عليهم الرجز) يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن

جبير

الجدري أو الطاعون (والجراد) فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها أو البراغيث أو كبار القردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أي الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحدا بعد واحد

جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافنون (ق) عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى (قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) يعني بما اوصاك وقيل بما انبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) يعني العذاب الذي وقع بنا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعني بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى أجل هم بالغوه) يعني الى الوقت الذي أجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق في اليم (اذا هم ينكثون) يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به ﴿اعلم ان ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في أمان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجزا أيضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده قوله عز وجل (فانتقمنا منهم) يعني كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب (فأغرقناهم في اليم) والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذي أجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهري اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى ان اقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعني عن آياتنا (غافلين) يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم عافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان قوله عز وجل (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على انفسهم وهو ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل فقتلوا أبناءهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارق الارض ومغاربها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بني اسرائيل وقد ملكا الارض وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعده بالنصر على عدوهم والتمكين في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهي تأنيث الاحسن وتمامها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا والدمار الهلاك

(قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ما مصدرية أي بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل) الى حد من الزمان (هم بالغوه) لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم ينكثون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما ان العقاب هو ضد الثواب (وأغرقناهم في اليم) هو البحر الذي لا يدرك قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المنتفعين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارق الارض ومغاربها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت اى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) اهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات وبناء القصور

باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعني يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والأعناب قوله عز وجل (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) يعني فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أي يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعني كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا الها نعبده ونعظمه قال البغوي رحمه الله ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعني تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق ان يعبد سواه لانه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذي وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ماهم فيه) أي مهلك والتتبير الاهلاك (وباطل ما كانوا يعملون) البطلان عبارة عن عدم الشئ اما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرا لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال أغير الله أبغيكم الها) لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم أغير الله أبغيكم الها يعني أطلب لكم وأبغي لكم الها (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى ان الاله ليس هو شيئا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) هذه الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة (وأتممناها بعشر) يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله

(وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامي وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم اتبعه قصة بني اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رآه من بني اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) روي انهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل (قال أغير الله أبغيكم الها) أي أغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجيناكم من آل فرعون) أنجاكم شامي (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي ذلكم) اي في الانجاء أو في العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتممناها بعشر) روي ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل

عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فأمره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر الذي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر التي زادها فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي) يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدي حتى أرجع اليك (وأصلح) يعني واصلح أمور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الرفق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التأكيد لان هارون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما أنت عليه من القعود وقوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه ربه) وفي هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة وذلك الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سينا وفي القصة ان الله تعالى أنزل ظلة تغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته (فقال رب ارني انظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره أرني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انوار الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهي سمعت كلامك فاشتقت

وهو مصدر ان اهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فاوحى الله اليه أما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فأمره ان يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضربه له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد ولقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لاخيه هارون) هو عطف بيان لاخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناه وحددنا ومعنى اللام الاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار انه اسمعه صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قال رب أرني أنظر اليك) ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني ذاتك انظر اليك يعني مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك ارني مكي وبكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر (قال لن تراني) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى

الى النظر اليك ولأن انظر اليك ثم أموت احب الى من ان أعيش ولا أراك وقال السدى لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدوّ الله ابليس الخبيث فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب ارنى انظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

(فصل) وقد تمسك من نفى الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم فى ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم فى ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه فى أن لن تكون للتأبيد خطأ بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه أبدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله ياليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تأكيد النفى كلا التى تنفى فى المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا أى لن ترانى فى الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت فى الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة فى الدار الآخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفى الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام وحيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية فى نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) وهو أمر جائز الوجود فى نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلى اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحاق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية ارسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذى عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسئلتى فهل ينجينى مما أنا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شئ من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من اصوات الذين مروا قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم امر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على

البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف ترانى) وهو دليل لنا ايضا لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشئ بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار فى فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله انى اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الغرق

موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا اشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أأنفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان اقمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى ان يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جالس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فلما افاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك أحد فيحيى ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه ما أعظمك واعظم ملائكتك انت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى هكذا بغير سند واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسر جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمه الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء وقال تعالى (وخر موسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله (فلما افاق) والميت لا افاقة له انما يقال افاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل امرا عظيما لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزيها لك من النقائص كلها (تبت اليك) يعني من مسئلتي الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤال ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابرار سيئات المقربين (وانا أول المؤمنين) يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وانا أول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقي في الآية سؤالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال ارني انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى أراك والجواب

(فلما تجلى ربه للجبل) أي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه ان يريهم ربه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال ارهم ينظروا اليك ثم يقول له لن يروني ولانها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعله دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء حمزة وعلى أي مستوية بالارض لا اكمة فيها وناقة دكاء لا سنام لها (وخر موسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لا تعطى الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأني أنظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث

عنه ان معنى قوله ارنى اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى انظر اليك وأراك السؤال الثانى كيف قال لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان احدا لا يقوى على رؤيته تعالى الا من قواه الله تعالى بمعونته وتأييده الا ترى انه لما ظهر أثر التجلى للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده قوله عز وجل (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) يعنى قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ياموسى انى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى انى فضلتك واجتبيتك على الناس وفى هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها الا ان الله تعالى عدد عليه نعمه التى أنعم بها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤية التى طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر أنواع النعم التى خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتى وبكلامى يعنى من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه فى الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوى فقال لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين أحدهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة فكان سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلاة وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذى يعتمد فى الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا فى زمانه وذلك أنه لم يكن فى ذلك الوقت اعلى منصبا ولا اشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمى زمانهم وهو قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمى زمانهم وقوله تعالى (فخذ ما آتيتك) يعنى ما فضلتك واكرمتك به (وكن من الشاكرين) يعنى على انعامى عليك وفى القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها قوله تعالى (وكتبنا له فى الالواح) قال ابن عباس يريد ألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى فى الواح التوراة قال البغوى وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده

جعل الجبل دكا (قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتى) هى أسفار التوراة برسالاتى جازى (وبكلامى) وتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وكتبنا له فى الالواح) الالواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة

وقال

وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الالواح من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة فاعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا أقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب في اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التوراة بألف آية يعني قوله وكتبنا له في الالواح (من كل شئ) يعني يحتاج اليه من أمر ونهي (موعظة) يعني نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته (وتفصيلا لكل شئ) يعني وتبيينا لكل شئ من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني لاجد امة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد في التوراة امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة اذا اشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال يارب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قال ياليتني من أصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا وقوله تعالى (فخذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الالواح من كل شئ خذها بجد واجتهاد وقيل معناه خذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة لان من أخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا

(من كل شئ) في محل النصب على انه مفعول كتبنا (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شئ كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأها كلها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للالواح أو لكل شئ لانه في معنى الاشياء (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي فيها ما هو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم

حرامها او يتدبر والامثال او يعملوا بمحكمها او يقفوا عند متشابهها أو كان موسى عليه الصلاة والسلام اشد عبادة من قومه فأمر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى يأخذوا بأحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا بأحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالقصاص حسن ولكن العفو احسن وكالانتصار حسن والصبر أحسن منه فأمروا ان يأخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله والذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه بأحسنها بحسنها وكلها احسن وقوله تعالى (سأريكم دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليها اذا سافروا وقوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثرون على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكر في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون انهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أي يتعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل الغي) يعني طريق الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين لا يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه عز وجل (من حليهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حليهم فلما ابطأ موسى عليهم جمع

السامري

(سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف اقفرت منهم لتعتبروا ولا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أو جهنم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذو النون قدس الله روحه أبى الله ان يكرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) يتطاولون على الخلق ويأنفون عن قبول الحق وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) طريق صلاح الامر وطريق الهدى الرشد حمزة وعلي وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خبر والذين (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الطور (من حليهم) وانما نسب اليهم مع انها كانت عواري في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملابسة وفيه دليل على ان من حلف ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث او على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال املاكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلي للاتباع

السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو
واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكأنهم اجمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ
لهم (عجلا جسدا) يعني من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل
عليه السلام فتحول عجلا جسدا لحما ودما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن
وقتادة وجمهور أهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت
كان خفيق الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت
الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه
خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع
منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي (ألم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل ان بني
اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده
وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج
على الاغلب وكذا قوله ألم يروا (انه) يعني العجل الذي عبدوه (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعني ان هذا
العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا
ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعني لانفسهم حيث اعرضوا
عن عبادة الله تعالى الذي يبصر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يبصر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم
الى رشد وصواب قوله عز وجل (ولما سقط في ايديهم) يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل
نادم على أمر سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه
فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى اسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتيقنوا
انهم على الضلالة في عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا
(لنكونن من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من
اعترف بعظم ما قدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم
على أنفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك
لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا)
يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان
الله تعالى قد أخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان
اسفا قال ابو الدرداء الاسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسف الحزين
قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكرهه ممن
هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكرهه ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى
غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا
لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى كان قد أعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة
والسلام لقومه (بئسما خلفتموني من بعدي) أي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل
ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه اولهارون والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول
في انه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى
الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتموني
حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم مني الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له
ونفي الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله (أعجلتم
أمر ربكم) معنى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها

(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي الها فتعجب من عقولهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق بما أركز في العقول من الادلة وبما أنزل في الكتب ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) الها أقدموا على هذا الامر المنكر (وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله ان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى في أيديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان استحال أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا انهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلي وانتصاب ربنا على النداء (لنكونن من الخاسرين) المغبونين في الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من الطور (الى قومه) بني اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال ايضا اي حزينا (قال بئسما خلفتموني) قمتم مقامي وكنتم خلفائي (من بعدي) والخطاب لعبدة العجل من السامري واشياعه اولهارون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي بعد قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف (أعجلتم) اسبقتم بعبادة العجل (امر ربكم) وهو

عمل الشيء في أول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الآية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم أمر ربكم ولما ذكر الله تعالى ان موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان اسفاذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى (وألقى الالواح) يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فألقاها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة (وأخذ برأس أخيه يجره اليه) قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فأقبل على أخيه هارون يلومه ومد يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فأعلمه هارون عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعني هارون (ابن ام) انما قال هارون لموسى ابن ام وان كانا لاب وام ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعني الذين عبدوا العجل (استضعفوني) اى استذلوني وقهروني (وكادوا يقتلونني) أي وقاربوا وهموا ان يقتلوني (فلا تشمت بي الاعداء) أصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه و يعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) يعني الذين عبدوا العجل (قال رب اغفر لي) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر أخيه هارون قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون يريد ما أظهر من الموجدة عليه في وقت الغضب (ولاخي) يعني واغفر لاخي هارون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبدة العجل (وادخلنا) يعني جميعا (في رحمتك) يعني في سعة رحمتك (وأنت ارحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعني الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو ان أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلال والخطا فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جريج وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي

اتيانى لكم بالتوراة بعد اربعين ليلة واصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الالواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يجره اليه) عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى (قال ابن أم) بني الابن مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان اصله ابن أمي فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وابيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أي اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي (ولا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي قرينا لهم بغضبك علي فلما اتضح له عذر أخيه (قال رب اغفر لي) ليرضي اخاه وينفي الشماتة عنه (ولاخي) والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولاخي ان كان فرط في حسن الخلافة باشراكه معه في الدعاء (وأدخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة (وأنت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب من ربهم) هو ما أمروا به من قتل انفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذل

سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب
والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان
الاول ان العرب تعير الابناء بقبائح افعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا
وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك هاهنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بأنهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في
زمنه بأنهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الآية من باب
حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف
لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفترين) يعني كما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا
العجل الها نجزي كل من افترى على الله كذبا أو عبد غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى
يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من
مبتدع الا وهو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله (والذين عملوا
السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فما دونه (ثم تابوا
من بعدها) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد أعمالهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل
توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) يا محمد أو يا أيها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم
(لغفور رحيم) يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات بأسرها
صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الآية ان
من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من أعظم
البشائر للمذنبين التائبين قوله تعالى (ولما سكت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله
الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه
لما كان بفورته دالا على ما في نفس المغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة
السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت
القلنسوة في رأسي والمعنى ادخلت رأسي في القلنسوة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير
(أخذ الالواح) يعني التي ألقاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع
من التوراة شيء (وفي نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا
بحرف فقد نقلت ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل أراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح
المحفوظ وقيل أراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس
وعمرو بن دينار لما ألقى موسى الالواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في
الاولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بعينها بعد
ما ألقاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها (هدى ورحمة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب (للذين هم لربهم يرهبون) يعني للخائفين من ربهم قوله عز وجل (واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره
وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال
أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين
وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون
وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم
فأصبحوا شيوخا فأمرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميعات ربه واختلف
أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى

الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي
المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من
قول السامري هذا الهكم واله موسى (والذين
عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا)
رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) واخلصوا
الايمان (ان ربك من بعدها) أي السيئات
أو التوبة (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم
(رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها
خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو
العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظم
رحمته ليعلم ان الذنوب وان عظمت فعفوه أعظم
ولما كان الغضب لشدته كأنه هو الآمر لموسى
بما فعل قيل (ولما سكت عن موسى الغضب)
وقرئ به وقال الزجاج معناه سكن (أخذ
الالواح) التي ألقاها (وفي نسختها) وفيما نسخ
منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام
لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره
(واختار موسى قومه) أي من قومه فحذف
الجار وأوصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا
اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان
فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لاعتذارهم
عن عبادة العجل

طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى ان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك ياموسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكن الله توفاني فأخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يارب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم أحياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يأمروهم بالمعروف فأخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معها موت أم لا فعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة

(فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة

فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (لوشئت أهلكتهم من قبل) يعني من قبل عبادتهم العجل (واياى) وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بأنهم ماتوا فقال رب لوشئت اهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميقات واياى معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ أصحاب العجل العجل فقال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهي قولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد أي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا (ان هي الا فتنتك) قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أي اختبارك وابتلاؤك وهذا تأكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدي وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر (أنت ولينا) يعني أنت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر أي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه (وارحمنا) أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل اولدفع ضرر واما أنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فأنت خير الغافرين قوله تعالى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شئ) يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شئ تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشئ فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فأيس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقال البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا

(قال رب لوشئت اهلكتهم من قبل) بما كان منهم من عبادة العجل (واياى) لقتلى القبطى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل (ان هى الا فتنتك) ابتلاؤك وهو راجع الى قوله انا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى اخبرتنى بها وهى ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تضل بها) بالفتنة (من تشاء) من علمت منهم اختيار الضلالة (وتهدى) بها (من تشاء) من علمت منهم اختيار الهدى (أنت ولينا) مولانا القائم بأمورنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (فى هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة اووتوفيقا فى الطاعة (وفى الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب (قال عذابى) من صفته انى (أصيب به من أشاء) أى اى لا أعفو عنه (ورحمتى وسعت كل شئ) مامن من صفة رحمتى انها واسعة تبلغ كل شئ مسلم ولا كافر الا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا (فسأكتبها) أى هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكاة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون بشئ منها

ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظرا قال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر نواهيه عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول الترك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى الذين يتقون والثاني الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية اما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالايمان والمعرفة واليها الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون وقوله عز وجل (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) ذكر الامام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين أحدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا النبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امة الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذي أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرأه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى امه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان

(الذين يتبعون الرسول) الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الامي الذي يجدونه) أي يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل

(خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

(شرح غريب ألفاظ الحديث)

الفظ السيئ الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه في غلاف وروى البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال اني أجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويوضئون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشأم وقوله تعالى (يأمرهم بالمعروف) يعني بالايمان وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد وبمكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي وقيل هي المستلذات التي تستطيبها الانفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل وكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير الشئ تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على اعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية قوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض وفي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا

يأمرهم بالمعروف) بخلع الانداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو وما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما حلى كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو وما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما من المكاسب الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم) هو الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شاقة على الجمع (والاغلال التي كانت عليهم) هي الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وطهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) محمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (ونصروه) (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن المنزل ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم

الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد من قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أحمر واسود قيل أراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) لما أمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك أمرهما هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (لا اله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال فبأن يمتثل التابع جميع ما أمره المتبوع على طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب وأما المتابعة في الافعال فبأن يقتدي به في جميع افعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى (لعلكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم اياه قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعني من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه (وبه يعدلون) يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الآية يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه

(الذي له ملك السموات والارض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح (لا اله الا هو) بدل من الصلة وهي له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (فآمنوا بالله وكلماته) أي النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته (واتبعوه لعلكم تهتدون) ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى) أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذي هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرابه

يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدا منا لا يصل اليهم واذا كان كذلك فمن ذا الذي اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الآية انها اما ان تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما أن تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده قوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني اسرائيل (اثنتي عشرة اسباطا) يعني من أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أمما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) يعني في التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) يعني فانفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس (منه) اي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل أناس مشربهم) يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقيهم حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن) هو الترنجبين (والسلوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي وقلنا كلوا (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجموا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوا غيره لان المكلف اذا أمر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسألتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما أمروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكلوا منها حيث شئتم) يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الذ واكمل فأما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك بخلافه هنا (وقولوا حطة) أي حط عنا ذنوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا مساواة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم أمر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئاتكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال في سورة البقرة

(وقطعناهم) وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم مميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة (أمما) بدل من اثنتي عشرة اي وقطعناهم أمما لان كل اسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانبجست) فانفجرت (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) هو اسم جمع غير تكسير (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) وقلنا لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا) اي وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذكر اذ قيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم) تغفر لكم مدني وشامي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمرو خطيئتكم شامي (سنزيد المحسنين)

وسنزيد بالواو ومعناه انه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم) يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة أمرنا من بني اسرائيل فقالوا قولا غير الذي قيل لهم وأمروا بذلك وذلك انهم أمروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم (فأرسلنا عليهم رجزا من السماء) يعني بعثنا عليهم عذابا من السماء أهلكهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا أرسلنا وبين قوله في سورة البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا من أعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا (بما كانوا يظلمون) يعني ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياه بحالهم وانما المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيء قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قردة وخنازير واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيوني يعني القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه (اذ يعدون في السبت) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السمان (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) يعني الحيتان (كذلك نبلوهم) يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمروا به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا وباعوا وصار أهل القرية احزابا ثلاثة وكانوا نحوا من سبعين ألفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا واكلوا وباعوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لشأنا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم

فاذا هم

فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها في هذه السورة وبين قوله في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروه فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد (واسألهم) واسأل اليهود (عن القرية) ايلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه (اذ يعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال (اذ تأتيهم) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل (حيتانهم) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) ويوم ظرف لا تأتيهم (كذلك نبلوهم) مثل ذلك البلاء الشديد (بما كانوا يفسقون)

فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تأتى انسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم أهلوهم ألم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا فى القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعنى انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة الى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله (ولعلهم يتقون) أى وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية اتقوا قبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكن قولهم معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا ما وعظوا به (انجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعنى الفرقة المعتدية العاصية (بعذاب بئيس) أى شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعنى أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدرى ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكى قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبه قولى ورضى به وأمر لى ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية اشد آية فى ترك النهى عن المنكر وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) قال ابن عباس أبوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا يعنى عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك فى يوم السبت وأكله (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى (واذ تأذن ربك) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن اذن والاذان الاعلام يعنى اعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى اقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام فى قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا فى الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فألحق الذل بهم وقيل بان المراد به سائر اليهود ومن بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذى بعثه الله على اليهود هو

نابوهم بفسقهم (واذ قالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه كحكمه فى الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أى موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له اى وعظناهم للمعذرة (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى ان يتقوا (فلما نسوا) أى اهل القرية لما تركوا الناسى (ما ذكروا به) ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه (أنجينا الذين ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس بئس شامى بيس مدنى بيئس على وزن فيعل ابو بكر غير حماد (بما كانوا يفسقون) فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (واذ تأذن ربك) اى اعلم واجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه

بخت نصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته فألزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وأورد على هذا بان فى آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص فى أن العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب) يعنى لمن أقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم فى الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعنى لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام قوله تعالى (وقطعناهم فى الارض أمما) يعنى وفرقنا بنى اسرائيل فى الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعنى من هؤلاء الذين وصفهم الله من بنى اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبرى ولم يذكره غيره وروى البغوى وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبرى يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بنى اسرائيل وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعنى الذين كفروا من بنى اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلوناهم) يعنى جميعا الصالح وغيره وهى بلوى اختبار وامتحان (بالحسنات) يعنى الخصب والعافية (والسيئات) يعنى الجدب والشدة (لعلهم يرجعون) يعنى لكى يرجعوا الى طاعة الله ربهم ويتوبوا اليه قال أهل المعانى كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعم والشدة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب فى الطاعة وأما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى (فخلف من بعدهم) يعنى من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعنى خلف سوء يعنى حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فأكثر ما يقال فى المدح بفتح اللام وفى الذم بسكونها وقد تحرك فى الذم وتسكن فى المدح قال حسان بن ثابت فى المدح

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

فسكن اللام فى قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد فى الذم

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير فى السقاء ويقال للردىء من القول خلف وخلف الشئ تغير ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذى يجىء بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعنى انتقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التوراة (يأخذون عرض هذا الادنى) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا يأخذون الرشا فى الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشئ التافه الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها

ليسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من يوليهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور رحيم) للمؤمنين (وقطعناهم) وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة منهم (فى الارض أمما) (منهم الصالحون) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يأخذون عرض هذا الادنى) هو حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الاحكام وعلى تحريف الكلام وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير

فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا فى الاحكام ويعلمون انها حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى أخرجه الترمذى وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها فى الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الأمانى لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمنى بعينه وقوله تعالى (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا أتاهم شئ من الدنيا أخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدى كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول سيغفر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول الله عز وجل وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم العهود والمواثيق فى الكتاب وهو التوراة (ان لا يقولوا على الله الا الحق) يعنى انا أخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا أمر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود فى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعنى ما فى الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهود والمواثيق فى الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعنى وما فى الدار الآخرة مما أعد الله لاوليائه واهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا فى الاحكام (خير للذين يتقون) يعنى يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا يعقلون) يعنى أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما فى الآخرة خير وأبقى لانها دار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وامسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية فى الذين اسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فأداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثانى وهو القرآن (واقاموا الصلاة) يعنى داوموا على اقامتها فى مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة فى التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله (انا لا نضيع أجر المصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعنى واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى اسرائيل كأنه ظلة يعنى جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أى وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعنى الجبل (خذوا) يعنى وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير فى القرآن وكلام العرب (ما آتيناكم) يعنى التوراة (بقوة) يعنى بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) يعنى واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بنى اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنها رسول الله صلى الله

(ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند الى الاخذ والى الجار والمجرور أى لنا (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى الميثاق المذكور فى الكتاب (ان لا يقولوا على الله الا الحق) أى اخذ عليهم الميثاق فى كتابهم ان لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما فى الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتاء مدنى وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامساك والتمسك والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (واقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (انا لا نضيع أجر المصلحين) اى انا لا نضيع اجرهم وجاز ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون وانا لا نضيع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذكر اذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كأنه ظلة) هى كل ما أظلك من سقيفة او سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهى ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما انتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أى واذكر اذ اخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى

عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من أعمال اهل النار فيدخله النار أخرجه مالك فى الموطا وابوداود والترمذى وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبرى فى بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة فجعل بين عينى كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال اى رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمرى أربعين سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك يعنى واذكر يا محمد اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى أخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ماية والد الابناء من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بنى آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء فى تفسير هذه الآية مذهبان أحدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبرى باسانيده فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس فى هذه قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة وأخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال ان أول ما اهبط الله آدم الى الارض اهبطه بدهناء أرض الهند فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين زاد فى رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم وآجالهم ومصائبهم وفى رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم فى صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله

وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم أعادها فى صلبه فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال السدى أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه كهيئة الدر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيئة الدر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية زاد فى رواية وذلك حيث يقول وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى أقرله بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء مثل الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالى وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا فى صلب آدم واهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيرى وانا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى احب ان أشكر فلما اقررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز ان يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى فى النملة قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب اولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال أوبى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله ألست بربكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذرية ألست بربكم فهو ايجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على انفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان احدهما انهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى ان قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله سبحانه وتعالى (ان يقولوا) وقرئ بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا أيها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا) يعنى الميثاق (غافلين) وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا أى الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا نطفا فى اصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على أنفسهم انه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا

شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان يقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه

على أنفسنا انك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذ أخذ ربك من بني آدم و يشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان الله أخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضا فكيف يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صح الحديث بأن الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من ان الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا وأما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما أقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن و يصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه و يصدق رسله فيما جاؤا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين أو لئلا يقول أخلافهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم و بذلك قامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى (او يقولوا) يعني الذرية (انما أشرك آباؤنا من قبل) يعني انما أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل (وكنا ذرية من بعدهم) يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك (أفتهلكنا) يعني أفتعذبنا (بما فعل المبطلون) قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان

يحتجوا

(أو يقولوا) (انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة

يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة واما الذين حملوا معنى الآية على ان المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لآبائنا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء في الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات) يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلهم يرجعون) يعني عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل (واتل عليهم) يعني واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعني خبر (الذي آتيناه آياتنا) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن أبر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية أخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء وكانت قصته على ماذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشأم اتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى أؤامر ربي وكان لا يدعو حتى يؤامر ربه في المنام فأتى في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي فنهاني ان ادعو عليهم فأهدوا اليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربي فآمر فلم يوح اليه شيء فقال قد آمرت ربي فلم يوح الي شيء فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى ازلقها فأذن الله عز وجل لها في الكلام وانطقها الله فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اتدري اين تذهب اما ترى الملائكة امامي يردوني عن وجهي هذا ويحك اتذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعو فلم يدع بشيء الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال ثم قال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل ليبعنها عليهم ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك انك تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله اني لا اطيعك في هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل

لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق انه ربهم بقوله ألست بربكم وأجابوه بلى قالوا وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه اياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل فقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والحجة للاولين انه قال من بني آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولانا لا نتذكر ذلك فانى يصير حجة ذرياتهم مدني و بصري وشامي ان تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا) هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن عوراء أوتي علم بعض كتب الله

عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد أخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان أصاب ذلك الرجل المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القشة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام أنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال مقاتل ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من أهل ديني ولا ادعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان فضربها فقالت لم تضربني واني مأمورة وهذه نار امامي قد منعتني ان أمشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لاصلبنك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بأن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره أهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الآية في امية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم ان الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه فلما مات امية أتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال وعى قال ازكى قال أبى قالت فسألته عن ذلك فقال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ

منها

منها الآية وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد اعطى
ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة
كما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا لها فصارت اجمل النساء فلما علمت انه
ليس فى نساء بنى اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان
فجاء بنوها الى أبيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار وقد صارت أمنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك
فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان
الاولان أشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافقى أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى
الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه
الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان
لا يسأل الله شيئا الا أعطاه وقال السدى كان يعلم اسم الله الاعظم وفى رواية أخرى عن ابن عباس انه اوتى
كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وأدلة وهى الآيات التى أوتيها (فانسلخ منها) يعنى فخرج من الآيات التى
كان الله آتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم (فأتبعه الشيطان) يعنى
لحقه وادركه وصيره الشيطان تابعا لنفسه فى معصية الله يخالف أمر ربه ويطيع الشيطان وهواه وقوله
تعالى (فكان من الغاوين) يعنى من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه وقوله سبحانه
وتعالى (ولو شئنا لرفعناه بها) يعنى رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التى اوتيها وقال ابن عباس
لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات (ولكنه أخلد
الى الارض) يعنى ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضى بها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام
والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن
والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به فى الدنيا فالدنيا كلها هى الارض (واتبع هواه) يعنى انه اعرض
عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع فى هاوية الردى والهلاك
وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى
وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم انه
لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها عوضا عن الآخرة نزع منه ما كان اعطيه وانسلخ من الدين
فخسر الدنيا والآخرة ومن الذى يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته
بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان
جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف لدينه أخرجه الترمذى ثم ضرب الله
عز وجل مثلا لهذا الرجل الذى آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر
وعند الاعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه
وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب فى اخس أحواله وهو اللهث لان الكلب فى حال
لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذى يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها
فى الآخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه او تركته كان لاهثا وذلك عادة منه
وطبيعة وهى مواظبته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام
الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل بعلمه الى
طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها ويدلع لسانه فى تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل
عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة
الكلب الذى ادلع لسانه من اللهث فى غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث أى

(فانسلخ منها) فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره (فأتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى ومن معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه) أى تزجره وتطرده (يلهث او تتركه) غير مطرود (يلهث) والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا حرك أما الكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الكلام ان يقال ولكنه أخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع حططناه أبلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظ أو ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب

ان شددت عليه واهجته لهث وان تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا وانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقصص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أي اخبار من كفر بآيات الله (لعلهم يتفكرون) يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا (وأنفسهم كانوا يظلمون) يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدي) يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدي (ومن يضلل) يعني ومن يتول الضلالة (فأولئك هم الخاسرون) يعني في الآخرة وفي الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادي المضل وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعني خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) اخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بأنه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن أبي وقاص لفظة اني لأراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم ذلك قال به واما اطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل له بأشياء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله أعلم وفي الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنة في ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في جهنم للعاقبة أي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير

ينبح ان طرد أو ترك (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أي ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وأنفسهم كانوا يظلمون) معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدي) حمل على اللفظ (ومن يضلل) أي ومن يضلله (فأولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه والحاصل ان من علم منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارا عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه

والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله (ولهم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الدراكة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * واني ان اشاء بها سميع

فانه اثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه وتعالى (أولئك كالانعام) يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالا من الانعام وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا لا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول

(ولهم اعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر (بل هم أضل) من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوي المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمي روحاني شهواني سماوي أرضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شئ والباقي بعد كل شئ والقادر على كل شئ والعالم بكل شئ والواحد الذي ليس كمثله شئ ومنها ما تستحسنه الانفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر

الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها الا الاخبار بحصر الاسماء وهذا جاء في الحديث الآخر اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدد أي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا الذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان أكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازي دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان أسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان أسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بأن الاسم غير المسمى وأيضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه أسمائه أيضا وقوله سبحانه وتعالى (فادعوه بها) يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه)

(فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو ان يقولوا يا سخي يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة تحد والحد مال

معنى الالحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد فى الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع فى أسماء الله تعالى على وجوه أحدها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثانى وهو قول أهل المعانى ان الالحاد فى أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد فى الشرع بل ندعو الله بأسمائه التى وردت فى الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب فى الدعاء فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا معطى يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعنى فى الآخرة نفيه وعيد وتهديد لمن الحد فى أسماء الله عز وجل قوله عز وجل (وممن خلقنا أمة) يعنى جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من امتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وفى الآية دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به و يهدى اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم و يضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بجرم أو اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة فى الدنيا فيزدادون بذلك تماديا فى الغى والضلال و يتدرجون فى الذنوب والمعاصى فيأخذهم الله اخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبى نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثورى نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى أعوذ بك ان أكون مستدرجا فانى سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعانى الاستدراج ان يندرج الشئ الى الشئ فى خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبى اذا قارب بين خطاه فى المشى ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شئ (وأملى لهم) يعنى وامهلهم واطيل مدة أعمارهم والاملاء فى اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى أطيل مدة أعمارهم ليتمادوا فى الكفر والمعاصى ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعنى ان أخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكرى شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش وذلك ان الله سبحانه وتعالى امهلهم ثم قتلهم فى ليلة واحدة وفى هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بنى فلان يا بنى فلان انى لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه

(سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا) للجنة لانه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم (امة يهدون بالحق وبه يعدلون) فى أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة الى الدين وفيه دلالة على ان اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين ان ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة (وأملى لهم) عطف على سنستدرجهم اى امهلهم وهو داخل فى حكم السين (ان كيدى متين) أخذى شديد سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه فى الظاهر احسان وفى الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبى صلى الله عليه وسلم الى الجنون نزل (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف اى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم (من جنة) جنون

فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فأنزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر في عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكر وا فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو بريء منه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعني ما هو (الا نذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعني نظر اعتبار واستدلال (في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم) والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصير والى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المؤدي الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأي حديث بعده) يعني بعد القرآن (يؤمنون) يعني يصدقون والمعنى فبأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضلل الله فلا هادي له) يعني أن اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم فلو هداهم لآمنوا (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) يعني ويتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قال حبل بن أبي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى الساعة فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة و بغتة أو لان حساب الخلائق يقضى فيها في ساعة واحدة ايان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها أي متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت (قل) أي قل لهم يا محمد (انما علمها عند ربي) أي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه أحدا ومن حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة و وقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك أدعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية (لا يجليها لوقتها الا هو) قال مجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعني ثقل أمرها وخفي علمها على أهل السموات والارض فكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لا تأتيكم الا بغتة) يعني فجأة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة

(ان هو الا نذير مبين) منذر من الله موضح انذاره (أولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد (وان عسى) ان مخففة من الثقيلة وأصله وانه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا في ان الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل وحلول العقاب (فبأي حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون ان يؤمنوا به (من يضلل الله فلا هادي له) أي يضلله الله (ويذرهم) بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم الباقون بالنون (في طغيانهم) كفرهم (يعمهون) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يسألونك عن الساعة) وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (ايان) متى واشتقاقه من أي فعلان منه لان معناه أي وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أي اثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قل انما علمها عند ربي) أي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده (ثقلت في السموات والارض) أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها ويشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لان أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة على غفلة منكم

وقد

وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها * اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه وأصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله سبحانه وتعالى (يسألونك كأنك حفي عنها) يعني يسألك قومك عن الساعة كأنك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كأن بينك وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فأوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها من قولهم احفيت في المسألة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعني استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوال الساعة ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربي وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن أحوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه أعظم الاسماء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن أكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله سبحانه وتعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري به فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي يريدان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصبت فأنزل الله عز وجل قل لا أملك اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بأن اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بأن ارتحل الى الارض المخصبة واترك الجدبة (الا ما شاء الله) يعني أن املكه واقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) يعني ولو كنت أعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال (وما مسني السوء) يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الا ان يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله عز وجل اخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فأخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون

(يسألونك كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب أو عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسألونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي انا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك الا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب والسوء الفقر

وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان أنا الا نذير) يعني ما انا الا رسول أرسلني الله اليكم أنذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (و بشير) يعني وابشر بثوابه (لقوم يؤمنون) يعني يصدقون قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعني وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن اليها) يعني ليأنس بها و يأوي (فلما تغشاها) يعني واقعها وجامعها كني به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها (حملت حملا خفيفا) يعني النطفة والمني لان أول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها (فمرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما اثقلت) أي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن اعطيتنا بشرا سويا مثلنا (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط آدم وحواء الى الارض القيت الشهوة في نفس آدم فأصاب حواء فحملت من ساعتها فلما اثقل الحمل وكبر الولد أتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا ترين في الارض الا بهيمة او نحوها قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك او من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك و يسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملائكة الحارث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحارث وكان اسمه في السماء الحارث فقال آدم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال اطعني والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال ابن عباس اشركاه في طاعته في غير عبادة ولم يشركا بالله ولكن اطاعاه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله تعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما قرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحارث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب نجاة للولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر

وقد رد (ان أنا الا نذير و بشير) ان أنا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني ان اعلم الغيب واللام في (لقوم يؤمنون) يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي الا نذير للكافرين و بشير لقوم يؤمنون (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه (ليسكن اليها) ليطمئن وقيل لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا اذا كانت بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعدما انث في قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق أو حملت حملا خفيفا يعني النطفة (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما صالحا) أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) أي آتى أولادهما دليله

* وانى لعبد الضيف * مادام ثاويا *

أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزيز مصر انه ربى أحسن مثواى أراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى جعلا له شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم ابتدأ في الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض أهل المعانى ولو أراد به ما سبق فى معنى الآية فستقيم أيضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما أتيا به من الاشراك فى التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفى معنى الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد وأقامهما مقامهم كما أضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها أي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول الحسن الا ان القول الاوّل أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهود وهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله سبحانه وتعالى (أيشركون) قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيئا) يعنى ابليس والاصنام (وهم يخلقون) أى وهم مخلوقون فان قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهى من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحتملة للجمع بحسب المعنى فوحد قوله مالا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدو الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرا) يعنى ان الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذى تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفسهم ينصرون) يعنى ولا يقدرون على ان يدفعوا عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أدعوتموهم) الى الدين والهداية (أم أنتم صامتون) أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدّمة عجز الاصنام بين فى هذه الآية انه لا علم لها بشئ البتة والمعنى ان هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدّة وبلاء تضرعوا الى الاصنام فاذا لم تكن

حيث جمع (فتعالى الله عما يشركون) ومعنى الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك وتسميتهم أولادهم فيما آتاهم الله اشراكهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى أى هو الذى خلقكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى أيشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك شركاء مدنى وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء (أيشركون مالا يخلق شيئا) يعنى الاصنام (وهم يخلقون) أجريت الاصنام مجرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شئ وهم يخلقون لان الله خالقهم أو الضمير فى وهم يخلقون للعابدين أى أيشركون مالا يخلق شيئا وهم مخلوقون والله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) عن دعائهم فى انه لا فلاح معهم لا يتبعوكم بأفع ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية

ابهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم للاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال قوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدها هؤلاء المشركون انما هى مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما أنتم مسخرون مذللون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباد أمثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال عز وجل (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التى تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى (ألهم ارجل يمشون بها ام لهم أيد يبطشون بها أم لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان فى جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذى لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التى تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعنى أنتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله فى استكمال الحجة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودى يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم فى كيدى لم تصلوا الى ضررى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلا تنظرون) أى لا تمهلون واعجلوا فى كيدى أنتم وشركاؤكم (ان وليى الله) يعنى ان الذى يتولى حفظى ونصرى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما أيدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى ونصرى (وهو يتولى الصالحين) يعنى يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا ضرره شئ قوله عز وجل (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة فى تكريرها ان الآية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى ببصائر قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الآية ايضا واردة فى صفات الاصنام لانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا

عليك

رؤس الاى (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) مخلوقون مملوكون أمثالكم (فادعوهم فليستجيبوا لكم) نفع أو دفع ضر (ان كنتم صادقين) فى انهم آلهة ثم ابطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) يتناولون بها مشيكم (أم لهم اعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) أى فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) جميعا انتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه ابو عمرو فى الوصل (فلا تنظرون) فانى لا ابالى بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمره أن يخاطبهم بذلك (ان وليى) ناصرى عليكم (الله الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) (خذ العفو) من اخلاق الناس ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا

عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو والتساهل في كل شئ (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف الا في اخلاق الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من اموالهم ما أتوك به من شئ فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعني وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الاموال فسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى أسأل ثم رجع فقال ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فأنزل الله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ (فاستعذ بالله انه سميع عليم) ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الانزعاج وأكثر ما يكون عند الغضب وأصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجأ اليه في دفعه عنك انه سميع يعني لدعائك عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فأمر الله بالالتجاء اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض

(فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الآية) فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه و يحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو بريء من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يارسول الله قال واياي الا ان الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير قال الشيخ محيي الدين النووي يروى فأسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال معناه واسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين سلم من الاسلام يعني صار مؤمنا لا يأمرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض

عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجميل من الافعال أو هو كل خصلة مرتضيها العقل و يقبلها الشرع (وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق امر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس اي بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني (انه سميع) النزغه (عليم)

الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يأمرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه اعلمنا انه معنا لنحترز عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) وقرئ طيف وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الآية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء اضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعني انهم يبصرون مواقع الخطا بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فأبصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعني واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) أي يمدهم الشياطين (في الغي) وقال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي يطيلون لهم في الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم من الضلالة (ثم لا يقصرون) يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل (واذا لم تأتهم بآية) يعني واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومعجزة باهرة (قالوا) يعني قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعني افتعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا فاذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وانشأتها من عندك (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوا الآيات (انما اتبع ما يوحى الي من ربي) يعني القرآن الذي أنزل علي وليس لي ان اقترح الآيات والمعجزات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن فيه حجج وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدى) يعني وهو هدى (ورحمة) من الله (لقوم يؤمنون) وهنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وأنصتوا يعني عند قراءته

والانصات

يدفعه (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) طيف مكي وبصري وعلي اي لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن ابي عمرو هما واحد وهي الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) فأبصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته ان يفروا منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (واخوانهم) وان اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يمدونهم في الغي) اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مدني (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترتها اي اختلقتها كما اختلقت ما قبلها (قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا)

والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرئ لأن قوله فاستمعوا له وانصتوا أمر وظاهر الأمر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الأول وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن تجري هذه الآية على العموم ففي أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجاء القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث أنها نزلت في ترك الجهر بالقرآن خلف الامام روي عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود أنه سمع ناساً يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال أما آن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع أنها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لأن الآية مكية والخطبة إنما وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الأوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى أنه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحاق وذهب قوم الى أنه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام في الصلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام فيتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلت يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثاً غير تمام فقيل لأبي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث وقوله سبحانه وتعالى (لعلكم ترحمون) يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه قوله عز وجل (واذكر ربك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأ سراً في نفسك والفائدة فيه أن استماع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لأن ذكر النفس أقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس أن يستحضر في قلبه عظمة

(لعلكم ترحمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذكر ربك في نفسك) هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح

المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعا) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفا والمعنى تضرع الى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمران يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله سبحانه وتعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى ايمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله ورسوله يارسول الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجومنه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والآصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول اعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة أوذكر قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقربين لما أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم في شرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون) لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف أفردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال القلوب واعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عبادتهم (ق) عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود

والتهليل وغيرذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات والآصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشي (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (ان الذين عند ربك) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ويسبحونه) وينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم

لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الانفال)

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (يسألونك عن الانفال) ق عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها قال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا ولا تستأثرون به علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو اليسر بن عمرو الانصاري أخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما يطلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبنا عن العدو ولكن كرهنا أن تعرى مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شئ فنزلت هذه الآية يسألونك عن الانفال وقال محمد بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما أصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر أن نقاتل العدو ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسألونك عن الانفال الآية أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فأخذته فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت به حتى اردت أن القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه قال فشد على صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ وما أصاب سرايا المسلمين من شئ أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى

(سورة الانفال مدنية وهي خمس او ست او سبع وسبعون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
*(يسألونك عن الانفال

يسألونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أي من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة أي يسألونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص وأكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد وامرأة أو متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاآ واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة نسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع أنبيائهم فأباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فأصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس (فاتقوا الله) يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وبتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين واحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمن ثم قال تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعني واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه

الوجه

(قل الانفال لله والرسول) النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه والانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها ألمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد (فاتقوا الله) في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله (وأصلحوا ذات بينكم) احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كاملي الايمان (انما المؤمنون) الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (واذا تليت عليهم آياته) أي القرآن (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لان تظاهر الادلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا

الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا فى شيئين كان أكثر ممن يصدقه فى شئ واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة فى ايمانهم واختلف الناس فى الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبى قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهى التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح فى ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر فى هذه الآية اوصافا متعددة من احوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة فى مسمى الايمان وروى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة أن لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجاه فى الصحيحين ففى هذا الحديث دليل على ان الايمان فيه اعلى وادنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها فلم يستكمل الايمان وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المؤمن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد فى شئ من أموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها فى اوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه و يدخل فيه النفقة فى الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق فى انواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعنى يقينا لا شك فى ايمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف أحد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله سبحانه وتعالى انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهى ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مؤمن واختلفوا فى انه هل يجوز له ان يقول انا مؤمن حقا أم لا قال أصحاب الامام أبى حنيفة الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول فى القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيما أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا وفى قوله انا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار

بأحكامه ما اقبل (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) جمع بين اعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لمصدر محذوف اى أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله ان رجلا سأله أمؤمن انت قال ان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون الآية فلا أدرى أمنهم أم لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية اى كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى وعن ابراهيم التيمى قل أنا مؤمن حقا فان صدقت اثبت عليه وان كذبت فكفرك أشد من كذبك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك فقال احمد فقال أتقول أنا احمد حقا او أنا احمد ان شاء الله فقال أنا احمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله

والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد اجزاء الماهية
يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند
أصحاب أبي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك
الوجه الثاني ان قوله انا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مؤمن فقد
مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له
الانكسار روي ان أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام
في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن
قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي
فطلب مزيد الطمأنينة الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر في اول الآية انما المؤمنون ولفظة انما
تفيد الحصر يعني انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله
والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وايتاء الزكاة كذلك ثم بعد
ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني ان من أتى بجميع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد
ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال ابن أبي نجيح سأل
رجل الحسن فقال أمؤمن انت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت سألتني عن قوله انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا
من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا قال
فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة انتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال
سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف
الآخر الوجه الرابع ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان
شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا
الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول انا مؤمن ان
شاء الله فالمراد صرف هذا الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الامام الشافعي
رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان
يقول انا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان
الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني
وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا لانه تعالى حكم
للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولا يقدر
أحد ان يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة
كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (لهم درجات عند ربهم) يعني
لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة
فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها
باعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين
سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان
العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعني ولهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعني ما اعد لهم في
الجنة وصفه بكونه كريما لان منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى

(كما

في القرآن مؤمنا استثنى (لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ماهو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أي امض على الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم (يجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم (بعدما تبين) يعني تبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بأمر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم ينظرون) يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم أنه آتيه قوله عز وجل (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة أبي جهل مع النفير (أنها لكم) يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدي أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو ابن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهي اللطيمة يريد باللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره ان يأتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة ايام افزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته الا فانفروا يا غدر الى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلا صوته الا فانفروا يا ال غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فظيعة فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فغدوت اطوف فلما رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل

الكاف في (كما أخرجك ربك) في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون (من بيتك) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها كاختصاص البيت لساكنه (بالحق) اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشأم فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم ابو سفيان فأخبر جبريل النبي عليه السلام فأخبر اصحابه فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال العير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله أبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وكانت

اليها قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا بأنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شئ الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رأت شيئا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقلن أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شئ وايم الله لاتعرضن له فان عاد لأكفينه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب أرى أني قد فاتني شئ أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقا مني ان أشاتمه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم ابن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش أحد الا ان أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذا قرد فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا من جهينة حليفا للانصار يدعى اريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فنمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير وامعه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا ما تقر به عينك

الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل انهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل ان يكونوا مخلصين وان يكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متأهبين له (يجادلونك في الحق) الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان (انها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين

فيعي

فسر بنا على بركة الله تعالى فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم (م) عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التى حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فانى قد وجدت ما وعدنى الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا على شيئا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعنى طائفة أبى سفيان مع العير وطائفة أبى جهل مع النفير (وتودون) أى وتريدون وتتمنون (ان غير ذات الشوكة تكون لكم) والمعنى وتتمنون ان العير التى ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح (ويريد الله ان يحق الحق) أى يظهر الحق ويعليه (بكلماته) يعنى بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التى سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه (ويقطع دابر الكافرين) اى ويستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعنى ليثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعنى وينفى الكفر (ولو كره المجرمون) يعنى المشركين وفى الآية سؤالان الاول ان قوله ويريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير لمعناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد فى هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة لان الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك السؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم) أى واذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفى المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهرى والقول الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم آتنى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم (فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة قال سماك فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعنى فأجاب دعاءكم انى ممدكم أصله بأنى ممدكم أى مرسل اليكم مددا وردءا لكم بألف من الملائكة

لكم (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الاخرى (ويريد الله أن يحق الحق) أى يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور والله تعالى يريد معالى الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اى ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فاستجاب لكم) فأجاب وأصل (انى ممدكم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بألف من الملائكة مردفين) مدنى غيره بكسر الدال وفتحها فالكسر على انهم اردفوا غيرهم والفتح على انه اردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه اذا

مردفين يعني يردف بعضهم بعضا يعني يتبع بعضهم بعضا وروي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به وقال أبو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروي عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الا بشرى) يعني وما جعل الله الارداف بالملائكة الا بشرى (ولتطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعني ان الله هو ينصركم أيها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عزيز) يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه (حكيم) يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده قوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) أي واذكروا اذ ألقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال لان الخائف على نفسه لا يأخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعطشوا عطشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه أمر خارق للعادة وقوله سبحانه وتعالى (وينزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليطهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم فأنزل الله سبحانه وتعالى مطرا سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به

يعني

تبعه واردفته اياه اذا اتبعته (وما جعله الله) أي الامداد الذي دل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا أذنابها بين اكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) بقهر اعدائه (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو باضمار اذكر يغشيكم مدني والفاعل هو الله عز وجل (النعاس) النوم يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون امنة بمعنى أمنا أي لامنكم او مصدر أي فأمنتم امنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي امنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد غيرهم (عليكم من السماء ماء) مطرا (ليطهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

يعني من الاحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما أوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يهرول ويهرب عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم) يعني ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى الملائكة الذين امدبهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اني معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين آمنوا) أي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن آدم بالخير وسمي ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم أي ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعني الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف أصابع اليدين سميت بذلك لان بها صلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل ان الله سبحانه وتعالى أمرهم بضرب اعلى الجسد وهو الرأس وهو اشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فأسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزا قال أبو رافع وكنت رجلا ضعيفا أعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب الي يا ابن أخي فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي اخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا

(ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وقد وسوس اليهم ان لا نصرة مع الجنابة (وليربط على قلوبكم) بالصبر (ويثبت به الاقدام) اي بالماء اذ الاقدام كانت تسوخ في الرمل او بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر ثبت القدم في مواطن القتال (اذ يوحي) بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت (ربك الى الملائكة اني معكم) بالنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشرى وكان الملك يسير امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) هو امتلاء القلب من الخوف والرعب (فاضربوا) أمر للمؤمنين او للملائكة (فوق الاعناق) أي أعالي الاعناق التي هي المذابح تطيير الرؤس وفيه دليل على انهم قاتلوا أو اراد الرؤس لانها فوق الاعناق (واضربوا منهم كل بنان) هي الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما ان يقع على مقتل أو غير مقتل

ويأسروننا كيف شاؤا وأيم الله مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يتلقاها شئ ولا يقوم لهم شئ قال أبو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدى وقلت تلك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بى الارض ثم برك على صدرى وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه أم الفضل بعود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى اسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعنى الذى وقع من القتل والاسر يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعنى بأنهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة وأصلها المجانبة كانهم صاروا فى شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون او شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) يعنى ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى (ذلكم) اشارة الى القتل والاسر الذى نزل بهم (فذوقوه) يعنى عاجلا فى الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل الذى اعده الله لهم فى الآخرة من العذاب (وان للكافرين عذاب النار) يعنى فى الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعير ليس من دونها شئ قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) يعنى مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التدانى فى القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كانبعاث الصبى قبل أن يمشى وسمى مشى الطائفتين بعضهم الى بعض فى القتال زحفا لانها تمشى كل طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التدانى للقتال وقال ثعلب الزحف المشى قليلا قليلا الى الشئ (فلا تولوهم الادبار) يعنى فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولى ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعنى ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال (الا متحرفا لقتال) يعنى الا منقطعا الى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود اليه وهذا هو أحد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها وقوله تعالى (او متحيزا الى فئة) يعنى او منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعنى من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا فى هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير)

(فصل فى حكم هذه الآية) اختلف العلماء فى ذلك فقال أبو سعيد الخدرى هذا فى أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبى صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبى حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا فى

فأمرهم ان يجمعوا اعليهم الوعيد (ذلك) اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لان كلا المتعادين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لان هذا فى عدوة وخصم أى جانب وذا فى عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فذوقوه) يعنى والواو فى (وان للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذى يرى لكثرته كانه يزحف أى يدب دبيبا من زحف الصبى اذا دب على استه قليلا قليلا سمى بالمصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم فى العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا) مائلا (لقتال) وهو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزا) منضما (الى فئة) الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل فى يولهم (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القائل منهم يقول تفاخرا قتلت وأسرت قيل لهم

جيش بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل أنتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيد جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الى كنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء ابن ابي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا اكثر أهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام اسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهما من فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم ابن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع أحد من البشر ان يرمي كفا من الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعني لدعائكم (عليم) يعني بأحوالكم وقوله تعالى (ذلكم) يعني الذي ذكرت

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا (وما رميت) يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها انت لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه واثبته لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامي وحمزة وعلي (وليبلي المؤمنين) وليعطيهم (منه بلاء حسنا) عطاء جميلا والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن

من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا (وان الله) يعني واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) أي مضعف (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم
قوله عز وجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان أبا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم أينا كان أفجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فأنزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال اي عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخي قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى أبي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ماصنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل وفي كتاب البخاري أنت أبا جهل هكذا قاله انس فقال وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال أبو جهل فلو غير أكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا أبا جهل قد اخزى الله الآخر قال ولا اهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه أبو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه أتى أبا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله مانعرف ماجاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ماسألوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد ابن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى فقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بأبي جهل وهو عقير معاذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله ولرسوله روي عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يارويعي الغنم

وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أي المراد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهن ومحله الرفع اي الامر ذلكم (وان الله موهن كيد غيرهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل ان تستفتحوا خطاب

مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال آلله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (ح) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به ابي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز ما وعده من احدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار أما قوله سبحانه وتعالى (وان تنتهوا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعني وان تعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم (ولن تغني عنكم فئتكم) يعني جماعتكم (شيئا) يعني لا تغني عنكم شيئا (ولو كثرت) يعني جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد (وأنتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا) بألسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله (الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) يعني سماع تفهم واستماع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو أسمعهم) يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعني لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو أحيا لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول)

للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين اي (وان تنتهوا) عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو) أي الانتهاء (خير لكم) واسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغني عنكم فئتكم) جمعكم (شيأ ولو كثرت) عددا (وان الله مع المؤمنين) بالفتح مدني وشامي وحفص أي ولان الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبد الله وان الله مع المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا الله ورسول الله كقوله والله ورسوله أحق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان أو يرجع الضمير الى الامر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأصله ولا تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا (وانتم تسمعون) اي وانتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) أي ادعوا السماع وهم المنافقون واهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) أي ان شر من يدب على وجه الارض البهائم وان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لاسمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (ولو اسمعهم لتولوا) عنه اي ولو اسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

يعني أجيبوهما بالطاعة والانقياد لامرهما (إذا دعاكم) يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله تعالى إذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي ولم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لامر مهم لا يحتمل التأخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى (لما يحييكم) يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لابد ان تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراءة وقوله تعالى (وانه اليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما نرى انا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس

أمر الله

(اذا دعاكم) وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت قال الشاعر

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما يتمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وانه اليه تحشرون) واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة (واتقوا فتنة) عذابا (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هو جواب للامر أي ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لا تطرحنك ومن في منكم للتبعيض

امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوى بسنده عن عدى بن عدى الكندى قال حدثنى مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذى ذكره ابن الاثير فى جامع الاصول عن عدى بن عميرة الكندى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على ان يغيروا عليه ولم يغيروا الا أصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا أخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفى ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من المصلحة والله اعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذره الله منها وقوله عز وجل (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ أنتم قليل يعنى فى العدد مستضعفون فى الارض يعنى فى أرض مكة فى ابتداء الاسلام (تخافون ان يتخطفكم الناس) يعنى كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعنى فارس والروم (فآواكم) يعنى الى المدينة (وأيدكم بنصره) يعنى وقواكم بالانصار وقال الكلبى وقواكم يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات) يعنى الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) يعنى تشكرون الله على نعمه عليكم قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) قال الزهرى والكلبى نزلت هذه الآية فى أبى لبابة هارون بن عبد المنذر الانصارى من بنى عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى انتزل على حكم سعد بن معاذ فأشار ابو لبابة بيده الى حلقه يعنى انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءنى لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فانى لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدى كانوا يسمعون السر

(واعلموا ان الله شديد العقاب) اذا عاقب (واذكروا اذ أنتم قليل) اذ مفعول به لا ظرف اى واذكروا وقت كونكم اقلة اذلة (مستضعفون فى الارض) أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون ان يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا لهم اعداء مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم ولم تحل لاحد قبلكم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله) بان تعطلوا فرائضه (والرسول) بان لا تستنوا به

من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأنتم تعلمون) يعني انها أمانة وقيل معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله أمانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبابة وذلك لان أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حب المال والولد نبه الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله أي لمن رزق الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى (وأن الله عنده أجر عظيم) يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) يعني بطاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بأن يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه (ويكفر عنكم سيئاتكم) يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم (ويغفر لكم) يعني ويستر عليكم بأن لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد شيئا وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله سبحانه وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا) لما ذكر الله المؤمنين نعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما أسلمت الانصار ان يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظهر فاجتمع

نفر

(وتخونوا) جزم عطف على لا تخونوا أي ولا تخونوا (أماناتكم) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وأنتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله أو وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وانتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما ان معنى الايفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شئ فقد ادخلت عليه النقصان فيه (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) أي سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم اي الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يمكر بك الذين كفروا) لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس

نفر من كفار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وأبو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام
وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة
شيخ فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت ان احضركم ولن تعدموا مني
رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري اما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا
وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى
يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الرأي
رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم
فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي
فقال اما أنا فأرى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم
واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا لكم برأي تعمدون الى رجل قد افسد احلامكم فتخرجونه الى
غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم
ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي
فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم برأي ما أرى غيره اني ارى ان تأخذوا من كل بطن من قريش شابا
نسيبا وسطا فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه
في القبائل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا أرادوا ذلك قالوا
العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا والقول ما قال لا ارى
غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره بذلك وأمره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك
بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ان يبيت في مضجعه وقال له
اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من
تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا في أعناقهم
اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه
الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه
فرأوه عليا فقالوا له أين صاحبك قال لا ادري فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه
نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
فذلك قوله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال في خفية (ليثبتوك) أي
ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعني
كما أشار عليهم ابو جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (ويمكرون) يعني ويحتالون ويدبرون في أمرك
(ويمكر الله) يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله
معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال أمر محمد
صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله
وتدبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خير
في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان
كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال سبحانه وتعالى
في مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل

الرأي يفسد قوما غيركم وقالت لكم فقال ابو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان لا يبيت في مضجعه واذن له الله في الهجرة فأمر عليا فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ساروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليحبسوك ويوثقوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) ويخفون المكائد له (ويمكر الله) ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) أي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر اخبار القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واحاديث العجم فنزل

(واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحى اليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر وا ما تخلفوا عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (ان هذا الا أساطير الاولين) يعني اخبار الماضين قوله سبحانه وتعالى (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) نزلت في النضر بن الحارث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قال وأنا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء يعني كما أمطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحارث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى انس بن مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما اخرجوه نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحاق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكره جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم الا يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم أن لا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه وما كان الله

(واذا تتلى عليهم آياتنا) أي القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) وهذا صلف منهم ووقاحة لانهم دعوا الى ان يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) أي القرآن (هو الحق من عندك) هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر كان روى ان النضر لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الى السماء وقال ان كان هذا هو الحق من عندك (فأمطر علينا حجارة من السماء) اى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل (أو ائتنا بعذاب أليم) بنوع آخر من جنس العذاب الأليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين اظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بأنهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرتهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم اومعناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

معذبهم وهم يستغفرون أى لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو اقرّوا بالذنب واستغفروا الله
لكانوا مؤمنين قيل وهذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك
وأنت تطيعني أى اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أى يسلمون يعني لو اسلموا
لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية انه يؤمن و يستغفر مثل أبي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم
يستغفرون أى وفي أصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد
محقا في قوله فأمطر علينا حجارة من السماء أخبر الله سبحانه وتعالى ان محمدا محق في قوله وانه مع
ذلك لا يمطر على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله
عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه
الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فالجواب ان المراد من العذاب الأول هو عذاب الاستئصال والمراد
من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر
وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل المعاني دلت هذه الآية على ان الاستغفار امان وسلامة من
العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل على امانين لامّتى
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
الى يوم القيامة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (ومالهم الا يعذبهم الله) يعني أى شئ
يمنعهم من ان يعذبهم يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين في الآية الاولى
انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين اظهرهم وبين في هذه الآية انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل
هو القتل والاسر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال
وأراد بالعذاب الثاني العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب
الاخرة وقال الحسن الآية الاولى وهي قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله ومالهم الا يعذبهم
الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون
عن المسجد الحرام) يعني وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية وما كانوا أولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون
نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله (وما كانوا أولياءه) يعني ليسوا أولياء المسجد الحرام
(ان أولياؤه الا المتقون) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعني المشركين
(لا يعلمون) ذلك قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل
ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء
وتصدية والمكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكاء اسم طير أبيض يكون بالحجاز له
صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي أصله
واشتقاقه قولان أحدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع
الى شئ الثاني قال ابو عبيدة أصله تصددة فأبدلت الياء من الدال قال الازهري والمكاء والتصدية
ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية
قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدي والمكاء * قال ابن عباس كان قريش يطوفون بالبيت وهم عراة
يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
و يستهزؤن به و يدخلون أصابعهم في افواههم و يصفرون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية
الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ
فيهما صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران

(ومالهم ألا يعذبهم الله) أى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما
لهم الا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد
الحرام) وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون
عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله
والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
فقيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع
اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة
أمر الحرم (ان اولياؤه الا المتقون) من المسلمين
وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن
أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استثنى من كان
يعلم وهو يعاند أو اراد بالاكثر الجميع كما يراد
بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت الا
مكاء) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت
وهو فعال من مكا يمكو اذا صفر (وتصدية)
وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك انهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون
نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمى ذلك صلاة *فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله سبحانه وتعالى (فذوقوا العذاب) يعنى عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعنى بسبب كفركم في الدنيا قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزور واسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت في أبي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم أحد اربعين اوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن ابزى استأجر ابو سفيان يوم أحد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله ابن أبي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسينفقونها) يعنى أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعنى ما انفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعنى منهم لان فيهم من اسلم ولهذا قال والذين كفروا يعنى من المنفقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعنى يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعنى ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعنى بعضه فوق بعض (فيركمه جميعا) يعنى فيجمعه جميعا أو يضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعنى الخبيث (أولئك) اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث (هم الخاسرون) يعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعنى قل يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعنى عن الشرك (يغفر لهم ما قد سلف) يعنى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين) يعنى في اهلاك اعدائه ونصر أوليائه

ومعنى

في صلاته يخلطون عليه (فذوقوا العذاب) عذاب القتل والاسر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) اى كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من اسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث من الطيب) أي من الفريق الطيب من المؤمنين الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) متعلقة بيحشرون ليميز جزوه وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه (فيجعله في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) أي ابي سفيان واصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنة الاولين) بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة

ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا فى دين الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله
لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك
اعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه شئ من
قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعنى بذلك أنه ليس عليه ذنب قال
يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر فكيف لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب
(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء
(ويكون الدين كله لله) يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال
لا اله الا الله عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد بن اسحاق فى قوله وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك
ويخلع ما دونه من الانداد والشركاء (فان انتهوا) يعنى عن الشرك وافتتان المؤمنين وايذائهم (فان الله بما
يعملون بصير) يعنى فان الله لا يخفى عليه شئ من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم (وان تولوا)
يعنى وان اعرضوا عن الايمان واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايذائهم (فاعلموا) يعنى أيها
المؤمنون (ان الله مولاكم) يعنى ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعنى ان الله
سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان فى حفظه ونصره وكفايته فهو له نعم المولى ونعم النصير قوله عز وجل
(واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول) الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف
العلماء هل الغنيمة والفئ اسمان لمسمى واحد ام يختلفان فى التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة
ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فأخذوه عنوة واما الارض فهى فئ وقال سفيان الثورى
الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس وأربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفئ
ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة
عن قهر وغلبة والفئ ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل
ان الفئ والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشئ واحد والصحيح انهما يختلفان فالفئ ما أخذ من أموال
الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف
خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ
يعنى من أى شئ كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء ان
قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء
وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء
وابراهيم النخعى قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس أربعة اخماسها لمن قاتل
عليها والخمس الباقى لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول
الاول اصح أى ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له فى حياته
واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى وأحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال
كان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكراع والسلاح وقال
قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود فى الخمس فيقسم الخمس على
الاربعة الاصناف المذكورين فى الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقوله سبحانه
وتعالى (ولذى القربى) يعنى ان سهما من خمس الخمس لذوى القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله
عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد
وعلى بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى ان لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويبقى فيهم دين الاسلام وحده ويضمحل عنهم كل دين باطل (فان انتهوا) عن الكفر واسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على اسلامهم (وان تولوا) اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والمخصوص بالمدح محذوف (واعلموا أن ما غنمتم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب الا مفصولا اذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شئ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فان لله خمسه) والفاء انما دخلت لما فى الذى من معنى المجازات وأن وما عملت فيه فى موضع رفع على انه خبر مبتدأ تقديره فالحكم ان لله خمسه (وللرسول ولذى القربى)

ولا لبني نوفل منه شيء وإن كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خيبر رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة وأصحاب الرأي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم في خمس الغنيمة على ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله سبحانه وتعالى (واليتامى) جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين (وابن السبيل) وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما واحدا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبي حنيفة يخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل من المسلمين مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روى عن أبي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سائر الغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل

(واليتامى والمساكين وابن السبيل) فالخمس كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لاقاربه فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضي الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق ان يرضوه

بعض من يبعث من السرايا بالانفال لهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهرى قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع فى البدأة والثلث فى الرجعة أخرجه ابوداود واختلف العلماء
فى ان النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول
سعيد بن المسيب وبه قال الشافعى وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت
قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وبرة من جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما افاء
الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائى وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد
افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول أحمد واسحاق وذهب قوم الى ان النفل من رأس الغنيمة قبل
التخميس كالسلب للقاتل واما الفىء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب
بأن صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت
أحد منهم فى دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فىء ومال الفىء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مدة حياته وقال عمر ان الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشئ
لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خالصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقى يجعله مجعل مال الله فى الكراع
والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف الفىء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده
وللامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم فى ديوان
الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى ارهاب العدو والقول الثانى انه لمصالح المسلمين
ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف أهل العلم فى تخميس الفىء
فذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة
اسهم وأربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا
واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما الفىء فقال ما أنا احق بهذا الفىء منكم
وما أحد منا احق به من الآخر الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل
وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه ابوداود وأخرج البغوى بسنده عنه انه
سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا الفىء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله
سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من
ذكر فى هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بأربعة اخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله
وصدقتم بوحدانيته (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
اضافة تشريف وتعظيم للنبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسألونك
عن الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين
الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع
عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون
ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك (والله على كل
شئ قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله سبحانه وتعالى (اذ أنتم) اى اذكروا
نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم (بالعدوة الدنيا) يعنى بشفير الوادى الادنى من المدينة والدنيا هنا
تأنيث الادنى (وهم) يعنى المشركين (بالعدوة القصوى) يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة مما يلى
مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب اسفل منكم) يعنى أبا سفيان وأصحابه وهم عير قريش التى خرجوا

(ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا به وارضوا
بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضاء بالحكم
والعمل بالعلم (وما أنزلنا) معطوف على بالله
أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا يوم
الفرقان) يوم بدر (يوم التقى الجمعان) الفريقان
من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من
يوم الفرقان (والله على كل شئ قدير) يقدر
على ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم
بدر (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير
اذكروا اذ أنتم (بالعدوة) شط الوادى وبالكسر
فيهما مكى وأبو عمرو (الدنيا) القربى الى جهة
المدينة تأنيث الأدنى (وهم بالعدوة القصوى)
البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى وكلتاهما
فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء
كالعليا تأنيث الأعلى وأما القصوى فكالقود فى
مجيئه على الأصل (والركب) أى العير وهو
جمع راكب فى المعنى (أسفل منكم) نصب على
الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى
أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل

لاجلها وكانوا فى موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر (ولو تواعدتم) يعنى انتم والمشركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه واعداء دينه (ليهلك من هلك عن بينة) يعنى ليموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (ويحيى من حى عن بينة) يعنى ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع عليم) يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذ يريكهم الله) يعنى واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين (فى منامك) يعنى فى نومك (قليلا) قال مجاهد اراهم الله فى منامه قليلا فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك وكان ذلك تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم وكف عنهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش فى منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراءتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت فى اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) يعنى لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم فى الامر) يعنى اختلفتم فى أمر الاقدام عليهم او الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع فى الامر الاختلاف الذى تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليم بذات الصدور) يعنى انه تعالى يعلم ما يحصل فى الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما فى صدوركم من الحب لله عز وجل (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين فى أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا فى القتال ليتأكد فى اليقظة ما رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال كنا الفا (ويقللكم فى أعينهم) يعنى ويقللكم يا معشر المؤمنين فى اعين المشركين قال السدى قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما محمد وأصحابه اكلة جزور يعنى لقلتهم فى عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم فى الحبال يقوله من القدرة التى فى نفسه والحكمة فى تقليل المشركين فى أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة فى تقليل المؤمنين فى اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم * فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل * قلت ذلك ممكن فى القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله * فان قلت قد قال فى الآية المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال فى هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار * قلت المقصود من ذكره فى الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين

لانه خبر المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه لتقاتلوا (لاختلفتم فى الميعاد) لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) من اعزاز دينه واعلاء كلمته واللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمرا كان ينبغى ان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا أو ليتم أمرا كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) حيى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثانى غير لازمة لانك تقول فى المستقبل يحيى والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهى خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لاقوالهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصب باضمار اذكر او هو متعلق بقوله لسميع عليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك قليلا) أى فى رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه

على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكر هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعني في الآخرة فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته أو يغفر قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) يعني جماعة كافرة (فاثبتوا) يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي (واذكروا الله كثيرا) يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين أن يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى (لعلكم تفلحون) يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر * فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها ناسخة لآية التحرف والتحيز * قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (وأطيعوا الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى (وتذهب ريحكم) يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جراءتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم فاصبروا وقوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعني فخرا وأشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك أن النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثر بها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورئاء الناس) الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق أن النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان أبا سفيان لما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان

اياهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم في الامر) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان أي واذ يبصركم اياهم (اذ التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور وقيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصر الكثير قليلا بأن يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لا أرى هذين الديكين أربعة (ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) فيحكم فيها بما يريد ترجع شامي وحمزة وعلي (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (وأطيعوا الله ورسوله) في الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو

في بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا وازادغيره فقال فلما وافوا بدرا سقوا كؤس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا التماس ما عند الناس ولكن أخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني أنه تعالى عالم بجميع الأشياء لا يخفى عن علمه شيء لأنه محيط بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله سبحانه وتعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم إذ زين الشيطان يريد إبليس للمشركين أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) قال بعضهم كان تزيينه وسوسة ألقاها في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه أن قريشا لما اجتمعت على المسير إلى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحارث من الحرب فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال أنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك جار لنا فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقوله إني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة (فلما تراءت الفئتان) أي التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة قد نزلوا من السماء فعلم عدو الله إبليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم) يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله إبليس على عقبيه فقال له الحارث أفرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا أما أتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله (إني أرى ما لا ترون) قال رأى إبليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال إبليس إني أرى ما لا ترون وصدق وقال إني أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله إبليس لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل إنه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل خاف أن يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (إني أخاف الله) أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه كان على ثقة من أمر به وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه إني أخاف الله لأنه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول إبليس وقيل تم كلامه عند قوله إني أخاف الله وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر فإنه قد رأى جبريل يزع الملائكة أخرجه مالك في الموطأ قوله

منصوب بإضمار أن يدل عليه (وتذهب ريحكم) أي دولتكم يقال هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) في القتال مع العدو وغيره (إن الله مع الصابرين) أي معينهم وحافظهم (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها (ويصدون عن سبيل الله) دين الله (والله بما يعملون محيط) عالم وهو وعيد (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون وغالب مبني نحو لا رجل ولكم في موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم (وإني جار لكم) أي مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم (فلما تراءت الفئتان) فلما تلاقا الفريقان (نكص) الشيطان هاربا (على عقبيه) أي رجع القهقرى (وقال إني بريء منكم) أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان روي أن إبليس تمثل لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحارث بن هشام أتخذلنا في هذه الحالة فقال (إني أرى ما لا ترون) أي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان (إني أخاف الله) أي عقوبته (والله شديد العقاب) اذكروا

ولا ادحره بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة
اى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم و يتأخر فى الصف ليصلحه
فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى
شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على ان
يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل
(اذ يقول المنافقون) يعنى من أهل المدينة (والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وارتياب وهم
قوم من أهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام فى قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غر هؤلاء
دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على
قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن
الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية
ابن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم
ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى (ومن
يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم امره الى الله و يثق بفضله و يعول على احسانه (فان الله) حافظه
وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب
الى أعدائه قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ
تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم
فى ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت
تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت
الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى
المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج
يريد ما أقبل من أجسادهم وادبر يعنى يضربون جميع اجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعنى
وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية
بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار فى جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت
وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعنى الذى نزل بكم من القتل
والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعنى انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر
والمعاصى فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب
وظاهر الآية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد
آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله تعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد)
يعنى انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما نفى
الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه لانه يتصرف فى ملكه كيف شاء
ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر
وتعذيبه عليه ظالم فلهذا قال الله سبحانه وتعالى و أن الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت
قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء قوله تعالى (كدأب آل فرعون) يعنى ان عادة هؤلاء الكفار فى
كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى آل فرعون
بالاغراق واصل الدأب فى اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب فى كذا وكذا يداوم عليه و يتعب نفسه
فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته و يواظب عليها قال ابن عباس معناه ان آل

(اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين فى قلوبهم
مرض) هو من صفة المنافقين أو اريد والذين
هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام
(غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف
ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل اليه
أمره (فان الله عزيز) غالب يسلط القليل
الضعيف على الكثير القوى (حكيم) لا يسوى
بين وليه وعدوه (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت
لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد
ان الماضى الى معنى الاستقبال (اذ) نصب
على الظرف (يتوفى الذين كفروا) يقبض
ارواحهم (الملائكة) فاعل (يضربون) حال
منهم (وجوههم) اذا أقبلوا (وأدبارهم)
ظهورهم واستاههم اذا ادبروا او وجوههم
عند الاقدام وادبارهم عند الانهزام وقيل فى
يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة
بالابتداء و يضربون خبر والاول الوجه لان
الكفار لا يستحقون ان يكون الله متوفيهم بلا
واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وذوقوا)
و يقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون
(عذاب الحريق) أى مقدمة عذاب النار أو
ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به او يقال لهم
يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لرأيت
امرا فظيعا (ذلك بما قدمت ايديكم) أى كسبت
وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى او
من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء و بما
قدمت خبره (وان الله) عطف عليه اى ذلك
العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم و بأن
الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار
من العدل وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد أو
لنفى انواع الظلم الكاف فى (كدأب آل
فرعون) فى محل الرفع اى دأب هؤلاء مثل
دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى
دأبوا فيه اى داوموا عليه

فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هولاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فأنزل بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعني ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم وذنوبهم (ان الله قوى) يعني فى أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به وكذب رسله (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني ان الله سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال السدى نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله الى الانصار (وأن الله سميع) يعني لاقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم (عليم) يعني بما فى صدورهم من خير وشر فيجازى كل واحد على عمله (كدأب آل فرعون) يعني ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ وكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يعني الاولين والآخرين فان قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر اخذهم وفى الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسير للاولى الفائدة الثانية انه ذكر فى الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفى الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففى الآية الاولى اشارة الى انهم انكروا آيات الله وجحدوها وفى الاية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيد وفى قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى (ان شر الدواب عند الله) يعني فى علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت فى يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالؤا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله فى نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تثقفنهم فى الحرب) يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد ابن جبير انذر بهم من خلفهم وأصل التشريد فى اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني واما تعلمن يا محمد (من قوم) يعني معاهدين (خيانة) يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) أي فاطرح (اليهم) يعني

(والذين من قبلهم) من قبل قريش اومن قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب (ذلك) العذاب او الانتقام (بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) بسبب ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية الى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة الى اسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتأكيد ولان فى الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو الاهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق (فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) بماء البحر (وكل) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالكفر والمعاصي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) اى اصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) فى كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد

عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو بن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس واما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فهاهنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يعجزون) يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في من فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فأعلمه الله أنهم لا يعجزونه قوله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال أحدها انها جميع انواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعاقل * الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم خ عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا أكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية أكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا أكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم ان يلهو بأسهمه م عن نعيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا أحب الي من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمودا الا ثلاثة تأديب

(على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم أي حاصلين على استواء في العلم (ان الله لا يحب الخائنين) الناقضين للعهود (ولا يحسبن) بالياء وفتح السين شامي وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين ابو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الذين كفروا سبقوا) فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أنهم شامي اى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثاني سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره ان سبقوا فحذف ان وان مخففة من الثقيلة اى انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا أي ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرده بها وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين (واعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضي العهد أو لجميع الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث الا ان القوة الرمي قالها

الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أى نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمى بعدما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى مختصرا الى نبله (خ) عن سلمة بن الأكوع قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالقوس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به فى الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمى لا ينفى كون غير الرمى من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفى اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذا ههنا يحمل معنى الآية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعنى اقتناءها وربطها للغزو فى سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذى يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روى ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا أوصى بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها فى سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعنى الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب فى القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند الشتات والغارات وقيل ربط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فأى ذلك ربط بنية الغزاة كان فى سبيل الله (ق) عن عروة بن الجعد البارقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هى لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله زاد فى رواية لاهل الاسلام فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهى لذلك الرجل أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها وظهورها فهى لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل على فيها شئ الا هذه الآية الجامعة الفذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذى يشد به الفرس وقت الرعى والاستنان الجرى والشرف الشوط الذى تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعنى استغناء بها عن الطلب لما فى أيدى الناس أما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة اذا عاديته وقوله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعنى الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون

ثلاثا على الثغر وقيل هى الحصون (ومن رباط
الخيل) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله
او هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل
من بين ما يتقوى به كقوله جبريل وميكال
(ترهبون به) بما استطعتم (عدو الله وعدوكم)

بجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى (وآخرين من دونهم) يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بألسنتهم لا اله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون واورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل واجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم دونكم ويعضد هذا القول ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكره هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شئ في سبيل الله) قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو امر عام في كل وجوه البر والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (يوف اليكم) يعني اجره في الآخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا (وانتم لا تظلمون) يعني وانتم لا تنتقصون من ثواب اعمالكم شيئا قوله تبارك وتعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) لما امر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل اليها يعني الى المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعني فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك (انه هو السميع) يعني لاقوالهم (العليم) يعني باحوالهم قوله عز وجل (وان يريدوا ان يخدعوك) يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته (هو الذي ايدك بنصره) يعني هو الذي قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك (وبالمؤمنين) يعني وايدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى (والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة من ادنى شئ حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة

أي اهل مكة (وآخرين من دونهم) غيرهم وهم اليهود او المنافقون او اهل فارس او كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم) يوفر عليكم جزاؤه (وانتم لا تظلمون) في الجزاء بل تعطون على التمام (وان جنحوا) مالوا (للسلم) والجنح له واليه مال (الاسلم) الصلح وبكسر السين ابو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فمل اليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لاقوالك (العليم) باحوالك (وان يريدوا ان يخدعوك) يمكروا ويغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذي ايدك) قواك (بنصره وبالمؤمنين) جميعا او بالانصار (والف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة (لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم) اي بلغت عداوتهم مبلغا لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله الف بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحابب واماط عنهم التباغض

وصاروا انصار الرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء وأراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب ذلك الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ان الله سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين انفسهم (يغلبوا مائتين) يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله سبحانه وتعالى اوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا فأيما رجل فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبي أن تكون له اسرى) روى عن عبد الله

(حكيم) يقهر من يحدعونك والمناقت (انه عزيز) (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يجوز ان يكون في محل الرفع اى كفاك الله وكفاك اتباعك من المؤمنين قيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتأييده (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا) ضعفا عاصم وحمزة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين (ما كان لنبي) ما صح له ولا استقام (ان يكون له اسرى) تكون بصري

ابن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رأيتني في يوم أخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يارسول الله أخبرني من اي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل عليه ما كان لنبي أن تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يارسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يارسول الله ما ارى الذي رأى ابو بكر ولكني ارى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديده فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسنده عن عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا قدر عليه وصار في يده أسيرا للفداء والمن والاسرى جمع أسير واسارى جمع الجمع (حتى يثخن في الارض) الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتال المشركين ويغلبهم

(حتى يثخن في الارض) الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان انسيب له ولنضرب اعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء واستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية

وبقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تريدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكأنها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله يريد الآخرة) يعني انه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعني في تدبير مصالح عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا اعتقوهم قال الامام فخر الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل اسير أربعين اوقية والاوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير أربعة آلاف درهم

(فصل) قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان أخذ الفداء كان محرما واما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف على اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء فأنزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد ان هداهم حتى يبين لهم

(تريدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (والله يريد الآخرة) اي ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل (والله عزيز) يقهر الاعداء (حكيم) في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) ان لا يعذب احدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر أو ان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفي ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته اي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدا محذوف اي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز ان يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها أبدا (لمسكم) لنالكم واصابكم (فيما اخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روي ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان

ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فعلوا شيئا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية ﻫ خ من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل انفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فاراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسر أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال اخبرني به ربي قال العباس أشهد انك لصادق وأشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فأسلما فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايمانا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (ويغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني بأهل طاعته قال العباس وأبدلني الله خيرا مما أخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خيانتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل أحد يخونه أو ينقض عهده (والله عليم) يعني بما في بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكم بأنه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل

الاثخان في القتل احب الي (فكلوا مما غنمتم) روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا (طيبا) لذيذا هنيئا او حلالا بالشرع طيبا بالطبع (واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع اسير من الاسارى أبو عمرو وجمع أسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة (ويغفر لكم والله غفور رحيم) روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وان ادناهم ليتجر في عشرين ألفا وكان يقول انجز الله احد الوعدين وانا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) اي الاسرى (خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ما ضمنوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم اي اظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله عليم) بالمآل (حكيم) فيما امر في الحال (ان الذين آمنوا وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون

وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا أنفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (اولئك) يعني المهاجرين والانصار (بعضهم اولياء بعض) يعني في العون والنصرة دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم وذوي ارحامهم وكان من آمن فلم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) يعني في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض (الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تتعاونوا وتتناصروا وقال ابن اسحاق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة * فان قلت ما معنى هذا التكرار * قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد اخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم أعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولا الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بأن المراد من الهجرة المخصوصة

(والذين آووا ونصروا) اى آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) اى يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض وقيل اراد به النصرة والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليهم في الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة وصار وا بتركها مرتكبين كبيرة دل ان صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان (وان استنصروكم) اى من اسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) اى ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم ان تنصروهم على الكافرين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدي حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا تفعلوه) اى ان لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تكن فتنة في الارض وفساد كبير) تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لا منة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم

الهجرة

الهجرة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فأولئك منكم) يعني انهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى الحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين أفضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أي في الميراث فبين بهذه الآية ان سبب القرابة اقوى وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهي ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام ابي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام وأجاب عنه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة التوبة)

وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانهما نزلتا بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة اسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جموع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة مازالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بني النضير أخرجاه في الصحيحين

(فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة) عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال أخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت

فأولئك منكم) جعلهم منهم تفضلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوي الارحام (ان الله بكل شئ عليم) فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا

(سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية كوفي ومائة وثلاثون غيره) لها أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال فعن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة

(براءة) خبر مبتدا محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم (فسيحوا فى الارض أربعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل روى انهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا ان يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على اباحة

لابى يعنى على بن أبى طالب لم تكتب وافى براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بنى ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت فى المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابى بن كعب عن هذا فقال انها نزلت فى آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر فى كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر فى براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا فى ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا فى القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هى السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البراءة فى اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج أى قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى عاهدهم وعاقدهم الا انه هو والذى عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسيحوا فى الارض) أى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحدا من المشركين وأصل السياحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه مضمر أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض وأنتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعنى مدة اربعة اشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من أربعة اشهر رفعه الى أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه الى اربعة أشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم محدود حده بأربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويؤسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهرى الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت فى شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبى انما كانت الاربعة اشهر عهدا لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم له الاربعة اشهر فاما من كان عهده أكثر من أربعة اشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها فى العاشر من ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسىء ثم صار فى السنة المقبلة فى العاشر من ذى الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال

من

قوله وقال الكلبى الخ كان حقه ان يقدم قبل قول الازهرى

من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم اربعة اشهر فلم يكن لأحد منهم اجل أكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اني ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الاتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا * ثمت اسلمنا ولم نزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان شيم خسفا وجهه تربدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تنجي أحدا * وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا احب ان احج حتى لا يكون ذلك فبعث ابا بكر في تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يارسول الله أبي أنت وامي انزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من أهلي اما ترضى يا أبا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يارسول الله فسار ابو بكر أميرا على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة ان أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب وأمره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فأذن معنا في أهل منى ببراءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال فنبذ أبو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم

الله من فضله الآية

(فصـل) قـد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن أبى طالب بقراءة أول براءة عزل أبى بكر عن الامارة وتفضيله على ابى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم فى تلك السنة أول حديث أبى هريرة المتقدم ان أبا بكر بعثه فى رهط يؤذنون فى الناس الحديث وفى لفظ ابى داود والنسـائى قال بعثنى ابو بكر فى من يؤذن فى يوم النحر بمنى ان لا يحج بعـد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثنى أبو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذى أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من اقاربه وكان على ابن أبى طالب اقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من ابى بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبى صلى الله عليـه وسلم ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنـا فى عقد العهود ونقضها وقيـل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسـالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا فى هذه الرسالة حتى يصلى خلف ابى بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر بعـد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر أميرا على الحـاج وولاه الموسم و بعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان ابو بكر الامام وعلى المؤتم وكان ابو بكر الخطيب وعلى المستمع وكان ابو بكر المتولى أمر الموسم والامير عـلى الناس ولم يكن ذلك لعلى فدل ذلك على تقديم أبى بكر على على وفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزى الله) يعنى ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولـكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا فى الارض أربعـة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم و يأخذكم لانكم فى ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انمـا أمهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شئ (وأن الله مخزى الـكافرين) يعنى بالقتل والعذاب فى الآخرة قوله عز وجل (وأذان من الله ورسوله) الاذان فى اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعـلام بدخول وقتها والمعـنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (الى النـاس يوم الحج الاكبر) اختلفوا فى يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفـة ويروى ذلك عن ابن عمر و بن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهـد وسعيد بن المسيب وعن عـلى بن أبى طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذى وقال يروى موقوفا عليه وهو أصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيهـا فقال أى يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر اخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبى أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير والسدى وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وكان سفيان الثورى يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيـه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال الزهرى والشعبى وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيـل سمى الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسىء وجميع احكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعـالى (أن الله برىء من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير وأذان من

القتال فى الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ (واعلموا انكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان أمهلكم (وان الله مخزى الكافرين) مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وأذان من الله ورسوله الى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال الحج أو يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر (ان الله برىء من المشركين) أى بان الله حذفت صلة الاذان تخفيفا (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان والجر على الجوار أو على القسم كقوله لعمرك وحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله برىء من رسوله فانا منه برىء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابى قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية

الله و رسوله بأن الله برىء من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه الاوّل انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله برىء من المشركين ورسوله أيضا برىء الثانى تقديره برىء الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرىء خبره ورسوله عطف على المبتدا فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برىء من المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار * قلت المقصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية البراءة التى هى نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها براءة من الله ورسوله الى يعنى برىء اليهم وفى الثانية برىء منهم وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعتم عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتم) يعنى اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بأن الله سبحانه وتعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى فى الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى (ثم لم ينقصوكم شيئا) يعنى من عهودهم التى عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعنى ولم يعاونوا (عليكم أحدا) يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل لهم بعد ان أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوى بين القبيلتين يعنى الوافى بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هى شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فأجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم * فان قلت على هذا القول هذه المدة وهى الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم * قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التى يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعنى فى الحل والحرم وهذا أمر اطلاق يعنى اقتلوهم فى أى وقت وأى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعنى وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصروا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعنى على كل طريق والمرصد الموضع الذى يقعد فيه للعدو من رصدت الشىء أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تأخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعنى من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلاة) يعنى وأتموا اركان الصلاة المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بها أنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعنى الى الدخول الى مكة والتصرف فى بلادهم (ان الله غفور) يعنى لمن تاب ورجع من الشرك الى

(فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) أى التوبه (خير لكم) من الاصرار على الكفر (وان توليتم) عن التوبة او ثبتم على التولى والاعراض عن الاسلام (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من قوله فسيحوا فى الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيئا) من شروط العهد اى وفوا بالعهد ولم ينقصوه وقرئ لم ينقضوكم اى عهدكم وهو اليق لكن المشهورة ابلغ لانه فى مقابلة التمام (ولم يظاهروا عليكم احدا) ولم يعاونوا عليكم عدوّا (فأتموا اليهم عهدهم) فأدوه اليهم تاما كاملا (الى مدتهم) الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك (فاذا انسلخ) مضى او خرج (الاشهر الحرم) التى أبيح فيها للناكثين ان يسيحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل اوحرم (وخذوهم) وأسروهم والاخذ الاسر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فأطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) أحد مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر اى وان استجارك احد استجارك والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد

الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعنى بأوليائه واهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يعنى وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذى أنزل عليك وهو القرآن فأجره حتى يسمع كلام الله و يعرف ماله من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان اصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعنى ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أى لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون و ينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة و بنو مدلج و بنو الديل قبائل من بنى بكر كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة (فما استقاموا لكم) يعنى على العهد (فاستقيموا لهم) يعنى ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأى بلاد شاؤا فأسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بنى بكر وهم خزيمة و بنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش و بنو الديل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعنى انه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا و يتقون نقضه (كيف وان يظهروا عليكم) قيل هذا مردود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم و يغلبوكم و يعلوا عليكم لا يرقبوا أى لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعنى قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد أو لاختلاف اللفظين وقال أبو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعنى ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) يعنى يطيعونكم بألسنتهم بخلاف ما فى قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفائدة فى قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق فى دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد وبالغوا فى العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ فى الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال سبحانه وتعالى

واكثرهم

والقران فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمنه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤدى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) اى الامر بالاجارة فى قوله فأجره (بأنهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه ولابد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا و يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استفهام فى معنى الاستنكار أى مستنكر ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) اى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة و بنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على وفاء العهد (فاستقيموا لهم) على الوفاء وما شرطية اى فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم (ان الله يحب المتقين) يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين (كيف وان يظهروا عليكم) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا ولا قرابة (ولا ذمة) عهدا (يرضونكم بأفواههم) وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأبى قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد او متمردون فى الكفر لا مروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما

وأكثرهم فاسقون وقوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعني اشتروا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم اياها أبوسفيان بن حرب فذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم أبوسفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعني منعوا الناس عن الدخول فى دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطائف أمدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين الاسلام (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم (وأولئك هم المعتدون) يعني فى نقض العهد قوله عز وجل (فان تابوا) يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها (وآتوا الزكاة) يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم (فاخوانكم فى الدين) يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر فى حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا فرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة (ق) عن ابى هريرة قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها او فى رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا ايمانهم) يعني وان نقضوا عهودهم (من بعد عهدهم) يعني من بعد ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من اعدائكم (وطعنوا فى دينكم) يعني وعابوا دينكم الذى انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفى هذا دليل على ان الذمى اذا طعن فى دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت فى ابى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففى قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر فى ذلك الزمان والله أعلم بمراده وقوله سبحانه وتعالى (انهم لا ايمان لهم) جمع يمين أى لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينتهون) أى لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب فى ذلك فقال تعالى (الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية

(اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس الصنيع صنيعهم (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لانه قال فى مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدا (فى الدين) لا فى النسب (ونفصل الآيات) ونبينها (لقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهود المؤكدة بالايمان (وطعنوا فى دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة بهمزتين كوفى وشامى الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة واصلها أأممة لانها جمع امام كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (انهم لا أيمان لهم) وانما اثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا أيمانهم لانه اراد ايمانهم التى اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على ان يمين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعى رحمه الله انهم لا يوفون بها لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلهم ينتهون) متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض اى ليكن غرضكم فى مقاتلتكم انتهاؤهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التى حلفوها فى المعاهدة

واعانوا بني بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (أول مرة) يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتخشونهم) يعني اتخافونهم ايها المؤمنون فتتركون قتالهم (فالله أحق ان تخشوه) يعني في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله سبحانه وتعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويخزهم) يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى أخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا أئمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله عليم) يعني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل (أم حسبتم ان تتركوا) هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج أي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء يعني لا تتخذوا المشركين اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج ووليجة الرجل من يختصه بدخلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم أسرارهم (والله خبير بما تعملون) يعني من موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله سبحانه وتعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله) يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا

(وهموا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فالله أحق ان تخشوه) بأن تخشوه فتقاتلوا اعداءه (ان كنتم مؤمنين) فاخشوه اي ان قضية الايمان الكامل ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله (قاتلوهم) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله (يعذبهم الله بأيديكم) قتلا (ويخزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ام منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما علم الله فيّ ما قيل فيّ تريد ما وجد ذلك مني والمعنى احسبتم ان تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خبير بما تعملون) من خير او شر فيجازيكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (ان يعمروا مساجد الله) مسجد الله مكي وبصري

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم من محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت هم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت اعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل اقراء الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط في من يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر وانه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء اجره انما يكون في الآخرة فمن انكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فأخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك ولذلك قال سبحانه وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الايمان بالله واليوم الآخر (واقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد اقام الصلاة وآتى الزكاة لان عمارة المسجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى (ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله

يعني المسجد الحرام وانما جمع في القراءة بالجمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر
جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد
او اريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا
جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد
الحرام الذي هو صدر الجنس وهو آكد اذ طريقه
طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتب
الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك
(شاهدين على انفسهم بالكفر) باعترافهم
بعبادة الاصنام وهو حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين أمرين
متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله
وبعبادته (أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم
خالدون) دائمون (انما يعمر مساجد الله)
عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من
احاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ومن
الذكر درس العلم (من آمن بالله واليوم الآخر)
ولم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام لما علم
ان الايمان بالله قرينة الايمان بالرسول
لاقترانهما في الاذان والاقامة وكلمة الشهادة
وغيرها أو دل عليه بقوله (واقام الصلاة وآتى
الزكاة) وفي قوله (ولم يخش الا الله) تنبيه على
الاخلاص والمراد الخشية في أبواب الدين بان
لا يختار على رضاء الله رضاء غيره لتوقع مخوف
اذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد

ولم يترك أمر الله لخشية الناس (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وراح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عنبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن أبي شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستوون عند الله) يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه اعرابي فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء

غدوة

نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولابد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين اسر وطفق على رضي الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم بذكر مساوينا وتدع محاسننا وقيل اولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقي الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلي رضي الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

غدوة و يشرب عشاء او ينقع عشاء و يشرب غدوة وهـذا حلال فان غلى وحمض حرم قوله عز وجل
(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) يعنى ان من
كان موصوفا بهـذه الصفات يعنى الايمان والهجرة والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم
درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل
القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله فى الآخرة (وأولئك)
يعنى من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعنى بسعادة الدنيا والآخرة (يبشرهم ربهم) يعنى يخبرهم
ربهم والبشارة الخبر السارّ الذى يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماعه ذلك
الخبر السارّ ثم ذكر الخبر الذى بشرهم به فقال تعالى (برحمة منه ورضوان) وهذا اعظم البشارات
لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعنى ان
نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعنى فى الجنان وفى النعيم (أبدا) يعنى لا انقطاع له
(ان الله عنده أجر عظيم) يعنى لمن عمل بطاعته وجاهد فى سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين
امنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة
العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة
الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله واولاده يقولون ننشدك الله ان لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع
الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله
المؤمنين عن موالاتهم وانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء يعنى بطانة
واصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هـذه الآية على ترك
الهجرة مشكل لان هـذه السورة نزلت بعد الفتح وهى من آخر القرآن نزولا والاقرب أن يقال ان الله
سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالتبرؤ من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه وأخاه وابنه
فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه فى الدين واجبة فالمؤمن لا يوالى الكافر وان كان اباه وأخاه
وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الايمان) يعنى ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا
الايمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعنى ومن يختار المقام معهم على الهجرة
والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين
اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل
الله سبحانه وتعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هـذه المقالة (ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من أهل الانسان الذين
يعاشرونه دون غيرهم (وأموال اقترفتموها) يعنى اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) يعنى
بفراقكم لها (ومساكن ترضونها) يعنى تستوطنونها راضين بسكناها (أحب اليكم من الله ورسوله)
يعنى أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله (وجهاد فى سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يجب تحمل
جميع المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا) أى فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) يعنى
بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعنى فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين)
يعنى الخارجين عن طاعته وفى هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب
على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على
الاعداء باظهار المسلمين عليهم (فى مواطن كثيرة) يعنى اماكن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر فى الصحيحين من
حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة فى حديثه قاتل فى ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم) أولئك (أعظم درجة عند الله)
من اهل السقاية والعمارة (وأولئك هم الفائزون)
لا انتم والمختصون بالفوز دونكم (يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات)
يبشرهم حمزة تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف
وتعريف المعرف (لهم فيها) فى الجنات (نعيم مقيم)
دائم (خالدين فيها ابدا ان الله عنده أجر عظيم)
لا ينقطع لما أمر الله النبى عليه السلام بالهجرة
جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه ولقرابته انا قد
أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم
من تتعلق به زوجته اوولده فيقول تدعنا بلا شئ
فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان
استحبوا الكفر على الايمان) أى آثروه واختاروه
(ومن يتولهم منكم) أى ومن يتول الكافرين
(فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم)
وعشيراتكم أبو بكر (واموال اقترفتموها)
اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات
وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم
من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى
يأتى الله بأمره) وهو عذاب عاجل أو عقاب
آجل أو فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين)
والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة
عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد
عند اورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء
والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله فى
مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقريظة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التى
نصر الله فيها النبى عليه السلام والمؤمنين ثمانون
موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها

وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون (ويوم حنين) يعنى ونصركم الله يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر الفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم وذكر ابن الجوزى عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبرى ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان فى جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت إلى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتى من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الدرارى ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن ابى اسحاق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال اشهد على نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبى اسحاق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه واخفاؤه حسرا ليس عليهم سلاح او كبير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبى اسحاق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم باسرهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وأيمن بن ام ايمن قتل يوم حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة

(ويوم) اى واذكروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام

ابن

ابن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا لبيك لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حمي الوطيس أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشأه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وروي ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي و بصري فقلت أشهد انك رسول الله صلى الله عليك وسلم قد اطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين و ولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا اوطاس و بها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله في من اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويترك ا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فأرسل الى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار أما ذوو رأينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا وأما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم افلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدى اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذلم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال فما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ترضون ان تذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ابن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل واعطى عباس ابن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معى من ترون واحب الحديث الى اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبى وقد كنت استأنيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا اذا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندرى من اذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذى بلغنا من سبى هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ أعجبتكم كثرتكم) يعنى حين قلتم لن نغلب اليوم من قلة (فلم تغن عنكم) يعنى كثرتكم (شيئا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضاها (ثم وليتم مدبرين) يعنى منهزمين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فأدرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث بن عمه آخذا بركابه فقال للعباس صح بالناس وكان صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا الفراركم عن اعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين)

القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وانزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعني بالاسر والقتل وسبي العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعني في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم واطلق سبيهم (والله غفور) لمن تاب (رحيم) بعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل اراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا انجاسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه اسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا يأذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طيء وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام (م) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطأ مرسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن أبين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى علي ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يحملون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فأغناهم الله بأن انزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم أهل جدة وصنعاء

وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (وذلك جزاء الكافرين) وهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) بستر كفرهم الذين اسلموا منهم (والله غفور) [illegible] (رحيم) بهم بعد الاسلام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أي ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) وهو عام تسع من الهجرة حين امر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهي القربان النهي عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم او المطر والنبات

وجرش من اليمن وحملوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغنى المطلوب لمكون الانسان دائم التضرع والابتهال الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شئ وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعني بما يصلحكم (حكيم) يعني انه تعالى لا يفعل شيأ الا عن حكمة وصواب فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية اصابها أهل الاسلام واول ذل اصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المؤمنين والمعنى قاتلوا ايها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد ان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كايمان المؤمنين وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون ما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا بأحكام من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أوتوا الكتاب) يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) وهي ما يعطي المعاهد من أهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم (عن يد) يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيأ كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم أذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قائمون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكلبي اذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقال له أد حق الله يا عدو الله وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

*(فصل في بيان أحكام الآية) اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في أهل الكتاب العرب وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومة فأخذه فأتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان وأخذ من أهل دومة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ

من

أو من متاجر جيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بمشيئة الله تعالى لينقطع الآمال اليه (ان الله عليم) بأحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم واراد ونزل في اهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون ان لا اكل في الجنة ولا شرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة أو لا يعملون بما في التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين قبله وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري ان النبي عليه السلام صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب (حتى يعطوا الجزية) الى ان يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على أهلها ان يجزوه أي يقضوه او هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل (عن يد) أي عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى يده اذا انقاد وقالوا انزع يده عن الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ (وهم صاغرون) أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية يا ذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام

من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز الأخذ منهم ويدل عليه ماروى عن بجالة بن عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدرى كيف اصنع فى أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك فى الموطا عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر أخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك فى الموطا وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبى صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى على بن أبى طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسرى بكتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل فى دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ بمجئ محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبنى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل أهل الكتاب فهم فى أهل الكتاب كأهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن أمره ان يأخذ من كل حالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرية ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبى صلى الله عليه وسلم امره ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغنى والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الرأي ويدل عليه ماروى عن أسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك فى الموطا قال اصحاب الشافعى اقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضى فاذا رضى اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغنى اربعة دنانير قال العلماء انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بأيديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فأمهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بأن يؤمنوا ويصدقوا اذا رأوا محاسن الاسلام وقوة دلائله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه فى هذه الآية فأخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقاؤهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التى بأيديهم ولعلهم يتفكرون

(وقالت اليهود) كلهم او بعضهم (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهو عاصم وعلى فقد جعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله)

فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود فى وقالت اليهود جريا على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفى عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فأذن فى قومه وقال يا قوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتى عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبى ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بنى اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله مائة سنة قال فأتى ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة فى صدره فلما أتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان أبى حدثنى عن جدى ان التوراة جعلت فى خابية ودفنت فى كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فأخبر الله به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وادخلوه بيتا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له انت خالصتى وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال وكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين الرازى بعد

ان

ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ذكر لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بأفواههم) يعني انهم يقولون ذلك القول بألسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهئون) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال أولهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اى حق ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما أعجب فعله (انى يؤفكون) يعني انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بأن الله واحد أحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله سبحانه وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله سبحانه وتعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من دون الله يعني انهم أطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم أحلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فأطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك * واحبار سوء ورهبانها

(والمسيح بن مريم) يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية (وما أمروا) يعني وما أمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على ألسنة انبيائهم (الا ليعبدوا الها واحدا) لانه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) اى تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام وان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال (يريدون) يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى (ان يطفئوا نور الله بأفواههم) يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد دالة على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبرئ من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

(ذلك قولهم بأفواههم) أى قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة (يضاهون قول الذين كفروا من قبل) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا يعني ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم يضاهئون عاصم واصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي اشبهت الرجال بأنها لا تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) اى هم احقاء بأن يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أي اهل الكتاب (أحبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله) حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الارباب في أوامرهم ونواهيهم (والمسيح بن مريم) عطف على احبارهم أي اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا) يجوز الوقف عليه لان ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا للواحد (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشراك (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم

بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين بقوله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعنى ويأبى الله الا أن يعلى دينه و يظهر كلمته و يتم الحق الذى بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل (هو الذى أرسل رسوله) يعنى ان الله الذى يأبى الا أن يتم نوره هو الذى أرسل رسوله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعنى بالقرآن الذى انزله عليه وجعله هاديا اليه (ودين الحق) يعنى دين الاسلام (ليظهره) يعنى ليعليه (على الدين كله) يعنى على سائر الاديان وقال ابن عباس الهاء فى ليظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها و يظهره عليها حتى لا يخفى عليه شئ منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا فى الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة فى حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبى صلى الله عليه وسلم و يهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز أو بذل ذليل اما ان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعز وابه واما ان يذلهم فيدينون له أخرجه البغوى بغير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعى وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بأن ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين و جرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفى قوله سبحانه و تعالى ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل فى قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشئ باسم ما هو أعظم مقاصده واختلفوا فى السبب الذى من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم فى تخفيف الشرائع والمسامحة فى الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بأيديهم كتبا يحرفونها و يبدلونها و يقولون هذه من عند الله و يأخذون بها ثمنا قليلا وهى المآكل التى كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته فى كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبى صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون فى تأويلها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعنى و يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول فى دين الاسلام (والذين يكنزون الذهب والفضة) أصل الكنز فى اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا فى المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبى سفيان لان الله سبحانه و تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدى

(ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ
فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده
ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفئه بنفخه
أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع فى
مقابلة يريدون والا لا يقال كرهت أو ابغضت
الا زيدا (هو الذى أرسل رسوله) محمدا عليه
السلام (بالهدى) بالقرآن (ودين الحق)
الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله)
على أهل الاديان كلهم أو ليظهر دين الحق على
كل دين (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال
الناس) استعار الاكل للاخذ (بالباطل)
أى بالرشا فى الاحكام (ويصدون) سفلتهم (عن
سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب
والفضة) يجوز أن يكون اشارة الى الكثير من
الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
ذميمتين فيهم أخذ الرشا وكنز الاموال والضن بها
عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد
المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم
وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس
بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو
كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة
رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة
يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم
أحد ممن أعرض عن القنية لان الاعراض
اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه

نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في
الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله
عنه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف
أهل الكتاب بالحرص على أخذ اموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق
الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (م) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا بأبي
ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم
فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان اقدم المدينة
فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت
فكنت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمر علي عبد حبشي لسمعت واطعت واختلف العلماء
في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروي عن ابن عمر انه قال له اعرابي
اخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا
للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل
عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال
أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن
يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروي عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما فوقها كنز وما
دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة
قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر
فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض
الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شئ من المال احراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة
نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك
على المسلمين فقال عمر انا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله
لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر
ثم قال له الا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب
عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب
والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب
شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه
الاقوال القول الاول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه
اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة
ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك
ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه
وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى
سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن
حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا

واحد انتطأه باخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يارسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور وقوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمرق شعره وذهب وهي صفة أخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها أغلب أموال الناس (فبشرهم بعذاب أليم) يعني الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت يارسول الله فداك أبي وأمي من هم قال هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى (يوم يحمى عليها) يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كانزيها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح وتجتمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (هذا ما كنزتم لانفسكم) أي يقال لهم ذلك يوم القيامة (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينما أنا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيئا قال فادبر

فاتبعته

(ولا ينفقونها في سبيل الله) الضمير راجع الى المعنى لان كل واحد منهما دنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وأريد الكنوز والاموال أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله* فاني وقيار بها لغريب *وقيار كذلك وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول وأثمان الاشياء وذكر كنزهما دليل على ماسواهما (فبشرهم بعذاب أليم) (يوم يحمى عليها في نار جهنم) ان ومعنى قوله (يوم يحمى عليها) أي توقد وانما ذكر الفعل لانه النار تحمى عليها وأصله يوم تحمى النار عليها مسند الى الجار والمجرور وقيل يحمى لانتقال الاسناد فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم لانفسكم) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وهو توبيخ (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين

فأتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري قلت من هذا قالوا ابوذر قال فقمت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية التى هى مبنية على سير القمر فى المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون فى صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسىء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى صفر وتارة فى غيره من الشهور فأعلم الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى فى علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (فى كتاب الله) يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وأمر عباده بالاخذ به (يوم خلق السموات والارض) يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فى هذه الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعنى ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية فى فيهن ترجع الى جميع الاشهر اى لا تظلموا أنفسكم فى تعالى جميع أشهر السنة بفعل المعاصى وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصى والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه فيما سواهن وان كان الظلم

قوله وزاد البخارى الخ هذه الزيادة لمسلم لا للبخارى اهـ مصححه

(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) من غير زيادة والمراد بيان أن احكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية (فى كتاب الله) فيما أثبته وأوجبه من حكمه أو فى اللوح (يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب للترجيب لتحريم العرب اياه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لا ما فعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الاربعة الاشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسىء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم أو فى الاثنى عشر (أنفسكم) بارتكاب المعاصى

على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين بأجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال فنسؤا يعني أخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن امية الكناني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا أوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم

* وفينا ناسئ الشهر القلمس *

وكانوا

(وقاتلوا المشركين كافة) حال من الفاعل او المفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا ان الله مع المتقين) أي ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (انما النسيء) بالهمزة مصدر نسأه اذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم

وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان أوّل من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أوّل من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فأوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا او يضل به الشيطان الذين كفروا اختار ابن جرير ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا أتابعهم والآخذين بأفعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) يعني يحلون ذلك الانساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرّم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيرون فيه (ليواطئوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني انهم ما أحلوا شهرا من المحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا من الحرام لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل (والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني انه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أثيم لما سبق له في الازل انه من أهل النار قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله أي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم أي تثاقلتم وتباطأتم عن الخروج الى الغزو والى الارض يعني لزمتم أرضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينفد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور الآية الآتية وهي قوله تعالى (الا تنفروا) يعني ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يعذبكم عذابا أليما) يعني في الآخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر

(يضل) كوفي غير ابي بكر (به الذين كفروا) بالنسيء والضمير في (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) للنسيء أي اذا أحلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل (ليواطئوا عدة ما حرم الله) ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه او بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فيحلوا ما حرم الله) أي فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها (زين لهم سوء أعمالهم) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا) اخرجوا (في سبيل الله اثاقلتم) تثاقلتم وهو اصله الا ان التاء أدغمت في الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أي تباطأتم (الى الارض) ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى أي ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أي ملتم الى الاقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (الا قليل الا تنفروا) الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما)

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (و يستبدل قوما غيركم) يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على انه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم لئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضروه شيئا) قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تضرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على أعدائه ولا يخذله (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه و يعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل (الا تنصروه فقد نصره الله) يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فأعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كلمته اعانوه أو لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ أخرجه الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه كفار مكة من مكة حتى مكروا به وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر (اذ هما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله و رياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكنسه و وجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به و بقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم و يستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها (و يستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا) وقيل الضمير في ولا تضروه للرسول عليه السلام لان الله وعده أن يعصمه من الناس وان ينصره ووعده كائن لا محالة (والله على كل شيء قدير) من التبديل والتعذيب وغيرهما (الا تنصروه فقد نصره الله) الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت (اذ أخرجه الذين كفروا) أسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكأنهم اخرجوه (ثاني اثنين) احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر وانتصابه على الحال (اذ هما) بدل من اذ أخرجه (في الغار) هو نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة أبي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده
ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا
لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم
فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وأنا حي أخرجه في جامع
الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر
فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك
يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان أقتل فأنا رجل
واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

*(ذكر سياق حديث الهجرة وهو من افراد البخاري) عن عائشة قالت لم اعقل أبوي قط الا وهما يدينان
الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون
خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد
يا أبا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر
لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق فانا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في
أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم
ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية
فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها
وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي
بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى
مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون
منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من
المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد
جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا
فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك
فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال
قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا أحب ان تسمع
العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين
وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر
قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل
ترجو ذلك بأبي أنت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف
راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن
جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحو الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة
لم يكن يأتينا فيها فقال ابو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال
ابو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وامي يا رسول الله قال فاني قد أذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحبة بأبي

أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فأخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم ان أباه أخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني الا أن قالا أخف عنا فسألته ان يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله عليه السلام صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه

بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه و يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا وأطهر

و يقول اللهم ان الاجر اجر الآخره فارحم الانصار والمهاجره فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخاري بطوله شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين تعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه و بين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشئ المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده انا لك جار أي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار المخفي وقوله فينقذف النساء عليه يعني يزدحمن عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة المعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل ونحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل و بتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالعال والعثان الغبار يقال مارزأت فلانا شيئا أي ما اصبت منه شيئا والمراد انهم لم يأخذوا منه شيئا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أي هم ذوو ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الآخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روى هذا الجمال بالجيم من التجمل والرواية الاولى اشهر وأكثر والله أعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أتت حمامة على فم

الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت و وجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف في ظلمة الغار
لاتخش شيئا فان الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فأنزل الله سكينته عليه) يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

*(فصــــل في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق)*منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن أبي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابابكر دون غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل الارض بقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا ابابكر رضي الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازماله وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني اثنين اذهما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان ابابكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر أوّل من آمن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يدي ابي بكر ثم جاءهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل ابي بكر الصديق ومنها ان الله سبحانه وتعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأيده بجنود لم تروها) يعني وأيد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل التي الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فأخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) قال ابن عباس هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده الله سبحانه وتعالى حقا وصدقا قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها وهذان

الوصفان

(فأنزل الله سكينته) ما التي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم او على أبي بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وأيده بجنود لم تروها) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه اوايده بالملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوتهم الى الكفر (السفلى وكلمة الله) دعوته الى الاسلام (هي) فصل (العليا) وكلمة الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف اوجه اذهي لم تزل كانت عالية (والله عزيز) يعز بنصره اهل كلمته (حكيم) يذل اهل الشرك بحكمته (انفروا خفافا) في النفور لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا او ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا ومهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا

الوصفان يدخل تحتهما أقسام كثيرة فلهذا اختلف عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعنى شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفى ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعنى فقراء وثقالا يعنى أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذى لا ضيعة له والثقيل الذى له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعنى من السلاح مقلين منه وثقالا يعنى مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعنى مسرعين فى الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعنى بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعنى على أى حال كنتم فيهما * فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر * قلت من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدى نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا أيوب الانصارى شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له فى ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا أجدنى الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهرى خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنى الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك وان النبى صلى الله عليه وسلم خلف فى المدينة فى تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى أن من كان له مال وهو مريض أو مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه (ذلكم) يعنى ذلكم الجهاد (خير لكم) يعنى من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه (ان كنتم تعلمون) يعنى ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعنى غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعنى سهلا قريبا (لاتبعوك) يعنى لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبى عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة (لو استطعنا لخرجنا معكم) يعنى الى هذه الغزوة (يهلكون أنفسهم) يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل

وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بأحدهما على حسب الحال والحاجة (فى سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان ما دعوا اليه مغنما (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل (لاتبعوك) لوافقوك فى الخروج (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة الشاطة الشاقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) من دلائل النبوة لانه اخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابى القسم ولو جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة واستطاعة الابدان كأنهم تمارضوا (يهلكون أنفسهم) بدل من سيحلفون او حال منه أى مهلكين والمعنى انهم يهلكونها بالحلف الكاذب او حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم وان أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها على المسير.

على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكاذبون) يعنى فى ايمانهم وايمانهم وهو قوله لو استطعنا لخرجنا معكم الآية لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الطبرى هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أى فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب

* (فصل استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما انه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار * والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ فى ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل

عفا الله عنك الا حرمة * تعود بفضلك ان ابعدا
الم ترلى عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
اقلنى اقالك من لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثانى أنه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض فى كتابه الشفا فى الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم انه امر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فى أمرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها تكرمة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم يعنى فى التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) أى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (والله عليم بالمتقين) يعنى الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكت قلوبهم فى

يقولون ذلك الشقة (والله يعلم انهم لكاذبون) ... (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو فى الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر معه الا الانبياء عليهم السلام (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لتركه الافضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا (بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين) يعنى المنافقين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) وكانوا تسعة وثلاثين رجلا

الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان فاذا دخله الشك
كان ذلك نفاقا (فهم في ريبهم يترددون) يعني ان المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين
وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي
قوله سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم
فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا
يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم واما المنافقون
فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو
ارادوا الخروج) يعني الى الغزو معكم (لاعدوا له عدة) لتهيؤا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من
الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعني خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعني منعهم وحبسهم
عن الخروج معكم والمعنى أن الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم
فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون
فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة
فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى
لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول انه
صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى
لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في أمرهم بالقعود (وقيل اقعدوا مع
القاعدين) معناه انهم لما استأذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى
واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال
لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان القى
في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد
فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو مازادوكم
الا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من
الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن
والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولأوضعوا خلالكم) يعني
ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعني يطلبون
لكم ما تفتتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون
منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر
(وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم
الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم
أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين
المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين
ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما أثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله عليم
بالظالمين) وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى
(لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعني لقد طلبوا صد أصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل

شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم (فهم
في ريبهم يترددون) يتحيرون لان التردد ديدن
المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر (ولو
أرادوا الخروج لأعدوا له) للخروج أو للجهاد
(عدة) أهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو
ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم)
نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن
تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فثبطهم)
فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط
التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه (وقيل
اقعدوا) أي قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول
عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان
بالوسوسة (مع القاعدين) هو ذم لهم والحاق
بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود
في البيوت (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم
معكم (الا خبالا) الا فسادا وشرا والاستثناء
متصل لان المعنى مازادوكم شيئا الا خبالا
والاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير
جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا الا
خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير
مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء
فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه
(ولأوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب
والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا
اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم
بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب
اسرع من الماشي وخط في المصحف ولا أوضعوا
بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل
الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول
القرآن وقد بقي من تلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى
ونحوه أولا اذبحنه (يبغونكم) حال من الضمير في
اوضعوا (الفتنة) أي يطلبون ان يفتنوكم بان
يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في
مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أي نمامون
يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم (والله عليم
بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) لصد
الناس أو لأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة
او بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعنى واجالوا فيك وفى أمرك وفى ابطال دينك الرأى وبالغوا فى تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت أمرك (حتى جاء الحق) يعنى النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعنى ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت فى الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا أباوهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يارسول الله لقد عرف قومى انى رجل مغرم بحب النساء وانى أخشى ان رأيت بنات بنى الاصفر ان لا أصبر عنهن ائذن لى فى القعود ولا تفتنى بهن واعينك بمالى قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم يعنى ومن المنافقين من يقول ائذن لى يعنى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم (الا فى الفتنة سقطوا) يعنى انهم وقعوا فى الفتنة العظيمة وهى النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعنى يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسؤهم) يعنى ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعنى من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعنى المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعنى أخذنا أمرنا بالجد والحزم فى القعود عن الغزو (من قبل) يعنى من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعنى مسرورين لما نالك من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكر ولن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر أحد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا اراده لم يقدر له (هو مولانا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من انفسنا فى الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى فى جميع امورهم (قل هل تربصون بنا) يعنى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها المنافقون (الا احدى الحسنيين) يعنى اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد فى سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم فى الآخرة واما أن يقتل فى سبيل الله فتحصل له الشهادة وهى الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفى رواية تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسلى فهو على ضامن ان أدخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة أخرجاه فى الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نتربص بكم) يعنى ونحن ننتظر بكم احد السوأيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) يعنى فيهلككم كما أهلك من قبلكم من الامم الخالية (أو بأيدينا) يعنى او يصيبكم بايدى المؤمنين بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم (فتربصوا انا معكم متربصون) قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل انفقوا طوعا او كرها) نزلت فى الجد بن قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود عنه وقال انا أعطيكم مالى فأنزل الله عز وجل ردا عليه قل أى قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله فى النفاق انفقوا طوعا أو كرها يعنى انفقوا طائعين من قبل أنفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق (لن يتقبل منكم) لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة فى انفاق المنافقين فهى عامة فى حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله (انكم) أى لانكم (كنتم قوما فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) أى المانع من

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء فى ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أى على رغم منهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت أو ولا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء ولا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمال فاتركنى (الا فى الفتنة سقطوا) يعنى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان اسباب الاحاطة معهم او هى تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) فى بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أى قضى من خير او شر (هو مولانا) أى الذى يتولانا ونتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأيين اما (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (او) بعذاب (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) فى وجوه البر (طوعا او كرها) طائعين او مكرهين نصب على الحال كرها حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه (لن يتقبل منكم) انفقتم طوعا اوكرها ونحوه استغفر لهم اولا تستغفر لهم وقوله * أسيئ بنا او احسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت * أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا أو احسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول انه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها او لا يثيبها الله وقوله طوعا اى من غير الزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه (انكم) تعليل لرد انفاقهم (كنتم قوما فاسقين) متمردين عاتين (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم) وبالياء حمزة وعلى (الا انهم كفروا) انهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم (بالله وبرسوله

قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله وبرسوله (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما (فلا تعجبك) يا محمد (أموالهم ولا اولادهم) هذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا بأموال المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشئ ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشئ من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديره فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما وعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم بهما في الدنيا أخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة عند تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره (وتزهق أنفسهم) يعني وتخرج انفسهم (وهم كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل (ويحلفون بالله) يعني المنافقين (انهم لمنكم) يعني على دينكم وملتكم (وما هم منكم) يعني انهم كاذبون في ايمانهم (ولكنهم قوم يفرقون) يعني انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق (لو يجدون ملجأ) يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجؤن اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم (أو مغارات) يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولوا اليه) والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه أي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه (وهم يجمحون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم فيأ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية

ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى ووصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار (فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) الاعجاب بالشئ ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فان الله انما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها او بالانفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له او بنهب أموالهم وسبي اولادهم او بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وتزهق انفسهم وهم كافرون) وتخرج ارواحهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالاصلح لانه اخبر ان اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الاماتة على الكفر (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيرانا (أو مدخلا) او نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شئ من الفرس الجموح (ومنهم) ومن المنافقين (من يلمزك في الصدقات) يعيبك في قسمة الصدقات

قد خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا من هواه فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا (ولو أنهم رضوا) يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما نحتاج اليه (انا الى الله راغبون) يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحارث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك أخرجه ابو داود

(فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل) المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فأوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فأمر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم أغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنياء فأوجب الله عز وجل

نصيبا

ويطعن عليك (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) اذا للمفاجأة أي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لانه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فتضجر المنافقون منه (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (انما الصدقات للفقراء والمساكين) ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لان عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لانه لا يجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعي

نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال لما فضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فأمر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسئلة الثانية الآية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا هؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة واصحاب الرأي الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه أن الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد

لما راى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا ان المسكين أحسن حالا من الفقير ولان الله سبحانه وتعالى قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير أسوأ حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين أسوأ حالا من الفقير قوله اومسكينا ذامتربة وصف المسكين بكونه ذامتربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي

اما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له وقال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله أومسكينا ذامتربة فهي حجة لمذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامتربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط

الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهى معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذى كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة فى طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى أخرجه النسائى وأبو داود وله فى رواية أخرى ولا لذى مرة قوى عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال اخبرنى رجلان انهما أتيا النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب أخرجه ابو داود والنسائى وأخرجه الشافعى ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لذى قوة مكتسب واختلف العلماء فى حد الغنى الذى يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعى وقال اصحاب الرأى حده ان يملك مائتى درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته فى وجهه خموش أو خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى وهذا قول الثورى وابن المبارك وأحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل أكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل أربعين درهما لما روى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية فى ذلك الزمان أربعين درهما الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها فى جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو اغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعى وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعى يقول هو أجرة عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمى والمطلبى لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لما روى عن أبى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بنى مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذى والنسائى الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمى فهؤلاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم فى الاسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية فى الاسلام وهم أشراف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم فى الاسلام فيجوز للامام ان يعطى أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفىء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثانى من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار فى موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أو لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعى الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء أبا بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز

للامام

رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم
السعاة الذى يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم)
على الاسلام اشراف من العرب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم
منهم اسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الاسلام

للامام ان يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي و به قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد و يدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحاق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد و يعتقون و يدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة و يعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب و يدل عليه انه سبحانه وتعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه أما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات الصنف السابع قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عند أكثر أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و بناء الجسور والحصون

(وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها (والغارمين) الدين ركبتهم الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم

وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفى سبيل الله عام فى الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعنى المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا * الى ان شبت واكتهلت لداتى

فكل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال فى البلد الذى يقصده أولم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع وقوله تعالى (فريضة من الله) يعنى ان هذه الاحكام التى ذكرها فى هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله عليم) يعنى بمصالح عباده (حكيم) يعنى بما فرض لهم لا يدخل فى تدبيره وحكمه نقص ولا خلل المسئلة الرابعة فى أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هى الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا فى كيفية قسمتها وفى جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعى قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم ثمانية أقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجدمنهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شئ رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان الثورى وأصحاب الرأى وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز أن يضعها فى صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم النخعى ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا وضعه فى صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة فى الفقراء فى عام قدمهم وان رآها فى صنف آخر فى عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيئا وان كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعى رضى الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد ابن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتى درهم فان أعطيته اجزأ فان أعطى من يظنه فقيرا فبان انه غنى فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثورى وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعى لا يعطى والدا وان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى ماعداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شئ لقوله صلى الله عليه وسلم انا آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بنى هاشم ولا تحرم على بنى المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم أنا وبنو المطلب شئ واحد لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بنى هاشم وبنى المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم موالى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا فى نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين فى بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على

(وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى فى فى الاربعة الاخيرة للايذان بأنهم ارسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على انهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها وتكرير فى فى قوله فى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمن قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط باجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لان الله اعز الاسلام واغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (والله عليم) بالمصلحة (حكيم)

فقرائهم الحديث بطوله فى الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ماحكى عن عمر بن عبد العزيز فانه ردّ صدقة حملت من خراسان الى الشأم فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو اذن) نزلت فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعيبونه و يقولون مالا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ماشئنا ثم نأتيه وننكر ماقلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن اى يسمع كل ما يقال له و يقبله وقيل معنى هو أذن اى ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل ابن الحارث وكان أزنم ثائر الشعر أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من أحب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدّثه شيأ صدقه فنقول ماشئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل اذن خير لكم) يعنى هو انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم و يصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين) يعنى انه يصدق المؤمنين و يقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى انؤمن لك وقوله آمنتم له (و رحمة) اى هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجرى احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك اسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة قوله عز وجل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان مايقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو و يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبى نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون و يحلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعنى فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا فى معنى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان فى رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر وقيل معناه والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعنى ان كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده فى الآخرة قوله سبحانه وتعالى (الم يعلموا) قال أهل المعانى الم تعلم خطاب لمن علم شيأ ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين مايحتاجون

فى القسمة (ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن) الاذن الرجل الذى يصدق كل مايسمع و يقبل قول كل احد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كان جملته أذن سامعة وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وانه من اهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن و يجوز ان يريد هو اذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك ثم فسر كونه اذن خير بأنه (يؤمن بالله) أى يصدق بالله لما قام عنده من الادلة (و يؤمن للمؤمنين) و يقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم مايقولونه و يصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبئ عن الباء (ورحمة) بالعطف على اذن ورحمة حمزة عطف على خير أى هو اذن خير واذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله (للذين آمنوا منكم) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى اظهروا الايمان أيها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفعل بكم مايفعل بالمشركين او هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان و يشفع لهم فى الآخرة بايمانهم فى الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) فى الدارين (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم و يؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم و يرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين) أى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسول الله فكانا فى حكم شئ واحد كقولك احسان زيد واجماله رفعني أو والله أحق ان يرضوه ورسوله كذلك (الم يعلموا انه) ان الامر

اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (انه من يحادد الله ورسوله) يعني ان من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي فحق ان له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبئهم) يعني تخبر المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وأثارتها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم (ان الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمروا له وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أرأيت قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم يكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا أرغبنا بطونا وأكذبنا السنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزآن بالقرآن

والرسول

والشأن (من يحادد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فأن له) على حذف الخبر أي فحق ان له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون) خبر بمعنى الامر أي ليحذر المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبئهم بما في قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه (قل استهزؤا) امر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت اني قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا انما كنا نخوض ونلعب

والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك
وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه أنزل فى أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه صلى الله
عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب
ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
يعنى كنا نتحدث ونخوض فى الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللعب والحديث وأصل الخوض
الدخول فى مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل فى كل دخول مع تلويث وأذى (قل)
أى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار
عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء بالله يعنى بفرائض الله وحدوده وأحكامه والمراد
بآياته كتابه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ
حصون الشأم قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح فى قدرة
الله وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعنى
قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل
معنى العذر قطع اللائمة عن الجانى قد كفرتم بعد ايمانكم يعنى ان الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه
يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *فان قلت* ان المنافقين
لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه أظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد
أظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء
منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين
وقوله سبحانه وتعالى (ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون ان
الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق
لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحاق الذى عفى عنه رجل واحد وهو مخاشن بن حمير الاشجعى
يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه
أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم انى لا ازال أسمع آية تقرأ أعنى بها
تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد انا غسلت انا
كفنت انا دفنت فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه قوله سبحانه وتعالى (المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض) يعنى انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال
الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت منى أى أمرنا واحد لا مباينة فيه (يأمرون بالمنكر) يعنى يأمر
بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعنى
عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعنى عن الانفاق
فى سبيل الله تعالى وفى كل خير (نسوا الله فنسيهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ظاهره لانا لو
حملناه على النسيان الحقيقى لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس فى وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان
فى حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة
الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها *الوجه الثانى* ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك
الله ذكرهم فمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم
يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته فى الدنيا ومن رحمته فى العقبى
(ان المنافقين هم الفاسقون) يعنى هم الخارجون عن الطاعة (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار)
يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون فى الخير والشر (نار جهنم خالدين فيها)

(قل) يا محمد (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد اظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه ان يعف تعذب طائفة غير عاصم (المنافقون والمنافقات) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بعضهم من بعض) أى كانهم نفس واحدة وفيه نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو اغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها

فيه حذف تقديره يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (ولعنهم الله) يعني وابعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها يعني ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شئ آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بأن قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم *الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم قوله سبحانه وتعالى (كالذين من قبلكم) هذا رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بأنهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا واولادا فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق الله للانسان وقدره له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلاقكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلاقكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) فان قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعادة ذكره في حق الاولين ثالثا قلت فائدته انه يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثا وهذا كما تريد ان تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين (أولئك حبطت اعمالهم) يعني بطلت اعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني ان اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا وتبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى (ألم يأتهم) رجع من الخطاب الى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد اتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني انهم اهلكوا بالطوفان (وعاد) اهلكوا بالريح العقيم (وثمود) اهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم (أتتهم رسلهم

(هي) أي النار (حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وانه بحيث لا يزاد عليه (ولعنهم الله) واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف في (كالذين من قبلكم) كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للانسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في مقابلة قوله وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو بدل من الذين (وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر (أتتهم رسلهم بالبينات

بالبينات) يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم ايها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم (فما كان الله ليظلمهم) يعني بتعجيل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين واعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة وقوله سبحانه وتعالى (يأمرون بالمعروف) يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (وينهون عن المنكر) يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلاة) يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها (ويؤتون الزكاة) يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) يعني فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم (أولئك) يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سيرحمهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عزيز حكيم) وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء أراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) لما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخر هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعني ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلابد من تأويلها فقوله عدن داره يعني

فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والتراحم (يأمرون بالمعروف) بالطاعة والايمان (وينهون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سأنتقم منك يوما (ان الله عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كل شيء موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والتي وضعا لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة

دار الله وهو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار اصفياء الله التي أعدها لاوليائه واهل طاعته والمقربين من عباده عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي أو صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي معطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أكبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول الا أعطيكم افضل من ذلك فيقولون وأي شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم أبدا قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب (ومأواهم جهنم وبئس المصير) يعني ان جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت انما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها فأما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراء الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم

وهو

(ورضوان من الله) وشئ من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعد اوالى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل

وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون قوله عز وجل (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس ابن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن أو أن تصيبني قارعة أو أن أخلط بخطيئته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي بن سلول للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس ابن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستأتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (وهموا بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي بن سلول وكان همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه (وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشرا وبطرا وقال ابن قتيبة

(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر)
يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير
او هي استهزاءهم فقال الجلاس يا رسول الله والله
لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت
توبته (وكفروا بعد اسلامهم) واظهروا
كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على
ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد
اسلامهم (وهموا بما لم ينالوا) من قتل محمد
عليه السلام او قتل عامر لرده على الجلاس وقيل
أرادوا ان يتوجوا ابن أبي وان لم يرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما انكروا
وما عابوا (الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله)
وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون
الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم

معناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا

وهذا مما ليس ينقم وانما اراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

اى ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا يك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالخزي والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (ومالهم في الارض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال مافعل ثعلبة فقالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة ابن حاطب ورجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ماهذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان أقبل صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما ابى أن يقبل

بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خيرا لهم) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وان يتولوا) يصروا على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الارض من ولى ولانصير) يجيرهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه وراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال ياويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الا جزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه ياويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بها الى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان رضى الله عنه (لئن آتانا من فضله) أى المال (لنصدقن) لنخرجن الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء ادغمت فى

رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال اقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر أتاه فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها ثم ولى عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك فى خلافة عثمان وأخرجه الطبرى أيضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله سبحانه وتعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما هى جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردّت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فأشهدهم لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدّقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت فى ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدّقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن أبى بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانى الله من فضله يعنى ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما أتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الآية وحاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه الله من فضله ليصدقن وليعملن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا فى الرزق لنصدقن يعنى لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولنكونن من الصالحين) يعنى ولنعملن فى ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق فى سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذى يبخل بما يلزمه فى حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) يعنى فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعنى عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعنى عن العهد (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم) يعنى فأعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال أعقبت فلانا ندامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعنى انه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما أخلفوا الله ما وعدوه) يعنى الصدقة والانفاق فى سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعنى فى قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفى رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيى الدين النووى هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا نحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد فى النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء فى معناه فالذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين فى هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود

الصادلغر بها منها (ولنكوننّ من الصالحين)
باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله)
اعطاهم الله المال وبالوامناهم (بخلوا به) منعوا
حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله
(وهم معرضون) مصرون على الاعراض
(فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم) فأورثهم البخل نفاقا
متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم
يلقونه) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما
اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) بسبب
أخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح
وكونهم كاذبين ومنه جعل خلاف الوعد ثلث

في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء ابن أبي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر وروياه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال اكثر أئمتنا وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى أيضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الموعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شئ منها (وان الله علام الغيوب) وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم قوله عز وجل (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدري قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت اربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فأنزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجدون الا جهدهم) يعني أبا عقيل الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لان الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل انما أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم

لقد

النفاق (ألم يعلموا) يعني المنافقين (ان الله يعلم سرهم) ما أسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) محله النصب او الرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلمزون) يعيبون (المطوعين) المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وامسكت أربعة لعيالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما اعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجدون الا جهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا للعيال وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه (فيسخرون منهم) فيهزؤن

لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه افقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ماعند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم اولا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد اولم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن ترك خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه

(سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه نزل (استغفر لهم اولا تستغفر لهم) وقد مر ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وادنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لان فيها أوتارا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ماجاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) اشارة الى اليأس من المغفرة (بأنهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) ولا غفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته او مخالفين له (وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل (فليضحكوا قليلا

(وليبكوا كثيرا) يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعني ان ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعك الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعذار (فاستأذنوك للخروج) يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا معي أبدا) يعني فقل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي أبدا الى غزوة ولا الى سفر (ولن تقاتلوا معي عدوا انكم) يعني لانكم (رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع و بدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله ابن أبي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فأعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله أعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتي بالاسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر

عليه

(وليبكوا كثيرا) أي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعك الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معي أبدا) وبسكون الياء (ولن تقاتلوا معي عدوا) حمزة وعلي وأبو بكر وحفص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) أول ما دعيتم الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله ابن أبي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اباه في قميصه ويصلي عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو ان يؤمن به الف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روي انه اسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لأحد (أبدا) ظرف لتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل

عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه

*(فصـــل) قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فأعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعدما ادخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم انه صلى عليه أولا كما في حديث ابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعدما أدخل حفرته فأخرجه منها ونزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن أبي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه فأعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرحهم صدرا وكان ابر الناس بأبيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من أبر الناس بأبي وان أمرتني ان آتيك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات أبوه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فأعطاه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له ولطلبته وقول عمر تصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم وهذان التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو اولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن ابن عمر فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وهذا

يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لأولئك المنافقين المخير فيهم فهو وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما أعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سئل ذلك فأجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب ان يكافئه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به ألف من قومه فيروى انه أسلم ألف من قومه لما رأوه تبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من القيام على قبره والصلاة عليه ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه بكونه فاسقا بعدما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بأن يؤدي الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولا وتأكيده وارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل أيضا انما كرر هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم واسقط حرف لا هنا وقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال سبحانه وتعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه ان ورد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بأن يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى في الآية الاولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظة

الحياة

(ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل النهي أي انهم ليسوا بأهل الصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وان يعتقد انه مهم ولان كل آية في

الحياة التنبيه على ان الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جمل في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز و يحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (أن) أي بأن (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله أولا وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والآخرة وقوله سبحانه وتعالى (استأذنك أولوا الطول منهم) قال ابن عباس يعني أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص أولي الطول بالذكر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص أولي الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعني أولي الطول (ذرنا نكن مع القاعدين) يعني في البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قيل الخوالف النساء اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالمطالب قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية قوله سبحانه وتعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله عن أخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون أي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه و يقال اعتذر اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد

* ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر *

يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا

فرقة غير الفرقة الاخرى (واذا أنزلت سورة)
يجوز ان يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما
يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه
(أن آمنوا بالله) بأن آمنوا أو هي ان المفسرة
(وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول
منهم) ذووا الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع
القاعدين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى
والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) أي
النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم)
ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون)
ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف
من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين
آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ان
تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير
منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع
الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل
مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله
أعد دليل على انها مخلوقة (وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم) هو من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته ان يوهم ان له
عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بادغام
التاء في الدال ونقل حركتها الى العين وهم الذين
يعتذرون بالباطل قيل هم اسد وغطفان قالوا
ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لهم في التخلف
(وقعد الذين كذبوا

الله ورسوله) فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين وروي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا وأظهروا بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه وتعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور (حرج) أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه انهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع (رحيم) يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك) يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما أتوك (لتحملهم) يعني يسألونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحاق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي ابن عمير ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل

الله ورسوله) هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وأظهروا بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب أليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (ليس على الضعفاء) المرضى والزمنى (ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبني عذرة (حرج) اثم وضيق في التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (ما على المحسنين) المعذورين الناصحين (من سبيل) أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (والله غفور) لهم (رحيم) بهم في تخلفهم (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الحمولة

المزني

المزني قال أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا أجد ما أحملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل (حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يعني على أنفسهم في الجهاد (انما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك (وهم أغنياء) يعني قادرين على الخروج معك (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) يعني رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم (وطبع الله على قلوبهم) يعني ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع قوله سبحانه (يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم) يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين فلهذا قال يعتذرون اليكم يعني بالاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم (قل) أي قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (لن نؤمن لكم) يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم (وسيرى الله عملكم ورسوله) يعني في المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعني فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما في ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فأعرضوا عنهم) يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة (ومأواهم) يعني مسكنهم في الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها (يحلفون لكم لترضوا عنهم) يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم (فان ترضوا عنهم) يعني فان رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعني انه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا قوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت في سكان البادية يعني ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر

(قلت) حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة أي اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) هو جواب اذا (وأعينهم تفيض من الدمع) اى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز ان يكون قلت لا أجد استئنافا كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزنا) مفعول له (ألا يجدوا ما ينفقون) لئلا يجدوا ما ينفقون ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه حزنا والمستحملون أبو موسى الاشعري وأصحابه او البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (انما السبيل على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بأن يكونوا مع الخوالف) أي بالانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم) يقيمون لانفسهم عذرا باطلا (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالباطل (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أي تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم أي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا سبيل الى تطهيرهم (ومأواهم جهنم) ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) أي يجزون جزاء كسبهم (يحلفون لكم لترضوا عنهم) أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل ذلك لئلا يتوهم ان رضي المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم

قال أهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ ويجمع الاعرابي على الأعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعني واخلق واحرى (أن لا يعلموا) يعني بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعني بما في قلوب عباده (حكيم) فيما فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين أو مراآة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (ويتربص) يعني وينتظر (بكم الدوائر) يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعني بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) يعني لاقوالهم (عليم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء بالمؤمنين نزلت هذه الآية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ان كان اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها ولكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قربة أي يطلب بما ينفق القربة الى الله (وصلوات الرسول) يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي اوفى (ألا انها قربة لهم) يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى ألا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم (سيدخلهم الله في رحمته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين في سبيله (رحيم) يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن أبي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم

و بعدهم عن العلم والعلماء (واجدر أن لا يعلموا) واحق بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين يعني الاكرة لانهم يفدون أي يصيحون في حروثهم والفديد الصياح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) في امهالهم (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق) أي يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) أي دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وابو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة قولك رجل صدق (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرونه (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق) في الجهاد والصدقات (قربات) اسبابا للقربة (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أي دعائه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي اوفى (ألا انها) ان النفقة أو صلوات الرسول (قربة لهم) قربة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم الله في رحمته) جنته وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب المخل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان (والانصار) عطف على المهاجرين أي ومن الانصار وهم اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين

حصل

حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكأني لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحاق فلما أسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله و رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه و يألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر سعد ابن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء ابن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا أن الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين اوثلاثا (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا

(والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فيكونوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة

أصحابي فلو ان أحدا وفي رواية أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان أحدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لأنهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضى الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله سبحانه وتعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وما ذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين أحدا من القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية ومن القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا امثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مرنوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحاق لجوا فيه وأبوا غيره وقال ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا منه (لا تعلمهم) يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت (سنعذبهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا انه سبحانه وتعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة اما المرة الاولى وهي عذاب المرة الاولى التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان أحكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها سراج من نار تظهر في أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احداهما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان أحدهما انهم قوم من المنافقين

والخبر (رضى الله عنهم) بأعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وأعد لهم) عطف على رضى (جنات تجري تحتها الانهار) من تحتها مكي (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم والمبتدا منافقون ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مردوا على النفاق) أي تمهروا فيه على ان مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) أي يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال (نحن نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سنعذبهم مرتين) هما القتل وعذاب القبر أو الفضيحة وعذاب القبر أو أخذ الصدقات من اموالهم ونهك أبدانهم (ثم يردون الى عذاب عظيم) أي عذاب النار (وآخرون) أي قوم آخرون سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيئا فنزل خذ من أموالهم

تابوا من نفاقهم واخلصوا وجه هذا القول ان قوله تعالى وآخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم و يعضده مانقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروى عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه انهم كانوا خمسة أحدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد ابن اسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أنكون في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا و يعذرنا فربطوا أنفسهم في سواري المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى أومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فأنزل الله عز وجل هذه الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فأطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فأنزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يارسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم لان لفظة من تقتضي التبعيض وقال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشئ ومعناه انهم اقروا بذنبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فما المخلوط به قلت ان الخلط

صدقة (خلطوا عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه او التوبة والاثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان او المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء

عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطته فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا بقي كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحابطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر أحدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلط الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الآية أحسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله ان يتوب عليهم) قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد قوله سبحانه وتعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) قال ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحباه فأتوا بأموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وتصدق بها عنا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئا منها حتى أومر به فأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فأوجب الله سبحانه وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذها منهم وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب أخذ الزكاة أما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا ما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلأن يكونوا راضين باخراج الزكاة اولى ثم في هذه الآية احكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم ايام حياته ثم اخذها من بعده الائمة فيجوز للامام او نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله

بالسيء واللبن بالماء (عسى الله ان يتوب عليهم) ولم يذكر توبتهم لانه ذكر (ان الله غفور رحيم) اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خذ من أموالهم صدقة) كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكاة (تطهرهم) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث (بها) في (وتزكيهم) للخطاب لا غير بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الانماء

خذ من اموالهم صدقة تفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول ان معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من أوساخ الناس فاذا أخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم أنت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم عن منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم أي تنمي أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه وتعالى (وصل عليهم) يعني ادع لهم واستغفر لهم لان أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للامام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم (والله سميع) يعني لاقوالهم أو لدعائك لهم (عليم) يعني بنياتهم (ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما بالهم اليوم فأنزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده اذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله سبحانه وتعالى (ويأخذ الصدقات) يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير والسائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله

والبركة في المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلاتك) صلاتك كوفي غير أبي بكر (ان الصلاة أكثر من الصلوات لانها الجنس قيل الصلوات (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد التوب عليهم أي ألم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (ويأخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص أي ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه

(وان الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحوبة (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أى فان عملكم لايخفى خيرا كان اوشرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم اوغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبون هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لايكلمون ولايجالسون فمالهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون مرجون لامر الله) بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجؤن غيرهم من أرجيته وارجأته اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر أمر الله فيهم (اما يعذبهم) ان اصروا ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة ابن الربيع والصابط مكة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليم) برجائهم (حكيم) فى ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة روى انه عليه السلام أمر اصحابه ان لايسلموا عليهم ولايكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا ان أحدا لاينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغير واو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى ان بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشأم وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب ان تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشأم (ضرارا) مفعول

الا الطيب وفى رواية ولايقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل واخرجه الترمذى ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى أحدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل جبل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربى الصدقات وقوله من كسب طيب اى حلال وذكر اليمين والكف فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير أو السائل أخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته فى القبول والاثابة وقوله فتربو اى تكبر يقال ربا الشئ يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر أول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وان الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم قوله عز وجل (وقل) اى قل يا محمد لهؤلاء التائبين (اعملوا) يعنى بطاعته واداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا فى العمل فى المستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعنى ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعمالكم ايضا اما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على اعمالهم واما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل فى قلوبهم من محبة الصالحين وبغض المذنبين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولايخفى عليه شئ من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) اى فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) اى مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعنى لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثانى التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم أبولبابة واصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثانى والقسم الثالث ان القسم الثانى سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فأخر الله امرهم نزلت هذه الآية فى الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستأتى قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا فى التوبة والاعتذار كما فعل ابولبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) يعنى ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعنى بما فى قلوبهم (حكيم) يعنى بما يقضى عليهم قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا) نزلت فى جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثنى عشر رجلا من أهل النفاق وديعة ابن ثابت وخزام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو سهل بن حنيف وابو حنيفة بن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان ومخرج بنوا هذا المسجد ضرارا يعنى مضارة للمؤمنين وكفرا يعنى ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا جميعا يصلون فى مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلى فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلى بهم فيه مجمع بن حارثة وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدر ما ارادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا

يارسول

يارسول الله انا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله تعالى اتينا كم فصلينا فيه وقوله سبحانه وتعالى (وارصاداً لمن حارب الله ورسوله) يعنى انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر و بنوه ارصادا يعنى انتظارا واعدادا لمن حارب الله و رسوله (من قبل) يعنى من قبل بناء هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان ابو عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ماهذا الدين الذى جئت به فقال له النبى صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال ابو عامر فانا عليها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك ادخلت فى الحنيفية ماليس منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم مافعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبى صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشأم وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى وارصادا يعنى انتظارا لمن حارب الله و رسوله يعنى اباعامر الفاسق ليصلى فيه اذا رجع من الشأم من قبل يعنى ان اباعامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعنى الذين بنوا المسجد (ان أردنا) يعنى ما اردنا ببنائه (الا الحسنى) يعنى الا الفعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة فى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم لكاذبون) يعنى فى قيلهم وحلفهم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذى اوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه و يأتيهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وماهموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن و وحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشأم غريبا وحيدا وروى ان بنى عمرو ابن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب فى خلافته فسألوه ان يأذن لمجمع بن حارثة ان يؤمهم فى مسجدهم فقال لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت فيه وانا لا أعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب الا انهم يتقربون الى الله ولم أعلم مافى أنفسهم فعذره عمر فصدقه وامره بالصلاة فى مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا فى موضع واحد مسجدين يضار أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى فى مسجد الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعنى بنى أصله ووضع اساسه على التقوى يعنى على تقوى الله عز وجل (من اول يوم) يعنى من اول يوم بنى و وضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (احق ان تقوم فيه) يعنى مصليا واختلفوا فى

له وكذا ما بعده أى مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للنفاق لانهم كانوا يصلون (وتفريقا بين المؤمنين) فأرادوا ان يتفرقوا عنه مجتمعين فى مسجد قباء (وارصادا لمن) واعدادا لاجل من (حارب الله ورسوله) وهو الراهب وتخلف كلهم (من قبل) فيه ويظهر على رسول الله اعدوه له ليصلى فيه و وقيل كل مسجد بنى مباهاة صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بنى مباهاة او رياء او سمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (من قبل) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وليحلفن) كاذبين (ان أردنا) ما أردنا ببناء هذا المسجد (الا الحسنى) الا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه أبدا) للصلاة (لمسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية فى الزمان والجواب ان من عام فى الزمان والمكان (أحق ان تقوم فيه) مصليا

المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ماروى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يارسول الله أي المسجدين اسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصى فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة اخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم أهل قباء ماروى عن ابي هريرة قال نزلت هذه الآية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم اخرجه ابوداود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على أبي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قباء ماروى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء او يأتي قباء راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يارسول الله مانعمل شيأ الا ان جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا أثر الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب ببنائه المسجد الذي بناه تقوى

الله

(فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم التطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أفمن اسس بنيانه) وضع اساس ما يبنيه (على تقوى من الله ورضوان)

الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أمّن اسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال ابو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أي هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشيء الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضربه الله للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثاني قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم بنفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤي الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار. (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) يعني شكا ونفاقا (في قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب أمر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة أي حزازة وغيظا في قلوبهم (الا أن تقطع قلوبهم) أي تجعل قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى أن يموتوا عليها (والله عليم) يعني باحوالهم وأحوال جميع عباده (حكيم) يعني فيما حكم به عليهم قوله عز وجل (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئا هو له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسا هو خلقها واموالا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزاء لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر أي قاتلوا في سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعني فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقا) يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن

خير أمّن اسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن اسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهو تقوى الله ورضوانه خير امن اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ووضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف والفه ليس بالف فاعل انما هي عينه وأصله هور فقلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه أمره أفمن اسس بنيانه أم من اسس بنيانه شامي ونافع جرف شامي وحمزة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وحمزة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانه على شفا جرف هار من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (والله لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (الا ان تقطع قلوبهم) شامي وحمزة وحفص أي تتقطع غيرهم تقطع أي الا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور او في النار ومعناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم (والله عليم) بعزائمهم (حكيم) في جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد (يقاتلون في سبيل الله) بيان محل التسليم (فيقتلون ويقتلون) أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي (وعدا عليه) مصدر أي وعدهم بذلك

أوفى بعهده من الله) يعني لا أحد أوفى بالعهد من الله (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) يعني فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به (وذلك) يعني هذا البيع (هو الفوز العظيم) لأنه رابح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فأغلى لهم قوله سبحانه وتعالى (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الأولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكأنه وعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للأول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لأن لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بأمور اربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان عرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء روى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح قال الأزهري قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الأرض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الأكل وكذلك الصائم ممسك عن الأكل وقيل أصل السياحة استمرار الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان ابن مظعون قال قلت يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لأنهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين أخلاقها لأن السائح لا بد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكعون الساجدون) يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما معظم أركانها وبهما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لأنهما حالة المصلي وغيره (الآمرون بالمعروف) يعني يأمرون الناس بالإيمان بالله وحده (والناهون عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه وأما دخول الواو في والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون

وعدا (حقا) صفته أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته (في التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فانكم تبيعون فانيا بباق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق فافرحوا به غاية الفرح فانه ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها (التائبون) رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق (الحامدون) على نعمة الاسلام (السائحون) الصائمون لقوله عليه السلام سياحة أمتي الصيام أو طلبة العلم لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه أو السائرون في الأرض للاعتبار (الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات (الآمرون بالمعروف) بالايمان والمعرفة والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر

عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الآمرون يعنى هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذى الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه (وبشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بان له الجنة وان لم يغز قوله عز وجل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) الآية واختلف اهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم والد على وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال اى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى امية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وانزل الله فى ابى طالب انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء اخرجاه فى الصحيحين وقد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن ابى طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولا قلت الذى نزل فى أبى طالب قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك مالم انه عنك كما فى الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له فى بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده واسرار كتابه (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فأبى فانزل الله انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء الآية وفى رواية قال لولا تعيرنى قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه أم دماغه وفى رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو فى ضحضاح من نار ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار وفى رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة وبريدة لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبر امه آمنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبرى بسنده عن بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظنى انه قال قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يؤذن لى فما رؤى باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزى عن بريدة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما أبكاك قال مررت بقبر أمى فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى ان أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربى ان استغفر لها

والنهى كما فى قوله ثيبات وابكارا (والحافظون لحدود الله) اوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات وهم عليه السلام ان يستغفر لابى طالب فنزل (ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) أى ما صح

فزجرت زجرا فأبكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن ازور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لأبي كما استغفر ابراهيم لأبيه فأنزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لأبي كما استغفر ابراهيم لأبيه فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز ان يطلب منه ما لا يفعله فعيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده أما قوله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) فمعناه وما كان طلب ابراهيم لأبيه المغفرة من الله الا من أجل موعدة وعدها ابراهيم اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبر ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لأبيه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لأبيه وهو مشرك لمكان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان أبا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا أسلمت وقيل ان الهاء راجعة الى الأب وذلك أن ابراهيم وعد أباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدو له فتبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فتبرأ منه والقترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة وياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة هو ذكر الضباع والانثى ذيخة

له الاستغفار في حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) أي وعد أبوه اياه ان يسلم أو هو وعد أباه ان يستغفر وهو قوله لأستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحي (له) لابراهيم (أنه) ان أباه (عدو لله) بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره

وقوله تبارك وتعالى (ان ابراهيم لأوّاه حليم) جاء في الحديث ان الأوّاه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأوّاه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأوّاه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأوّاه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوّه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوّه من النار قبل أن لا ينفع أوّه وقال عقبة بن عامر الأوّاه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوّه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأوّاه وأصله من التأوّه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوّه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوّه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب وتشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه وآتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بأبيه حين قال له لئن لم تنته لأرجمنك فأجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ليبين سبحانه وتعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا أنتم به في هذه الحالة أيضا وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فأعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعني ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدّم اليهم النهي عن ذلك الفعل فأما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد أن يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في أمر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على ضلال فأنزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شيء عليم) يعني انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عندما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من أوامره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء (يحيي ويميت) يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لأحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا أنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك

(ان ابراهيم لأوّاه) هو المتأوه شوقا وفرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حليم) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لانه كان يستغفر لابيه وهو يقول لأرجمنك (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان خطره وعلمهم بانه واجب الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أي تاب عليه باذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار

كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له وأما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلأجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى ارسل الله سحابة فمطرت فملؤا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الميل وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلأجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤف رحيم) تأكيدا لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة ولا تكاد الرأفة تكون مع الكراهة قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي

معنى

(الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الابل وعصروا كرشها وشربوه وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) اي وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهو عطف على النبي (الذين خلفوا) عن الغزو

معنى خلفوا قولان أحدهما انهم خلفوا عن توبة ابى لبابة وأصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع أبو لبابة وأصحابه فتاب الله على ابى لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثانى انهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وأما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهرى قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط اقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول فى نفسى انا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان أرتحل فأدركهم فياليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى انى لا أرى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فطفقت اتذكر الكذب وأقول بم اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما راح عنى الباطل حتى عرفت انى لن أنجو منه بشئ أبدا فأجمعت صدقه فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك

من اهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لأرجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت ان أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا أحد معي قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما انا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك بالله هل تعلم اني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت اطلقها أم ماذا افعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها قال وارسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن امية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به حركة الى شيء والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد اذن لامرأة هلال بن امية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من

أسلع قبلى واوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة و يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت امن عندك يارسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى امسك سهمى الذى بخيبر قال وقلت يارسول الله ان الله انما انجانى بالصدق وان من توبتى ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحدا من المسلمين ابلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما ابلانى الله ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لأرجو ان يحفظنى الله فيما بقى قال فأنزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا أيها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه وفى رواية ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبى ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من ان أموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى احد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة فى شأنى معتنية بأمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخارى ومسلم * شرح غريب هذا الحديث * قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل او الناقة القويان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشئ اذا اخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فأنا اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو أى تباعد ما بينى و بين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل

والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الباء لابس البياض قوله كن أبا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي لتوجد يا هذا الشخص أبا خيثمة حقيقة قوله الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث أشد الحزن كأنه لشدته يظهر قوله زاح عني الباطل أي زال وذهب عني وأجمعت صدقه أي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا أي فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني أي يلومونني أشد اللوم قوله حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف معناه تغير علي كل شئ من الارض وتوحشت علي وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فأما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط أبي قتادة أي علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرته بها أي فقصدت بالصحيفة التي أرسل بها ملك غسان فأحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أتأمم يعني أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالي أي اخرج منه جميعه وأتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت أحدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث أحسن مما ابلاني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا أطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أي انعم علي قوله ان لا أكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لا زائدة ومعناه أن أكون كذبته وقوله فأهلك هو بكسر اللام وارجاؤه امرنا تأخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطؤكم ويزدحمون عليكم وأصل الحطم الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا أي أعلم والاذان الاعلام والله أعلم قوله عز وجل (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت عليهم أنفسهم) يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعني وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ) يعني لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تأكيد لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أي وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل فيرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو التواب) يعني على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني في مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعني مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعني مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة

وهذه

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وضاقت عليهم انفسهم) أي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه) وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بعد خمسين يوما (ليتوبوا) ليكونوا من جملة التوابين (ان الله هو التواب الرحيم) عن أبي بكر الوراق انه قال التوبة النصوح ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم دون المنافقين او مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا والآية تدل على ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من

وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروى ان أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم ان تكونوا معنا ولم يأمرنا ان نكون معكم نحن الامراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله سبحانه وتعالى (ما كان لاهل المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادى من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم أولى (ان يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعنى ولا ان يرغبوا (بأنفسهم عن نفسه) يعنى ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه فى حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بأنهم لا يصيبهم) فى سفرهم وغزواتهم (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) يعنى مجاعة شديدة (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار) يعنى ولا يضعون قدما على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم (ولا ينالون من عدو نيلا) يعنى أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلا كان او كثيرا (الا كتب لهم به عمل صالح) يعنى الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن فى عمله وأطاعه فيما أمره به أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفى الآية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها سيئات الا أن يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيدا يقولون فى هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم وقال هذا هو الصحيح لانه لا تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة قالوا اذا ندبوا وعينوا لانه لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعنى فى سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى تمرة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون واديا) يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم واديا مقبلين او مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجزيهم الله) يعنى يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه بأحسن ما كانوا يعملون وقال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة افعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة للجزاء اى يجزيهم

الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله) المراد بهذا النفى النهى وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه (ولا يرغبوا) ولا ان يصونوا (بأنفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه اى لا يختاروا ابقاء انفسهم على نفسه فى الشدائد بل أمروا بان يصحبوه فى البأساء والضراء ويلقوا انفسهم بين يديه فى كل شدة (ذلك) النهى عن التخلف (بأنهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله) فى الجهاد (ولا يطؤن موطئا) ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم (يغيظ الكفار) يغضبهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يصيبون منهم اصابة بقتل أو اسر أو جرح او كسر او هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى ان المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطء ديارهم مما يغيظهم وقد اسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) اى انهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) فى سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى ارضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجزيهم الله) متعلق بكتب أى اثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (احسن ما كانوا يعملون) اى يجزيهم على كل واحد جزاء احسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لاجرهم

جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده مامن كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن ابي سعيد الخدري قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف اخرجه الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويقبلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم اذا رجعوا اليهم فذلك قوله سبحانه وتعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا ان نفعله وأخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام وينذروهم النار ويبشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبتغون الخير وقعد طائفة (ليتفقهوا في الدين) ليسمعوا ما انزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان

المؤمنون

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة) اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح لأدائه الى المفسدة (فلولا نفر) فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة) أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا مرمى همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم (اذا رجعوا اليهم) دون الاغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس (لعلهم يحذرون) ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فأمروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه

المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا اخرى فذلك قوله سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الآية فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وتقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فأصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طائفة وقعدت طائفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني بأسه ونقمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على انه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم بأحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية وفرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة أخرجه أبو داود الآية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها أو ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشأم والشأم أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلوهم حتى فرغوا منهم فأمروا بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية ونقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزو الروم في الشأم فكان فتح الشأم في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابعد وقوله سبحانه وتعالى (وليجدوا فيكم غلظة) يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا ان الله مع المتقين) يعني بالعون والنصرة قوله عز وجل (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) يعني واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه يعني السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شئ الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا أقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار

والاعتراف

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقربون منكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وعنفا في القتال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما أنزلت سورة) ما صلة مؤكدة (فمنهم) من المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) يقينا وثباتا وخشية وايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا

والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان فى أول سورة الانفال (وهم يستبشرون)
يعنى أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيأ بعد شئ لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد
الثواب فى الآخرة وكما تحصل الزيادة فى الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة فى الكفر
وهو قوله سبحانه وتعالى (واما الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق سمى الشك فى الدين مرضا لانه
فساد فى القلب يحتاج الى علاج كالمرض فى البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتهم) يعنى السورة من
القرآن (رجسا الى رجسهم) يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما جحدوا نزول سورة واستهزؤا بها ازدادوا
كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه أقبح الاشياء واصل الرجس فى اللغة الشئ المستقذر
(وماتوا) يعنى هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عزوجل على رسوله صلى
الله عليه وسلم قال مجاهد فى هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من
أصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء
فى القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمعة
سوداء فى القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن
لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود قوله سبحانه وتعالى (أولا يرون) قرئ ترون
بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين فى قوله فى قلوبهم مرض
(انهم يفتنون) يعنى يبتلون (فى كل عام مرة أو مرتين) يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالقحط والجدب
وقيل بالغزو والجهاد وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون
وقيل انهم ينقضون عهدهم فى السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعنى من النفاق ونقض العهد ولا
يرجعون الى الله (ولاهم يذكرون) يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين
(واذا ما أنزلت سورة) يعنى فيها عيب المنافقين وتوبيخهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب
يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعنى هل احد من المؤمنين يراكم ان قمتم من مجلسكم فان لم
يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا ان أحدا يراهم من المؤمنين أقاموا ولبثوا على تلك الحال (ثم
انصرفوا) يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى يسمعون فيها ما يكرهون
(صرف الله قلوبهم) يعنى عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون)
يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شيأ فيه نفعهم قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)
هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد
اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبى صلى الله عليه
وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبرى وذكر
البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح أهل
الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على
ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد
ولدت النبى صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرها وربيعها ويمانها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن
عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانية فان آمنة لها نسب
فى الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا القول
يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان به فانه تم شرفهم
بشرفه وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف
وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم

بما اتصلا (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (واما الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد فى البدن (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) واخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أولا يرون) يعنى المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين (انهم يفتنون) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا هم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او واذا ما أنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ان قمتم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبى عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول) محمد عليه السلام (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم

وافضلكم (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فقالوا مثلك كمثل نخلة في كدية من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فحمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله سبحانه وتعالى (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا أحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعني فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفيني الله وينصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه أو يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روى عن أبي بن كعب انه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من نفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الا آيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله ارى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه

السورة

(عزيز عليه ما عنتم) شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على ايمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض اليه امورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت امري اليه (وهو رب العرش) هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب جل وعز عن ابي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية

(سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) ونحوه ممال حمزة وعلي وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدي (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة

السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفيه قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل القرآن حكاه الطبري عن قتادة وروى عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الآيات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الآيات حروف الهجاء التي منها الر سميت آيات لانها افتتاح السور وسر القرآن (الحكيم) يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكوم فيه فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يعمل الحكمة والصواب فمن حيث انه يدل على الاحكام صار كأنه هو الحكيم في نفسه قوله سبحانه وتعالى (أكان للناس عجبا) قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قال الله أعظم من ان يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله سبحانه وتعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال سبحانه وتعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا الآية والهمزة في أكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون عجبا (ان أوحينا الى رجل منهم) والعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعتري الانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا أهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من أهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وأمانته (أن أنذر الناس) يعني خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال أبو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء قال حسان بن ثابت

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث وأبو الهيثم القدم السابق والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابة * لهم قدم معروفة ومفاخر

والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

(الحكيم) ذي الحكمة لاشتماله عليها او المحكم عن الكذب والاختلاف (أكان للناس عجبا) الانكار والتعجب والهمزة فيه للانكار والتعجب منه (ان اوحينا) اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا (الى رجل منهم ان انذر الناس) بان انذر او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا ان لهم) بان لهم ومعنى اللام في للناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافتها الى الصدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق او سبق

صل لذي العرش واتخذ قدما * تنجيك يوم العثار والزلل

وقوله سبحانه وتعالى (قال الكافرون ان هذا السحر) مبين وقرئ لساحر (مبين) وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر ان يحصل مثلها ومن قرأ السحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف بما فيه كفاية وقوله سبحانه وتعالى (يدبر الامر) قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الامور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها وقيل انه سبحانه وتعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه سبحانه وتعالى يدبر أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته (ما من شفيع الا من بعد اذنه) يعني لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يسأله ما ليس له به علم فاذا أذن له في الشفاعة كان له ان يشفع في من يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيامة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه لا يشفع أحد عنده الا باذنه لان له التصرف المطلق في جميع العالم (ذلكم الله ربكم) يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبرها هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه (فاعبدوه) أي فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما أنعم عليكم من النعم العظيمة (أفلا تذكرون) يعني أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله سبحانه وتعالى (اليه مرجعكم جميعا) يعني الى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا أيها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع (وعد الله حقا) يعني وعدكم الله ذلك وعدا حقا (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فانه قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الآية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلاء فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة أخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للطيع والعقاب للعاصي وهو قوله سبحانه وتعالى (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) يعني بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا لهم شراب من حميم) هو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء) يعني ذات ضياء (والقمر نورا) يعني ذا نور واختلف أصحاب الكلام في ان الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل او قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز أو اكتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل

السعادة (قال الكافرون ان هذا) الكتاب (لسحر مبين) مدني وبصري وشامي ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) أي استولى فقد تقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يدبر) يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة (الامر) أي أمر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السموات والارض والاستواء على العرش اتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج أمر من الامور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (ما من شفيع الا من بعد اذنه) دليل على عزته وكبريائه (ذلكم) العظيم الموصوف بما وصف به (الله ربكم) وهو الذي يستحق العبادة (فاعبدوه) وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (أفلا تذكرون) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجود المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (اليه مرجعكم جميعا) حال أي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزي أي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم او بقسطهم أي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا اذ الشرك ظلم ان الشرك لظلم عظيم وهذا اوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) ولوجه كلامي (هو الذي جعل الشمس ضياء) الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقلبها قنبل همزة لانها الحركة أجل (والقمر نورا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وقدره) وقدر القمر أي وقدر مسيره (منازل) او وقدره ذا منازل

اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهى الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى

* اذا لسعته النحل لم يرج لسعها *

أى لم يخفه يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه يهديهم ربهم لدينه أى بتصديقهم هداهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من اعالى اسرتهم وقصورهم فهو كقوله سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بأمرهم (فى جنات النعيم) يعنى ذلك لهم فى جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء ونقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة فى كل صحيفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل

كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور الا ملتبسا (بالحق) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار) فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر أو فى اختلاف لونيهما (وما خلق الله فى السموات والارض) من الخلائق (لآيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق او لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب ان يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك مأواهم النار) فأولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منج حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح (فى جنات النعيم) متعلق بتجرى أو حال من الانهار (دعواهم فيها سبحانك اللهم) اى دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك اى يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة

ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله سبحانه وتعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله وولده بما يكره ان يستجاب له فيه (استعجالهم بالخير) يعني كاستعجالهم بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضي اليهم اجلهم) يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضاء آجالهم ولهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله سبحانه وتعالى (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعني في تمردهم وعتوهم (يعمهون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) أي على جنبه مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قاعدا او قائما وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضر مسه) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

(وتحيتهم فيها سلام) أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو هي تحية الملائكة اياهم وأضيف المصدر الى المفعول او تحية الله لهم (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح (أن الحمد لله رب العالمين) ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله رب العالمين والضمير للشأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدؤن بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما ارادوا (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد اهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء اي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضي اليهم اجلهم) لأميتوا واهلكوا ولقضى اليهم اجلهم شامي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) اصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) اي دعا الله لازالته (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين اى (أو قاعدا أو قائما) عليه أي دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعا عاجزا عن النهوض او قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) ازلنا ما به (مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر

الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد فى كل شئ وانما سمى الكافر مسرفا
لانه اتلف نفسه وضيعها فى عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه
على الاصنام وسدنتها يعنى خدامها وقال ابن جريج فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من
الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من
قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء
والرخاء فاذا مسه الضر اقبل على الدعاء والتضرع فى جميع حالاته مجتهدا فى الدعاء طالبا من الله ازالة
ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولا وهذه
حالة الغافل الضعيف اليقين فاما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلاء شاكرا لله عند
الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء فى جميع أوقات الراحة والرفاهية وهاهنا مقام أعلى من هذا وهو
ان المؤمن اذا ابتلى ببلية او نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب
عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل فى جميع أحواله لعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك
على الاطلاق حكيم فى جميع افعاله وله التصرف فى خلقه بما يشاء و يعلم ان ابقاءه على تلك المحنة فهو
عدل وان ازالها عنه فهو فضل قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعنى اهلكنا
الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعنى لما اشركوا (وجاءتهم رسلهم
بالبينات) يعنى فكذبوهم (وما كانوا ليؤمنوا) يعنى هذه الامم برسلهم و يصدقوهم بما جاؤا به من
عند الله (كذلك نجزى القوم المجرمين) يعنى كما أهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك
نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم)
الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفاء
فى الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعنى خيرا أوشرا فنعاملكم
على حسب أعمالكم والنظر ههنا بمعنى العلم يريد لنختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال أهل
المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله سبحانه وتعالى اظهار العدل لانه سبحانه وتعالى
يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ليبلوكم أيكم
احسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه
مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله سبحانه وتعالى (واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات) يعنى واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات
يعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى قال هؤلاء المشركون
الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث
فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (ائت بقرآن غير هذا او بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال
مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أبى امية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن
أبى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن
بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك
فقل أنت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال
حراما قال الامام فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما انهم
ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لو جئتنا بقرآن غير هذا القرآن لآمنا بك وغرضهم
السخرية والاستهزاء الثانى ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا
انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا او بدله يحتمل

(ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة
(لما ظلموا) اشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو
فى (وجاءتهم رسلهم) للحال اى ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم (بالبينات) بالمعجزات
(وما كانوا ليؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان
الله علم منهم انهم يصرون على كفرهم وهو
عطف على ظلموا او اعتراض واللام لتأكيد
النفى يعنى ان السبب فى اهلاكهم تكذيبهم
للرسل وعلم الله انه لا فائدة فى امهالهم بعد ان
الزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك
الجزاء يعنى الاهلاك (نجزى القوم المجرمين)
وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم
خلائف فى الارض من بعدهم) الخطاب للذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اى استخلفناكم
فى الارض بعد القرون التى اهلكناها (لننظر
كيف تعملون) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرا
فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل
النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام
فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله والمعنى انتم بمنظر
منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم
ام الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا حلوة
خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) حال
(قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما فى
القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل
الطغيان (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه
ما يغيظنا من ذلك نتبعك (او بدله) بان تجعل
مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة
وذم عبادتها فأمر بان يجيب عن التبديل لانه
داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان
آية عذاب آية رحمة وان يسقط ذكر الآلهة

ان يأتى بقرآن آخر مع وجود هـذا القرآن والتبـديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله ان يجيبهم بقوله (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى) يعنى ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وما ينبغى لى ان اغيره من قبل نفسى ولم أومر به (ان أتبع الا ما يوحى الى) يعنى فيما آمركم به أو أنهاكم عنه وما أخبركم الا ما يخبرنى الله به وان الذى أتيتكم به هو من عند الله لا من عندى (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) أى قل لهم يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك ان يعذبنى بعـذاب عظيم فى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت قوله سبحانه وتعالى (قـل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى لو شاء الله لم ينزل على هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) قال ابن عباس ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) يعنى فقد مكثت فيكم قبل ان يوحى الى هذا القرآن مدة أربعين سـنة لم آتكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه كان أميا لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحى وذلك أربعون سنة ثم بعد الاربعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الاحكام والآداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز البلغاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هـذا لم يحصل الا بوحى من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعنى ان هـذا القرآن من عند الله أوحاه الى لا من قبل نفسى (ق) عن ابن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفى وهو ابن خمس وستين أخرجاه فى الصحيحين (م) عن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخرجه مسلم ق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجـل انزل عليه الوحى وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحى وبالمدينة عشرا وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء أخرجاه فى الصحيحين قال الشيخ محيى الدين النووى ورد فى عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات أحدها انه صلى الله عليه وسلم توفى وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها واشهرها رواه مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقى عليه فرواية ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس متأولة أيضا بأنه حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعنى صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعنى نور الملائكة او نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه بالوحى من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة قوله عز وجل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعنى فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى انى لم افتر على الله كذبا ولم أكذب عليه فى قولى ان هـذا القرآن من عند الله وأنتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله تعالى منزه عن الشريك والولد وقيـل معناه ان هـذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد فى الدنيا أظلم على نفسه منى من حيث انى افتريته على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله أوحاه الى وجب ان يقال ليس أحد فى الدنيا

بقوله (قل ما يكون لى) ما يحل لى (ان ابدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (ان اتبع الا ما يوحى الى) لا اتبع الا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فابدله (انى أخاف ان عصيت ربى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة واما الاتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا انهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل ان يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحى لقوله انى أخاف ان عصيت ربى عـذاب يوم عظيم وغرضهم فى هـذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن فيه انه من عندك وانك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعنى ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التى لا يعلمها الا الله (ولا أدراكم به) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى فقد اقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الا من عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قوله ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله فى انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء

اجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني جحد بكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد (انه لا يفلح المجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع وان العبادة أعظم انواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا بأهل ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا أراد نفي شئ حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) يعني فتفرقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا أولا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في أول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة أجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكلبي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضي بينهم) يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا فأدخل المؤمنين الجنة بأعمالهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤاخذ أحدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن أخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار

(أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان ان
الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر
سواء (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون
الله مالا يضرهم) ان تركوا عبادتها (ولا
ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) اى
الاصنام (شفعاؤنا عند الله) أى في أمر الدنيا
ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون بالبعث واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت او يوم القيامة
ان يكن بعث ونشور (قل اتنبئون الله بما لا يعلم)
أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس
بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع
المعلومات لم يكن شيئا وقوله (في السموات
ولا في الارض) تأكيد لنفيه لان مالم يوجد
فيهما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون)
نزه ذاته عن ان يكون له شريك وبالتاء حمزة
وعلى وما موصولة او مصدرية أى عن الشركاء
الذين تشركونهم به او عن اشراككم (وما كان
الناس الا أمة واحدة) حنفاء متفقين على ملة
واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد
آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد
الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
(فاختلفوا) فصاروا مللا (ولولا كلمة سبقت من
ربك) وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضى
بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا
فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة
وهي ان هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار
ثواب وعقاب (ويقولون

مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) يعنى هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات (فقل) أى فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعنى ان الذى سألتمونيه هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو (فانتظروا) يعنى نزولها (انى معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل انى معكم من المنتظرين قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعنى رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعنى من بعد شدة وبلاء وضيق فى العيش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذا لهم مكر فى آياتنا) قال مجاهد أى تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب أخرجاه فى الصحيحين قوله على اثر سماء كانت من الليل أى مطر كان قد وقع فى الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والانواء عند العرب هى منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون فى الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فمن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه ناء أى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى النبى عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير واما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من أسند ذلك الى العادة التى يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وحرمه قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشئ عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد (قل الله أسرع مكرا) أى قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة وأشد أخذا واقدر على الجزاء وان عذابه فى هلاككم اسرع اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعنى الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجازوا على مكرهم قوله تعالى (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يعنى هو الله الذى يسيركم يعنى يحملكم فى البر على ظهور الدواب وفى البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادى لكم فى السير فى البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيئ لكم أسباب السير فى البر والبحر (حتى اذا كنتم فى الفلك) يعنى السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديراهما مختلفان فان اريد بها الواحد كان كبناء قفل وان اريد به الجمع كان كبناء أسد والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) يعنى وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات فى الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعنى وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوا بها) يعنى وفرح ركبان الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك (جاءتها ريح عاصف) قيل الضمير فى جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة

قاقلبتها

لولا أنزل عليه آية من ربه) أى آية من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) اى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات (واذا اذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) يعنى القحط والجوع (اذا لهم مكر فى آياتنا) أى مكروا بآياتنا بدفعها وانكارها روى انه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أى وان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وانما قال (قل الله أسرع مكرا) ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة المفاجأة دلت على ذلك كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء (ان رسلنا) يعنى الحفظة (يكتبون ما تمكرون) اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هو الذى يسيركم فى البر والبحر) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حتى اذا كنتم فى الفلك) أى السفن (وجرين) أى السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوا بها) بتلك الريح للينها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك او الريح الطيبة أى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب

فأقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه اراد به ذو عصوف أولان لفظ الريح قد يذكر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا انهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين أي وايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله مخلصين له الدين) يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحدا سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا الاخلاص الايماني لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء اخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزاد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لا يتهيأ الا أياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المأمون يتمثل به فقال

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة * فارجع فخير مقال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه واسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فننبئكم) أي فنخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعني في فنائها وزوالها (كماء أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به) أي بالمطر (نبات الارض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعني من الحبوب والثمار (والانعام) يعني ومما يأكل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الارض (انهم قادرون عليها) يعني على حصادها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة (أتاها أمرنا) أي قضاؤنا بهلاكها (ليلا أو نهارا) يعني في الليل او النهار (فجعلناها حصيدا) يعني محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض وأصله من غني فلان بالمكان اذا أقام به وهو مثل ضربه الله سبحانه

(وجاءهم الموج) هو ما علا على الماء (من كل مكان) من البحر او من جميع أمكنة الموج (وظنوا انهم أحيط بهم) اهلكوا وجعل احاطة العدو بالحي مثلا في الاهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه) الاهوال او من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن بالهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق) باطلا أي مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (متاع الحياة الدنيا) حفص اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر لبغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم او هو خبر ومتاع خبر بعد خبر او متاع خبر مبتدا مضمر أي هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ومن نكث فانما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) فنخبركم به ونجازيكم عليه (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الارض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس) يعني الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) زينتها بالنبات واختلاف الوانه (وازينت) وتزينت به وهو اصله وادغمت التاء في الزاي وهو كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين (وظن اهلها) اهل الارض

(انهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أتاها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم انه قد سلم (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كان لم يغن

وتعالى للمتشبثين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الآخرة لان النبات في أول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشئ وجعلت الارض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الأرض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى أتته آفة فتلف بالكلية ثم ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفنا كم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه انه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل يوصف بالسلام بمعنى ذي السلام أي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها وتسلم الملائكة عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها يفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كان جبريل عليه السلام عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه نضرب له مثلا قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين شهدوا

زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فينتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه والتنبيه على حكمة التشبيه ان الحياة صفوها شيبتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء في اعلى الاناء قال

ألم تر ان العمر كاس سلافة * فأوله صفو وآخره كدر

وحقيقته تزيين حشة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاثم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فترى اهله الحياة مغترا كما يهيج النبات مصفرا وتغيب جثته في الرمس كأن لم تغن بالامس الى ان يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما راد كما لا بد من أخذ الزاد وآخذ المال لا يخلو من زلة كما ان خائض الماء لا يخلو من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فادون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز والجواز الى المفاز لا يمكن الا بقنطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلات فتى اختلت القنطرة غرقته امواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد كما ان الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما ان الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف (والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها او السلام السلامة لان أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما (ويهدي من يشاء) ويوفق من يشاء (الى صراط مستقيم) الى الاسلام او طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (للذين أحسنوا) آمنوا بالله ورسله (الحسنى) المثوبة الحسنى ان

أن لا إله إلا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانباري الحسنى في اللغة تأنيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء اعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على ان المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والالزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى ومما يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فأثبت لاهل الجنة أمرين أحدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الرؤية لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بأن الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله في الآخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه بان المزيد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين

وهي الجنة (وزيادة) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبي موسى الاشعري وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما أعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مرفوع قد اورده صاحب المصابيح في الصحاح وقيل الزيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله

فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية بانه معارض بقول جماعة من المفسرين بأن الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ماروي عن علي بن أبي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب القول الثالث ان الحسنى الحسنة واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يغشى وجوه أهل الجنة (قتر) أي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولا ذلة) يعني ولا هوان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبدا قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أعد لهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازي عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) يعني كأنما ألبست وجوههم سوادا من الليل المظلم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم جميعا) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسئلوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعني أنتم أيها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فزيلنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالكائن الآن قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم اولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم ايانا تعبدون) تبرأ المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم اويبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله وأحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب اوسنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد

ورضوان (ولا يرهق وجوههم) ولا يغشى وجوههم (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا) عطف على للذين أحسنوا أي وللذين كسبوا (السيئات) فنون الشرك (جزاء سيئة بمثلها) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والتقدير جزاء سيئة مقدرة بمثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أي لا يعصمهم احد من سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) أي جعل عليها غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلي من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه اغشيت لان من الليل صفة لقطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة او معنى الفعل في من الليل (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم) أي الكفار وغيرهم (جميعا) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا (وقال شركاؤهم) من عبدوه من دون الله من أولي العقل او الاصنام ينطقها الله عز وجل (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله اندادا فأطعتموهم وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن

تكون في يوم القيامة ساعة تكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم اياها من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك اما قوله سبحانه وتعالى (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) فهو كالتتمة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام او ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلو قراآت قرئ بتاءين ولها معنيان أحدهما انه من تلا اذا تبعه أي تتبع كل نفس ما أسلفت لأن العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب او العقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلو بالتاء المثناة والباء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت يعني انه ان قدم خيرا أو شرا اقدم عليه وجوزي به (وردوا الى الله مولاهم الحق) الرد عبارة عن صرف الشئ الى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولي أمرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (أم من يملك السمع والابصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة (ومن يدبر الامر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني انهم يعترفون ان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك (فقل) أي قل لهم يا محمد (أفلا تتقون) يعني افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا (فأنى تصرفون) يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) أي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال (حقت) أي وجبت (كلمة ربك) في الازل (على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأنى تؤفكون) يعني فأنى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أي قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعني هل من هذه الاصنام من يقدر على ان

كيف هو اقبيح ام حسن أنافع أم ضار أمقبول ام مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت تتلو حمزة وعلي أي تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر كذا عن الاخفش (وردوا الى الله مولاهم الحق) ربهم الصادق في ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شئ (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسيقولون الله) فسيجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلا تتقون) الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أي من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أي لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمة ربك) كلمات شامي ومدني أي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الايمان أو حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل أي لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكرتم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على ان فيهم من يقر بالاعادة او يحتمل اعادة غير البشر

يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك (قل) أي قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعني أن الله هو الذي يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى) يعني ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا تتصور هدايتها ولا ان تهدى فكيف قال الا ان يهدى قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا ان تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالله سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره وقوله سبحانه وتعالى (فما لكم كيف تحكمون) قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم أي شئ لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على أي حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بئسما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أكثرهم الا ظنا) يعني وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) يعني ان الشك لا يغني من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وقيل في الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعني انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئا (ان الله عليم بما يفعلون) يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعني وما كان ينبغي لمثل هذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي يأتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فأخبر الله عز وجل ان هذا القرآن وحي أنزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكد هذا بقوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) يعني ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التي أنزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله أنزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لا ريب فيه من رب العالمين) يعني ان هذا القرآن لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه)

كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا تدعهم مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدى) يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلي أمن لا يهدي بمعنى يهتدي لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكي وشامي وورش وباشمام الهاء فتحة أبو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله فادغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وبسكون الهاء وتشديد الدال مدني غير ورش والمعنى ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله احد يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي الى الحق أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حالة الى ان يجعله حيا ناطقا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله (وما يتبع أكثرهم) في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الا ظنا) بغير دليل وهو اقتداؤهم باسلافهم ظنا منهم انهم مصيبون (ان الظن لا يغني من الحق) وهو العلم (شيئا) في موضع المصدر أي اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) اي افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام ان يكون مثله في علو أمره واعجازه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لا ريب فيه من رب العالمين) داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه يعني

لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أم يقولون افتراه) بل ايقولون اختلقه (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) انتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية

(وادعوا من استطعتم من دون الله) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به) بالنبى او بالقرآن أى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه او يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين او المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم (فقل لى عملى) جزاء عملى (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك)

ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى

يعنى ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو أى ويقولون افتراه (قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعنى بسورة شبيهة به فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلى فى الفصاحة والبلاغة فان قلت قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا فى نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعنى من انسان امى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه فى عدم الكتابة والقراءة واما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أى فأتوا بسورة تساوى سور القرآن فى الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعنى ان السورة فى نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعنى وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعنى القرآن أى كذبوا بما لم يعلموه قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم لما سمعوا ما فى القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروها لجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم تأويله) يعنى انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤل اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تأويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذبت الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن (وربك أعلم بالمفسدين) يعنى الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعنى وان كذبك قومك يا محمد (فقل) أى فقل لهم (لى عملى) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعنى الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) قيل المراد منه الزجر والردع وقال مقاتل والكلبى هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفأنت تسمع الصم) يعنى كما انك لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذا لم ينتفعوا بما سمعوا وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بأبصارهم الظاهرة (أفأنت تهدى العمى) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدى من سلبته البصر

ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الآية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظلما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعني كأنهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا بأعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) يعني من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسر لانه آثر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذاك (أو نتوفينك) قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فالينا مرجعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الاسلام الى الله والى طاعته والايمان به (فاذا جاء رسولهم) في هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما انه في الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى أرسل الى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا رسلهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسلهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسلهم والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار

الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) اتحسب انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ولكن الناس حمزة وعلي أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياء حفص (كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كأن لم يلبثوا حال منهم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم ويتعارفون بينهم حال بعد حال او مستأنف على تقدير هم يتعارفون بينهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (او نتوفينك) قبل عذابهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أي واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (ولكل أمة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبين او ولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بالقسط (وهم لا يظلمون) لا يعذب أحد بغير ذنبه ولما قال واما نرينك بعض الذي نعدهم أي من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (ويقولون متى

متى هذا الوعد) يعنى الذى تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تعدوننا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت وأتباعك يا محمد أو ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا) يعنى لا أملك لنفسى دفع ضر وجلب نفع ولا أقدر على ذلك (الا ما شاء الله) يعنى أن أقدر عليه وأملكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعيين الوقت الى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذى وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أى مدة مضروبة ووقت معين (اذا جاء أجلهم) يعنى اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعنى لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذى أجل لهم ولا يتقدمونه (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا) يعنى ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أو نهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك (أثم اذا ما وقع) يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع (آمنتم به) يعنى آمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع (آلآن) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلآن تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال قوله سبحانه وتعالى (ويستنبئونك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اى وربى) اى قل لهم يا محمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لا شك فيه (وما أنتم بمعجزين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى اشركت (ما فى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسروا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد ولهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بأن يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب الظالم (ألا ان لله ما فى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفتدى به من عذاب يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو أيضا ملك لله فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (ألا ان وعد الله حق) يعنى ما وعد الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصى حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى حقيقة ذلك (هو يحيى ويميت) يعنى الذى

متى هذا الوعد) أى وعد العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبى والمؤمنين (قل) يا محمد (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فاذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذى تستعجلونه (بياتا) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون (او نهارا) وانتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) اى من العذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فأى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أثم اذا ما وقع) العذاب (آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (آلآن) على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذيبا واستهزاء الان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل الآن (ذوقوا عذاب الخلد) اى الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (احق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اى وربى) نعم والله (انه لحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما انتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس اى ولو ان لكل نفس ظالمة (ما فى الارض) فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما

رأوا العذاب) واظهار وهامس قولهم اسر الشئ اذا اظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فأسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين
والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (الا ان لله ما فى السموات والارض)

ملك ما فى السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شئ مما اراد (واليه ترجعون) يعنى بعد الموت للجزاء قوله عز وجل (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبرى قد جاءتكم موعظة من ربكم يعنى القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما فى الصدور) يعنى ان القرآن ذو شفاء لما فى القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع فى بدن الانسان لمكان القلب فيه (وهدى) يعنى وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء فى بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى (فبذلك فليفرحوا) اشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء فى قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر

* فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى *

فالفاء فى قوله فاجزعى زائدة وقال صاحب الكشاف فى معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به أحق منهما والفرح لذة فى القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا أدركت المأمول ولذلك اكثر ما يستعمل الفرح فى اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته اى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه (هو خير مما يجمعون) يعنى من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعانى فى هذه الآية وأما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه فى قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن فعلى هذا الباء فى بفضل الله تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق) يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما فى الارض بالانزال لان جميع ما فى الارض من ماخير ورزق فانما هو من بركات السماء (فجعلتم منه) يعنى من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعنى ما حرموه على أنفسهم فى الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (قل آلله أذن لكم) يعنى قل لهم يا محمد آلله اذن لكم فى هذا التحريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعنى بل انتم كاذبون على الله فى ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعنى اذا لقوه يوم القيامة أيحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع

وكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله (الا ان وعد الله) بالثواب أو بالعذاب (حق) كائن (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت) هو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره (واليه ترجعون) والى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التى تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما فى القرآن من الاوامر والنواهى داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذ الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى (وشفاء لما فى الصدور) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد (بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام فى الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى فلتفرحوا يعقوب (قل أرأيتم) اخبرونى (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بأنزل او بأرأيتم اى اخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا والارزاق تخرج من الارض ولكن لما نيطت اسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تنبت الارض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضيف انزالها الى السماء (قل آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه (أم على الله تفترون) أم انتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه أو الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقرير للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الاحكام والوعيد

والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعنى ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) يعنى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله سبحانه وتعالى (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذى يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ما شأن فلان أى ما حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذى فى هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد فى شأن يريد من اعمال البر وقال الحسن فى شأن من شؤن الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعنى قصد الشئ وما تتلو منه من قرآن اختلفوا فى الضمير فى منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شؤنه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله تعالى وما تكون فى شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره فى قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلو من القرآن من قرآن يعنى من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير فى منه راجع الى الله والمعنى وما تتلو من الله من قرآن نازل عليك واما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين فى ذلك الخطاب ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون فى الخطابين الاولين وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعنى شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وهو شاهد عليه (اذ تفيضون فيه) يعنى انه سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون فى ذلك العمل والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانبارى معناه اذ تدفعون فيه وتبسطون فى ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنتشرون فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا انتشروا فيه (وما يعزب عن ربك) يعنى وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العزوب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعنى وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهى خفيفة الوزن جدا (فى الارض ولا فى السماء) فان قلت لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن تقدم على الارض كما فى سورة سبأ الا انه لما ذكر فى هذه الآية شهادته على اهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء فى هذا الموضع لهذه الفائدة (ولا أصغر من ذلك) يعنى من الذرة (ولا اكبر) يعنى منها (الا فى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ قوله سبحانه وتعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم اننا نحتاج أولا فى تفسير هذه الآية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولى فنقول اختلف العلماء فى من يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم

وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول أحد فى شئ جائز أو غير جائز الا بعد ايقان واتقان والا فهو مفتر على الديان (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) ينسبون ذلك اليه (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه اى أى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وما تكون فى شأن) ما نافية والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وما تتلو منه) من التنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او من الله عز وجل (ولا تعملون) انتم جميعا (من عمل) اى عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصى عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من افاض فى الامر اذا اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاى على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر) رفعهما حمزة على الابتداء والخبر (الا فى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (الا ان اولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه او هم المتحابون فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها او هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم) اذا خاف الناس (ولا هم يحزنون) اذا حزن الناس

ولا اموال يتقاطعونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لايخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه ابوداود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لاظل الاظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيدا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا أن الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ماعلى المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ماافترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ماوردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل مانهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لاخوف عليهم يعني في الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شئ فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا لاتخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شئ ولا يحزن على شئ لان مقام الولاية والمعرفة يمنعه من أن يخاف أو يحزن واما قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله وقوله سبحانه وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ماسألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ماسألني عنها احد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة

يراها

(الذين آمنوا) منصوب باضمار اعني اولانه صفة لاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هم الذين آمنوا (وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي (لهم البشرى في الحياة الدنيا) مابشر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهذا لان مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة وكان في ستة اشهر منها يؤمر في النوم بالانذار وستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزأ أوهي محبة الناس له والذكر الحسن أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه في الجنة (وفي الآخرة) هي الجنة

يراها المسلم او ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب و رؤيا المؤمن جزء من ستة وار بعين جزأ من النبوة لفظ البخارى ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان و رؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول انا اذا حملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى فى قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله فى القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولى رؤيا او رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولى قال الخطابى فى هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزأ من أجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لا أنها جزء من النبوة وقال الخطابى وغيره فى معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة أقام النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى فى المنام الوحى فهى جزء من ستة وأربعين جزأ وقيل ان المنام لعله أن يكون فيه اخبار بغيب وهو احد مراتب النبوة وهو يسير فى جانب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب أبدا فاذا وقع لاحد فى المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزأ من النبوة لا أنه نبى واذا وقع ذلك لاحد فى المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل فى تفسير الآية ان المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا هى الثناء الحسن وفى الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روى عن أبى ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيى الدين النووى قال العلماء معنى هذا البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل للبشرى المؤخرة له فى الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول فى الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقتادة فى تفسير البشرى هى نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشرى فى الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفى الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هى ما بشر الله به المؤمنين فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى (لا تبديل لكلمات الله) يعنى لا خلف لوعد الله الذى وعد به أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعنى ما وعدهم به فى الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جميعا) يعنى ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى فى آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز

(لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كانه قيل مالى لا أحزن فقيل ان العزة (لله) ان الغلبة والقهر فى ملكه لا يملك أحد شيأ منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن أنا ورسلى انا لننصر رسلنا وبه تتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك واهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير ان العزة مقول الكفار (جميعا)

الله اياهم فثبت بذلك ان العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله سبحانه وتعالى ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) لأقوالكم ودعائكم (العليم) بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية قوله سبحانه وتعالى (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض) ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان لله ما في السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظة ما تدل على ما لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين يدل على ان الله عز وجل يملك جميع من في السموات ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظة ما استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة له (وان هم الا يخرصون) يعني ان هم الا يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم واسباب معايشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

فأضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا ضياء قوله تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغني) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غني عنها (له ما في السموات وما في الارض) يعني انه مالك ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محدثهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا تجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا (لا يفلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام

حال (هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض) يعني العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق ان لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) ما نافية أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال (ان يتبعون الا الظن) الا ظنهم انهم شركاء الله (وان هم الا يخرصون) يحزرون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع متدبر معتبر (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هو الغني) علة لنفي الولد لانه انما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل امارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي ان يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج الى الغير فكان حادثا فاستحال القديم ان يكون له ولد (له ما في السموات وما في الارض) ملكا ولا تجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة

يعني

يعني قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى بكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله قصتهم وانه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قابيل (ان كان كبر) يعني ثقل (عليكم مقامي) يعني فيكم (وتذكيري بآيات الله) يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت) يعني فهو حسبي وثقتي (فأجمعوا أمركم) يعني فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من أمركم شيئا الا احضرتموه (وشركاءكم) يعني وادعوا شركاءكم يعني آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) يعني لا يكن أمركم عليكم خفيا مبهما ولكن ليكن أمركم ظاهرا مكشوفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس (ثم اقضوا) ثم امضوا (الي) بما في أنفسكم من مكروه وما توعدوني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما أنتم قاضون (ولا تنظرون) أي ولا تؤخروني ولا تمهلوني بعد اعلامكم اياي ما أنتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم علما منه بانهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه (فان توليتم) يعني فان أعرضتم عن قولي وقبول نصحي (فما سألتكم من أجر) يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان أقوى تأثيرا في النفس (ان أجري الا على الله) أي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله (وأمرت أن أكون من المسلمين) يعني أني أمرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه أم لم تقبلوه وقيل معناه وأمرت ان أكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعني فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجيناه ومن معه في الفلك) يعني في السفينة (وجعلناهم خلائف) يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر أمر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعني من بعد نوح (رسلا الى قومهم) لم يسمهم من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل (فجاؤهم بالبينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي

(متاع في الدنيا) أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به (ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد) المخلد (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (واتل عليهم) واقرأ عليهم (نبأ نوح) خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أي خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما ومقامي (وتذكيري بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فعلى الله توكلت) أي فوضت أمري اليه (فأجمعوا أمركم) من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو بمعنى مع أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أو ملتبسا في خفية والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به (ثم اقضوا الي) ذلك الامر الذي تريدون بي أي أدوا الي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم (ولا تنظرون) ولا تمهلوني (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكيري ونصحي (فما سألتكم من أجر) فاوجب التولي أو فما سألتكم من أجر فما نبى ذلك بتوليكم (ان أجري الا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم الا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم الديني (وأمرت ان أكون من المسلمين) من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان أجري بالفتح مدني وشامي وأبو عمرو وحفص (فكذبوه) فداموا على تكذيبه (فنجيناه) من الغرق (ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق في السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح عليه السلام (رسلا الى قومهم) أي هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم

تدل على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزجرهم ماجاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب قوله عز وجل (ثم بعثنا من بعدهم) يعنى من بعد الرسل (موسى وهارون الى فرعون وملئه) يعنى أشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن الايمان بما جاء به موسى وهارون (وكانوا قوما مجرمين) يعنى مكتسبين للاثم (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا لسحر مبين) يعنى ان هذا الذى جاء به موسى سحر مبين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح أبدا (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى (اجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتلوينا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء) يعنى الملك والسلطان (فى الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر مايطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) يعنى بمصدقين (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) يعنى ان فرعون أراد ان يعارض معجزة موسى بأنواع من التلبيس ليظهر ان ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء مامعهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى مامعهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى لايقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) قوله سبحانه وتعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان له أسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما آمن معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انها راجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك الآباء وبقى الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل ابناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انها راجعة الى فرعون يعنى الا ذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه واخواله فى

(فما كانوا ليؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد المجىء (بما كذبوا به من قبل) من قبل مجيئهم يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون ان الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار ومقولهم محذوف أى هذا ثم استأنف انكارا آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا يظفر (قالوا اجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به ويكون حماد ويحيى (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) سحار حمزة وعلى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) ما موصولة واقعة مبتدأ وجئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله آلسحر بعد وقف أبو عمرو وعلى على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شئ جئتم به أهو السحر (ان الله سيبطله) يظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته بل يدمره (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه أو يظهر الاسلام بعداته بالنصرة (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى أول أمره (الا ذرية من قومه

الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس الآباء (على خوف من فرعون وملئهم) الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له (ان يفتنهم) أي يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره (وان فرعون لعال في الارض) يعني انه لغالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال موسى) يعني لقومه (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعني ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقالوا) يعني قال قوم موسى مجيبين له (على الله توكلنا) يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هارون (ان تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا) يعني اتخذا لقومكما بمصر بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة أي موطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا يرجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا أنه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى وهارون وهو قول مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهارون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما ثم انه عم بهذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهارون بان يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا الصلاة) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما ارسل موسى وهارون واظهرهما على فرعون أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة

على خوف من فرعون) الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من أولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف او الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته والضمير في (وملئهم) يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو أصحاب يأتمرون له او الى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (ان يفتنهم) يريدون يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) فاليه اسندوا أمركم في العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفاتن المضل عن الحق (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أي من تعذيبهم وتسخيرهم (وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في أول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم

على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وبشر المؤمنين) يعني بانه لا يصل اليهم مكروه قوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) لما أتى موسى بالمعجزات الباهرات ورأى ان القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة في الحياة الدنيا فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني وكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس ازالة أثر الشئ بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على أموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدى مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات التسع التي أوتيها موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له دعاءه فحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا عليهم موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل لموسى وهارون (قد أجيبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال تعالى قد أجيبت دعوتكما (فاستقيما) يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامرى الى أن يأتيهم العذاب (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلف فيه ووعيدى نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون سنة قال الامام فخر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) أى وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فأتبعهم فرعون وجنوده

حتى تأمنوا (وبشر المؤمنين) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) هو ما يتزين به من لباس او حلى او فرش او اثاث او غير ذلك (وأموالا) أى نقدا ونعما وضيعة (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار الاول للالحاح في التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله اذا علم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما فتكون الآية حجة على المعتزلة (ربنا اطمس على أموالهم) أى اهلكها واذهب آثارها لانهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (واشدد على قلوبهم) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حتى يروا العذاب الاليم) الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان بأس فلم يقبل وانما دعا عليهم بهذا لما أيس من ايمانهم وعلم بالوحى انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قال قد أجيبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن فثبت ان التأمين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى او هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) هو دليل لنا على خلق الافعال (فأتبعهم فرعون

وجنوده) يعني لحقهم وأدركهم (بغيا وعدوا) أي ظلما وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمرهما بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي أمرهما أن يخرجا فيه بهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأيبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أدرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص طامعا انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه الغرق قال) يعني فرعون (آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعني آلآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول أشهر ويعضده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وانا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس في في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

(فصل في الكلام على هذا الحديث) لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيئ الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه اذا لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدي ابن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد

وجنوده) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بغيا) تطاولا (وعدوا) ظلما وانتصابهما على الحال او على المفعول له (حتى اذا ادركه الغرق) ولا وقف عليه لان (قال آمنت) جواب اذا (انه) حمزة وعلي على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الايمان (لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وانا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار (آلآن) أتؤمن بالساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روي ان جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان
لهذا الحديث أصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره
وان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت
ليس بشك في رفعه انما هو جزم بأن أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب
أو عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من
حال البحر أي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

(فصل ووجه اشكاله ما اعترض به الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هل يصح ان جبريل أخذ يملأ
فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والجواب الاقرب انه لا يصح لأن في تلك الحالة اما ان يقال التكليف هل
كان ثابتا أم لا فان كان ثابتا لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى
كل طاعة وان كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل
فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وايضا فكيف
يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بأن يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله
فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث
في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
فلا اعتراض عليه لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتا في تلك الحالة ام لا فان كان ثابتا لم يجز
لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال
لله وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان
الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى
وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول
مرة فأخبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أفئدتهم مثل تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه
من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم
على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين
للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا ان الله سبحانه وتعالى
يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فأما
قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى
منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة على كفره السابق ورده للايمان لما جاءه واما فعل
جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبريل أن
يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا
يجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع
فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب
عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه
الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اما ان يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل
ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم
عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبر
انه امره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان
التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة فجوابه ان
يقال ان للناس في تعليل افعال الله قولين أحدهما أن افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا

السؤال

السؤال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثانى ان افعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لا جلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير قد يقال لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين فى فيه لتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها فى وقت لا ينفعه فدس الطين فى فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعا ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين فى فيه ليياس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التى وعد الله موسى بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سعى جبريل فى تكميل ما سبق فى حكم الله انه يفعله فيكون سعى جبريل فى مرضات الله سبحانه وتعالى منفذا لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالمأمور به فاى كفر يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا فى حقنا لانا مأمورون بازالته بحسب الامكان فاذا أقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا فى حقنا لمخالفتنا ما أمرنا به واما من ليس مأمورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربه فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا فى حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين فى فى فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره فى فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فجوابه انه انما فعل ذلك بأمر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله سبحانه وتعالى (فاليوم ننجيك ببدنك) أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع قال أهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل فى قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كانه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعنى نلقيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما رأوه فى درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعنى عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان فى غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) قوله عز وجل (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) يعنى أسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشئ اذا كان كاملا صالحا لابد ان يصدق الظن فيه وفى المراد بالمكان الذى بوئوا قولان أحدهما انه مصر فيكون المراد ان الله أورث بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدى فرعون وقومه من ناطق وصامت

(فاليوم ننجيك) نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كانه ثور (ببدنك) فى موضع الحال أى فى الحال التى لا روح فيك وانما أنت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه بابدانك وهو مثل قولهم هوى باجرامه أى ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك لانه ظاهر بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام

وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشأم والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى (ان ربك) يعني يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما انزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين أو لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فمعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك انه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وانزلنا اليك يعني القرآن (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ها هنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء فانه أورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي اليه فانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب * اياك أعني واسمعي ياجارة * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا أيها الانسان الشاك ان كنت في شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر هذه السورة قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور في تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره أولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لا أشك يا رب ولا اسأل اهل الكتاب بل اكتفي بما

انزلته

(ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) في دينهم (حتى جاءهم العلم) أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلف أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته انه هو ام ليس هو وبعد ما جاءهم العلم انه هو (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بتمييز المحق من المبطل ويجزي كلا جزاءه (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته أو بمباحثة العلماء فسل علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال

أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله فان كنت فى شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا فى هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال واردا وقيل ان لفظة ان فى قوله فان كنت فى شك للنفى ومعناه وما أنت فى شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثانى ان هذا الخطاب ليس هو للنبى صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت أيها الانسان فى شك مما انزلناه اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير فى قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد فى الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا فى المسؤل عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول اصح وقال الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن ادرك النبى صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعنى من الشاكين فى صحة ما أنزلنا اليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة (فتكون من الخاسرين) يعنى الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا ان المراد به غيره والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعنى وجبت عليهم (كلمة ربك) يعنى حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولا أبالى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه فى الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شئ قوله سبحانه وتعالى (فلولا) يعنى فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان فى الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعنى عند معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) يعنى فى حال اليأس (الا قوم يونس) هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعنى لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا فى قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزى والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

*(ذكر القصة فى ذلك) على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فارسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين

(لقد جاءك الحق من ربك) اى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة ان ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله وهو على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا أسأل بل اشهد انه الحق او خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أى وان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن او ان للنفى أى فما كنت فى شك فسل أى ولا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما يجئ ان للنفى اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا فى غرور قلت ذلك غير لازم الا ترى الى قوله ان امسكهما من أحد من بعده فان للنفى وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا او قوله لاملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولو جاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم او عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى ان أخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بان تقبل الله ايمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (الا قوم يونس) استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس او متصل والجملة فى معنى النفى كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا اربعين ليلة وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم

يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان عـلى النهار والليل والنجوم سخرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(وما تغني الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب أياما والنعم أياما كقوله تعالى وذكرهم بأيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب ف(قل فانتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني هلاككم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) يعني كما أنجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بأنه حق واجب من حيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) يعني الذي أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأنتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أنتم عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعني هذه الأوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) والحكمة في وصف الله سبحانه وتعالى في هذا المقام بهذه الصفة أن المراد أن الذي يستحق العبادة فأعبده أنا وأنتم هو الذي خلقكم أولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون أقوى في الزجر والردع وقيل لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم (وامرت ان اكون من المؤمنين) يعني وأمرني ربي ان أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب (وان اقم وجهك للدين حنيفا) الواو في قوله وان اقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهي يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيفي وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفي غير مائل عنه (ولا تكونن من المشركين)

(وما تغني الآيات) ما نافية (والنذر) والرسل المنذرون او الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) يعني وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) أي مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أي وحق ذلك علينا حقا ننجي بالتخفيف علي وحفص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الاصنام (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شيء (وامرت ان اكون من المؤمنين) أي بان اكون يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه (وان اقم وجهك للدين) أي واوحى الي ان اقم ليشاكل قوله أمرت اي استقم واقبل بوجهك على ما أمرك الله أو استقم اليه مقبلا بوجهك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا (حنيفا) حال من الدين او الوجه

يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغى له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذى تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) يعنى ان عبدته ودعوته (ولا يضرك) يعنى ان تركت عبادته (فان فعلت) يعنى ما نهيتك عنه فعبدت غيرى او طلبت النفع ودفع الضرر من غيرى (فانك اذا من الظالمين) يعنى لنفسك لانك وضعت العبادة فى غير موضعها وهذا الخطاب وان كان فى الظاهر للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الآية قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر) يعنى وان يصبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له) يعنى لذلك الضر الذى انزله بك (الا هو) يعنى لا غيره (وان يردك بخير) يعنى بسعة ورخاء (فلا راد لفضله) يعنى فلا دافع لرزقه (يصيب به) يعنى بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شئ وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفى الآية لطيفة اخرى وهى ان الله سبحانه وتعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفى اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعنى ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذى يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعنى الساتر لذنوب عباده الرحيم يعنى بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فانما يضل عليها) اى على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء فى الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشئ ابدا (وما انا عليكم بوكيل) يعنى وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعنى الامر الذى نوحيه اليك يا محمد (واصبر) يعنى على أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعنى بنصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير الحاكمين) يعنى انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل الكتاب وفيها ذلهم وصغارهم

(تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام)

وهى مكية فى قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفى رواية عن ابن عباس انها مكية غير آية وهى قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله أولئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل

(ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك) ان دعوته (ولا يضرك) ان خذلته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم أعظم من الشرك (وان يمسسك الله) يصبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الا هو) الا الله (وان يردك بخير) عافية (فلا راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الا عليه (وهو الغفور) المكفر بالبلاء (الرحيم) المعافى بالعطاء اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذى ان أصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان وهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما ذكر المس فى أحدهما والارادة فى الآخر كانه اراد ان يذكر الامرين الارادة والاصابة فى كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن او الرسول (من ربكم فمن اهتدى) اختار الهدى واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فما نفع باختياره الا نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم انما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايذائهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وهو خير الحاكمين) لانه المطلع على السرائر فلا يحتاج الى بينة وشهود

أتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

❁(بسم الله الرحمن الرحيم)❁

قوله عز وجل (الر كتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخلها النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليست هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها بآيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فأجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله (خبير) يعني بأحوال عباده وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انني لكم منه) أي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله (نذير) لينذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وابشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد (يمتعكم متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور (الى أجل مسمى) يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يمضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو

(سورة هود عليه السلام مكية)
(وهي مائة وثلاث وعشرون آية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
*(الر) أي هذا كتاب وهو خبر مبتدأ محذوف (كتاب) (أحكمت آياته) صفة له أي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت أي من عنده احكامها وتفصيلها (أن لا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لئلا تعبدوا او أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انني لكم منه نذير وبشير) أي من الله (وان استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة (يمتعكم متاعا حسنا) بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى اجل مسمى)

في الدنيا في جنة حتى يفضي الى ما أعد الله له في الآخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته (وان تولوا) يعني وان اعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فاني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد اني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعني من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (الا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الاخنس ابن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (الا حين يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى النساء وان يجامعوهن فيغضوا عن السماء فنزل ذلك فيهم وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الا على الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة والنار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش

الى ان يتوفاكم (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيأ (وان تولوا) وان تتولوا (فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شيء قدير) فكان قادرا على اعادتكم (الا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده قيل نزلت في المنافقين (انه عليم بذات الصدور) بما فيها (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) تفضلا لا وجوبا (ويعلم مستقرها) مكانه من الارض ومسكنه (ومستودعها) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب اورحم او بيضة (كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليما للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ آخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن له اساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فأتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم أتانى رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لوددت انها ذهبت ولم أقم عن ابى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذى وقال قال أحمد يريد بالعماء أنه ليس معه شئ قال أبو بكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتاب عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء أى فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فمعناه لا شئ ثابت لانه مما عمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أى ليس فوق العمى الذى لا شئ موجود هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أى كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال ابو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا أنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن

عن شأن فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليبلوكم) يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعنى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه وتعالى الى انقراض أمة ومجئ أمة أخرى (ليقولن ما يحبسه) يعنى أى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشئ قال الله عز وجل (ألا يوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى ونزل بهم وبال استهزائهم قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أى جحود لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر له قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فاذا نزعت عنك فينبغى لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعنى الذى أصابه الخير والسعة (ذهب السيئات عنى) يعنى ذهبت الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح فخور) أى انه اشر بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا الاستثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا عليها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعنى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعنى و يضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فأنزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون فى معنى هذه الآية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة فى الوحى والانذار ولا يترك بعض ما أوحى اليه لقول أحد لان تجويز ذلك يؤدى الى الشك فى أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء فى ذلك أجوبة احدها قال ابن الانبارى قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم فى متابعة الابلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثانى ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما أنزله اليه والله سبحانه وتعالى من

قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب الآخرة او عذاب يوم بدر (الى أمة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة او قلائل والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (ألا يوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) واحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن اذقنا الانسان) هو الجنس (منا رحمة) نعمة من صحة وامن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساءله (ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (ليقولن ذهب السيئات عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) اشر بطر (فخور) على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم ما لا يقبلونه و يضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك)

وراء ذلك فى عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزؤن به فأمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحى والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفى الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحى هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أى بأن تتلوه عليهم (ان يقولوا) يعنى مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعنى يستغنى به وينفقه (أو جاء معه ملك) يعنى يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبى أمية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فى قولك بأنك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وأنت عزيز عنده مع انك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة فى أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك (والله على كل شئ وكيل) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعنى بل يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما أوحى اليه من القرآن (قل) أى قل لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا انه افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخى لهم العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا انى اختلقته من عند نفسى ولم يوح الى شئ وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذى جئتكم به فاختلقوا من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام ولهذا قال سبحانه وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فى مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ولم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه وكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت أولا قال ومعنى قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله يعنى مثله فى الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله فى سورة هود فأتوا بعشر سور مثله يعنى فى مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بأن يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعنى فى قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثانى أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا فى المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار فى المعارضة ولهذا السبب اختلف المفسرون فى معنى الآية على قولين أحدهما انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى لنبيه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) يعنى فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا

بان تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك (ان يقولوا) مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه (أو جاء معه ملك) يصدقه ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه (انما أنت نذير) أى ليس عليك الا ان تنذرهم بما أوحى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا او تهاونوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فأتوا بعشر سور) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا انى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله

يقيناو ثبـاتالانهم كانواعالمين بأنه منزل من عند الله وقيل الخطاب فى قوله فان لم يستجيبوالكم للنبى صلى الله عليه وسلم وحده وانمـا ذكره بلفظ الجمع تعظيمـاله صلى الله عليه وسلم القول الثانى ان قوله سبحانه وتعـالى فان لم يستجيبوالكم خطاب مع الـكفار وذلك انه سبحـانه وتعـالى لمـاقال فى الا ٓ ية المتقدمة وادعوامن استطعتم من دون الله قال الله عز وجل فى هـذه الا ٓ ية فان لم يستجيبوالكم أيهـاالـكفار ولم يعينوكم فاعلموا انماانزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وان لا اله الاهو) يعنى الذى انزل القـرآن هو الله الذى لا اله الاهولامن تدعون من دونه (فهـل أنتم مسلمون) فيه معنى الامر أى أسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنامعنى الا ٓ ية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون للترغيب أى دومواعلى ما أنتم عليه من الاسلام قوله عز وجل (من كان يريدالحياة الدنيـاو زينتها) يعنى بعمله الذى يعمله من اعمـال البرنزلت فى كل من عمل عملا يبتغى به غيرالله عزوجل (نوف اليهم أعمـالهم فيها) يعنى اجورأعمـالهم التى عملوها لطلب الدنيـاوذلك ان الله سبحـانه وتعـالى يوسع عليهم فى الرزق ويدفع عنهم المكاره فى الدنيـاونحوذلك (وهم فيهالايبخسون) يعنى انهم لا ينقصون من اجورأعمـالهم التى عملوها لطلب الدنيـابل يعطون اجورأعمـالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ليس لهم فى الا ٓ خرة الاالنـار وحبط ماصنعوا فيها) يعنى وبطل ماعملوافى الدنيـامن اعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغيرالله واختلف المفسرون فى المعنى بهذه الا ٓ ية فروى قتادة عن أنس انهـافى اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحافى غير تقوى يعنى من اهل الشرك اعطى على ذلك أجرافى الدنيا وهوان يصل رحما أو يعطى سائلا او يرحم مضطرا او نحوهذا من اعمـال البر فيجعل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق و يقرعينه فيما خوله ويدفع عنه المـكاره فى الدنيـاوليس له فى الا ٓ خرة نصيب ويدل على صحـة هذا القول سياق الا ٓ ية وهوقوله أولئك الذين ليس لهم فى الا ٓ خرة الاالنارالا ٓ ية وهذه حالة الـكافر فى الا ٓ خرة وقيل نزلت فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لانهم كانوالايرجون ثواب الا ٓ خرة وقيل ان حمل الا ٓ ية على العموم أولى فيندرج الـكافر والمنافق الذى هذه صفته والمؤمن الذى يأتى بالطاعات واعمال البرعلى وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الا ٓ ية هم أهل الرياء وهذا القول مشـكل لان قوله سبحانه و تعـالى أولئك الذين ليس لهم فى الا ٓ خرة الاالنارلا يليق بحـال المؤمن الااذاقلنا ان تلك الاعمـال الفاسدة والافعال الباطلة لمـا كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهوعذاب النار ويدل على هذا ماروى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبـارك وتعـالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمـل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علمـا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها أخرجه ابوداود عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يارسول الله من يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال البغوى وروينـا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليـكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمـال الصـالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهـذا العمـل هو الذى لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوى وقيل هذا فى الـكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اما المؤمن فيريد الدنيا والا ٓ خرة وارادته الا ٓ خرة غالبة فيجازى بحسناته فى الدنيا و يثـاب عليهـا فى الا ٓ خرة وروينـا عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم

وان لا اله الا هو) اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلائق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم اولان الخطاب للمشركين والضمير فى وان لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله اى باذنه او بامره (فهل أنتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهـل أنتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (اولئك الذين ليس لهم فى الا ٓ خرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط فى الا ٓ خرة ما صنعوه او صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الا ٓ خرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له

المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة واما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوى بغير سند قوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر فى هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أى كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم فى الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو فى ضلالته وكفره والمراد بالبينة الدين الذى أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعنى انه على يقين من ربه انه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعنى ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا فى الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبى صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنت التالى قال وما تعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت انى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما فى الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبى صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبى صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن على وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال على بن أبى طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وأنت اى آية نزلت فيك فقال على ما تقرأ الآية التى فى هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن أبى طالب وقوله منه يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم والمراد تشريف هذا الشاهد وهو على لاتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعنى الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن فى التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله) يعنى ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما ورحمة) يعنى انه كان اماما لهم يرجعون اليه فى أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه رحمة لانه الهادى من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) يعنى ان الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (من الاحزاب) يعنى من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنار موعده) يعنى فى الآخرة روى البغوى بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة لا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه فى كتاب الله عز وجل حتى بلغنى هذا الحديث لا يسمع بى أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا فى كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب أهل الملل كلها ثم قال

(أفمن كان على بينة من ربه) أمن كان يريد
الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى
لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى ان بين
الفريقين تباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود
كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه
أى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك
البرهان (شاهد) يشهد بصحته وهو القرآن
(منه) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا
(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) أيضا من
وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان (اماما)
قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام
كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة
عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك)
أى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن
(ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعنى
أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) مصيره
ومورده

سبحانه وتعالى (فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده يعني فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك او من ان موعد الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني أي الناس أشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه و زعم ان له شريكا أو ولدا وفي الآية دليل على ان الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن اعمالهم في الدنيا (ويقول الاشهاد) يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (الا لعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا) يعني ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم كافرون) يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت وينكرونه (أولئك) يعني من هذه صفتهم (لم يكونوا معجزين في الارض) قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعني وما كان لهؤلاء المشركين من انصار يمنعونهم من دون الله اذا أراد بهم سوءا وعذابا (يضاعف لهم العذاب) يعني في الآخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) قال قتادة صموا عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس أخبر الله سبحانه وتعالى انه احال بين أهل الشرك و بين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني و بطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم (لا جرم) يعني حقا وقال الفراء لا محالة (انهم في الآخرة هم الاخسرون) لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى

(فلا تك في مرية) شك (منه) من القرآن أو من الموعد (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا (الا لعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كاصحاب وصاحب أو شهيد كشريف واشراف (الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها ان يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا) أي ما كانوا (معجزين في الارض) يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) لانهم اضلوا الناس عن دين الله يضعف مكي وشامي (ما كانوا يستطيعون السمع) أي استماع الحق (وما كانوا يبصرون) الحق (أولئك الذين خسروا أنفسهم) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) بالصد والصدود وفي لا جرم أقوال احدها ان لا رد لكلام سابق اي ليس الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم في الآخرة في محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الآخرة وثانيها ان لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناهما حقا وان في موضع رفع بانه فاعل لحق أي حق خسرانهم وثالثها ان معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة

ربهم) لما ذكر الله عز وجل أحوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل يعني ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع (أولئك) يعني الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تبارك وتعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين ففريق الكافرين كالاعمى وهو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلا) قال الفراء لم يقل هل يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كأنهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد وهما من وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتتعظون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين أرسله الله اليهم اني لكم أيها القوم نذير مبين يعني بين النذارة أخوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى (الا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعني مؤلم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما نراك) يا نوح (الا بشرا مثلنا) يعني آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع اشتهاره الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وأرسله الى عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) يعني سفلتنا والارذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكة والاساكفة وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين (بادي الرأي) يعني انهم اتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا (وما نرى لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول أيضا جهل منهم لان

(أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان) يعني الفريقين (مثلا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتنتفعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وبكسر الالف شامي ونافع وعاصم وحمزة على ارادة القول (الا تعبدوا الا الله) ان مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير (اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أولانهم ملئوا بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) أرادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا أو ملكا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع الارذل (بادي) وبالهمزة أبو عمرو (الرأي) وبغير همز أبو عمرو وأي اتبعوك ظاهر الرأي أو أول الرأي من بدا يبدو اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف اليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وما نرى لكم علينا من فضل) في مال ورأي عنوا نوحا وأتباعه

(بل نظنكم كاذبين) اى نوحا فى الدعوة ومتبعيه فى الاجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والاجابة تسببا للرياسة (قال ياقوم أرأيتم) اخبرونى

 (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) اى خفيت (ان كنت على بينة) برهان (من ربى) وشاهد

الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعنى نوحا (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) يعنى على بيان ويقين من ربى بالذى انذرتكم به (وآتانى رحمة من عنده) يعنى هدى ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم) يعنى خفيت والتبست عليكم (أنلزمكموها) الهاء عائدة على الرحمة والمعنى انلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعنى انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأنتم لها كارهون) وهذا استفهام معناه الانكار أى لا اقدر على ذلك والذى اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لى ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (وياقوم لا أسألكم عليه مالا) يعنى لا اسألكم ولا اطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا (ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون (انهم ملاقو ربهم) فلا اطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) يعنى عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم (وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم) يعنى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم عنى لانهم مؤمنون مخلصون (أفلا تذكرون) يعنى فتتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا عطف على قوله لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندى خزائن الله يعنى التى لا يفنيها شئ فأدعوكم الى اتباعى عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانبارى الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطو عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لانهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وادعوا أن المؤمنين انما اتبعوه فى ظاهر ما يرى منهم وهم فى الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهرونه الا هو وانما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندى خزائن الله وبين قوله (ولا أعلم الغيب) يعنى ولا ادعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه فى نفوسهم فسبيلى قبول ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمائرهم الا الله (ولا أقول انى ملك) وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا أى لا ادعى انى من الملائكة بل أنا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم

(فصل) استدل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء قال لان نوحا عليه السلام قال ولا أقول انى ملك لان الانسان اذا قال انا لا أدعى كذا وكذا لا يحسن الا اذا كان ذلك الشئ اشرف وافضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب ان يكون الملك أفضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة فى مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان فى ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملائكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل انما يكونون من البشر فلهذا قال سبحانه وتعالى ولا أقول انى ملك ولم يرد ان درجة الملائكة أفضل من درجة الانبياء والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا اقول للذين تزدرى اعينكم) يعنى تحتقر وتستصغر أعينكم يعنى المؤمنين وذلك لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهى الخسة (لن يؤتيهم الله خيرا) يعنى توفيقا وهداية وايمانا وأجرا (الله أعلم بما فى أنفسهم) يعنى من الخير والشر (انى اذا لمن الظالمين) يعنى ان طردتهم مكذبا لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعنى انى ان فعلت هذا اكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا من الظالمين (قالوا يانوح قد جادلتنا) يعنى خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) يعنى خصومتنا (فأتنا بما تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعنى فى دعواك انك رسول من الله الينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعنى قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أنتم بمعجزين) يعنى وما أنتم بفائتين ان اراد الله نزول العذاب بكم

فعميت حمزة وعلى وحفص أى اخفيت اى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كالوعمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد وحقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره (أنلزمكموها) اى الرحمة (وأنتم لها كارهون) لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن ابى عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا فى ضرورة الشعر (وياقوم لا اسألكم عليه) على تبليغ الرسالة لانه مدلول قوله انى لكم نذير (مالا) اجرا يثقل عليكم ان أديتم أو على ان ابيتم (ان أجرى) مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم (انهم ملاقو ربهم) فيشكوننى اليه ان طردتهم (ولكنى اراكم قوما تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل أو تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم (وياقوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (ان طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل (ولا أعلم الغيب) حتى اطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن أى لا اقول عندى خزائن الله ولا اقول انا أعلم الغيب (ولا اقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما انت الا بشر مثلنا (ولا اقول للذين تزدرى أعينكم) ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما فى أنفسهم) من صدق الاعتقاد وانما على قبول ظاهر اقرارهم اذ لا اطلع على خفى اسرارهم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وأصله تزترى فابدلت التاء دالا (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى وعيدك (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) أى ليس الاتيان بالعذاب الى وانما هو الى من كفرتم به (وما أنتم بمعجزين) أى لم تقدروا على الهرب منه (ولا

(ولا ينفعكم نصحي ان اردت أن انصح لكم) يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول
العذاب بكم (ان كان الله يريد ان يغويكم) يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان
الاغواء يؤدي الى الهلاك (هو ربكم) يعني انه سبحانه وتعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من
سلطانه (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) أي اختلقه وجاء به من
عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به (قل ان افتريته) أي اختلقته (فعلي اجرامي) أي اثم
اجرامي والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله (وانا بريء
مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه فهي من قصة
نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة
فقال سبحانه وتعالى (وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح
كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني
ويدعوهم الى الله وروي ان شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ
المجنون فقال يا أبت أمكني من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة
فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبتئس) يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم
(بما كانوا يفعلون) يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحاق عن ابن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون
نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد
عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي قبله ولقد كان يأتي
القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيأ فشكا
نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا فاوحى الله سبحانه وتعالى (واصنع الفلك) يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد
والجمع (باعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعني بامرنا (ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون) يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت
باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل
اتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول
اصنع فانك باعيننا فأخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله سبحانه
وتعالى (ويصنع الفلك) يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى
نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار
وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت
نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله أمره ان
يصنع الفلك من خشب الساج وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا
وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طباق سفلى
ووسطى وعليا وان يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح
السفينة في سنتين فكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا
وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي
البطن الوسطى الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن العليا وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد
وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها

(ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام موضع الغي ليتقى
والرشد ليقتفى ولكني انى نصحي مدني وابو عمرو
(ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان
يغويكم) اي يضلكم وهذا شرط دخل على شرط
فيكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره
ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي ان
أردت ان انصح لكم وهو دليل بين لنا في ارادة
المعاصي (هو ربكم) فيتصرف فيكم على قضية
ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم
(أم يقولون افتراه) بل أيقولون افتراه (قل
ان افتريته فعلي اجرامي) اي ان صح اني افتريته
فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي يقال اجرم الرجل
اذا أذنب (وانا بريء) أي ولم يثبت ذلك وانا
بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
ومعاداتكم (واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن) اقناط من ايمانهم وانه
غير متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم
التجدد كانه قال ان الذي آمن يؤمن في
حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت
في الايمان بالقرآن (فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون) ولا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس
افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى
فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك
فقد حان وقت الانتقام من اعدائك (واصنع
الفلك باعيننا) هو في موضع الحال اي اصنعها
محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله
معه اعينا تكلؤه من ان يزيغ في صنعته
عن الصواب (ووحينا) وانا نوحي اليك ونلهمك
كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم
يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان
يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني في
الذين ظلموا) ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون)
محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم
فلا سبيل الى كفه

ستمائة ذراع والقول الاول اشهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس
الاشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين
سنة وروى انها ثلاثة أطباق الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة
العليا للطير فلما كثرت ارواث الدواب أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب
الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفأر فأقبلوا على الروث فأكلوه
فلما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان اضرب
بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطة والقط فاقبلا على الفأر فأكلاه قوله
سبحانه وتعالى (وكلما مر عليه ملأ من قومه) أى جماعة من قومه (سخروا منه) يعني استهزؤا به
وذلك انهم قالوا ان هذا الذى كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا
يمشي على الماء فضحكوا منه (قال) يعني نوحا لقومه (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) يعني ان
تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق
بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمى هذا
الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني فسترون
(من يأتيه) يعني أينا يأتيه نحن او أنتم (عذاب يخزيه) يعني يهينه (ويحل عليه عذاب مقيم) يعني في
الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو
عذاب النار الذى لا انقطاع له قوله عز وجل (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) يعني وغلى والفور الغليان
وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في القرآن بهذا
اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور
أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال
عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه الارض
فاركب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي
فار التنور أى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي
ان التنور هو الذى يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس ايضا وهذا القول أصح لان
اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذى
يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق
عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى فانج
بنفسك ومن معك. قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن كان
تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت
وأصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان
ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ
نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران
التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له
عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا احمل فيها) يعني قلنا لنوح
احمل في السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى
يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه
الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع الذكر في يده اليمنى

(ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما
مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) من عمله
السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من
الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يا نوح
صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم) عند رؤية الهلاك (كما
تسخرون) منا عند رؤية الفلك روى ان نوحا
عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في
سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو الفا ومائتي
ذراع وعرضها خمسون ذراعا او ستمائة ذراع
وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة
بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب
والانعام وركب نوح ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل
معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين
الرجال والنساء (فسوف تعلمون من يأتيه)
من في محل النصب بتعلمون أى فسوف
تعلمون الذى يأتيه (عذاب يخزيه) ويعني به
اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق
(ويحل عليه) وينزل عليه (عذاب مقيم)
وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها
الكلام ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء
وهي غاية لقوله ويصنع الفلك اى وكان يصنعها
الى ان جاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام
حال من يصنع اى يصنعها والحال انه كلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما
سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل
أو قال جواب وسخروا بدل من مر او صفة لملأ
(اذا جاء امرنا) عذابنا (وفار التنور) هو كناية
عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل معناه جاش
الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار
الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض
(قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل
زوجين اثنين) تفسيره في سورة المؤمنين

(وأهلك الامن سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وماسبق عليه القول بذلك الا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد (وما آمن

والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واحمل أهلك وولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته واعلة وولده كنعان (ومن آمن) يعنى واحمل معك من آمن بك من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجالا وامرأة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغى أن يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا ادخلك على يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لابد من أن تحملنى معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى وقال الامام فخر الدين الرازى واما الذى يروى أن ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوائى فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة (بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله فتجرى وكان اذا أراد أن ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من أراد أمرا فلا ينبغى له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى انه لما كثر الماء فى السكك خافت أم صبى على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يا بنى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تكن مع الكافرين) يعنى فتهلك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجئ وأصير (الى جبل يعصمنى) يعنى يمنعنى (من الماء قال) يعنى قال له نوح (لا عاصم)

معه الا قليل) قال عليه السلام كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله جرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (ان ربى لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خلصهم (وهى تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وكان فى معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده أو فى معزل عن دين أبيه (يا بنى) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من قولك يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) فى السفينة أى أسلم واركب (ولا تكن مع الكافرين قال سآوى) (الى جبل يعصمنى من الماء) يمنعنى من الغرق (قال لا عاصم

اليوم من أمر الله الامن رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أي الامكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة اوهو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم الا اتباع الظن (وحال بينهما الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أو فكان في علم الله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) انشفي وتشربي والبلع النشف (ويا سماء اقلعي) امسكي (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم ومتعد (وقضي الامر) وأنجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) أي سحقا للقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا و بعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغيض وان نقضي أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وابعدنا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيهما ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيهما تغييرا وتبديلا كانهما عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض و يا سماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض و يا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات كتقوي الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض ٣٢٨ كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتي ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض و يا سماء سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يكون الغائض والقاضي والمسوي غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلما لانفسهم اظهارا لمكان السخط وان ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم* ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخواتها لكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضي لزيادة التهاون اذ الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يا أيتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور واختير ابلعي على ابتلعي لكونه احصر وللتجانس بينه و بين أقلعي وقيل أقلعي ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فأقلعت اختصارا واختير غيض على غيض وقيل الماء دون ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي اي اقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلعي و يا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا أرض وأقلعي يا سماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر الارض على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم اتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضي الامر أي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة من التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الا أدرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور

يعني لا مانع (اليوم من أمر الله) يعني من عذابه (الامن رحم) يعني الامن رحمه الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعني كنعان (وقيل) يعني بعد ما تناهى الطوفان واغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعي ماءك) اى اشربيه (ويا سماء أقلعي) اى أمسكي (وغيض الماء) اى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضي الامر) يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعني واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) يعني هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب ودعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة

التي في عنقها وادعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشأم الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغوا الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكاليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك ايضا اهلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أي دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعني وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي (وان وعدك الحق) يعني الصدق الذي لا خلف فيه (وانت أحكم الحاكمين) يعني انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك (قال) يعني قال الله تعالى (يا نوح انه) يعني هذا الابن الذي سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حدث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور ولما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امرأة نبي قط ولان الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه وكان نوح صلى الله عليه وسلم ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافرا فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا رأى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فأجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعني انه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى لنوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان أنجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابني من أهلي) أي بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بعض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي أهلي فما بال ولدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي اعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يا نوح انه ليس من أهلك) ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس اقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها * فانما هي اقبال وادبار * أو التقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما انجى من انجى من أهله لصلاحهم لا لانهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل ان يقول ابني من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الدين ظلموا انهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم

الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنك ذو عمل وصاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء* فانما هي اقبال وادبار *قال الواحدي وهذا قول أبي اسحاق يعني الزجاج وأبي بكر بن الانباري وأبي علي الفارسي قال أبو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا الاحذف (فلا تسألني ما ليس لك به علم) وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك علم بجواز مسئلته (اني أعظك) يعني أنهاك (ان تكون من الجاهلين) يعني لمثل هذا السؤال (قال) يعني قال نوح (رب اني أعوذ بك) يعني ألجأ اليك وأعتذر اليك (أن أسألك ما ليس لي به علم) يعني انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسئلتي ما ليس لي به علم (والا تغفر لي) يعني جهلي واقدامي على سؤال ما ليس لي به علم (وترحمني) يعني برحمتك التي وسعت كل شئ (أكن من الخاسرين)

(فصل وقد استدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى اني أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه* والجواب* ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله سبحانه وتعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤال ما ليس له به علم وبين له انه ليس من أهله الذي وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (قيل يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض (بسلام) اي بأمن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله سبحانه وتعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعني وعلى ذرية امم ممن كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجيء من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم سنمتعهم) هذا ابتداء كلام اي وأمم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم يمسهم منا عذاب أليم) يعني في الآخرة (تلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قومه من انباء الغيب يعني من أخبار الغيب (نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) يعني من قبل نزول القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون انهم كانوا يعلمونها مجملة فنزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فاصبر) يا محمد على أذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى قومه (ان العاقبة) يعني النصر والظفر على

المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (فلا تسألن) احترازا بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني تسألن شامي بحذف الياء واجتزاء بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكي (ما ليس لك به علم) بجواز مسئلته (اني أعظك ان تكون من الجاهلين) هو كما نهى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قال رب اني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم) أي من ان أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (والا تغفر لي) ما فرط مني (وترحمني) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين) قيل يا نوح اهبط بسلام منا) بتحية منا او بسلامة من الغرق (وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى امم ممن معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم اولا بتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وامم) رفع بالابتداء (سنمتعهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم يمسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي (من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت او من قبل ايحائي اليك واخباري بها (فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة

(للمتقين) عن الشرك (والى عاد اخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا أى وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله)
وحدوه (مالكم من اله غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (ان أنتم الا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان
له شركاء (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى) ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم
المطامع ومادام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنفى
للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة الدرور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استمالتهم الى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل اراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئا لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء)
ان حرف نفى فنفى جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة أى قولنا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) اى من اشراككم آلهة من دونه والمعنى أنى أشهد الله أنى برىء
مما تشركون واشهدوا انتم ايضا انى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على انى لا احبك
تهكما به واستهانة بحاله (فكيدونى جميعا) انتم وآلهتكم (ثم لا تنظرون) لا تمهلون فانى لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم على
وكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى (انى توكلت على الله ربى
وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) اى مالكها ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال
ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك

الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية (للمتقين) يعنى للمؤمنين قوله عز وجل (والى عاد) يعنى وارسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعنى أخاهم فى النسب لا فى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا فى العبادة (مالكم من اله غيره) يعنى انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع (ان أنتم الا مفترون) يعنى ما أنتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (يا قوم لا أسألكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجرا) يعنى جعلا آخذه منكم (ان اجرى) يعنى ما ثوابى (الا على الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى فى الدنيا ويثيبنى فى الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتتعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى يرسل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة فى أوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فأمسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فأجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فأخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فأحيا به بلادهم كما كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم يقوكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى اعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على صحة ما تقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا أن بعض آلهتنا أصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا يحمل أمرك الا على هذا (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا أنتم ايضا على (أنى برىء مما تشركون من دونه) يعنى هذه الاصنام التى كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) يعنى احتالوا فى كيدى وضرى أنتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع (ثم لا تنظرون) يعنى ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا فى قومه فقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (انى توكلت على الله ربى وربكم) يعنى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعنى تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) يعنى انه هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من أخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا

انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدروا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادرا وأنتم في قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم (فقد ابلغتكم ما أرسلت به اليكم) يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعني انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضرونه شيئا) يعني بتوليكم انما تضرون أنفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من أن تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني باهلاكهم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الريح التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه أعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد ردها الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) يعني اردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (الا ان عادا كفروا ربهم) أي كفروا بربهم (الا بعدا لعاد) يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعني وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدوا الله وخصوه بالعبادة (ما لكم من اله غيره) يعني هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو أنشأكم من الارض) يعني انه هو ابتدأ خلقكم من الارض وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعني

(ان ربي على صراط مستقيم) ان ربي على الحق لا يعدل عنه او ان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) كلام مستأنف اي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل منا لا بعملهم او بالايمان الذي انعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد) تكرار ألا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها او استعمركم من العمر اي اطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة الى الف وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وجعلكم

(فاستغفروه) فاسألوه مغفرته بالإيمان (ثم توبوا اليه ان ربى قريب) دانى الرحمة (مجيب) لمن دعاه (قالوا يا صالح قد كنت فينا) فيما بيننا (مرجوا قبل هذا)
للسيادة والمشاورة فى الامور أو كنا نرجوان تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا لفى شك مما
تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع فى الريبة من ارابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرأيتم ان كنت
على بينة من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة اتى
بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان
خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا انى على
بينة من ربى وانى نبى على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت ربى فى اوامره (فمن ينصرنى من
الله) فمن يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته)
فى تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان (فما
تزيدوننى) بقولكم أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا
(غير تخسير) بنسبتكم اياى الى الخسار أو بنسبتى
اياكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم
آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه
اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية
حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة
لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذروها
تأكل فى ارض الله) اى ليس عليكم رزقها مع
ان لكم نفعها (ولا تمسوها بسوء) عقرا ونحر
(فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فعقروها)
يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا
بالعيش (فى داركم) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار
لانه يدار فيها أى يتصرف أو فى دار الدنيا (ثلاثة
أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك
وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه
فاتسع فى الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى
المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب
مصدر كالمعقول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب
أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة
منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من
نجى انما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال
عليه السلام لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله
(ومن خزى يومئذ) باضافة الخزى الى اليوم
وانجرار اليوم بالاضافة وبفتحها مدنى وعلى
لانه مضاف الى اذ وهو مبنى وظروف الزمان
اذا اضيفت الى الاسماء المبهمة والافعال
الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزى
يومئذ أى من ذله وفضيحته ولا خزى اعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب
الآخرة (ان ربك هو القوى) القادر على تنجية اوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام
(فأصبحوا فى ديارهم) منازلهم (جاثمين) ميتين (كأن لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (الا ان ثمودا كفروا ربهم) ثمود حمزة وحفص (الا بعدا لثمود) على فالصرف
للذهاب الى الحى او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل واسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا
(ابراهيم بالبشرى) هى البشارة بالولد او بهلاك قوم لوط والاول أظهر

وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة
الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد عمركم من العمرى أى جعلها لكم ما عشتم (فاستغفروه)
يعنى من ذنوبكم (ثم توبوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربى قريب) يعنى من المؤمنين (مجيب)
لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعنى قبل هذا القول الذى جئت به والمعنى
انا كنا نرجو أن تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغنى فقيرهم وقيل معناه
انا كنا نطمع أن تعود الى ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه (أتنهانا ان
نعبد ما يعبد آباؤنا) يعنى الآلهة (واننا لفى شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله (مريب) يعنى
انا مرتابون فى قولك من أرابه اذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس ووقوعها فى التهمة (قال) يعنى قال
صالح مجيبا لقومه (يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) يعنى على يقين وبرهان (وآتانى منه
رحمة) يعنى نبوة وحكمة (فمن ينصرنى من الله) أى فمن يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته) يعنى
ان خالفت أمره (فما تزيدوننى غير تخسير) قال ابن عباس معناه غير بصارة فى خسارتكم وقال الحسن
ابن الفضل لم يكن صالح فى خسارة حتى يقول فما تزيدوننى غير تخسير وانما المعنى فما تزيدوننى بما تقولون
الا نسبتى الى الخسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من
صخرة كانت هناك أشاروا اليها فدعا الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا
يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة
على صدق صالح عليه السلام (فذروها تأكل) يعنى من العشب والنبات (فى أرض الله) يعنى
فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعنى بعقر (فيأخذكم) يعنى ان قتلتموها (عذاب قريب)
يعنى فى الدنيا (فعقروها) يعنى فخالفوا أمر ربهم فعقروها (فقال) يعنى فقال لهم صالح (تمتعوا)
يعنى عيشوا (فى داركم) أى فى بلدكم (ثلاثة أيام) يعنى ثم تهلكون (ذلك) يعنى العذاب
الذى أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) أى هو غير كذب روى انه قال لهم يأتيكم العذاب
بعد ثلاثة أيام فتصبحون فى اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى محمرة وفى اليوم الثالث
مسودة فكما قال كان وأتاهم العذاب فى اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا)
يعنى العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) اى بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان
فآمنوا (ومن خزى يومئذ) يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ سمى خزيا لان فيه خزى الكافرين (ان
ربك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ان ربك يا محمد (هو القوى) يعنى هو القادر على انجاء
المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعنى القاهر الذى لا يغلبه شئ ثم اخبر عن عذاب قوم صالح
فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظلموا) يعنى أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك ان جبريل
عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين)
يعنى صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كأن لم يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مدة
من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أتيته وأقمت به (الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود) وهذه
القصص قد تقدمت مستوفاة فى سورة الاعراف قوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى)

أراد بالرسل الملائكة واختلفوا فى عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظى كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدى كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان أقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعنى بالبشارة باسحاق و يعقوب وقيل باهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) يعنى ان الملائكة سلموا سلاما (قال) يعنى لهم ابراهيم (سلام) أى عليكم أو أمركم سلام (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) يعنى مشويا والحنيذ هو المشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى (فلما رأى ايديهم) يعنى أيدى الاضياف (لا تصل اليه) يعنى الى العجل المشوى (نكرهم) يعنى أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعنى و وقع فى قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف انهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملائكة فى أول الامر و يدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (ارسلنا الى قوم لوط وامرأته) يعنى سارة زوجة ابراهيم وهى ابنة هاران بن ناحورا وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعنى من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك و يستعمل فى السرور المجرد و فى التعجب المجرد أيضا وللعلماء فى تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا فى سبب هذا الضحك فقال السدى لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تأكلون فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس و وهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحاق فضحكت يعنى تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل و بشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثانى فى معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أى حاضت فى الوقت وأنكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت ليس تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها فى الوقت ليعلم ان حملها ليس بمنكر لان المرأة ما دامت تحيض فانها تحمل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانبارى قد أنكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى

حاضت

(قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قال سلام)
(قالوا سلاما) سلم حمزة وعلى بمعنى السلام (فما
امركم سلام بعجل) فما لبث فى المجئ به بل عجل
لبث ان جاء بعجل حنيذ) والعجل ولد البقرة وكان
فيه اوفيما لبث (حنيذ) مشوى بالحجارة
مال ابراهيم البقر (فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم)
المحماة (فلما رأى ايديهم لا تصل اليه اذا مس من
نكر وانكر بمعنى وكانت عادتهم انه اذا مس الظاهر انه
بطرد بهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه
احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان
يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب
قومه دل عليه قوله (واوجس منهم خيفة) اى
اضمر منهم خوفا (قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط) بالعذاب وانما قال هذا لان عرفوهم ولم
يعرف فيم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر
الخوف والتغير فى وجهه (وامرأته قائمة) وراء
الستر تسمع تحاورهم او على رؤسهم تخدمهم
(فضحكت) سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الخبائث او من غفلة قوم لوط مع قرب
العذاب او فحاضت

(فبشرناها باسحاق) وخصت بالبشارة لان النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسماعيل (ومن وراء اسحاق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أي فبشرناها باسحاق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحاق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد (قالت يا ويلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلي شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدأ وبعلي خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذي دل عليه هذا (ان هذا لشيء عجيب) ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته وحكمته وانما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب لان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص (انه حميد) محمود بتعجيل النعم (مجيد) ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره اقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء اليه او كثير الاحتمال ممن آذاه الصفوح عمن عصاه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب) تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة

حاضت وقد عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمثت وحكى الازهري عن بعضهم في قوله فضحكت أي حاضت قال ويقال أصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ رأتها على الحراب تمور

وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا قال * وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقا * يعني الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكران يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم أنها تحيض وانما أراد الشاعر تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت أي القولين أصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالله أعلم اي ذلك كان وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أي ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت يا ويلتا) نداء ندبة واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجباه (أألد وانا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة في قول ابن اسحاق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلي) يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قائما بأمرها سمي بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين في قول محمد بن اسحاق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا لشيء عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعني قالت الملائكة لسارة (أتعجبين من امر الله) معناه لا تعجبي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فاذا أراد شيئا كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان أزواج الرجل من اهل بيته (انه حميد) يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها او هو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكريم وأصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعني زال عنه الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد (يجادلنا) فيه اضمار تقديره أخذ يجادلنا أو جعل يجادلنا ويخاصمنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (في قوم لوط) لان العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة ان قال لهم أرأيتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال وثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلما اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج كان في قرى قوم لوط أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) تقدم

تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر ربك) يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه (سيء بهم) يعني أحزن لوطا مجيئهم اليه وساءه ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة والمعنى وضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف أصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروه أو فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شد به مأخوذ من العصابة التي تشد بها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة ثم مر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز (ومن قبل) يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السيئات) يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان من بني آدم (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني أزوجكم اياهن وقى أضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله (هن أطهر لكم) سؤال وهو ان يقال ان قوله هن أطهر لكم من باب أفعل التفضيل فيقتضي أن يكون الذين يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن أطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اعل هبل أعل هبل

والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك (انه قد جاء امر ربك) قضاؤه وحكمه (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى هيآتهم وجمالهم (سيء بهم) احزن لانه حسبهم انسا فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره (وقال هذا يوم عصيب) شديد روي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الامة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط ان يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدأ

قال الله أعلى وأجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله (فاتقوا الله) يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيفي) يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أي صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليست بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك (وانك لتعلم ما نريد) يعني من اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن لي بكم قوة) أي لو انى اقدر ان اتقوى عليكم (أو آوي الى ركن شديد) يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضممت اليهم قال أبو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبته قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك (فأسر باهلك) يعني ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه (الا امرأتك) فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (انه مصيبها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد أريد اسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح بقريب) فلما خرج لوط من قريته اخذ أهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الا امرأته فانها لما سمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فأخذتها حجارة فاهلكتها معهم (فلما جاء أمرنا) يعني امرنا بالعذاب (جعلنا عاليها سافلها) وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة الف وقيل اربعة آلاف الف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها (وامطرنا عليها) يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه

أو بناتي خبر وهن اطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء وبالياء أبو عمرو في الوصل (في ضيفي) في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدي الى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة لان نكاح الاناث امر خارج عن مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران (وانك لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة (قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد) جواب لو محذوف أي لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انا رسل ربك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة (لن يصلوا اليك) جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره (فاسر) بالوصل حجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه اونصفه (ولا يلتفت منكم احد) بقلبه الى ما خلف اولا ينظر الى ما وراءه أولا يتخلف منكم احد (الا امرأتك) مستثنى من فاسر بأهلك وبالرفع مكي وأبو عمرو على البدل من احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وأمر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي انه أمر بأن يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيبها ما أصابهم) اي أن الامر وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها أي اسفل قراها ثم رفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنك كل بدليل

سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولا ينساف الى الفارسي مثل قوله سندس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد أولها حجر وآخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل فسقط عليه الحجر فاهلكه قوله عز وجل (والى مدين) يعني وارسلنا الى مدين (أخاهم شعيبا) مدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته أهم الاشياء قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زائدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (اني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين (و ياقوم أوفوا المكيال والميزان) أي اتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يأمر بايفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لانه

نعت لسجيل
قوله حجارة من طين (منضود)
أي متتابع او مجموع معد للعذاب (مسومة)
نعت لحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب
على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك)
في خزائنه او في حكمه (وما هي من
الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل
مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي أمتك ما من ظالم
منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة
الى ساعة او الضمير للقرى أي هي قريبة من
ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (والى مدين
أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم او اسم جدهم
مدين بن ابراهيم أي وارسلنا شعيبا الى ساكني
مدين او الى بني مدين (قال ياقوم اعبدوا الله
مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال) أي المكيل
بالمكيال (والميزان) والموزون بالميزان (اني اراكم
بخير) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم
بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون
(واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك من
قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا او عذاب
الآخرة (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان) أتموهما
(بالقسط) بالعدل نهوا اولا عن عين القبيح
الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد
الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة
الترغيب فيه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن
الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة
ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) البخس
النقص كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون

سبحانه وتعالى لما خص النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشياء التي يجب ايفاء الحق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الارض مفسدين) يعني بنقص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقية الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (أو أن نفعل في اموالنا ما نشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش أقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من أعظم شعائر الدين (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقني منه رزقا حسنا) يعني حلالا قيل كان شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعمة ان أخون في وحيه أو ان اخالف امره او اتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه أي أن أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها الا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شيء وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان اريد) يعني ما اريد فيما آمركم به وانهاكم عنه (الا الاصلاح) يعني فيما بيني وبينكم (ما استطعت) يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقي الا بالله) التوفيق

من الاشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الارض مفسدين) العيثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل البخس والتطفيف عيثا منهم في الارض (بقية الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف الا أن فائدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شأنه او المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم (وما انا عليكم بحفيظ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا يا شعيب أصلواتك) وبالتوحيد كوفي غير أبي بكر (تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول انها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلواتك تأمرك ان تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو ان نترك التبسط في اموالنا ما نشاء من ايفاء ونقص وجاز ان تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا (انك لانت الحليم الرشيد) أي السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء أو انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بما يقتضيه حالك (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة والرسالة او مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف اي اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان أريد الا الاصلاح) ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أي مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر الا بمعونته وتأييده

تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال تعالى وماتوفيقي الابالله (عليه توكلت) يعني على الله اعتمدت في جميع اموري (واليه انيب) يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع في معادي روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وقوله (و يا قوم لا يجرمنكم شقاقي) أي لا يحملنكم خلافي وعداوتي (ان يصيبكم) يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعني الغرق (أوقوم هود) يعني الريح التي اهلكتهم (أوقوم صالح) يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وماقوم لوط منكم ببعيد) وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وماديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط و بلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعني من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا أحببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه و يحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودده الى خلقه (قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول) يعني مانفهم ماتدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ماينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا لنراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج و يقال ان حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه و يدل على صحة هذا القول مابعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعني جماعتك وعشيرتك قيل الرهط مابين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجمناك) يعني لقتلناك بالحجارة اسوء القتلات وشرها وقيل معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول (وما أنت علينا بعزيز) يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله (قال ياقوم أرهطي اعز عليكم من الله) يعني أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطي لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذي لا يلتفت اليه (ان ربي بما تعملون محيط) يعني انه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شئ فيجازيكم بها يوم القيامة (و ياقوم اعملوا على مكانتكم) يعني على تؤدتكم وتمكنكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر (اني عامل) يعني ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم و يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أيها الجاني على نفسه المخطئ في فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فما يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه)

(عليه توكلت) اعتمدت (واليه أنيب) ارجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم) أي لا يكسبنكم خلافي اصابة العذاب (مثل ما اصاب قوم نوح اوقوم هود اوقوم صالح) وهو الغرق والريح والرجفة (وماقوم لوط منكم ببعيد) في الزمان فهم اقرب الهالكين منكم اوفي المكان فديارهم قريبة منكم اوفيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوي وسوى في قريب و بعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم) يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود) يحب أهل الوفاء من الصالحين (قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول) أي لانفهم صحة ماتقول والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك اظهروا الميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزيز) أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) في جوابهم (ياقوم ارهطي أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطي أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس امسي (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (و ياقوم اعملوا على مكانتكم) هي بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة اومصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ يعني اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها (اني عامل) على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعني

(ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وايا هو كاذب او موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والاتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وابلغهما الاستئناف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما اقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او بمعنى ٣٤١ المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجئ بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الأخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) الجاثم اللازم لمكانه لا يريم يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كان لم يغنوا فيها) كان لم يقيموا فى ديارهم احياء متصرفين مترددين (الا بعدا لمدين) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله (كما بعدت ثمود) وقرئ كما بعدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا وعد وأوعد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا لانها ابهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أى الملأ (أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى الا من شيطان ومثله بمعزل عن الالوهية وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا ان مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا

عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط او المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أى يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا أى كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغى فى كل ما يذم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردهم النار) ادخلهم وجئ بلفظ الماضى لان الماضى يدل على أمر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبئس الورد) المورد (المورود) الذى وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد المورود الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وأتبعوا فى هذه) أى الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (وبئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان او بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من انباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) من القرى (قائم

يعنى بسبب عمله السيئ أواينا الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه (ومن هو كاذب) يعنى فيما يدعيه (وارتقبوا) يعنى وانتظروا العاقبة وما تؤول اليه أمرى وأمركم (انى معكم رقيب) أى منتظر والرقيب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعنى بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعنى بفضل منا بأن هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) يعنى ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس الصيحة وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) يعنى ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطأ بالارض (كأن لم يغنوا فيها) يعنى كان لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الا بعدا) يعنى هلاكا (لمدين كما بعدت ثمود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى بحججنا والبراهين التى أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعنى ومعجزة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمى السلطان سلطانا لانه حجة الله فى الارض (الى فرعون وملئه) يعنى اتباعه واشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (وما أمر فرعون برشيد) يعنى وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) يعنى كما تقدم قومه فأدخلهم البحر فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم فى الضلال والكفر فى الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم فى النار (وبئس الورد المورود) يعنى وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون فى تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال فى حق فرعون واتباعه فأوردهم النار وبئس الورد المورود ولان الاصل فيه قصد الماء واستعمل فى ورود النار على سبيل الفظاعة (وأتبعوا فى هذه) يعنى فى هذه الدنيا (لعنة) يعنى طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعنى وتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التى حصلت لهم فى الدنيا (بئس الرفد المرفود) يعنى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعنة فى الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعنى من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعنى نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعنى من القرى التى اهلكنا اهلها (قائم

وحصيد) اي بعضها باق و بعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلاكنا
اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بارتكاب ما به اهلكوا (فما أغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون

وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه و بعضه قد حصد وذهب اثره والحصيد بمعنى المحصود (وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا انفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تتبيب) يعني غير تخسير وقيل غير تدمير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا اخذ ربك (اذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائد على القرى والمراد اهلها (ان اخذه اليم شديد) ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة و رد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم و يعضده الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لآية) يعني ماذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلاك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله و يخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجموع له الناس) يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما نؤخره الا لأجل معدود) يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعني ذلك اليوم (لا تكلم نفس الا باذنه) قيل ان جميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه وتعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله أحوال مختلفة وفيه أهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس شيئا الا أن يأذن الله لها في الشفاعة (فمنهم) يعني فمن أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل (ق) عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية بقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشئ بتلك المخصرة وباليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء

وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه ولما منصوب بما اغنت (وما زادوهم غير تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل اهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أي ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك اذا أخذ القرى) اي اهلها (وهي ظالمة) حال من القرى (ان أخذه أليم شديد) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ان في ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أي اعتقد صحته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله اذا قلت يجمع له الناس وانما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد (وما نؤخره) اي اليوم المذكور والاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف او ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا (يوم يأت) بالياء مكي وافقه ابو عمرو ونافع وعلي في الوصل واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذكر او بقوله (لا تكلم) أي لا تتكلم (نفس الا باذنه) أي لا يشفع احد الا باذن الله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (فمنهم) الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (شقي) معذب (وسعيد) أي ومنهم

بهذه الآية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الآية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم أصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيآت فهؤلاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها) اى في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنفتح منه الضلوع والشهيق ردّ النفس الى الصدر أو الزفير مدّه واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره اذا ردّه الى صدره وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف (خالدين فيها) يعني لابثين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعني مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما ولا بدّ لاهل الجنة وأهل النار من سماء تظلهم وأرض تقلهم فكل ماعلاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد وقوله سبحانه وتعالى (الا ماشاء ربك) اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التأويل ماروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون (خ) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) أن يدخله النار أولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثناءين يرجعان الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو مابين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ماشاء ربك يعني سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على الف الا الفين أي سوى الفين وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقوله والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمه ان يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله سبحانه

سعيد اى منهم (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير) هو اول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره اوهما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والارض) في موضع النصب أي مدة دوام السموات والارض والمراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل مادام فوق وتحت ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء او عرش وكل ما اظلك فهو سماء او هو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد (الا ماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك لان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ماشاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم (ان ربك فعال لما يريد) بالشقي والسعيد (واما الذين سعدوا) سعدوا حمزة وعلي وحفص سعد لازم وسعده يسعده متعد (ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك ان لهم سوى الجنة ماهو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه او معناه الا من شاء ان يعذبه بقدر ذنبه قبل ان يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ماذكرنا انه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له ايضا خلود في الجنة لانه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفى به اثما مبينا

(عطاءغير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتدا الى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون وهو نصب على المصدر اى اعطوا عطاء قيل كفرة الجهنمية بأربع آيات عطاء غير مجذوذا كلها دائم وماعندالله باق لامقطوعة ولاممنوعة لماقص الله قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعدلهم من عذابه قال

(فلاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء) اى فلا تشك بعدما انزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد ان حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك مانزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية ومافى مما وكما مصدرية اوموصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم اومما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم اى كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى اوقومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفى شك منه) من القرآن اومن العذاب (مريب) من اراب الرجل اذا كان دارية على الاسناد المجازى (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم اى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصرى وعلى ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك اعمالهم) اى جزاء اعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبار الاصلها الذى هو التثقيل ولان ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ماقيل فيه انه من لممت الشئ جمعته لما ثم وقف فصار لما ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى والثروى ومافيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما وهو يؤيد ماذكرنا والمعنى وان كلا ملمومين أى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كانه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك اعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى امرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وجاز لفاصل يعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا

وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج من أراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال فى حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ماشاء ربك فى جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء فى جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول فى جانب الاشقياء معناه الا ماشاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفى جانب السعداء معناه الا ماشاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل أعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود أهل الجنة فى الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لايخرج منها بل هو خالد فيها وقوله سبحانه وتعالى فى جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن أبى هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وأبى هريرة فمحمول عند أهل السنة على اخلاء أماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم قوله سبحانه وتعالى (فلاتك فى مرية مما يعبد هؤلاء) يعنى فلاتك فى شك يا محمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى انه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم (وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عزوجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب فمنهم مصدّق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لقضى بينهم) يعنى لعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفى شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مريب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعملون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لايخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدّقين وفيه وعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر فى فاستقم للتأكيد لان النبى صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك اى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من امتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ منه روغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت

يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تطغوا) يعني ولا تجاوزوا أمري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قال ابن عباس ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها (ح) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا أطراف النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله شيء من الدلجة اشارة الى تقليله وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسكم النار) يعني فتصيبكم النار بحرها (وما لكم من دون الله من أولياء) يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة أو رضي بأعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في أنفسهم نعوذ بالله من الظلم قوله عز وجل (وأقم الصلاة طرفي النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو أطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت اليها وقبلتها فأتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب فأتيت عمر فذكرت له ذلك فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم اصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فأتيته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحابه يارسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يارسول الله ألي هذه الآية قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يانبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يارسول الله ارأيت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فأنزل الله عز وجل وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يارسول الله أهي له خاصة ام للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار يعني صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت

(ولا تطغوا) ولا تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم فاتقوه وقيل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة أي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسكم النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقيل لا فقيل له يموت قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة (وأقم الصلاة طرفي النهار) غدوة وعشية

وابو اليسر هو كعب بن عمرو والذي في الكشاف عمرو كما في النسخ

المذاهب فى تفسير طرفى النهار والاشهر ان الصلاة التى فى طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفى النهار هو طلوع الشمس والثانى هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثانى لايجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثانى على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى واقم الصلاة فى زلف من الليل وهى ساعاته واحدتها زلفة وأصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعنى ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد فى رواية مالم تغش الكبائر وزاد فى رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر عن أبى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاثة شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثانى الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه فى المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد فى تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد فى احدى الروايتين عنه والقرظى والضحاك وجمهور المفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعنى عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى اعمالهم قال ابن عباس يعنى المصلين قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعنى فهلا كان من القرون التى أهلكناهم (من قبلكم) يعنى يا أمة محمد (أولوا بقية) يعنى أولوا تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة (ينهون عن الفساد فى الارض) يعنى يقومون بالنهى عن الفساد فى الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعنى لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد فى الارض فلذلك اهلكناهم (الا قليلا) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (ممن أنجينا منهم) يعنى من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد فى الارض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) يعنى واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ما تنعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعنى كافرين (وما كان ربك) يعنى وما كان ربك يا محمد (ليهلك القرى بظلم) يعنى لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعنى فى اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات وقيل فى معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعنى يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا اما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنتصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب او الطاعات قال عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فما بعده او القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين نزلت فى عمرو بن غزية الانصارى بائع التمر قال لامرأة فى البيت تمر اجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيا فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هى كفارة لك فقيل أله خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهى من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل (أولوا بقية) أولوا فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا (ينهون عن الفساد فى الارض) عجب محمدا عليه السلام وامته ان لم يكن فى الامم التى ذكر الله اهلاكهم فى هذه السورة جماعة من اولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى (الا قليلا ممن انجينا منهم) استثناء منقطع اى ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) اى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمر أى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (ما اترفوا فيه) اى اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنى ورفضوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام لتأكيد النفى (بظلم) حال من الفاعل أى لا يصح ان يهلك الله القرى ظالما لها (واهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا آخر

الله مبناها على المساحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على اديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امّتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه ابوداود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامّة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه ابوداود وقال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امّتى فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امّته وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله وقوله سبحانه وتعالى (الا من رحم ربك) يعنى لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم قال اشهب سألت مالك بن انس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فحاصل الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال أهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل يعنى من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعنى ما نقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (فى هذه الحق) اختلفوا فى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الآية وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين فان قلت قد جاءه الحق فى سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق فى غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أى وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم (انا عاملون) يعني ما أمرنا به ربنا (وانتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (انا منتظرون) يعنى ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى

(ولو شاء ربك لجعل الناس امّة واحدة) اى متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هى مشيئة قسر وذلك رافع للابتلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) فى الكفر والايمان اى ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (الا من رحم ربك) الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا فى شرح التأويلات (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) اى فى هذه السورة أو فى هذه الانباء المقتصة ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب (وقل للذين لا يؤمنون) من اهل مكة وغيرهم (اعملوا على مكانتكم) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (انا عاملون) على مكانتنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما ولا تخفى عليه اعمالكم

يعلم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها
ومعدومها لايخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء (واليه يرجع الامر كله) يعني الى الله
يرجع أمر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة (فاعبده) يعني ان من كان كذلك
كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعني
وثق به في جميع امورك فانه يكفيك (وما ربك بغافل عما تعملون)
قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه
وتعالى يحفظ على العباد اعمالهم لايخفى عليه
منها شئ فيجزي المحسن باحسانه والمسئ
باساءته قال كعب الاحبار
خاتمة التوراة خاتمة سورة
هود والله أعلم
بمراده واسرار
كتابه
تم تم
تم
م

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث اوله سورة يوسف)

(واليه يرجع الامر كله) فلابدان يرجع اليه
أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم يرجع نافع وحفص
(فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكافلك (وماربك
بغافل عما يعملون) بالتاء مدنى وشامى وحفص
اى انت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة
التوراة هذه الآية وفى الحديث من احب أن
يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى